يوسف صديق

ودوره في ثورة 23 يوليو 1952

منى مالك

يوسف صديق
ودوره فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

نائب رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد بهي الدين العساسي

رئيس الإدارة المركزية للنشر

د. سهير المصادفة

رئيس الإدارة المركزية للشئون المالية والإدارية

عبد النبي إبراهيم

الإشراف الطباعي

محمد حسن

الإخراج الفني

محمد محمود سيد

التصحيح اللغوي

نعمات عبد الحق

يوسف صديق
ودوره في ثورة يوليو ١٩٥٢

تأليف/ منى مالك

الطبعة الأولى: الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٩

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩(٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦(٢٠٢)
website: www.egyptianbook.org.eg
E-mail: ketabgebo@gmail.com
www.gebo.gov.eg

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مالك، منى
يوسف صديق ودوره في ثورة يوليو ١٩٥٢/ منى مالك. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٩.
٤١٦ ص؛ ٢٤ سم.
تدمك ٥ ٢٢٣٣ ٩١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ السياسيون المصريون.
٢ ـ مصر ـ تاريخ ـ العصر الحديث ـ ثورة ١٩٥٢م.
٣ ـ صديق، يوسف.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٣٦٩٤/ ٢٠١٩
I. S. B. N 978 - 977 - 91 - 2233 - 5
ديوي ٩٢٣,٢٦٢

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب. يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر

يوسف صديق

ودوره فى ثورة يوليو ١٩٥٢

منى مالك

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَآء وَتُذِلُّ مَن تَشَآء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

صدق الله العظيم

---

[1] سورة آل عمران، الآية ٢٦.

الإهداء

إلى من زرع بداخلى الإيمان والصبر والأمل،
إلى من لا زلت أتجرع مرارة فقده وتمنيت كل دقيقة وجوده معى
إلى روح أبى - رحمة الله عليه - وأدعو الله أن يدخله فسيح جناته.

إلى من نذرت عمرها فى أداء رسالة صنعتها من أوراق الصبر
وطرزتها فى ظلام الدهر على سراج الأمل بلا فتور أو كلل
إليك أمى الحبيبة.. أمد الله فى عمرك بالصالحات
فأنت زهرة الحياة ونورها.

إلى الصديقة والأخت والأم التى قدمت لى كل الدعم
كى أنجز هذا الكتاب الأستاذة، ليلى يوسف صديق
دام عطاؤها..

منى مالك

المقدمة

قام الرئيس عبد الفتاح السيسى فى أثناء الاحتفال بالعيد السادس والستين لثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"؛ بمنح قلادة النيل للعقيد يوسف منصور صديق- رحمه الله، وقد كان هذا الخبر وقعًا جميلًا، ومفاجأة سارة لأسرته ولكل من يعرفه. والآن نطرح سؤالًا مهمًا : من يوسف صديق؟.. إنه شخصية من الشخصيات المؤثرة فى ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، رغم أن التاريخ لم يذكر اسمه ولم يعطه حقه، علمًا بأنه كان له دور فاعل فى تلك (الليلة المجيد الخالدة) كما أطلق عليها يوسف نفسه ذلك الاسم .. ونقدم بين أيديكم هذا الكتاب لينير لنا دربًا من حياة العقيد يوسف منصور صديق.

فإن كتابة التاريخ وتسجيل أحداثه -عبر العصور- موضوعٌ كان وما زال يحتل مكانًا مهمًا عند الأمم سابقها ولاحقها ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أهمية تاريخ العالم وحضاراته ، ذلك التاريخ الذى لا يمكن أن ينتقل من جيلٍ إلى جيل إلّا عن طريق التاريخ الشفهى؛ لذلك فعلينا ألّا نحرف وقائعه، وأن نتحرى الحق والصدق فى تدوين أحداثه وتفسيرها، متجردين من الانتماءات السياسية والاجتماعية والدينية. ومن ثمَّ فإن دراسة الشخصيات التاريخية من الدراسات المهمة، حيث إنها تكشف النقاب عن دور من شاركوا فى صنع الأحداث التاريخية، فهناك شخصيات كان لها عظيم الأثر فى أن تكون سببًا فى تقدم الأمم ، فضلًا عن كونها سببًا فى التأثير فى أفكار شخصيات أخرى يكون لها دور بارز، وذلك عن طريق الاستفادة من خبرات تلك الشخصيات وإبراز صفات أصحابها ومعتقداتهم، لكن الشخصيات التى يكون لها نصيبٌ من تناول الباحثين فى مجال التاريخ هى الشخصيات التى كان لها شهرة واسعة فى

عصرها أو زمنها، ولكن هناك عددًا من الشخصيات التى شاركت فى تغيير مجرى التاريخ، ولا يعلم أحد عنها إلا القليل ممن تصدى فى دراسته لفترة زمنية بعينها، وبالطبع هناك من هضم حقهم فى الاعتراف بالدور الذى قاموا به، ويرجع ذلك أحيانًا إلى طبيعة السياسة وما يرتبط بها من صراعات حتى بعد رحيل رموزها، ولا شك أنه بالبحث والدراسة فى التاريخ يُرد لهم حقهم، ولكن على المؤرخ أن يلتزم الحياد والموضوعية قدر المستطاع.

فقد قام تنظيم الضباط الأحرار بضم يوسف صديق إليهم أوائل عام "١٩٥٢". ومما تجدر الإشارة إليه أن المقدم يوسف صديق هو؛ الرجل الذى كان مكلفًا بدور ثانوى فى ليلة الثورة، ولكن شاءت الأقدار أن يتحول ذلك الدور إلى دور أساسى، كان سببًا فى نجاح الثورة ويرجع ذلك إلى حسن بداهته وسرعة تدبره للأمر فى تلك الليلة، رغم شدة مرضه ورئته التى كانت تنزف فى أثناء قيادته القوة التى كُلفت بالاستيلاء على مبنى قيادة الجيش. ويعلم الجميع أن أى خطأ ليلة ٢٣ يوليو كان سيؤدى لا محالة إلى الفشل، ولكن الخطأ الذى حدث ليلة ٢٣ يوليو أدى إلى نجاح الحركة، التى علم الملك بأمرها واجتمع القادة فى مبنى رئاسة الجيش لإجهاضها واعتقال رجالها. فقد تصرف بذكاء واضح و بفدائية لا توصف فى اقتحامه مبنى رئاسة الجيش، وقام بإلقاء القبض على رئيس هيئة أركان حرب الجيش وقياداته، وصفه الأستاذ محمد حسنين هيكل بالعملاق الأسمر، وقيل عنه إنه بطل مصر الأسطورى بسبب ذلك الدور الذى ذكرناه آنفا، ونظرًا لِمَا قام به تم ضمه إلى مجلس قيادة الثورة، وبعد نجاح الثورة ورحيل الملك فاروق طالب يوسف رفاقه من أعضاء مجلس القيادة، بتنفيذ ما اتفقوا عليه من قبل، وهو إقامه حياة ديمقراطية ، وعودة الجيش إلى ثُكُناته لحماية الثورة ومبادئها، ولما لم يتم الاستجابة لذلك قدم استقالته فى يناير "١٩٥٣" م احتجاجًا على ذلك . ولم يقُم مجلس قيادة الثورة بإعلانها خشية تأثير ذلك القرار على الرأى العام ورد فعلهم الذى لم يكن أحد يتكهنه. وفى نفس العام نُفى إلى سويسرا، وبعد عودته سرًا بدون موافقة مجلس قيادة الثورة، تم تحديد إقامته.

وتعددت المواقف إلا أنها لم تؤثر بالسلب على تقديره وتشجيعه لأيٍ من الخطوات المهمة التى كان يتخذها رؤساء مصر من بعد. ورغم أنه قد حُجِبَ عن الأضواء؛ فإن من عاصروه لم يبخسوا حقه فى الاعتراف بدوره، كما أن الرئيس جمال عبد الناصر أشار إلى هذا الدور أثناء الاحتفال العاشر بالثورة فى عام "١٩٦٢". وقد تعددت الروايات حول الدور الذى قام به يوسف صديق ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، وقد تناولتُ تلك الروايات بالتحليل فى محاولة للاقتراب من الحقيقة، ويأتى هذا الكتاب ليقدم لنا صورة كاملة عن حياة يوسف صديق ومحاولة التعتيم على تاريخه بعد وفاته.

منى مالك

الفصل الأول

نشأة يوسف صديق وحياته العسكرية

أولًا: نشأته وتعليمه.

ثانيًا: حياته العملية والعسكرية.

- التحاقه بالكلية الحربية.
- تقديمه إلى المجلس العسكرى.
- تعيينه مدرسًا بالكلية الحربية.
- التحاقه بكلية أركان حرب.

ثالثًا: مشاركته فى حرب فلسطين ١٩٤٨.

رابعًا: موقف الحرس الحديدى من يوسف صديق.

خامسًا: نقله إلى السودان.

يوسف منصور صديق هو أحد الضباط الأحرار[1]، هو الضابط الذى وقف الرئيس جمال عبد الناصر[2]، ليعلن عنه فى خطاب الثورة عام "١٩٦٢" ويقول:

---

[1] الضباط الأحرار: هم مجموعة من ضباط الجيش الذين انضموا إلى حركة الضباط الأحرار التى تأسست داخل الجيش المصرى فى عام "١٩٤٥"، وبلغ عدد أعضائها ٢٥٠ ضابطًا تقريبًا، وقد حظيت بتأييد ودعم من الضباط الوطنيين فى الجيش، وقادت ثورة٢٣ يوليو "١٩٥٢" التى أطاحت بالملك فاروق من الحكم فى يوم ٢٦ يوليو، وتم إعلان الجمهورية فى ١٨يونيو "١٩٥٣". وقد قادت عملية التغيير السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى مصر، من حيث تحقيق الإصلاح الزراعى "١٩٥٢"، وإلغاء الملكية "١٩٥٣" فضلًا عن جلاء القوات الإنجليزية "١٩٥٤"، وتأميم قناة السويس ومقاومة العدوان الثلاثى، وتحقيق الوحدة مع سورية "١٩٥٨"، والمساهمة فى تعزيز سياسة الحياد الإيجابى وقيام كتلة عدم الانحياز. عبد الوهاب الكيالى، "موسوعة السياسة"، ج٢، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، "١٩٧٩"، ص ٧٢٢. وتناولت الكاتبة تكوين تنظيم الضباط الأحرار، انظر الفصل الثانى، ص ٩٠.

[2] جمال عبد الناصر: (١٩١٨-١٩٧٠) الابن الأكبر لعبد الناصر حسين، الذى ولد فى عام "١٨٨٨" فى قرية بنى مر فى صعيد مصر فى أسرة من الفلاحين، ولكنه حصل على قدر من التعليم سمح له بأن يلتحق بوظيفة فى مصلحة البريد بالإسكندرية، ولد جمال عبد الناصر فى ١٥ يناير "١٩١٨" فى الإسكندرية، التحق بكلية أركان حرب عام "١٩٢٧" ورقى ضابطًا "١٩٣٨"، عمل بسلاح المشاة فى أسيوط، ثم عين مدرسًا بالكلية الحربية والتحق دارسًا بكلية أركان حرب وعين مدرسًا بها، اشترك فى حرب فلسطين "١٩٤٨" وحوصر مع فرقته فى حصار الفالوجا. بدأ يخطط لعمل ثورة. وأخذ ينظم جماعة (الضباط الأحرار) الذين قاموا بالثورة فى ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، تقلد منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، عين رئيسًا للوزارة فى فبراير "١٩٥٤". كسر احتكار السلاح فى عام "١٩٥٥" بعقد أول صفقة أسلحة مع الكتلة الشرقية. رفض سياسة الأحلاف. وقع معاهدة مع إنجلترا لجلاء القوات البريطانية من قاعدة القنال بعد استعمار دام ثلاثة أرباع قرن (١٨٨٢-١٩٥٦). "١٩٥٦" أصدر مشروع دستور جديد وتم استفتاء شعبى على

"إن يوسف صديق لعب دورًا أساسيًا فى إنجاح ثورة يوليو". إن قصته تستحق أن تُروى وأن تعرفها الأجيال الجديدة؛ لتعرف من خلالها قصة واحد من فرسان مصر العظام[1]. فهو مقاتل وفارس وشاعر مؤثر تجرد من الخوف والطمع، فلم يستطع أحد أن يرهبه أو يشترى ضميره[2].

..هو العملاق الأسمر.. عملاق طويل عريض.. لفحته الشمس فى معسكرات الجيش فجعلته أشبه ما يكون بتمثال من البرونز لفارس مُحارب مدرع من القرون الوسطى.. دبت فيه الحياة بمعجزة فخرج إلى عالم المغامرات. هكذا قدمه إلى الناس محمد حسنين هيكل عقب نجاح ثورة ٢٣ يوليو[3].

يهدف هذا الفصل إلى معالجة نشأة يوسف صديق، والعوامل التى أثرت فى تكوينه، والظروف السياسية التى أحاطت بهذه النشأة، وتدرجه فى المناصب العسكرية ومشاركته فى حرب فلسطين "١٩٤٨"، وانضمامه لتنظيم الضباط الأحرار.

الدستور وتم انتخابه رئيسًا للجمهورية ١٩٥٦/٦/٢٤. أمم قناة السويس فى أكتوبر "١٩٥٦"، وفى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ أصبح جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، وذلك حتى مؤامرة الانفصال التى قام بها أفراد من الجيش السورى فى ٢٨ سبتمبر "١٩٦١". وقع ميثاق الوحدة بين العراق وسورية ومصر فى أبريل "١٩٦٣"، وفى عام "١٩٦٥" أصدر قرارات اشتراكية واسعة النطاق آنذاك وقد كان من نتائجها تخفيض الحد الأعلى للملكية الزراعية إلى مائة فدان . سلم أمور الجيش لعبد الحكيم عامر، وقد أصيبت مصر بهزيمة عسكرية يونيو "١٩٦٧" قدم استقالته على أثرها، فرفضتها جماهير الشعب فى مصر والوطن العربى. شن حرب الاستنزاف من (١٩٦٨-١٩٧٠). توفى فجأة فى سبتمبر "١٩٧٠" بعد انتهاء مؤتمر القمة العربية الذى انعقد فى القاهرة. نفس المرجع، ج٢، ط١، ص٧٥-٧٦.

[1] محمود حامد، "أوراق يوسف صديق.. المظلوم حيًا وميتًا"، جريدة الأهالى، العدد٩٣٢، ١٩٩٩/٦/٢٨.

[2] سهير إسكندرى، "أكثر من اعتذار للبطل يوسف صديق"، جريدة الوفد، العدد "١٩١٠"، ١٩٩٧/٥/١، ص ٩.

[3] محمد حسنين هيكل، "من هم ضباط محمد نجيب"، مجلة آخر ساعة، العدد ٩٣١، ١٩٥٢/٦/٢٧. ؛ ملحق رقم (١) مقال "العملاق الأسمر ذو العينين الحمراوين". مجلة آخر ساعة، العدد ٩٣١، ١٩٥٢/٦/٢٧.

أولًا- نشأته وتعليمه:

ولد يوسف صديق فى يوم الثالث من يناير "١٩١٠" فى قرية زاوية المصلوب[1] التابعة لمركز الواسطى بمحافظة بنى سويف، وهى موطن والديه، وكانت أسرته لها باع فى العمل السياسى والحربى بالجيش المصرى، فوالده اليوزباشى[2] منصور يوسف حسن الأزهرى الذى عمل ضابطًا بالجيش المصرى، ووالدته هى سكينة كريمة الحاج أحمد على وهو من أعيان المنطقة، وكان والده ابن خال لوالدته[3].

أما عن جده الأكبر فهو الشيخ حسن الأزهرى، فكان عالمًا من علماء الأزهر الشريف، وكان قاضيًا فى عهد الخديو محمد توفيق[4]. وكان دائم الانتقاد

---

(١) زاوية المصلوب: قرية مصرية قديمة تقع إلى الجنوب من مدينة الواسطى أولى مدن محافظة بنى سويف من الشمال . كانت تسمى مدينة (بنياس)، وهى من توابع كوم إدريجة ثم فصلت عنها فى "١٢٣٠" هـ باسم زاوية المصلوب. وقد سميت بهذا الاسم لأن آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد صلب هناك، ثم نقل إلى بلدة أبى صير فى الغرب من مدينة الواسطى ليدفن فيها.وتنقسم القرية إلى قسمين:المصلوب (وهى الأقدم) والزاوية (وهى الأحدث). سميت قرية زاوية المصلوب لبناء زاوية للصلاة ناحية نهر النيل فبنيت حولها قرية سميت بهذا الاسم. تقع القريتان بين خط السكك الحديدية الرابط بين القاهرة وأسوان غربًا ونهر النيل شرقًا ، وخرَّجت القرية أحد الضباط الأحرار وهو يوسف منصور صديق الأزهرى وقبطان مصر المحروسة أحمد عبد العليم، وكان قبطان السفينة التى قامت بتوصيل الملك فاروق، وتوجد بها أكبر عائلات مركز الواسطى وهى عائلة الدبرية والجبارنة وعائلة الأزهرى وهما أكبر عائلات، كما أخرجت الشهيد عبد الحميد محمد عبد الرحمن خلف الله وهو أحد شهداء حرب أكتوبر المجيدة . محمد رمزى، القاموس الجغرافى للبلاد العربية من عهد قدماء المصريين إلى سنة "١٩٤٥"، ج٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، "١٩٩٤". ص٧٣٠.

(٢) يوزباشى: (النقيب) مركب من يوز بمعنى مائة فى التركية ، وباش بمعنى رأس ، والمراد رأس المائة أى بلوك من الجند. أحمد تيمور باشا، الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش والهيئات العلمية و القلمية منذ عهد أمير المؤمنين عمر الفاروق، ط١، القاهرة، مطابع دار الكتاب، (١٣٦٩هـ - ١٩٥٠)، ص٥٧-٥٨.

(٣) محمد توفيق الأزهرى، البكباشى يوسف صديق منقذ ثورة يوليو (أنكره الزيف وأنصفه الشعب)، تحقيق محمود توفيق، القاهرة، مكتبة مدبولى، "٢٠٠٠"، ص١٨.

(٤) الخديو محمد توفيق: (١٨٧٩-١٨٩٢) ولد فى ٢٠ إبريل "١٨٥٢" بالقاهرة، هو سادس حكام مصر من الأسرة العلوية، وهو الابن الأكبر للخديو إسماعيل، استلم الحكم فى ٢٦

لتصرفات الخديو، مما دفع الحكومة إلى التخلص منه بتعينيه حاكمًا لإقليم كردفان غرب السودان، وعاش فيها مع زوجته وولديه (منصور ومحمود)، وعندما قامت الثورة المهدية[1] بالسودان، قام الدراويش بقتل الحاكم وزوجته،

يوليو "١٨٧٩"، بعد أن أجبر الإنجليز والفرنسيون أباه الخديو إسماعيل (١٨٣٠-١٨٩٥) على ترك منصبه، وذلك عندما حاول استدراك ما فاته، وبعد أن أغرق البلاد فى ديون أجنبية ضخمة مهدت السبيل للأوروبيين للتدخل فى شئون البلاد، حاول إسماعيل التصدى للنفوذ الأجنبى، فأجبروه على ترك منصبه لأكبر أبنائه توفيق. كان مهتمًا بنشر التعليم منذ أن كان وليًا للعهد، فأنشأ مدرسة القبة على نفقته الخاصة. وعندما تولى الحكم أصدر مرسومًا فى ٢٧ مايو "١٨٨٠" بتأليف لجنة للبحث فى تنظيم التعليم وشئونه، وقد أنشئت مدرسة مسائية للتعليم. وأنشأت الحكومة المجلس الأعلى للمعارف فى ٢٨ مارس "١٨٨١". شهد عهده الثورة العرابية "١٨٨١"، ثم الاحتلال البريطانى الذى حظى بتأييده. وفى عام "١٨٨٤" سقطت الخرطوم فى يد الثورة المهدية، وفقدت مصر حكم السودان. وأصدر ١ مايو "١٨٨٣" القانون النظامى، والذى بمقتضاه شكل مجلس شورى القوانين، أول من تنازل من أفراد الأسرة المالكة عن أطيانه، لدفع الدين المطلوب من الحكومة. زكى فهمى، صفوة العصر فى تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر، القاهرة، مكتبة مدبولى، "١٩٩٥"، ص ٥٦-٦١.

(1) الثورة المهدية: لم يكن الشعب السودانى بعيدًا عن المطالب التى عبرت عنها الثورة العرابية فى مصر، فقد كانت تنمو بذور معارضة سياسية دينية، ما لبث أن اندلعت ثورة تعرف ب " الثورة المهدية" التى هزمت الوجود البريطانى، وأنشأت دولة استمرت من (١٨٨٥- ١٨٩٨). وقد عرفت بهذا الاسم نسبة إلى قائدها محمد أحمد المهدى ت (١٨٤٣-١٨٨٥) الذى عرف بنزعته الصوفية وتنسكه، فلم يكن راضيًا عن سير السلطة فى الخرطوم، متهمًا إياها بالإساءة إلى تعاليم الإسلام الأصيلة، ودعا إلى شن حرب ضد الاستعمار والسلطة الموالية له. وأعلن الثورة فى "١٨٨١"م ولاقى تجاوبًا من مختلف المناطق فى السودان، وقامت بريطانيا بتعين الجنرال تشارلز جورج غوردون George Gordon Charles ت (١٨٣٣-١٨٨٥) مندوبًا لها فى السودان بهدف إيجاد حل مع المهديين، إلا أن الثوار تابعوا حملتهم لتحرير السودان وحاصروا مدينة الخرطوم واحتلوها فى "١٨٨٥" وقتلوا غوردون فى قصره.بعد سقوط العاصمة، وقد تابعت الحركة المهدية انتشارها وشملت القسم الأكبر من السودان، واتخذت أم درمان عاصمة للدولة الجديدة. وبعد ستة أشهر من هذا الانتصار توفى المهدى، وأصبح الخليفة عبد الله أحد أهم رجال الثورة المهدية المستقلة، التى استمرت حتى عام "١٨٩٨"م. وبعد هزيمة الإنجليز أصبحت سياسة بريطانيا عدم التدخل فى السودان ومراقبة ما يجرى من مصر.وقد استمر هذا الوضع سائدًا حتى عام "١٨٩٦"م حين عاد البريطانيون وشنوا

واستطاع البواب السودانى حماية ولديه (منصور ومحمود) مستغلًا سمرة بشرتهما فادعى أنهما ولداه وقام بتهريبهما إلى مصر. ولكن محمود توفى بالقاهرة، وعاد منصور إلى قريته زاوية المصلوب[1].

أما عن والده فهو البكباشى[2] منصور حسن صديق الأزهرى، قد التحق بالمدرسة الحربية ثم تخرج فيها فعمل ضابطًا بالجيش المصرى بالسودان، والتقى مع ابن عمته الضابط الشاعر محمد توفيق على عام "١٨٩٨"م، لكن منصور بدوره كان كثير الصدام مع الضباط الإنجليز فى السودان، هو وابن عمته الذى كان يقول الشعر ضدهم مما أغضبهم وأثارهم ضدهما[3] .

حملة عسكرية ضد "دنقلا" مستخدمين قوات الجيش المصرى بالرغم من معارضة الخديو عباس الثانى ت (١٨٧٤-١٩٤٤) الذى كان على النقيض من أبيه مبغضًا للإنجليز، ورغم احتجاجات السلطنة العثمانية على الاقتتال بين جيش مصر المسلم والمهديين المسلمين؛ فإن بريطانيا تابعت حملتها على السودان "باسم مصلحة مصر". بينما كانت تسعى علنًا لإثبات قوتها فى المنطقة أمام زحف القوات الفرنسية التى بدأت تشق طريقها من أفريقيا الوسطى نحو النيل . ودام الصراع بين البريطانيين والمهديين، وقتل الخليفة فى عام "١٨٩٨" أثناء القتال مع اللورد كتشنر Kitchener ت (١٨٥٠-١٩١٦) ومعه بعض قادته. ومع هذه الهزيمة انتهى حلم الدولة المهدية بمتابعة تحرير مصر وبعث الإسلام الأصيل من جديد. وقد لعبت الثورة المهدية دورًا كبيرًا فى دعم الحركات المعادية للاستعمار على المستويين المعنوى والمادى، فكان لها فى الشرق أثر كبير فى دعم التيارات الفكرية، وحركات التحرر العربية من الاستعمار.وفى عام "١٨٩٩" تم عقد اتفاقية للسيادة المشتركة بين الإنجليز ومصر على السودان.عبد الوهاب الكيالى ، المرجع سابق، ج٣، ط١، ص٢٧٠-٢٦٩؛ جلال يحى، الثورة المهدية وأصولها السياسية البريطانية فى السودان، ط١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، "١٩٥٩"، ص ٢٠-٢٩، ١٣٩، ١٥٩. لقراءة المزيد من التفاصيل انظر المرجع السابق.

(1) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ١٨؛ سهير صديق، محضر نقاش، الإسكندرية، المعمورة، ٢٠١٢/٥/١٠، الساعة ٩ صباحًا.

(2) بكباشى: مركب من بيك بمعنى ألف وتقرأ الكاف نونا ، وباش بمعنى رأس، وهو رئيس ألف، أى أورطة من الجند. وهو الزعيم أو المقدم. أحمد تيمور، المرجع السابق، ص٥٨-٥٩.

(3) عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، سلسة تاريخ المصريين، ١٣٦، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، "١٩٩٩"، ص١٢.

وعلى إثر صدامات منصور مع الإنجليز، صدر أمر بنقله إلى مديرية بحر الغزال، وعادت زوجته (والدة يوسف) إلى بلدتها لتضع مولودها. وهناك عمد الإنجليز إلى إساءة معاملته فتخطوه في الترقية، وحرموه من الإجازات، وأرهقوه في العمل، حتى سقط مريضًا وعاد بعد قرابة سنة إلى القاهرة للعلاج، وما أن وصل القاهرة حتى سارع بالعودة إلى قريته ليرى ولده يوسف الذى لم يكمل عامه الأول فى ذلك الوقت، ولكن القدر لم يمهله كثيرًا من الوقت فوافته المنية بعد أيام قليلة عام "١٩١٠" عن عمر ناهزَ الثمانية والعشرين عامًا[١] ولد يوسف ولم تكن تسمح التقاليد بأن تكون والدته أرملة ولم يتجاوز عمرها ثمانية عشر عامًا، فقد زوجها أبوها من أحد أبناء عمها[٢]. أخوه من والدته هو الأستاذ أبو بكر عبد الخالق، ولديه أختان من والده هن السيدة نعمة صديق، وعائشة صديق[٣].

وفيما يتعلق بخاله الشاعر محمد توفيق[٤] الذى أمضى خدمته كلها بالسودان، وشارك فى حرب استرداده. فقد استقال من الجيش فى عام "١٩١٢" بسبب

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ١٢.

(٢) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص.١٩

(٣) محضر نقاش مع نجلة يوسف صديق الكبرى، السيدة سهير فى منزلها بمنطقة الدقى القاهرة، يوم الأربعاء ٢٠١٤/١٠/١٥. بالرغم من مقابلتى لها أكثر من مرة والمحادثات التليفونية التى دارت بيننا، فإن تلك المقابلة كان لها أهمية بالغة؛ فللمرة الأولى أعلم أن البكباشى يوسف صديق - رحمه الله - لديه إخوة، لكن السيدة سهير لم تستطع أن تتذكر تاريخ مولدهم أو وفاتهم، وكل ما ذكرته لى أنهم كانوا يقيمون فى البلد وتقصد قرية زاوية المصلوب.

(٤) محمد توفيق على : (١٨٨١-١٩٣٧) ولد فى قرية -زاوية المصلوب- بمحافظة بنى سويف عام ١٨٨١م أثناء الثورة العرابية، وكان والده من أثرياء الفلاحين، فألحقه بكُتَّاب القرية بوصفه أول بابٍ يُفْضى إلى مدينة العلم والدين فى هذا الزمان، ثم أوفده إلى القاهرة؛ فانتظم بمدرسة (القِرَبِيَّة) حتى نال الشهادة الابتدائية، والتحق بعدها بمدرسة الفنون والصنائع فى بولاق، ودرس بها فنونًا من الأدب العربى. اغتنم فرصة الإعلان عن الحاجة إلى ضُبَّاطٍ بالمدرسة الحربية، فالتحق بها وتخرج ضابطًا عام "١٨٩٨"م، ثم التحق بالجيش المصرى فى السودان، وهناك التقى بشاعر النيل حافظ إبراهيم ونَهَلَ من فيض شعره الزاخر، وبعد انقضاء مهمته فى السودان عاد إلى مصر وقرر أن يهب ما

كثرة مصادماته مع رؤسائه الإنجليز، وعاد إلى قريته وهو برتبة يوزباشى، واستقر بها يزرع أرضه وأرض أبيه وقد تفرغ آنذاك للشعر، ينشر قصائده الوطنية فى المجلات والصحف، واستمر على هذا النحو إلى أن توفى فى عام "١٩٣٧" وقد لعب دورًا مهمًا فى حياة يوسف صديق وتوجهاته الوطنية والأدبية، وقد سمع من خاله هذا الكثير عن الاحتلال سواء أكان فى كلامه أم فى بعض قصائده الوطنية، وكان يقص عليه كثيرًا - كلما سنحت الفرصة - كل ما حدث مع جده يوسف صديق ومع والده منصور صديق، وصدامهما مع الإنجليز وأعوانهم، وبناءً عليه فيمكننا الذهاب بالقول إلى أن روح يوسف قد تشبعت بروح الثورة منذ تلك السن المبكرة، هكذا نشأ يوسف صديق الصبى وهو يكره الإنجليز، فقد كانوا سببًا فى موت أبيه كما سمع، وفى معاناة خاله فضلاً عن تسببهم فيما آلت إليه أمور الوطن، ومن هنا يعتبر يوسف صديق ثائرًا منذ الصغر[1]، وهو ما أكده علماء النفس من أن الطفل يتأثر بالجو العام والبيئة التى ينشأ فيها[2]؛ لذلك تأثر يوسف صديق بكل ما حوله وأصبح يحلم بيوم التخلص من الاستعمار. فلم يكن غريبًا بعد ذلك أن تتأصل فيه روح الثورة، وضرورة التحرر، منذ نعومة أظفاره، وفى صباه المبكر كما سنرى فقد توحد مع الثورة[3].

أما عن أسرة يوسف صديق فقد تزوج يوسف صديق ثلاث مرات. السيدة توحيدة صبرى ت (٢٠٠٠) كريمة الدكتور محمود صبرى عام "١٩٣٤"،

بقى من عمره لنظم الشعر.ورُغم ما مُنى به شاعرنا من ضائقةٍ مالية عصَفَت بثروة أبيه وأحالته إلى الفقر والشقاء بعد رَغَدٍ من النعيم والثراء؛ فإن ذلك لم يمنعه من أن يُثرى الساحة الأدبية بالعديد من الذخائر الشعرية، منها ديوانه الكبير الذى أخرجه فى خمسة أجزاء؛ هي(قِفَا نَبْك، والسكن، والروضة الفيحاء، وتسبيح الأطيار، وترنيم الأوتار). وقد وافته المنية عام "١٩٣٧" م عن عمر ناهز ٥٥ عامًا، ودُفِنَ فى مقبرة أسرته الواقعة على مشارف الصحراء شرقى النيل.،وله ديوان شعر بعنوان الأعمال الكاملة، فى مجلدين، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[1] محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص١٩.

[2] خليل ميخائيل معوض، سيكولوجية النمو الطفولة والمراهقة، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، "٢٠٠٢"، ص٥٦.

[3] محمد توفيق الأزهرى،المرجع السابق، ص٢٠.

وهى أولى زوجاته ولكنها لم يكن لها أى نشاط سياسى يُذكر. أنجب منها السيدة سهير وقد عملت بوزارة البحث العلمى، والأستاذ محمد (١٩٣٧-١٩٩٠) وقد عمل محاسبًا، والمهندسين محمود (١٩٣٨-١٩٩٠) و أحمد (١٩٤٠-١٩٨٤). وللمرة الثانية فقد تزوج من السيدة علية توفيق ابنة خاله وأخت لزوج ابنته الكبرى السيدة سهير، وكانت السيدة علية توفيق رفيقة دربه فى الكفاح السياسى وقد اعتُقِلت فى مايو "١٩٥٤"، وقد أنجب منها الأستاذ حسين (١٩٤٨-٢٠١١) الذى صار لواءً فى الشرطة، والسيدة نعمت (١٩٤٨-٢٠١٠) التى عملت مرشدة سياحية. وقد تزوج مجددًا من السيدة دولت محمود عبد الرحمن الشافعى ت (٢٠٠٤) فى عام "١٩٦٢"، ثم أنجب منها ابنتين، الأولى هى: السيدة ليلى فى ١٩٦٣ التى درست بالمعهد العالى للسينما، والسيدة سحر عام "١٩٦٥" التى تخرجت فى كلية الفنون الجميلة قسم عمارة[١]. وعندما توفى كانت بناته الثلاث لم يكملن بعد مراحلهن التعليمية وهن السيدة (نعمت، وليلى، وسحر)، لذلك فقد ذكرهن فى وصيته للرئيس محمد أنور السادات[٢] تلك الوصية التى تم تناولها بالدراسة ومقابلة الرئيس السادات لهن فى الفصل الرابع.

شب يوسف وسط رفاقه من أهله يتنافسون فى الدراسة والعلم والشعر والخطابة، وعندما حان موعد دخول المدرسة ذهب مع أحد أقاربه إلى القاهرة ليشرف على دراسته، وحينئذ اندلعت ثورة "١٩١٩" وهو فى المرحلة الابتدائية، فشاءت الأقدار أن يرى يوسف ثورة الشعب على الأوضاع السيئة، و يرى كيف رد الاستعمار بأسلحته الفتاكة على ثورة الشعب الأعزل الذى لم يكن يملك غير غضبه – فكان طفلًا عندما شاهد المدافع الرشاشة وهى تحصد الشعب حصدًا بلا هوادة ولا رحمة [٣]. وبعد أن تمكن الاستعمار من إخماد الثورة - شاهد معسكراته المنتشرة فى أنحاء البلاد ؛ إذ لم يخلُ ميدان منها من

---

[١] محضر النقاش السابق مع السيدة سهير نجلة يوسف صديق فى يوم الأربعاء ٢٠١٢/٥/١٥؛ مقابلة مع السيدة سهير صديق فى يوم الأحد ٢٠١٤/١٠/٦؛ محضر نقاش مع نجلة يوسف صديق السيدة ليلى يوسف يوم الأربعاء يوم ٢٠١٤/١٠/٢٢.

[٢] وصية يوسف صديق السرية، مجلة روزاليوسف، العدد، ٤٢١٢٨، ٢٠٠٧/٧/٢٧.ص٥١.

[٣] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٢٠؛ يوسف صديق، مذكراته غير المنشورة، ص ١-٢.

إطلاق النار، إذ كان يبدأ فى الساعة السابعة صباح كل يوم بإطلاق الرصاص على أهدافه لمدة ساعة كاملة، ليسمع المصريون فى كل مكان وفى كل صباح أن (بريطانيا العظمى) كما كانت تسمى فى ذلك الزمان تملك قوة تدمير رهيبة[١].

كما شاهد طوابير السير التى كان الفرسان البريطانيون يقومون بها من حين لآخر فى شوارع المدن وهم يمتطون خيولهم ويحملون أسلحتهم. غير أن كل هذه المظاهر التى وصفها فى مذكراته بأنها مظاهر استعراض القوة لم ترهبه، وإنما أثارت فى نفسه الكراهية ودعته وهو فى هذه السن المبكرة إلى التفكير فى طريقة للخلاص من هذا الهوان، بل ودعى نتيجة تصرفهم على هذا النحو بأن يشحن عواطف المصريين بكراهيتهم ويوجه عقولهم إلى التفكير فى طريق الخلاص[٢]. عاش يوسف فترة دراسته الابتدائية تحت رعاية أحد أقاربه من الموظفين، الذين كانوا يعيشون بالقاهرة، على أنه فى الإجازة الصيفية كان يعود مع رفاقه إلى قريته ليمضيها بين منزل والدته وجده ومنزل خاله الشاعر الضابط[٣].

وفى عام "١٩٢٤" حصل على الشهادة الابتدائية والتحق هو ورفاقه بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة[٤]. وكان يوسف دائمًا فى حاجة إلى ولى أمر ليواجه مطالب المدرسة كإجراء رسمى وأمر روتينى بحكم وفاة والده وهو رضيع، ولكن يوسف -كما أردفنا- كان ثائرًا بالوراثة وما لبث أن ضاق بسياسة ولى الأمر التى كانت تحتم على الأولاد عدم الاشتراك فى المظاهرات أو التعرض للإنجليز خوفًا من ضياع المستقبل وهذا ما يعرف بيننا كمصريين بـ" سياسة امشِ جنب الحيط يحتار عدوك فيك" وهى السياسة التى كان يتبعها أولياء الأمور البسطاء الذين يعلمون بجد لتلبية احتياجات أسرهم متجنبين إثارة المتاعب[٥].

---

(١) نفس المرجع، ص ٥٤.

(٢) نفس المكان ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣-٤.

(٣) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٤) ملحق رقم (٢) شهادة تفيد بإتمام يوسف صديق المرحلة الابتدائية.

(٥) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ٢١؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٤.

كان يوسف محاطًا بالرعاية من أسرته، فقد حرص جده لوالدته على معاونة والدته من أجل إكمال تعليمه، فقد كان معاش والده الشهرى لا يكفى سوى إعانتهم على متطلبات الحياة، حاله حال أغلب الطلاب الريفيين إذ كان أهاليهم يتكبدون العناء حتى يوفروا لهم المال لإكمال دراستهم[1].

وفى ذلك الحين وصلت المظاهرات فى السودان إلى ذروتها يوم ١٩ أغسطس عام "١٩٢٤"، عندما تظاهر طلبة الكلية الحربية بزيهم العسكرى وهم يحملون البنادق، وهتفوا بسقوط الإنجليز والحاكم العام ،، واجتمعت حكومة سعد زغلول[2] فى ١٥ أغسطس لدى الحكومة البريطانية بخطاب تعبر فيه عن مدى الحزن والأسف على توالى الأحداث فى السودان، والتى اعتبرت نتيجة طبيعية لأسلوب الموظفين البريطانيين، لكن الحكومة البريطانية ردت بأنها أعدت العُدة لتعزيز الحماية البريطانية، كما أجازت لحكومة السودان أن تقوم بإبعاد أى وحدة من وحدات الجيش المصرى يظهر منها عدم الولاء[3].

---

(1) نفس المرجع، ص ٢٢.

(2) سعد زغلول: (١٨٥٨-١٩٢٧) من مواليد عام "١٨٥٩" ببلدة أبيانة التابعة لمركز فوة بمديرية الغربية (آنذاك). تلقى مبادئ القراءة والكتابة فى كتّاب القرية، ثم ذهب لدسوق لتجويد القرآن، والتحق بالأزهر عام "١٨٧٣"، ولم يستكمل دراسته بالأزهر. عمل محررًا بجريدة الوقائع المصرية من عام "١٨٨٠" إلى عام "١٨٨٢"، وعين بعد ذلك ناظرًا لقلم قضايا الجيزة عام "١٨٨٢"، وأقيل من منصبه بتهمة الاشتراك فى الثورة العرابية، وسجن بضعة أشهر. مارس المحاماة أمام المحاكم الأهلية عام "١٨٨٤"، وشرع فى تعلم اللغة الفرنسية وأتقنها حديثًا وكتابة، وعين نائب قاض بمحكمة الاستئناف الأهلية عام "١٨٩٢"، ثم رقى إلى منصب قاض فى العام التالى، ثم مستشارًا. تزعم المعارضة فى الجمعية التشريعية التى شكلت نواة «جماعة الوفد» فيما بعد وطالبت بالاستقلال وإلغاء الحماية، تم نفيه إلى مالطة فى مارس "١٩١٩" مع فريق من أعضاء الوفد، ثم أطلق سراحهم لتهدئة الثورة المشتعلة، عُرف بتشدده مع الإنجليز ورفضه لمساواتهم، وتم نفيه مرة أخرى إلى سيشل فى سبتمر "١٩٢١"، ثم إلى جبل طارق وأطلق سراحه فى إبريل "١٩٢٤"، توفى فى "١٩٢٧"، السيرة الذاتية لسعد زغلول. زكى فهمى، المرجع السابق، ص ١٣٣-١٥٦. لقراءة المزيد عن سعد زغلول، انظر مصطفى النحاس جبر، مذكرات سعد زغلول، دراسة مصطفى النحاس جبر، القاهرة، روزاليوسف، "١٩٧٣".

(3) أحمد حمروش، قصة ثورة ٢٣ يوليو، ج١، ط٣، القاهرة، مكتبة مدبولى، "١٩٨٣"، ص٨٣ ـ ٨٤؛ محمد أنور السادات، قصة الثورة كاملة، القاهرة،دار الهلال، "١٩٧٥"، ص٨٣.

وخلال هذه الأحداث التى بدأت فيها إرهاصات ثورة داخل الجيش وخارجه فى السودان واغتيل السردار[1] العام السير لى ستاك Stack Lee [2]. فى ٢١ نوفمبر "١٩٢٤"م فى أحد شوارع الزمالك بالقاهرة، انتهزت إنجلترا الفرصة وقدمت إنذارًا للحكومة المصرية مطالبة بسحب الجيش المصرى من السودان، وتحويل الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى إلى قوة سودانية تكون خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها، على أن تصدر الحكومة المصرية بيانًا بذلك خلال ٢٤ ساعة[3]. إلا أن سعد زغلول رفض الإنذار وقدم استقالته

---

[1] السردار: لفظ فارسى يراد به كبير العساكر وقائدهم، وهو فى مصر كذلك و ليس برتبة، وهو لقب لمتولى منصب معروف يكون بعد ناظر الحربية وبيده كل ما يتعلق بالجند من ترتيب ونظام وعرض ونحوها، وكان يسمى فى مصر بنقيب الجيش. أحمد تيمور، المرجع السابق، ص٦١.

[2] لى ستاك: (١٨٦٨-١٩٢٤) ولد عام "١٨٦٨" هو سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام إبان الاحتلال البريطانى المصرى للسودان أو ما يعرف بالحكم الثنائي.أحد موظفى الدفاع البريطانيين الكبار، انضم إلى قوات الحدود عام "١٨٨٨"، نُقل إلى قيادة الجيش المصرى عام "١٨٩٩"، ثم عين قائدًا لقوة السودان عام "١٩٠٢"، ثم أصبح وكيل السودان ومدير المخابرات العسكرية عام "١٩٠٨"، تقاعد عام "١٩١٠" وأصبح سكرتيرًا مدنيًا لحكومة السودان فى الفترة من "١٩١٣" حتى "١٩١٦" ثم عين حاكمًا عامًا للسودان وسردارًا (قائد) للجيش المصرى من "١٩١٧" إلى "١٩٢٤". كان مسيطرًا بشكل تام على الجيش المصرى بأسلحته القديمة المعطلة وحالته الهزيلة الضعيفة التى لا يستطيع بها الدفاع حتى عن نفسه فلقد كانت هذه مهمته الأساسية، إضعاف الجيش، وإبقاءه فى حالة يستطيع معها الإنجليز التعامل معه، كان قد اغتاله أحد الوطنيين المصريين فى أثناء زيارته لمصر قتل فى ٢٠ نوفمبر "١٩٢٤"، مما أدى إلى رد فعل بريطانى عنيف، إذ فرضت على حكومة سعد زغلول آنذاك توقيع اتفاق مذل يقضى بتغريم مصر ٥٠٠ ألف جنيه إسترلينى، وإلغاء مشاركتها فى حكم السودان كما نصت عليه اتفاقية "١٨٩٩". وهى الاتفاقية التى تم توقيعها بين بطرس غالى وزير خارجية مصر واللورد كرومر لتنظيم الحكم الثنائى (المصرى الإنجليزى) للسودان . فى ذلك الوقت أبدت حكومة سعد زغلول أسفها على الحادث ووعدت بعقاب المسئولين عنه..أما بريطانيا فقد انتهزت الحادث وطالبت الحكومة بتقديم مرتكبى هذه الجريمة والمحرضين عليها للمحاكمة والعقاب، وأن تسحب القوات المصرية من السودان، و أن تقوم بزيادة مساحة الأراضى المزروعة قطنًا فى السودان. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ص ٢٧.

[3] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص ٨٤.

فى ٢٣ نوفمبر "١٩٢٤" بعد عشرة أشهر فقط من توليته الحكم، وأسرعت الحكومة البريطانية لتنفيذ مخططها بمحاصرة القوات المصرية المتواجدة فى الخرطوم، وثارت بعض الكتائب المصرية ورفضت السفر بأمر من وزير الحربية المصرى، وثارت أيضًا كتيبة[١] سودانية وحاولت الاتحاد مع الجيش المصرى فى الخرطوم البحرى، فتعرضت لها قوة بريطانية ونشب قتال لم ينته إلا بعد نفاد الذخيرة وقتل قائدها، وقامت قوات الاحتلال بإعدام ثلاثة أشخاص، كما فصل الاستعمار ١٧ ضابطًا رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للحاكم العام وفروا إلى مصر. وهكذا حقق الاحتلال البريطانى خطته بفصل السودان عن مصر وسحب الجيش المصرى من هناك كما حدث عام "١٨٨٥". وأدت انتكاسة انتفاضة "١٩٢٤" إلى انحسار موجة العمل السياسى داخل صفوف الجيش، وذابت الجمعيات السرية أمام المحاكمات والضغوط الإرهابية[٢].

ومهما يكن من أمر، فقد ظلت الوطنية مشتعلة فى صدور غالبية الضباط رغم انتهاء التنظيمات الخاصة بهم، وكانت الأجواء السياسية متوهجة فى تلك الفترة واستمرت المظاهرات فى مصر احتجاجًا على هذه الأوضاع، وقد استهوت المظاهرات و حياة الثورة وخطب سعد زغلول يوسف صديق، فملكت إحساسه، غير أن وعده لولى أمره بعدم الاشتراك فيها أوجدت فى نفسه نوعًا من الصراع النفسى، وقرر فى النهاية أن ينتهج حلًا وسطًا، وهو أن يقف ويسمع ثم ينفذ الأمر بالذهاب إلى المنزل(٣).

وعلى أية حال، فقد ترك يوسف المدرسة الخديوية عام "١٩٢٥" وانتقل إلى مدرسة الجيزة الثانوية(٤)، ومنها إلى مدرسة بنى سويف الثانوية التى حصل منها على شهادة البكالوريا عام "١٩٣٠"، وكان يعود إلى قريته فى كل أسبوع وكان الإشراف فى القرية لجده ووالدته ثم خاله وفى بيت خاله التقى بزوجته وابنة خاله السيدة علية توفيق، التى شاركته نضاله السياسى، وفى مدرسة بنى

---

[١] الكتيبة: هى الجماعة المتحيزة من الخيل، أى فى حيز على حدة، وقيل هى جماعة الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف ، و هى القطعة العظيمة من الجيش والجمع كتائب. أحمد تيمور، المرجع السابق، ص٧٨.

[٢] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص ٨٤.

[٣] محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٢١.

[٤] ملحق رقم (٣) شهادة إتمام الدراسة الثانوية القسم الأول.

سويف الثانوية برز يوسف بين رفاقه كشاعر وخطيب، وكان يتنافس معهم وكان من زملائه فتحى رضوان[1] وجمعت بينهم صداقة، لكن فتحى اتجه إلى العمل السياسى وانضم إلى الحزب الوطنى[2] ثم حزب مصر الفتاة[3] وسار على درب النضال الوطنى، وعندما قامت الثورة كان فى السجن. وعند اجتماع قادة الثورة فى أيامهم الأولى أفرجوا عنه[4].

---

(1) فتحى رضوان: (١٩١١- ١٩٨٨) اسمه الأصلى سيد فتحى رضوان عثمان، فكان اسمه وحده اسمًا مركبًا هو (سيد فتحى) واكتفى بأن يعرف نفسه باسم فتحى رضوان، ولد فى قرية المنير بالقليوبية عام "١٩١١"، وكان ضمن لجنة مشروع القرش، وقد حدث تشابه أسماء بينه وبين الدبلوماسى أحمد فتحى رضوان الذى عمل فى الأردن أثناء ولاية عبد الكريم قاسم على العراق، وقد هوجم الدبلوماسى أحمد فتحى رضوان على اعتبار أنه فتحى رضوان وزير جمال عبد الناصر وأحد قادة مصر الفتاة. والده هو رضوان عثمان مهندس الرى، تعرف سيد فتحى فى المدرسة بأسيوط على عبد المنعم عبد الرؤوف. لمعى المطيعى، موسوعة هذا الرجل من مصر، ط١، القاهرة، دار الشروق، "١٩٩٧"، ص٣٩١-٣٩٢.

(2) الحزب الوطنى: هو حزب مصرى، قاد الحركة الوطنية قبل الحرب العالمية الأولى. أسسه مصطفى كامل فى "١٩٠٧". تألف برنامجه عند نشأته من عدة مواد أهمها: السعى لاستقلال مصر كما أقرته معاهدة لندن فى عام "١٨٤٠" بالنصوص التالية:- أن الحكم الذاتى على نطاق السيادة العثمانية.- إيجاد دستور يكفل الرقابة البرلمانية على الحكومة.- نشر التعليم وبث الشعور الوطنى. توفى مصطفى كامل فى فبراير "١٩٠٨" فخلفه فى رئاسة الحزب محمد فريد الذى اتجه بنشاط الحزب، إلى فتح مدارس الشعب وتشجيع الحركة التعاونية، والاهتمام بالمشاكل الاقتصادية للجماهير، وتنظيم المظاهرات للمطالبة بالجلاء والدستور. اتجه بعض عناصر الحزب إلى تكوين الجمعيات السرية للاغتيال السياسى. عندما تم تضييق الحصار على محمد فريد هاجر من مصر فى "١٩١٢" ففقد الحزب قيادة لها أهميتها وبدأ يعانى التفكك والصراعات الداخلية. ومع ثورة "١٩١٩" تكون حزب الوفد الذى آلت إليه قيادة الحركة الوطنية، وتفادى كثيرًا من أخطار الحزب الوطنى، لا سيما علاقة مصر بتركيا. توفى محمد فريد فى "١٩١٩"، وقد استوعب الوفد بعضًا من عناصر الحزب الوطنى. وتم إلغاؤه مع الأحزاب فى "١٩٥٣". عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٢، ص ٥٢٩.

(3) انظر الفصل الثانى، ص ٦٥-٦٧.

(4) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٢٢.

ثانيًا- حياته العملية والعسكرية:

- التحاقة بالكلية الحربية.

بعد أن أتم يوسف صديق دراسته الثانوية، أراد الالتحاق بالكلية الحربية إلا أن فكرته قوبلت بالرفض من قِبَل خاله والد السيدة علية توفيق، وأراد أن يرسله إلى إيطاليا ليتعلم الطب البيطرى وعند عودته يشترك مع عائلته فى عمل مشروع، ولكن يوسف رفض وأصر على التحاقه بالجيش وكان رأى خاله أن الجيش ليس لهم وأنه تحت سيطرة الإنجليز وفيه عبودية، وأخبره أن والده توفى وهو فى رتبه يوزباشى، ولولا ذلك لكان قد تركه كما تركه وهو فى نفس الرتبة[1].

وكان قرار يوسف بأن يلتحق بالمدرسة الحربية نابعًا من قناعته بأن القوة هى الحل لإجلاء المستعمر، وليس كما يعتقد بعض السياسيين بأن المستعمر سوف يجلو عن أرض الوطن عن طريق المفاوضات، وكان يسخر من السياسيين، ويتهمهم بتنميق الكلام، وفى تلك الفترة من الاحتلال كان قادة السياسة يتفاوضون لجلاء المستعمر عن البلاد، وبالفعل التحق يوسف بالمدرسة الحربية فى عام ١٩٣٠، وبطبيعة الحال كان ممنوعًا على من يخدم فى الجيش المصرى التحدث فى السياسة، أو الانشغال بها، فقد كانت تعدُّ قراءة جريدة أو مجلة جريمة لا تغتفر. غير أن الحياة فى المدرسة الحربية على حد قول يوسف كانت تضع أمام الطلاب صورة تشعرهم دائمًا بسيطرة الإنجليز حيث كانت السلطة كلها فى أيديهم، وكان اسفنكس باشا على رأس الجيش ويعاونه بعض الإنجليز فى المناصب الحساسة[2].

لم يكن يوسف صديق ثائرًا فقط.. ولا رجل سياسة وإنما كان شاعرًا أيضًا، فكان ينتهز كل فرصة ليلقى فيها قصيدة من تأليفه، فقام فى المباراة النهائية بين الكلية الحربية وكلية البوليس بكتابة قصيدة يتناول فيها ما يقال عن (العداوة التقليدية) بين الكليتين فقال:

" هم أهل فن من قديم زمانهم ... ولكن خلقنا فننا تعجيلا

ففنونهم هرمت وتلك فنوننا ... ما زال غضًا خيرها ونضيرا

---

(١) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٢٣.

(٢) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٥٨ ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٥.

ظلموا مودتنا وقالوا إننا قوم تعادينا فبئس القيلا"[1]. وفى السنة النهائية بالكلية الحربية فى عام (٣٢-٣٣)، شعر يوسف بيأس مفاجئ استبعد فى وقتها النجاح، حيث تم تسريب إشاعة تؤكد بأن عدد الناجحين لن يزيد عن ثلاثة من ثلاثين طالبًا وقد كان كبير مدرسى الكلية حينها إنجليزيًا، وفى حينها تحرك الشعر فى أعماق يوسف وبكل مرارات المأساة كتب قصيدة قائلًا:

"حتام تخدع يا زمان وأُخدع .. وأرى سـرابًا فى القفار واتبع

عودتنى صبر الرسول على الأذى..علمتنى أن الحياة توجع

أبنى.. فتهدم يا زمان معاقلى .. وأجدد البنيان ثم تضعضع

لا أنت تخضع يا زمان لهمتى.. أبدًا.. ولا أنا للنوائب أخضع"[2].

سلك يوسف الحياة العسكرية فتخرج (ملازم ثان) وتم تعيينه بالسلوم عام "١٩٣٣" ثم بمرسى مطروح، كان من البدهى أن يتم تعيينه فى السلوم لأنه ليس من أهل الوسائط على حد قوله[3]، وقد سافر إلى السلوم لكى يبدأ حياته كضابط فى الجيش، وكانت أولى صدماته فى الجيش بعد أن تسلم عمله فى الأورطة (الاسم السابق للكتيبة)علم أن أركان حرب[4] الأورطة من نفس بلدته، وهو أهم ضابط فيها، وكان فى تلك الأيام برتبة صاغٍ [5] أى رائد حيث كانت

---

[1] جلال ندا،"أخيرًا هدأ يوسف صديق"، الجمهورية، الثلاثاء ٤/٢/ ١٩٧٥، ص٣.

[2] يوسف صديق، ضعوا الأقلام ديوان شعر، تحقيق حسين يوسف صديق، القاهرة، مطابع الشعب، يناير "١٩٩٩"، ص٧٨-٧٩؛ جلال ندا، المقال السابق.

[3] يوسف صديق، المصدر السابق، ص٥.

[4] اصطلاح يطلق على طائفة من الضباط يعاونون قائد حملة عسكرية فى الأمور الفنية والإدارية والتموين، أنشئ هذا التنظيم بعد أن أصبحت قيادة الجيوش الكبيرة مشكلة لا يستطيع القائد وحده البت فيها، أثر اتساع جبهة القتال وتوزيع القوات وتعاون هذه الهيئة مع القائد فى وضع الخطة العسكرية وإيضاحها بالرسوم، وفى عام ١٧٦٥ أنشأ فردريك الأكبر أكاديمية جمع فيها بعض النبلاء ليدربوا بعض الشبان فى أعمال السياسة العليا وفن الحرب، وأسس أكاديمية حربية وضع لها نفسه قوانينها وبرامجها؛ وكان هذان المعهدان أولى المدارس التى أُنشِئت لتدريب ضباط الأركان. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج١، ص١٥٠-١٥١.

[5] صاغ: هو صاغ قول أغاس، أى رئيس الجناح الأيمن، ويراد به فى الجندية وكيل البكباشى، ويختار له وكيل القائد أو وكيل المقدم. أحمد تيمور باشا، المرجع السابق، ص٨٥

أوامره تعتبر أوامر القائد، وسرته هذه المعرفة كثيرًا وقد ربطته علاقة ما بأخطر ضابط فى الكتيبة. وذات يوم كان يقف أمام حجرته فى المعسكر، وقد ارتدى يوسف ملابسه وتهيأ لصلاة الجمعة، ففوجئ بصول تعيين الكتيبة يقدم له أوراقًا... طالبًا توقيعه عليها، وأشار له إلى مكان التوقيع تسهيلًا منه، وكان قد تعلم يوسف بالمدرسة الحربية ألا يوقع على أى ورقة دون قراءة ما فيها؛ لأن التوقيع يجعله مسئولًا عما فيها ولا يعفيه أن يوقع بدون علمه بمحتويات ما وافق عليه لأى سبب. وعندما بدأ يوسف القراءة استعجله الصول وأخبره أن القائد يريده أن يوقع على هذه الأوراق، وأشار له إلى توقيع أركان حرب وأخبره أنه فى انتظار الأوراق وأشار له إلى مكانه فرآه يمتطى جواده على قيد خطوات"[1].

خطر على باله خاطر واحد وهو فى هذا الموقف، هو أن الأركان حرب يختبر كفاءته فى العمل وتمسكه بالقوانين، وصمم على اجتياز الامتحان بنجاح، فاستمر فى قراءة الأوراق بعناية غير أن الأركان حرب نادى على الصول، وكان يوسف راضيًا عن نفسه وتأكد من أنه نجح فى الاختبار بتفوق. وعلم مما قرأ فى الأوراق أن الموضوع يتعلق (بلجنة حلو) وهى لجنة تتشكل من حين لآخر من رئيس وعضوين من الضباط لعمل الحلو للترفيه عن الجنود أو شراء فاكهه توزع على الجنود، وكانت هذه اللجنة كما فهم من الأوراق لعمل مهلبية، وتشير إلى صرف سكر ونشا وزبيب، وعندما التقى بزملائه من الضباط وقص عليهم قصة الاختبار الذى تعرض له وشرح لهم ببهجة كيف اجتازه بنجاح. لكنه فوجئ برد فعل الضباط حيث إنهم أخبروه بأن نتيجة تصرفه هذا سيُجازى ولن يكافأ، وقد جاء إلى الجيش لكى يبدأ حياة الجندى كما تصورها على أساس الكرامة والشهامة والشرف[2] .

وكان مصدومًا ومهمومًا ويتمنى أن يكون ما قاله له زملاؤه غير صحيح، لكن فى صباح اليوم التالى بدأ (الأركان حرب) فى اضطهاده بشكل واضح. وقام يوسف صديق فى هذا اليوم بتقديم استقالته من الجيش بالرغم من كونه فقيرًا وفى حاجة إلى وظيفته ومرتبه، لكنه فى سبيل مبادئه التى تربى عليها ومعتقداته التى اكتسبها من خلال تربيته ودراسته، لم يفكر فى مصيره ومستقبله

---

(1) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٥٩.

(2) نفس المرجع، ص ٦٠؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٦-٧.

بعد تقديم استقالته، ورأى أنـه يقوم بالعمل الصحيح، لكن عندما سمع الملازم أول (عبد المنعم الرشيدى) الذى كان معروفًا فى الجيش بشيخ الملازمين، بخبر استقالة يوسف صديق أسرع إلى مكتب القائد وسحبها وهذا من حبه الشديد له، وذهب إلى يوسف وأقنعه بأن يوافق على سحب استقالته[١].

وكان ملخص نصيحة الرشيدى له : أنه على حق فى الاعتقاد بأن الجندية هى المثل الأعلى للكرامة والشهامة والشرف، وأن الخدمة على ما هى عليه كما اكتشفها، هى الخدمة فى أفضل مكان فى مصر تتوفر فيه هذه المعانى فى تلك الفترة، وأنه إذا استقال من الجيش واتجه للعمل الميدانى سوف يجد انتشار أمور سيئة أكثر مما رآه فى الجيش، وعليه أن يتحلى بالصبر؛ لأن الجيش هو المكان الأفضل له كى يخدم وطنه إلى أن يتم ترقيته فيستطيع أن يُصلح الأوضاع، بالفعل اقتنع يوسف بنصيحة الرشيدى واستأنف عمله كضابط فى الجيش[٢]، لكنه اكتسب مفاهيم جديدة من خلال تجربته وعلم أن أعداء مصر ليس الإنجليز وإنما أيضًا؛ فقد كانت صدمة كبيرة له فى أولى خطواته بالجيش، فوجد أن الحياة العملية بها معان كثيرة بخلاف ما درسه وتعلمه[٣].

كان يوسف مؤمنا إيمانًا كاملًا بمشروعية التغيير، واستخدم وسائل متعددة للتصدى للفساد والمقاومه ضد الاحتلال، فضلًا عن توعية الضباط وتعليمهم وبث روح جديدة بينهم، وقد تجلى هذا بشكل خاص فى فترة عمله كمدرس للتاريخ العسكرى[٤] بالكلية الحربية عام (١٩٣٩-١٩٤٠)، مما كان له أثر كبير على تلاميذه من الضباط عن طريق إلقائه قصائده القوية التى كان يلقيها فى مختلف المناسبات، فقد كان يطلق فيها صيحته ضد الفساد أو بإلقاء المحاضرات والندوات والخطب، ومنها الوقوف أمام المجالس العسكرية مدافعًا عن الضباط مستخدمًا القانون العسكرى، إلى جانب درجة عالية من سرعة البديهة والتمكن من اللغة. كما كان رافضًا لمبدأ المساومة، وعدم قناعته بالمواقف التكتيكية أو المواجهات غير المباشرة، بل كان دائمًا يتخذ الموقف الصريح المباشر لما

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٦١.

(٢) ملحق رقم (٤) شهادة تفيد بكفاءة يوسف صديق فى ضرب النار.

(٣) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق ، ص٦٢؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٧-٨.

(٤) ملحق رقم (٥) وثيقة ترقية يوسف صديق ومنحه رتبة ملازم أول عام "١٩٣٨".

يعتقد أنه لمصلحة الوطن، إلى جانب قدر كبير من التواضع وإنكار الذات، وهذا الجانب الإنسانى الرفيع تجلى فى كثير من مواقفه لا سيما أمام من أساء إليه، وتمتع يوسف بقدر كبير من التواضع والتسامح والنقاء واستعداده الدائم للتضحيات[1].

كان الالتحاق بالمدرسة الحربية بالشهادة الابتدائية – ولسبب ما رأت الحكومة ضرورة رفع مستوى ضباط الجيش؛ مما دفع البرلمان المصرى عام ١٩٢٨ بالتفكير فى زيادة وحدات الجيش المصرى وتحسين أسلحته ومهامه وترقية التعليم فى المدرسة الحربية؛ ليصبح الدخول لها بالثانوية العامة (البكالوريا) والحد من سلطة المفتش العام البريطانى، احتجت إنجلترا وأرسلت ثلاث بوارج من أسطولها إلى الإسكندرية، فاضطرت الحكومة المصرية إلى التراجع ومد خدمة سفنكس باشا المفتش العام للجيش. ومنحه رتبة الفريق وتعيين ضباط إنجليز جنودًا بالجيش. هكذا كان الفارق الفكرى والثقافى يزداد اتساعًا بين الجيش والقوى السياسية، أو بين سادة الأحزاب الذين تخرجوا فى الجامعات وحصل بعضهم على شهادات عليا فى الخارج وبين ضباط الجيش الذين كانوا حتى صدور قانون عام "١٩٢٨"، حيث كان خريجو المدرسة الحربية يتخرجون وهم لا يحملون أكثر من الشهادة الابتدائية[2]. أما الضباط المتطلعون إلى الحياة فهُم من واصلوا دراستهم لتأكيد شخصيتهم وصقل مواهبهم كما فعل محمد نجيب[3]، عندما درس فى أثناء خدمته فى الجيش حتى

---

[1] محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٢٤-٢٥.

[2] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٦٣؛ أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٨٥.

[3] محمد نجيب: (١٩٠٠-١٩٨٤) هو أول رئيس لجمهورية مصر، ولد فى ساقية أبى معلا بالخرطوم عاصمة السودان، فى ١٧ يوليو "١٩٠٠"، تعلم وخدم فى السودان مثل والده وجده، هو الوجه الوطنى الذى قدمت به حركة الجيش فى ٢٣ يوليو نفسها إلى الجيش والشعب، اشترك فى حرب فلسطين، كان معروفًا بمواجهته للفساد فى عهد الملك فاروق، عين قائدًا لمعهد دراسات الضباط العظام، فاز برئاسة نادى ضباط الجيش فى يناير "١٩٥٢"، وتم ترقيته إلى رتبة فريق وصدر مرسوم من الملك فاروق بتعيينه قائدًا عامًا للقوات المسلحة استجابة لطلب الجيش، لكنه فى اليوم التالى أعلن تنازله عن رتبة الفريق ومرتب الوزير اكتفاءً برتبة اللواء. كان نجيب يرغب فى الديموقراطية ولكن الكلمة كانت للقيادة التى لم ترغب فى ذلك، كما طالب بها يوسف صديق وكان ذلك سبب خلافهم مع مجلس القيادة، تم القبض عليه أثناء أزمة مارس "١٩٥٤" ونُقل إلى سلاح المدفعية،

حصل على الشهادة الثانوية وليسانس الحقوق وقام بعمل دبلومتين، وغيره من الضباط الأكفاء الذين رأوا ضرورة التعليم للنهوض بالجيش الذى سيكون السبب فى خلاص البلاد من العبودية والمحسوبية ومن الملكية والاستبداد[1].

وعندما تخرجت أول دفعه من حملة البكالوريا أرسل عدد منهم إلى إنجلترا لاستكمال دراستهم العسكرية فى جامعاتها العسكرية، وعادوا يحملون الشهادات العالية، وبطبيعة الحال كانوا يقومون بالتدريس فى المدرسة الحربية لتخليص الجيش من العجائب التى كان يحويها، وقد كان فى الجيش أميون وهؤلاء من تلاميذ السردار، حيث كان له حق إدخال عدد من التلاميذ فى كل دفعة ، وكان يختارهم من أبناء الخدمة من الطباخين والسفرجية وغيرهم. وللمحافظة على شعور هؤلاء الأميين، كان على جميع ضباط الجيش أن يحملوا أختامًا يوقعون بها على الأوامر اليومية وغيرها مما يتطلب التوقيع[2].

ولقد جعلت هذه النهضة فى الجيش هوة سحيقة بين قدامى الضباط الذين يتولون القيادة، وبين الضباط الأحدث من حملة البكالوريا الذين تخرجوا على أيدى ضباط قد تعلموا فى أوروبا، وهذا يوضح لنا أنه كلما حصل الضابط على رتبة أعلى ازداد فى جهله، فكان الضباط من رتبة (الصاغ، الرائد) فما فوق يركبون خيولًا فى كتائب المشاة، أما الرتب الأصغر فكانت تحضر الطوابير والمناورات مشيًا على الأقدام[3].

استقال من رئاسة الجمهورية بعد أن اشتد الخلاف بينه وبين جمال عبد الناصر لكنه أعيد لرئاسة الجمهورية بعد يوم واحد، وأعيد انتخابه يوم ٨ مارس "١٩٥٤" وفى ١٤ نوفمبر "١٩٥٤" أعفى من منصبه وتم اعتقاله، وأودع فى فيلا زينب الوكيل فى ضاحية المرج على بعد ٣٠ كم من القاهرة وظل بها حتى وفاته، وفى ٢٩ أكتوبر "١٩٥٦" تعرض أول رئيس لجمهورية مصر لهوان كبير وتعرض للسب وللضرب، ونُفى إلى مدينة طما فى صعيد مصر وعاد بعد ذلك للقاهرة، وتوفى فى ٢٨ أغسطس "١٩٨٤". لمعى المطيعى، المرجع السابق، ص ٥٤٠، ٥٤٢-٥٤٣، ٥٤٥، ٥٤٨. لقراءة المزيد من التفاصيل عن محمد نجيب ورئاسة الجمهورية، وما يتعلق بأزمة مارس حتى وفاته انظر هبة عبد النبى بكير عبد المطلب، "جمهورية مصر ورئاسة محمد نجيب ١٩٥٢-١٩٥٤"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بنى سويف، "٢٠١٢".

[1] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٨٥.

[2] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٦٤.

[3] نفس المكان.

"وفى تلك الأثناء كانت هناك مناورات حربية سنوية فى الجيش، وكان يتم تدريب الجنود على فنون الحرب استعدادًا لتلك المناورات، وكانت قيادة الجيش تختار أرضًا مناسبة للعمليات العسكرية المختلفة من هجوم ودفاع وانسحاب وغيرها لكل عملية فى الصحراء خارج القاهرة، وكانت الوحدات تتبادل هذه الأراضى حسب العمليات التى تقوم بها. وكان الأمر يقتضى أن تقسم الأرض إلى أجزاء يحمل كل منها رقمًا للمنطقة (أ) - مثلًا - والمنطقة (ب) وهكذا - وكانت هذه الأجزاء تحدد على الخرائط ، والضباط القدامى لا يعرفون قراءة الخرائط، فكان قائد (البلك) برتبة بكباشى يعامل يوسف بغلظة وشراسة ربما تصل على حد وصف يوسف لها إلى حد الوقاحة أمام الجنود - كأنما كانت قيادته له لا تتحقق إلا بذلك[1]".

وذات يوم قام البكباشى بدعوة يوسف للحضور إلى مكتبه، وعندما دخل أشار له بالجلوس على غير عادته، ثم قدم له سيجارة، كما أمر له بفنجان قهوة، ولاحظ أنه كان فى أثناء الحديث يضيف إلى اسمه لقب أفندى، فقد كانت لهجته لا تزيد عن: أنت يا ضابط يا مستجد - أنت يا ضابط يا قصير النظر .. وهكذا، وقام البكباشى بإعطاء أمر بأن يكون حصانه فى خدمة يوسف صديق إذا طلب ذلك. وقال له: "فى أى وقت حضرة الضابط يطلب حصانى أعده له "... ولم يتعجب كثيرًا يوسف بحثًا عن السبب، فقد أخرج البكباشى من درج مكتبه أوراقًا قدمها له وهو يقول :" يا يوسف أفندى - هذه الأوراق وصلتنى اليوم وهى تحوى تعليمات التدريب على المناورة[2]، فى الوقت الذى يناسبك اركب حصانى واذهب لاستكشاف المناطق المحددة للتدريب، وقد أصدرت أوامرى أمامك والحصان تحت أمرك فى الوقت الذى تطلبه ". كانت مدة التدريب والمناورة لا تزيد عن شهرين أو ثلاثة شهور فى العام، كان يحصل الضباط الأقل فى الرتب على شىء من رد الاعتبار. وبمجرد انتهاء المناورة تعود بهم الأوضاع كما كانت[3]. وهذا لأن البكباشى كان لا يستطيع القراءة، لذلك كان فى حاجة ليوسف صديق ليقوم بقراءة التعليمات لتطبيقها فى التدريب.

---

(1) نفس المرجع، ص ٦٥.

(2) المناورة: تعنى تمرين الجند وتدريبه على الحركات العسكرية وحمل السلاح وكيفية استخدامه. أحمد تيمور، المرجع السابق، ص ٦٢.

(3) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٦٥-٦٦.

ونظرًا لأن الجيش هو الخلاص الوحيد من الاحتلال فقد كان لا بد من النهوض به، وأن يتم تثقيف أفراده من المصريين حتى يتخلص الوطن من نار العبودية؛ حيث إن قوة كل وطن تتمركز فى جيشه ، فإذا علا شأن جيشها علا شأنها، ورغم خيبة أمل يوسف فى الجندية وارتباطها بالكرامة والشرف والشهامة، وغيرها من الصفات المطلوبة فى الجندى، إلا أنه كان يشعر بأن وجود الجيش فى أحسن أوضاعه الممكنة، ربما يفيد فى التخلص من الاحتلال، وكان يوسف صديق يبذل قصارى جهده لتحقيق العدالة بين الجند فى الترقيات، وفى هذا الخصوص فقد أمره قائد السرية" البكباشى " أن يرقى جنديًا من بلده، وكانت هذه الترقية، لا تكسبه أى مكاسب مادية غير أنها ارتقاء معنوى حيث تجعله مميزًا عن العسكرى العادى. ولكن هذا الجندى كان خاملًا، فأصر على عدم ترقيته، فقام البكباشى بنقله إلى مكان آخر حيث رقى، خسر يوسف حب البكباشى لكنه احتفظ بحب الجنود واحترامهم. وقد وقعت بينه وبين بعض القيادات العليا صدامات عنيفة وكان ينتصر فيها بالقانون وأقصى ما كان يناله هو نقله إلى مكان آخر حفاظًا على هيبة القيادات[1].

- تقديمه إلى المجلس العسكرى.

ولعل من أخطر صداماته مع القادة تلك التى عرضته للوقوف أمام مجلس تحقيق لأول وآخر مرة فى حياته العسكرية، عندما كلفه قائد الكتيبة المشهود له بشدته وصرامته، وكان يوسف فى ذلك الحين أقدمَ الضباط الحاصلين على رتبة ملازم، وقام هو وزملاؤه من الملازمين بمجهود كبير لمدة ستة أشهر فى تدريب الجنود على سلاح مدافع ماكينة، فكانوا يقومون بعمل ستة طوابير يوميًا، وعندما جاء يوم ضرب النار- وكان يتم ذلك فى الصحراء فى ميادين مخصصة له- حضر القائد وترجل من على حصانه، وأخذ يصدر أوامره للجنود ولم يرضَ عن تحركاتهم وقام بسبهم بصوت مرتفع، وعندما انتهى ضرب النار، طلب يوسف مقابلة القائد فورًا، ودارت بينهم مناقشة حادة ولكن ليس فيها خروج عن الأدب أو القانون، وقد عرف ضباط الصف بالأمر وعندما

---

[1] من بين هؤلاء الضباط الذين أسهموا فى هذا العمل مع يوسف صديق، صلاح الدين الحديدى - صلاح الدين محسن. نفس المرجع.

خرج وجدهم يقفون صفًا طويلًا أمام المكتب فى حالة تظلم يريدون مقابلة القائد الذى وجه إليهم كلامًا خارجًا عن اللياقة واللباقة فى ميدان ضرب النار، وتوجه يوسف إلى مكتبه ولم تمض دقائق حتى حضر إلى مكتبه قائد ثانى الكتيبة، وهو الضابط الذى يلى القائد فى الرتبة، وقد طلب منه أن يصرف ضباط الصف، لأن جميع ضباط الصف يكنون له تقديرًا واحترامًا، فكانت إجابة يوسف، إنه هو قائد الكتيبة وما هو إلا ملازم صغير، فإذا كان هو لا يستطيع أن يصرف ضباط الصف فهو أصغر من ذلك بكثير.. أما إذا كان سعادته واثقًا من أننى استطيع ذلك فليحضر لى نفسه ويطلب ذلك، وبعد مناقشة عن هيبة القائد قبلت الرجاء"[1].

وذهب يوسف إلى ضباط الصف وأصدر لهم أمرًا بالانصراف فانصرفوا بلا تردد، وبدلًا من أن يشكره القائد على إنقاذه من هذا الموقف الحرج، طلب تقديمه لمجلس تحقيق موجهًا إليه تهمة إحداث فتنة فى الجيش، وأمام مجلس التحقيق اتضحت الحقيقة. وكان قرار المجلس فى صالح يوسف ووجهوا اللوم إلى القائد، وقد ذهب إليه أعضاء مجلس التحقيق ليشكروه بأنفسهم على دفاعه عنهم وعن كرامتهم [2].

وكان هذا الموقف مشجعًا ليوسف صديق على استمراره فى التمسك بأسلوبه فى العمل، حيث بين له أن القائد الحقيقى للجنود هو القائد الذى له مكانة بين جنوده ويكتسبها بحسن معاملته لهم، والإخلاص فى تعليمهم وإقامة العدل بينهم[3]؛ استمر حال الجيش على هذا المنوال منذ استرداد السودان عام "١٨٩٩"، بعيدًا وبمعزلٍ عن خوض أية معارك حربية، يزداد خضوعه لقوات الاحتلال والسراى، ويظهر ذلك فى تدخل الجيش فى الانتخابات بالأقاليم لا سيما فى الانتخابات التى أجراها إسماعيل صدقى (١٨٧٥-١٩٥٠)[4] بعد

---

(١) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق ، ص٢٥.

(٢) نفس المرجع، ص٢٦.

(٣) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق ، ص٢٥.

(٤) إسماعيل صدقى: سياسى مصرى، رئيس وزراء، رجل اقتصاد. ولد فى الإسكندرية لأسرة جمعت بين الثراء والمناصب الكبيرة، تخرج فى كلية الحقوق عام "١٨٩٤"، فعمل بالنيابة العامة، ثم رئيسًا لقسم القضايا بمجلس بلدية الإسكندرية الذى يسيطر عليه أثرياء الجاليات الأجنبية، ثم سكرتيرًا عامًا لوزارة الداخلية فى عام "١٩٠٨"، ثم وكيلًا للوزارة فى عام "١٩١٠". عين وزيرًا للزراعة ثم الأوقاف من أبريل "١٩١٤" إلى مايو "١٩١٥"، واختير فى عام "١٩١٦" رئيسًا للجنة التجارة الصناعة التى درست وسائل

إلغاء دستور "١٩٢٣" ووضع دستور جديد ضد إرادة الشعب عام "١٩٣٠"، الأمر الذى أغضب الشعب و جعل الحركة الوطنية المصرية تشتعل ضد دستور صدقى ، الذى هدد سلطة الأمة وحقوقها فقد أعطى الملك سلطات واسعة، كما نص على أن بنوده غير قابلة للتعديل على مدى عشر سنوات، وقامت بعض الأحزاب السياسية بمهاجمة الدستور وطالبت بمقاطعة الانتخابات، فعمدت وزارة إسماعيل صدقى إلى تزييف انتخابات "١٩٣١" حتى يخرج منها صدقى منتصرًا ويعقد معاهدة مع بريطانيا حتى يستمر فى الحكم(١).

وبالرغم من مقاطعة الشعب لهذه الانتخابات، وتفاقم الاضطرابات فى مختلف أنحاء مصر، فقد حصل صدقى فى هذه الانتخابات بالتزييف على أغلبية لحزبه وهو حزب "الشعب"(٢) الذى تم تأسيسه بأمر من السراى، لكن الشعب قاوم وزارة صدقى وأصر على عودة العمل بدستور "١٩٢٣"، والإطاحة بدستور صدقى، وفى سبتمبر عام "١٩٣٣" استقالت وزارة صدقى،

ترقية الشئون الاقتصادية، ووضعت تقريرًا ذا شهرة فى تاريخ الاقتصاد الرأسمالى المصرى. انضم إلى الوفد عند تشكيله ونفى إلى مالطة مع سعد زغلول. وكان أول من خرج عن الوفد وناصبه العداء بعد ذلك طوال حياته. عمل وزيرًا للداخلية فى وزارة زيور الملكية عام "١٩٢٥". كان قريبًا من عبد الخالق ثروت وشاركه فى استصدار تصريح ٢٨ فبراير "١٩٢٢". ترأس الوزارة فى "١٩٣٠"، فألغى دستور "١٩٢٣" وسن دستورًا بديلًا رفضته الحركة الوطنية وقاطع الشعب انتخاباته. شكل حزبًا أسماه "حزب الشعب" لم يدخله إلا بعض الملاك. كان عضوًا فى الوفد أثناء مفاوضات "١٩٣٦". كان رئيسًا لاتحاد الصناعات الذى يعتبر نقابة الرأسماليين الكبار. كما رأس الوزارة من فبراير إلى ديسمبر عام "١٩٤٦"، شنت وزارته هجومًا عنيفًا على الوفد وعلى اليساريين. عند دخول مصر حرب فلسطين فى "١٩٤٨" نادى بعدم دخول مصر الحرب. كان من دعاة عزل مصر عن العالم العربى. توفى فى عام "١٩٥٠". عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٢، ص١٩١-١٩٢. ؛ إسماعيل صدقى، مذكراتى، تحقيق سامى أبو النور، القاهرة، مكتبة مدبولى، ص ١١-١٥، ص١٩.

(١) عمر عبد العزيز عمر، وآخرون، دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، "٢٠٠٩"، ص٥٠٤.

(٢) حزب الشعب: قام إسماعيل صدقى رئيس الوزراء بتكوينه معتمدًا على قوة السلطة وضم إليه عددًا من قيادات حزب الأحرار الدستوريين وبعض بقايا حزب الاتحاد، فقد كانت تتكون إدارة الحزب من الطبقة البرجوازية وأصبح الحزب هو حزب الحكومة، وفى الانتخابات النيابية عام "١٩٣٠" حصل على ٥٦ بالمئة من المقاعد بفضل قوة السلطة، فبعد استقالة وزارة إسماعيل صدقى حصل الحزب فى الانتخابات التالية على ٦ من المائة من المقاعد. نفس المرجع، ص٢٧٠.

وفي نوفمبر من عام "١٩٣٤" تم إلغاء دستور "١٩٣٠" وحل مجلس النواب والشيوخ القائمين على أساسه، كمحاولة لترضية الشعب الذى ناضل أربع سنوات في مواجهة إسماعيل صدقي، ولكن إلغاء دستور "١٩٣٠" لم يقرن بإعادة دستور "١٩٢٣"، وقام الطلبة بدور كبير لتوحيد صفوف الأحزاب فى جبهة وطنية واحدة تكونت من الوفد والأحرار الدستوريين[١] وحزب الشعب والاتحاد[٢] والحزب

---

[١] حزب الأحرار الدستوريين: بعد اندلاع ثورة "١٩١٩" وبدء المفاوضات مع بريطانيا راحت تتبلور فى آفاق الوفد ملامح اختلاف بين أعضائه حول هدف المفاوضات، ففى حين اعتبرت مجموعة حزب الأمة القديم داخل الوفد أن المفاوضات لا يجب أن تذهب إلى أبعد من تنظيم الحماية البريطانية على البلاد، تمسك رجال الوفد بزعامة سعد زغلول بشعار الاستقلال التام، وقد انشق الوفد بخروج حزب الأمة القديم إلا أنهم لم يعلنوا حزبهم وأصبح زعيمهم عدلى يكن ت (١٨٦٦-١٩٣٣) رئيسًا للوزارة فى مارس "١٩٢١" وبعد مرور عام ونصف، أصبح أول رئيس للحزب الجديد، وأعلن حزب الأحرار الدستوريين فى ٣٠ أكتوبر عام "١٩٢٢"، فقد تكون من بقايا حزب الأمة وكبار الملاك فضلا عن شريحة واسعة من المثقفين الليبراليين، وقد أسهمت فى تكوينه وقيادته عائلات كبيرة طوال فترة وجوده على الساحة السياسية منذ إعلانه عام ١٩٢٢ وحتى حل الأحزاب عام "١٩٥٣"، وتعود أصول بعض هذه العائلات لأصول تركية منها عائلة "يكن" التى جاء منها عدلى يكن الرئيس الأول للحزب. عرف عن الحزب أنه حزب عائلات وكانت جميع العائلات منتشرة فى البلاد مما يوحى باتساع دائرة الحزب وحجم عضويته الكبير، بَيْدَ أنه لم يكن كذلك، وضم الحزب بين صفوفه عددًا كبيرًا من المثقفين وحاملى الشهادات العليا، وكان معظم هؤلاء من أبناء البرجوازية الكبيرة من حيث حجم الملكية الخاصة بكل منهم أو من حيث الانتماء بالميلاد، وبعض من تولوا مناصب وزارية سواء قبل تأسيس الحزب أو كدستوريين منهم إسماعيل صدقى رغم أنه لم يبقَ فى الحزب سوى فترة قصيرة؛ نشأ الحزب على أساس الاعتراف بتصريح ٢٨ فبراير "١٩٢٢"، وأسهم رجاله فى وضع دستور "١٩٢٣"، الذى قاطعه الوفد. وعرف بعلاقاته الطيبة مع الإنجليز،أما علاقته بالملك فتراوحت بين الخصومة والتحالف حتى أبرمت معاهدة "١٩٣٦" فاستقرت على مبدأ التحالف وحده. ولم يحظ بتأييد شعبى، وهزم هزيمة ساحقة أمام الوفد فى أول انتخابات عام "١٩٢٣". وقد تحالف مع الملك فى عام "١٩٢٥" ضد الوفد، ثم تحالف مع الوفد ضد الملك فى (١٩٢٦-١٩٢٨)، ثم انتكس على الوفد حتى عام "١٩٣٠" ثم استقر على الانحياز للملك منذ "١٩٣٦"، واشترك فى أغلب وزارات الانقلابات الدستورية، أوقف الحياة النيابية فى "١٩٢٨". واشترك مع حزب السعديين فى الوزارات والبرلمانات (١٩٣٨-١٩٤٢) و(١٩٤٥-١٩٤٩). أُثيرت اعتراضات قوية حول نزاهة الانتخابات التى كان يفوز بها، خلف يكن فى رئاسته عبد العزيز فهمى (١٨٧٠-١٩٥٠) ثم محمد محمود(١٨٧٧-١٩٤١) ثم محمد حسنين هيكل(١٩٢٣- ٢٠١٦). حُل مع إلغاء الأحزاب فى "١٩٥٣" بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٢، ص٢٧٤-٢٧٥ ؛ زكى فهمى، المرجع السابق، ص ١٦٣، ١٦٥-١٦٦

[٢] حزب الاتحاد: تألف فى يناير "١٩٢٥"، كان برنامجه المطالبة بالاستقلال والولاء للعرش والنهوض بالبلاد، وتألف بإرادة القصر للتخلص من الأغلبية الوفدية فى البرمان باتحاد أحزاب

الوطني وبعض المستقلين، وصارت هذه الجبهة تعمل لإعادة الدستور وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا، لاعتقادها بأن الأزمات الداخلية التي تعرضت لها مصر ترجع إلى عدم الوصول إلى تسوية للعلاقات المصرية- البريطانية، وأن عدم إتمام الاتفاق مع بريطانيا يثير الاحتكاك بين البلدين، كما أن الاحتلال البريطاني كان يواجه ظروفًا عصيبة؛ فالحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) على الأبواب، حيث كانت بريطانيا على أبواب دخول الحرب[١].

ومن ثمّ تهيأت الظروف لمفاوضات القاهرة في ٢ مارس "١٩٣٦"، وقد كان يرأس الوفد البريطاني في ذلك الوقت المندوب السامي السير مايلز لامبسون Lampson[٢] أو اللورد كيلرن KelrinLord فيما بعد، بينما كانت هيئة المفاوضات المصرية برئاسة مصطفى النحاس، وانتهت المفاوضات في ٢٦ أغسطس من عام "١٩٣٦" بتوقيع معاهدة " الصداقة والمودة والتحالف " كما أطلقوا عليها مع بريطانيا في لندن، فقد طالب سعد زغلول بذلك في ١٨ نوفمبر "١٩١٨"، وقد وصف النحاس باشا تلك المعاهدة بأنها " وثيقة الشرف والاستقلال" ولكنها لم تكن كذلك فقد كانت سلبياتها أكثر من إيجابياتها؛ حيث أمنت المعاهدة نوعًا من التحالف المشترك مثل الذي تم بين بريطانيا والعراق

الأقلية، وكانت وكالة الحزب تُسند إلى على ماهر وحلمي باشا. اتخذ الحزب جريدة الاتحاد لتكون معبرة عنه، وكذلك جريدة الليبرتيه الناطقة باللغة الفرنسية. وتلا تشكيل هذا الحزب إجراء انتخابات جاءت بأغلبية من حزب الوفد. فحُل مجلس النواب في اليوم نفسه في ٢٣ مارس "١٩٢٥". عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج٢، ص ٢٦٧.

(١) عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ٥٠٤.

(٢) مايلز لامبسون: أواللورد كيلرن (١٨٨٠-١٩٦٤) هو المندوب السامي البريطاني والسفير بمصر (١٩٣٤-١٩٤٦) عمل بوزارة الخارجية البريطانية في "١٩٠٣". وعمل باليابان في (١٩٠٦-١٩١٠) ثم نقل إلى صوفيا في "١٩١١"، ثم إلى بكين في "١٩١٦"، اشتغل مندوبًا ساميًا في سيبيريا في "١٩٢٠" ثم وزيرًا مفوضًا بالصين في(١٩٢٦-١٩٣٣) جاء إلى مصر مندوبًا ساميًا في "١٩٣٤"، ولعب دورًا مهمًا في صياغة توازن سياسي بين الملك وحزب الوفد، تمكن به من إبرام معاهدة "١٩٣٦" مع وفد مفاوضة مصرية شاركت فيه معظم الأحزاب وفي مقدمتها حزب الوفد. صار سفيرًا لبلاده بمصر بموجب هذه المعاهدة. كان صاحب حادث ٤ فبراير، إذ أرغم فاروق الأول على قبول وزارة وفدية بسبب ما لاحظه من ميل الملك إلى ألمانيا وغيرها من دول المحور (ألمانيا- إيطاليا- اليابان- النمسا- المجر-رومانيا- بلغاريا) المعادية للإنجليز في الحرب العالمية الثانية. وكان لهذا الحادث تأثير ضخم في ضباط ثورة يوليو واتجاهاتهم بعد الحرب العالمية الثانية، ومنح لقب لورد في تلك الأثناء، ونقل من مصر في "١٩٤٦" لما شرعت بريطانيا في تحسين علاقاتها بفاروق الأول توحيدًا لجهودها ضد الحركة الوطنية والشعبية بعد الحرب. عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج٥، ص٣٣٥-٣٣٦.

عقب انتهاء الانتداب فى أكتوبر من عام "١٩٣٢"، فى حين اعترفت المعاهدة بسيادة مصر على أراضيها وحرية تصرفها فى الشئون الداخلية؛ إلا أنها نصت على ضرورة التزام مصر بعدم انتهاجها سياسة خارجية تتناقض مع سياستها، كما نصت على وضع مميز للسفير البريطانى يتقدم به على سائر الدبلوماسيين والأجانب، وبالرغم من إلغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة مساعدة مصر فى ضمها إلى عصبة الأمم [١]عام "١٩٣٧"، وعودة القوات المصرية إلى السودان بعد سحبها منها عام "١٩٢٤"، فإن المعاهدة منحت تسهيلات كثيرة لصالح القوات العسكرية البريطانية فى مصر فضلا عن احتفاظها بقواعد بحرية لها فى مصر، كما أعطت بريطانيا حق المطالبة بفرض حالة الطوارئ وإعلان الأحكام[٢] العرفية فى حالة قيام الحرب[٣].

وقد اعترفت بريطانيا بسيادة مصر على القناة[٤]، فى حين اعترفت مصر بأن القناة وسيلة دولية للمواصلات ووسيلة حيوية بين الأطراف المختلفة

---

[١] عصبة الأمم: هى منظمة دولية أنشئت عام "١٩٢٠" بموجب ميثاق شكل جزءًا من معاهدة فرساى التى نظمت الأوضاع الدولية الجديدة بعد الحرب العالمية الأولى. انتهت عصبة الأمم بقيادة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية. يقع عهد عصبة الأمم فى مقدمة و٢٦ مادة. وقد كانت العضوية مكونة من الحلفاء الذين فازوا فى الحرب ومؤيديهم وأعضاء مدعوين من الدول المحايدة التى استشيرت عند مناقشة نصوص عهد العصبة ، وعددها ١٣ دولة وفيها أعضاء لاحقون من الدول أو المجتمعات التى تحكم نفسها بنفسها وعددها بين(١٩١٩-١٩٣٩) إحدى وعشرون دولة، وعدد الدول التى انسحبت منها فى نفس الفترة قد بلغ ١٦ دولة. وقد فرضت الدول المنتصرة فى الحرب نظام الانتداب على الأقطار العربية بعد تفتيتها إلى دويلات صغيرة واتبعت هذه الأقطار بفرنسا وبريطانيا. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٤، ص١١٢.

[٢] الأحكام العرفية: هى لوائح استثنائية تلجأ إليها السلطة التنفيذية تحت ظروف حالة الطوارئ؛ إذ تسمح لها بتعطيل أحكام الدستور حتى تستطيع تلافى بعض الأخطار التى تتعرض لها البلاد، كنشوب ثورة داخلية أو وقوع غزو خارجى، وفى هذه الحالة تطبق السلطة التنفيذية ما يعرف بقانون الطوارئ الذى يخولها سلطات واسعة واستثنائية. نفس المرجع، ج ١، ص ٨٧.

[٣] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص٥٠٥ -٥٠٧. حول إلغاء المعاهدة، انظر أيضًا، جمال شقرة، تاريخ مصر المعاصر، القاهرة، الأنجلو، "٢٠١٥"، ص ٤٢-٤٨.

[٤] قناة السويس، وهى عباره عن ممر مائى يصل البحر المتوسط شمالًا عند بورسعيد حتى بور توفيق جنوبًا على البحر الأحمر عند السويس. وهى أهم شريان ملاحى فى العالم،

للإمبراطورية البريطانية، وقد حددت المعاهدة مدة عشرين عامًا لبقاء القوات البريطانية فى مصر، ثم يعاد النظر فى وجودها بناءً على قدرة مصر على

تعود أهميتها الدولية إلى اختصارها طريق الملاحة البحرية بين الشرق والغرب. يبلغ طولها ١٩٥كم، ومتوسط عرضها ٦٠م، وعمقها ١٣م. وقد كان شق القناة من أهداف الحملة الفرنسية على مصر فى "١٧٩٨". رفض محمد على المشروع محذرًا من زيادة الأطماع الغربية فى مصر، واطردت احتمالات شقها مع تغلغل النفوذ الأوروبى بمصر. وهنا استغل فرديناند ديليسبس علاقات صباه مع الوالى سعيد فى إقناعه بالمشروع (فقد كان أبوه قنصل فرنسا بمصر فى عهد محمد على(١٨٠٥-١٨٤٨) فصدر فرمان الامتياز فى ٣٠ نوفمبر "١٨٥٤"، وصدرت شروط الاتفاق مع تأسيس شركة القناة فى يناير "١٨٥٦"، وتعهدت مصر بتقديم مساحات شاسعة من الأرض للشركة مع شق ترعة للماء العذب، وبناءً عليه قامت مصر بشراء ٤٤% من أسهم الشركة بقرض استدانته بمبلغ ٦٠ مليون فرنك، وتم البدء فى شق القناة فى أبريل "١٨٥٩" وأنجزت فى أثناء عهد الخديو إسماعيل فى عام "١٨٦٩" وحصلت الشركة على امتياز لمدة "٩٩" عامًا تنتهى فى عام "١٩٦٨". وقد اختلف الخديو إسماعيل مع الشركة حول شروط الامتياز ، انتهى بأن تدفع مصر للشركة ٨٤ مليون فرنك فزادت أعباؤها المالية وديونها. وقد باع إسماعيل أسهم مصر بمبلغ ٤ ملايين جنيه لإنجلترا. وبعدها افتتحت القناة باحتفالات بلغ البذخ فيها حدًا زاد مديونية مصر. وقد تلا ذلك أن زادت أطماع الدول الأوروبية فيها، وقد انتهى ذلك الأمر باحتلال الإنجليز لمصر فى "١٨٨٢". فكر عرابى فى ردم القناة تأمينًا لمصر من غزو الإنجليز عن طريقها فطمأنه ديليسبس مؤكدًا استحالة استعمالها فى الأغراض الحربية ضد مصر. ورغم ذلك فقد احتُلَّت مصر بمرور الأسطول الإنجليزى فيها. وفى "١٨٨٨" وقعت اتفاقية تضمن حرية الملاحة بالقناة. ومن ذلك الحين حاول الإنجليز فى "١٩١٠" مد الامتياز أربعين عامًا أخرى تنتهى فى "٢٠٠٨"، لكنه فشل لرفض الرأى العام المصرى والأحزاب، وقد كان من أسباب اغتيال بطرس غالى (١٨٤٨-١٩١٠) رئيس الوزراء تأييده لمد الامتياز. أصرت السياسة البريطانية فى مصر على ضمان قاعدة عسكرية لها بمنطقة القناة فى جميع المفاوضات والمعاهدات التى تمت مع مصر حتى "١٩٥٤"، ومن ثم شهدت تلك المنطقة نشاط الفدائيين المصريين ضد الإنجليز فى (١٩٥١-١٩٥٣). وفى يوليو "١٩٥٦" أمم جمال عبد الناصر قناة السويس مما عرض مصر للعدوان الثلاثى (بريطانيا- فرنسا- إسرائيل) فى أكتوبر "١٩٥٦"، أغلقت القناة حتى انسحب الغزاة وطهرت من آثار الحرب. وبعدها أغلقت القناة مرة أخرى بسبب العدوان الإسرائيلى على مصر فى يونيو "١٩٦٧"، وبدأ أعمال تطهير القناة فى عام "١٩٧٤" بعد فصل القوات وأعيدت للملاحة البحرية فى يونيو "١٩٧٥". وشرع فى تعمير مدنها الثلاث: بورسعيد، الإسماعيلية، السويس وفى عودة أهاليها إليها بعد هجرها. عبد الوهاب الكيلانى، المرجع السابق، ج ٤، ص٨٠٧-٨٠٨.

حماية القناة، كما أن للجيش البريطانى حق العودة فى حالة الحرب أو خطر الحرب [١].

وكان ذلك حافزًا على تطوير الجيش المصرى، فشكل مجلسًا أعلى وعين اللواء محمود شكرى باشا قائدًا للجيش المصرى، ونصت المعاهدة كذلك على أن تقوم بريطانيا بتدريب الجيش المصرى وتزويده بالسلاح. وتشكلت البعثة البريطانية من ضباط إنجليز انتشروا فى مختلف أسلحة الجيش، وكانوا يتمتعون بنفوذ كبير فى التوجيه والتدريب[٢].

وكما أوضح مستر إيدن Eden [٣]أمام مجلس العموم البريطانى يوم ٢٤ نوفمبر "١٩٣٦" أن السبب الذى دعا حكومة إنجلترا إلى التنازل عن احتلال القاهرة والإسكندرية والاقتصار على منطقة قناة السويس، هو أن قوات إنجلترا أصبحت ميكانيكية تستطيع الحركة بسهولة على الطرق، لذا نصت المعاهدة فى ملاحقها على أن تقوم الحكومة المصرية ببناء ثُكنات القوات البريطانية فى الأماكن التى تحددها، مع إنشاء شبكة طرق بمواصفات خاصة عرفت باسم (طرق المعاهدة) بين القاهرة والإسكندرية وبورسعيد والإسماعيلية والسويس وغيرها[٤].

---

(١) جمال شقرة، المرجع السابق، ص٤٨؛ أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٩٠.

(٢) علية توفيق، "يوسف صديق وجمال عبدالناصر وأنا"، ط١، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٢٥.

(٣) إيدن: إيدن أنطونى روبرت (١٨٩٧-١٩٧٧)، سياسى ورجل بريطانى استعمارى كان يعمل كضابط أركان حرب فى الحرب العالمية الأولى. بدأ حياته السياسية فى عام "١٩٢٣" حين انتخب عن المحافظين فى لمنتجون، وقد مثَّل الحكومة كنائب وزير الشئون البرلمانية فى اجتماعات عصبة الأمم بجنيف بين(١٩٢٥-١٩٣٥). عين وزيرًا للخارجية عام "١٩٣٥" وواجه أزمة احتلال هتلر لبريطانيا. استقال احتجاجًا على سياسة تشمبرلين المهادنة لهتلر عام "١٩٣٨". عينه تشرشل وزيرًا للخارجية (١٩٤٠-١٩٤٥) كان له دور كبير فى تشجيع إنشاء جامعة الدول العربية عام "١٩٤٣". عين للمرة الثالثة وزيرًا للخارجية(١٩٥-١٩٥٥). حين استقال تشرشل أصبح رئيسًا للوزارة. اشترك فى العدوان الثلاثى على مصر، وبفشل العدوان انسحب من الحياة السياسية تمامًا. وأصبح بعد ذلك عضوًا فى مجلس اللوردات تحت لقب لورد أفون. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج١، ص٤٢١.

(٤) أحمد حمروش، المرجع السابق، ص ٩١.

لم تحقق معاهدة "١٩٣٦" أهداف ثورة "١٩١٩" إلا أنها لم تكن كلها قيودًا، فقد حققت جانبًا من أهداف الشعب المصرى، فضلًا عن اقترابها من الاستقلال الشكلى الذى ورد فى تصريح ٢٨فبراير "١٩٢٢"[1] ليكون أكثر واقعية رغم بقاء نفوذ وسلطة الاحتلال[2].

---

[1] لقد وقع صدام بين سعد زغلول وعدلي يكن حول الشروط التي سوف تتم عليها المفاوضات حيث أراد عدلي المفاوضة بوفد رسمي من الوزارة، أما سعد كان يريد المفاوضة كممثل للأمة. ولم يتم الاتفاق بينهم وقام خلاف كبير بينهم ، ومن هنا جاء الانقسام داخل الوفد. وقد بدأت المفاوضات فى لندن بين عدلي يكن وكيرزون Curzon (١٨٥٤-١٩٢٥) فى يوليو عام ١٩٢١. ولم يكن من المتوقع نجاح مفاوضات عدلي-كيرزون فى هذا الظرف، فقد استغل الإنجليز الخلاف الذى نشب بين سعد وعدلي، وفى ١٠ نوفمبر سلم كيرزون عدلي مشروع الحكومة البريطانية ورأى الوفد الرسمى أنه لا يحقق الغاية التى سافر من أجلها للمفاوضات، وفشلت المفاوضات لسببين رئيسيين: إصرار بريطانيا على إبقاء حامية فى مصر، وعدم الاتفاق حول تحديد الإشراف على شئون مصر الخارجية ، ورغم ذلك فقد تقرر نصوص مشروع كيرزون، وذلك بعد أن انتحلت عنوانًا جديدًا هو: تصريح ٢٨ فبراير المشهور. وقد كان تصريح ٢٨ فبراير مخرجًا للسياسة البريطانية أكثر منه مخرجًا لمصر. وألحت السلطات البريطانية على حكومتها كى يتم إصداره، حيث إنه قد تعذر على الحكومة البريطانية الاتفاق مع المعتدلين، وكان سعد قد أصبح فى نظر بريطانيا مهيجًا كبيرًا للشغب والعداوة ضد بريطانيا. كما خشيت بريطانيا استمرار الاضطرابات فى مصر وخوفها من المندوب السامى البريطانى، الذى كان ضد سياسة التشدد التى كانت تتبعها بريطانيا. وبسبب هذا الوضع ظهرت حلولٌ عدة قصد بها الخروج من المأزق، وكان تصريح ٢٨ فبراير واحدًا منها ، وهو الذى استقر عليه الرأى أخيرًا فى الحكومة البريطانية، فقامت بريطانيا بإبعاد سعد ونفيه إلى سيشل التى نقل منها بعد ذلك إلى جبل طارق بسبب سوء حالته الصحية. وبنفى سعد زغلول قد أفسح المجال للوصول إلى اتفاق بين اللنبى وثروت وعدلي وصدقى فى١٢ يناير ١٩٢٢، ونص الاتفاق على تأليف وزارة برئاسة ثروت باشا بشرط أن توافق الحكومة البريطانية على إلغاء الحماية والاعتراف بمصر دولة مستقلة ذات سيادة وإعادة وزارة الخارجية، وإنشاء برلمان وتأليف حكومة دستورية وإلغاء الأحكام العسكرية، وأن تُستبقى فقط للتسوية أربع نقاط هى: تأمين المواصلات البريطانية، والدفاع عن مصر ضد كل اعتداء أو تدخل أجنبى بصفة مباشرة أو غير مباشرة، حماية المصالح الأجنبية والأقليات فى مصر والسودان. أحمد عبد الرحيم مصطفى،"تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة"، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٦٧، ص ١٢٩- ١٣٠؛ الكتاب الأبيض الإنجليزى، ترجمة عبدالقادر المازين، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة سعودى، رجب (١٣٤٠هـ/ مارس ١٩٢٢)، ص ٣٠، ٣٨.

[2] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٩١.

وبدأ مجلس الدفاع الأعلى برسم سياسة جديدة لزيادة أعداد أفراد الجيش؛ ففتح أبواب المدرسة الحربية التى تحولت إلى كلية بعد المعاهدة لقبول دفعات جديدة وصلت إلى مئات عدة لا سيما عند اقتراب الحرب العالمية الثانية، بعد أن كانت الدفعة لا تتجاوز العشرين أو الثلاثين طالبًا، وبفتح أبواب الكلية الحربية لهذا العدد الكبير نسبيًا فى وقت كانت المدارس الثانوية فيه محدودة ولا توجد إلا جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا) وحدها، فقد قلل ذلك إمكانية تحديد نوعية معينة من المقبولين، وجعل عناصر جديدة من الطبقة الوسطى تتسرب إلى صفوف الجيش، رغم وجود لجنة تكشف على المتقدمين (كشف هيئة)، وهذه اللجنة كانت تقوم بفرز أصولهم العائلية والاجتماعية، لكن المقبولين عمومًا كانوا فى حدود القادرين على دفع مصروفات الكلية، وهى ستون جنيهًا وهو مبلغ كبير مقارنة بمتوسط الدخل العام، فكان مرتب خريجى الجامعات لم يكن يتجاوز ثمانية جنيهات إلى أن عدل بعد ذلك ليصبح ١٢ جنيهًا. ولكن قدرة الدولة على استيعاب المتخرجين بهذا المرتب كانت محدودة، الأمر الذى خلق بطالة بين المتعلمين أو اضطرارهم للعمل بمرتبات أقل، كما أغرى فى الوقت نفسه عددًا كبيرًا من حملة الثانوية العامة على الالتحاق بالكلية الحربية لضمان الوظيفة والمرتب الكبير نسبيًا [1]. وكان هذا هو الأهم هو دخول أبناء الطبقة الوسطى للجيش.

---

[1] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٩١

وفــى ٢٨ أبريــل عــام ١٩٣٦ تــوفى الملــك فــؤاد الأول[1] ونــودى بابنــه فاروق[2] ملكاً وكان يبلغ السادسة عشرة من عمره، لذلك تألف مجلس وصاية إلى أن بلغ فاروق ثمانية عشر عامًا فى ٢٩ يوليو "١٩٣٧"، فتولى سلطاته

---

(1) فؤاد الأول: (١٨٦٨-١٩٣٦) سلطان مصر ثم ملكها (١٩١٧-١٩٣٦). سادس أنجال الخديو إسماعيل(١٨٦٣-١٨٧٩)، ولد بالجيزة فى ٢٦ مارس، درس مبادئ العلوم بالقصر وسافر إلى سويسرا فى "١٨٧٨"، ثم لحق بأبيه فى إيطاليا بعد خلعه فى "١٨٧٩"، والتحق بالكلية الحربية هناك فى "١٨٨٥" وانتظم بالجيش الإيطالى ثلاث سنوات ، ثم ذهب إلى الآستانة واستدعاه عباس حلمى الثانى (١٨٩٢-١٩١٤) إلى مصر فى "١٨٩٢" كبير الياورانية حتى عام "١٨٩٥". رأس لجنة تأسيس الجامعة المصرية فى "١٩٠٨" والإسعاف فى "١٩١٤"، الجمعية الجغرافية فى "١٩١٥"، الهلال الأحمر فى "١٩١٦". اختاره الإنجليز سلطانًا على مصر خلفًا لأخيه حسين كامل (١٩ ديسمبر ١٩١٤- ٩ أكتوبر ١٩١٧) فى أكتوبر "١٩١٧". نشبت فى عهده ثورة ١٩١٩ وأعلن ملكًا بعد تصريح ٢٨ فبراير. بعدها صدر دستور "١٩٢٣" الذى حد من سلطاته المطلقة بالرغم من معارضته ومناوراته. كان دائما خصمًا للوفد وللقوى الديمقراطية. كان وراء أحداث وقف الحياة النيابية وتعطيل الدستور أو إلغائه،لا سيما فى (١٩٢٥، ١٩٢٦، ١٩٣٠). كان السبب الرئيسى وراء إنشاء حزب الاتحاد فى "١٩٢٥"، وحزب الشعب فى "١٩٣٠"؛ لينافس بأى منهما الأحزاب الآخرى لكنه فشل فى أن ينصب نفسه خليفة للمسلمين بعد إلغاء الخلافة فى تركيا فى "١٩٢٤"، وهذا لمقاومة المصريين له ومنافسة الحكام المسلمين. كان حليفًا للانجليز طوال مدة حكمه، لكنهم استرابوا فيه فى عام "١٩٣٤"، لزيادة نفوذ الإيطاليين من موظفى القصر فى وقت تأزمت فيه العلاقات البريطانية الإيطالية، قبيل وفاته قامت جبهة وطنية من الأحزاب أرغمته على إعادة دستور "١٩٢٣". توفى فى أبريل "١٩٣٦" فى عهد وزارة على ماهر.عبد الوهاب الكيلانى، المرجع السابق، ج٤، ص٦١٧.

(2) فاروق الأول: (١٩٢٠-١٩٦٥) ملك مصر (١٩٣٧-١٩٥٢). ولد بالقاهرة فى ١١ فبراير. هو الذكر الوحيد لأبيه فؤاد صار وليًا للعهد ولقب" أمير الصعيد"، أرسل إلى لندن فى "١٩٣٥" لاستكمال دراسته بمصاحبة أحمد حسنين، وعزيز المصرى. عاد إلى مصر ملكًا بعد وفاة أبيه فى أبريل "١٩٣٦"، عين الأمير محمد على وصيًا على العرش حتى بلغ فاروق رشده فتولى سلطته فى يوليو "١٩٣٨". تجمعت حوله كل القوى السياسية المعادية لحزب الوفد الذى كان فى الوزارة. وقف الوفد ضد رغبته بأن يتم تتويجه بالجامع الأزهر أو بالقلعة وأن يتسلم التاج من شيخ الأزهر، وذلك إعلاء للدين عن مجال الحكم، أقال وزارة الوفد ديسمبر"١٩٣٧"، مع نشوب الحرب العالمية الثانية، اتهمه الإنجليز بأنه على اتصال بألمانيا وأعدائهم ففرضوا عليه وزارة الوفد فى ٤ فبراير "١٩٤٢". وما لبث أن أقالها فى أكتوبر "١٩٤٢"، ظل خصمًا للوفد والديمقراطية، فى البداية تمتع لفترة قصيرة بتأييد شعبى نسبى، عمل على تملق العواطف الدينية للجماهير، وبدأ الهتاف بسقوطه فى "١٩٤٦" فى الجامعة، أجبرته ثورة ٢٣ يوليو على التنازل عن عرشه لابنه فى ٢٦ يوليو "١٩٥٢" ورحل عن مصر. ثم ألغيت الملكية وقامت الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣. سنتناول الحديث باستفاضة عن ثورة ٢٣ يوليو فى الفصل الثالث. عبد الوهاب الكيلانى، المرجع السابق، ص ٤٤٦-٤٤٧.

الدستورية فى البداية ولم يكن هناك عداء بينه وبين الوفد، وعندما انتهت الوصاية بدأ الملك يجمع حوله العناصر المعارضة والكارهة للوفد ويلقى بها فى المعركة ضده. ولم تكد وزارة الوفد التى أتت بها الانتخابات تبدأ فى تنفيذ سياستها حتى أُقيلت فى ٢٩ ديسمبر "١٩٣٧"، لذلك لم يتح للوفد وهو حزب الأغلبية أن ينفرد بالوزارة أكثر من أربع سنوات وعشرة شهور متقطعة منذ أن تولى فاروق العرش حتى يناير "١٩٥٢". هكذا عصف الملك بإرادة الشعب وبروح الدستور وتولى الحكم وزارات أحزاب الأقلية، وكان قد انضم إليها حزب جديد هو حزب السعدى[1] الذى انشق عن الوفد، الذى لعب دورًا كبيرًا فى خدمة الرأسماليين المصريين[2].

---

[1] حزب السعدى: ظهر حزب الهيئة السعدية عام "١٩٣٨" على أثر خلاف حاد تفجر فى حزب الوفد، وقد أسسه أحمد ماهر(١٨٨٨-١٩٤٥) ومحمود النقراشى (١٨٨٨-١٩٤٨) بعد فصلهما من الوفد فى "١٩٣٧". كانا من صفوة خلصائه منذ١٩١٩". وبعد معاهدة "١٩٣٦" روج أحمد ماهر لخطة سياسية مؤداها أن إبرام المعاهدة من شأنه إنهاء الصراع الحزبى القائم، ودعا لدمج الأحزاب كلها، الأمر الذى عارضه النحاس، وقد استهدف ماهر والنقراشى فى البداية حزب زعامة النحاس والسيطرة على الوفد، فلما فشلا وفُصلا كونا حزبمها" الهيئة السعدية". وبعد إقالة حكومة الوفد دخل حزبهما على الفور فى تحالف برلمانى ووزارى مع الأحرار الدستوريين. ومن أعماله أن شن حملة على الوفد لصالح الملك ودعاية لحقوق الملك الدستورية. عند قيام الحرب العالمية الثانية دعا الحزب لدخول الحرب مع الإنجليز، رغم معارضة أغلب القوى السياسية لهذا الأمر.وشارك الحزب فى الوزارة فى أكتوبر "١٩٤٤" بالتحالف مع الأحرار الدستوريين والكتلة الوفدية، وقد أُغتيل أحمد ماهر فى فبراير "١٩٤٥" بعد إعلان الحرب على ألمانيا، فخلفه النقراشى الذى اغتيل أيضًا فى ديسمبر "١٩٤٨" بعد حله لجماعة الإخوان المسلمين، وقد خلفه فى رئاسة الحزب والوزارة إبراهيم عبد الهادى(١٨٤٨-١٩٤٩) حتى استقال فى "١٩٤٩"، بعد أن مارسَ كثيرًا من إجراءات القمع ضد خصومه، لا سيما الوفديين والإخوان المسلمين والشيوعيين، وفى عهد النقراشى "١٩٤٥" دخلت مصر حرب فلسطين، وقد تم حل هذا الحزب مع غيره من الأحزاب فى "١٩٥٣". عبد الوهاب الكيلانى، المرجع السابق، ج٢، ص٥٢٧. لقراءة المزيد من التفاصيل فيما يتعلق بتاريخ أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى انظر نفس المرجع، ج١، ص ١٠٣؛ نفسه، ج٦، ص ١٠٣.

[2] عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص ٥٠٧-٥٠٨ ؛ أحمد حمروش ، المرجع السابق، ص٩٢.

ولأن إبعاد حزب الوفد عن الحكم هو إبعاده عن النفوذ إلى الجيش، حيث كان الدخول إلى الكلية الحربية يتم من خلال تشكيل لجنة من بعض كبار القادة الخاضعين خضوعًا كاملًا لنفوذ السراى، فلم يتح للوفد فرصة تسريب عناصر كثيرة من أبناء أنصاره الموالين له فى العاصمة والأقاليم إلى صفوف الجيش، فضلًاعن بث روح الجفاء بين الجيش والوفد باعتباره تنظيمًا يضم جماهير الشارع التى تتنافر فى حركتها مع النظام والانضباط الذى يسود الجيش، والذى كان كبار الضباط الذين دخلوا إلى الجيش من ثقوب الاحتلال يتشبثون به باعتباره المظهر الوحيد لقدرتهم وسلطتهم، وفى تلك الأثناء أُصيبَ الجيش بحالةٍ من الركود انعكست عليه فيما بعد، وتم عزله عن الجماهير وعن الحركة الوطنية لا سيما فى المناصب والقيادات العليا، بينما كان صغار الضباط المتخرجين فى الكلية الحربية والمتدفقين إليها فى دفعات متتالية بلغت ثلاث دفعات فى كل من أعوام (١٩٣٧، ١٩٣٨، ١٩٣٩) يحمل بعضهم بعض الأفكار التى تظاهر المصريون من أجلها، بُغية عودة دستور "١٩٢٣" وسقوط الاستعمار[١].

فى ذلك الوقت أعد المجلس الأعلى للدفاع خطة لتطوير الجيش وتسليحه فى عام "١٩٣٨"، ولكن شروط المعاهدة كانت تقضى بضرورة إشراف إنجلترا على التسليح، فى الوقت الذى كانت فيه بريطانيا فى حاجة ماسة إلى سلاح لمواجهة أخطار الحرب التى بدت فى الأفق ،ولم تلبث إلى أن اندلعت الحرب فى عام "١٩٣٩" واستغرقت جهد بريطانيا؛ مما ترك الجيش المصرى بدون تسليح حديث يشبع رغبة الضباط المصريين وطموحهم[٢].وبذلك رأى بعض المصريين أن معاهدة "١٩٣٦" كانت بمثابة احتلال دائم على خلاف ما توهموا بأنهم قد حصلوا على الاستقلال؛ مما دفع الضباط الأحرار إلى الانصراف إلى النضال، وكان هذا بداية الانهيار السياسى الذى جعل قيام ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" حتمية تاريخية، فقد أنهت معاهدة "١٩٣٦" قيادة الإنجليز للجيش صوريًا ، واستبدلت ببعثة من الجيش الإنجليزى تشرف على تدريب

---

[١] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٩٢.

[٢] علية توفيق، المصدر السابق، ص٢٥.

الجيش، وأصبحت قيادة الجيش فى يد الضباط المصريين، وكان أول ضابط مصرى تولى القيادة هو اللواء (محمود شكرى) وظلت تنتقل القيادة بين المصريين[1].

وفى ظل القيادة المصرية، كان ضابط الجيش إذا وصل إلى رتبة القائمقام يحصل على لقب (بك)، فإذا ما وصل إلى رتبة اللواء حصل على لقب (باشا) وفى ظل قيادة الباشوات - كما أطلق عليها يوسف صديق -ساءت الأوضاع ، وكان باشوات الجيش أقل مكانة من الباشوات المدنيين من حيث الغنى والجاه، فالباشوات المدنيون كانوا لا يصلون إلى رتبة الباشوية إلا بعد تقديم واجبات الطاعة والولاء والإخلاص للذات الملكية، وبعضهم كان يزيد من ثروة الملك مستغلًا منصبه فكان (ناظر الخاصة الملكية) يرغم الفلاحين الذين يملكون أرضًا تجاور أرض الملك على بيع أراضيهم بأبخس الأثمان لتضاف إلى أرض الملك وإلا تعرضوا لما لا طاقة لهم به من ألوان العذاب، وكان الباشا يدفع وهو يعلم أنه سيسترد ما دفعه أضعافًا مضاعفة من دم الشعب، فكانت سلطة الدولة فى خدمته وتحت أمره. أما لقب الباشا فى الجيش فكان مجرد لقب لا يملكون به أى سلطة خارج الجيش، كما أنهم لا يملكون فى الغالب غير مرتباتهم، ويقول يوسف صديق فى مذكراته عنهم، إذا ذكر اسم أحدهم بين الناس لا يعرفونه كما يعرفون الباشوات الحقيقيين فكان يقال عنه إنه "باشا جيش"، لذلك فقد كانت قيادة الباشوات قد بدأت تفرض (ضرائب) على الضباط، وقد بدأت هذه الضريبة تفرض على الضابط الذى يأتى عليه الدور للترقية إلى رتبة (اللواء) ليصبح فى زُمرة الباشوات، فكان عليه أن يدفع مبلغًا معلومًا وإلا تخطته الترقية[2].

هذا الأمر لم يشغل بال الضباط الأصاغر ولم يهتموا به؛ فالرحلة بينهم وبين هذه الرتبة ما تزال بعيدة . فازدادت الحاجة إلى المال فهبطت الضريبة درجة أخرى وفرضت على من يرقى إلى رتبة القائمقام[3]، تعطيه لقب (بك) - وكانت

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢) نفس المرجع، ص٧١.

(٣) قائمقام: أى قائم مقام الأمير فى رئاسة الألاى ، وكان يطلق على وكيل أمير الألاى ثم صار الآن يعين لقيادة الأورطة. أحمد تيمور، المرجع السابق، ص ٥٩.

لهـا أسـعار معروفـة حتـى شـملت جميـع الرتـب، وهنـا بـدأ الضـباط الأصــاغر يتحركون[1]. وفى تلك الظروف الدولية والمحلية المضطربة نقل يوسف صديق من مرسى مطروح إلى القاهرة للعمل مدرسًا لمادة التاريخ العسكرى بالمدرسة الحربية، التى تغير اسمها بعد معاهدة ١٩٣٦ لتصبح " الكلية الحربية "[2].

- تعيينه مدرسًا بالكلية الحربية.

نقل يوسف صديق إلى الكلية الحربيـة فى عـام "١٩٣٩"، حيث عين أستاذًا لمــادة التــاريخ العســكرى. وهنــاك فــى هــذا الصــرح العلمــى العســكرى المهـم تتلمـذ علـى يديه الكثير من الضباط منهم: وحيد رمضـان[3]، والصاغ حسن أحمد

---

(1) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٧٢.

(2) علية توفيق، المصدر السابق، ص٢٦.

(3) وحيـد رمضــان: جـودة (١٩٢٠-٢٠١١) هـو وحيـد الـدين جـودة السـيد رمضــان، ولـد ١٩٢٠/١٢/٥ فى شبراخيت، محافظة البحيرة، ترك دراسة الطب والتحق بالكلية الحربية عـام "١٩٤٠" وبعد تخرجـه سرعان مـا صـار وحيد الـدين جودة رمضـان، واحدًا من الضباط الأحرار، شارك فى حرب فلسطين وقام بتجنيد بعض ضباط الجيش وضمهم لتنظيم الضـباط الأحرار، كـان أبرزهم يوسف منصـور صـديق الـذى كـان أستاذًا لوحيد رمضان فى الكلية الحربيـة، ودرس علـى يديـه فنـون التكتيك العسكرى. بعد إنشـاء هيئـة التحرير وحل الأحزاب فى ١٧ يناير "١٩٥٣" كلفه عبدالناصر بقيادة منظمـات الشباب، وكانت بدايته فى العمل السياسى الرسمى، عمل مديرًا لمكتب المشير عبد الحكيم عامر، أثناء أزمة مارس "١٩٥٤". قال وحيد رمضـان إنـه كـان موجودًا فـى مكتب اللواءعامر القائد العام للقوات المسلحة، وفى الوقت نفسه كان قائدا لمنظمات الشباب ورئيسًا لتحرير مجلـة الثـورة، وحينمـا اشـتعل الصـراع بـين محمد نجيب وجمـال عبـد الناصـر تـرك عـامر أستاذه وقائده نجيب وانحاز لصديقه عبدالناصر، وعن طريقه ضمن عبد الناصر السيطرة علـى الجـيش، وعـدم حـدوث انقـلاب ضـده. تـم تعينـه ملحقًـا عسـكريًا لمصـر فـى بـرلين "١٩٦٠"، وفـى عـام "١٩٦١" تـم إلقـاء القـبض عليـه بتهمـة عمـل انقـلاب فـى سـوريا والانفصال عن مصر وتم حبسه عامًا ونصف، وتم الإفراج عنه فى ١٤ فبراير "١٩٦٤" إثر نقاش حاد بين ميشيل عفلق، زعيم حزب البعث السورى، وجمال عبد الناصر، حيث اتهمه عبـد النـاصـر بأنـه قـابلنى فـى سويسرا للتـآمر علـى الوحـدة، فـرد عليـه ميشيل بحـدة قائلًا:" لقد التقيت وحيد رمضان ومعه ١٠ من الضباط الأحرار فى القاهرة، للبحث عن

دسوقى، والصاغ لطفى واكد، وكانت محاضرة التاريخ العسكرى تأتى فى نهاية اليوم الدراسى، وهو موعد ثقيل على الطلبة؛ لأنه يأتى فى نهاية يوم شاق من التدريب والدراسة، ولكن بعد أن أسند تدريس هذه المادة لليوزباشى (نقيب)، أصبحوا ينتظرون موعد محاضرة التاريخ العسكرى بحب واشتياق، فقد كان يوسف صديق يشرح وكأنه يقص قصة تاريخية بأسلوب شيق وممتع[1]، ويجعل من يستمع له كأنه يعيش الأحداث التاريخية من لباقته وطريقة عرضه للفترة التاريخيه التى يرويها.

وذات يوم كان موضوع محاضرة التاريخ العسكرى هو الدفاع الثابت Liquid Defense، ولكن عندما دخل يوسف إلى قاعة المحاضرة غيَّر الموضوع إلى الدفاع المتحرك، وفى أثناء المحاضرة، دخل كبير المعلمين وهو إنجليزى، فلاحظ تغيير موضوع المحاضرة، فاستاء وطلب تفسيرًا من يوسف صديق، فرد عليه يوسف بشجاعة وثقة قائلًا "انظر إلى دفاعاتكم الثابتة فى جبل طارق، وخط ماجينو ، لقد سقطت وانهارت فى الحرب، إن الدفاع المتحرك هو لغة الحرب الحديثة "[2]. فكان يوسف يرى أن أسلوب الدفاع المتحرك أفضل من أسلوب الدفاع الثابت، وهو الأسلوب الذى يفضله كبير المعلمين[3].

كان وجود يوسف كأستاذ بالكلية الحربية له تأثير فى كثير من الطلبة، الذين انضموا فيما بعد لتنظيم الضباط الأحرار، يقول حسن دسوقى[4] أحد الضباط

صيغة ديمقراطية شعبية لتثبيت أقدام الوحدة". توفى ٢٦/٤/ ٢٠١١. ماهر حسن، ومحمد علوان، "ثورة يوليو"، المصرى اليوم، ٢٣/٧/٢٠١٠.؛ العقيد محمد وحيد الدين رمضان جوده، نجل السفير وحيد رمضان جودة، حديقة الأندلس أمام وزارة المالية، ٢٠١٥/٥/٨. ٩ صباحًا.

[1] علية توفيق، المصدر السابق، ص٢٦؛ لطفى واكد، المقال السابق، "١٩٧٥"، ص٦٥.

[2] نفس المكان.

[3] لطفى واكد، "يوسف صديق فارسًا مصريًا أصيلًا"، مجلة الطليعة،العدد ٥، "١٩٧٥"، ص٦٥.؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص ٢٨.

[4] حسن دسوقى: هو أحد الضباط الأحرار كما أنه شارك مع يوسف صديق فى عملية اقتحام إدارة الجيش ليلة الثورة. علية توفيق، المصدر السابق، ص ٢٨.

الأحرار عن تلك الفترة : "أول معرفتي بيوسف صديق كانت في الكلية الحربية في "١٩٣٩"، كان يدرس تاريخ عسكري، كان ممتعًا في التاريخ العسكري وكان يدرس الحرب العالمية الأولى، فكان يشرح المعركة، وهو يشرح يسرح في تاريخ مصر نفسها، ويتحدث عن تاريخ مصر العسكري، ولذلك لم تكن حصته جامدة، كانت حصته جميلة وممتعة[1].؛ ويؤكد لطفي واكد هذا عندما وصف مدى تأثير أستاذه يوسف صديق عليه قائلًا :"كانت البعثة العسكرية البريطانية تملك السيطرة على مقدرات الجيش المصري، كما كان المندوب السامي البريطاني يملك السيطرة على الحكم في مصر. وفي خلال مرحلة التوتر والتفكير كنت أكثر اتجاهًا إلى التخلص من هذه الحياة، والعودة إلى الحياة المدنية والالتحاق بالجامعة؛ حيث مجال الحرية قائم ومجال النضال وارد، في هذه المرحلة وفي هذه الظروف النفسية ظهرت ومضة الأمل التي أنارت طريقي، واستقر أمري على التمسك بالحياة العسكرية طريقًا للنضال من أجل الوطن. في أحد الأيام كنا في طابور التدريب وكان على رأسه ضابط برتبة اليوزباشي لم أكن أعرفه، كان أسمر اللون - صارم القسمات- ممشوق القوام – مهيب الطلعة، ألقى علينا هذا الضابط محاضرته ثم انتقل إلى الحديث عن البعثة العسكرية البريطانية، وعن جيش الاحتلال وعن الواجب الوطني في التحرر من النفوذ الأجنبي، وعن واجبنا في تثقيف الجنود وتحريرهم من أسطورة الإمبراطورية البريطانية التي لا تقهر، ولكن ما علمه لنا كان في مثل هذا العصر وفي ذلك المكان قد فاق كل التوقعات، وجدت فيه بريق الأمل والنموذج الجديد لضابط الجيش الوطني الشجاع، وقررت أن اتمسك بانتمائي إلى الجيش، وأن أسير على درب هذا الضابط الأسطورة[2]..

---

[1] نفس المكان.

[2] لطفي واكد، المقال السابق، "١٩٧٥"، ص٦٥.

- التحاقه بكلية أركان حرب.

عُين أستاذًا بالكلية الحربية لكفاءته عام "١٩٤٠"[١]، ثم التحق بكلية أركان حرب عام "١٩٤٢". للحصول على شهادتها، ولكنه لم يلبث أن سقط مريضًا بسبب عموده الفقرى وذهب إلى المستشفى العسكرى، فقرر الأطباء على الفور احتجازه بالمستشفى تحت العلاج لإصابته بتسوس فى العظام، ثم وضعوه داخل " جاكت " من الجبس ظل به ثمانية عشر شهرًا[٢]. وكان يوسف يصف هذا الجاكت بأنه سجن تفصيل[٣].

رغم ما به من ألم ومرض إلا أنه كان لديه حس الفكاهة، دائمًا ما استخدم الشعر للتعبير عما بداخله. عاد يوسف صديق إلى كلية أركان الحرب لاستكمال دراسته، لكن إدارة الكلية رفضت ذلك، وطلبت منه أن يبدأ من الفصل الدراسى الأول على الرغم من أنه قد أنهاه بنجاح وتفوق، غير أنه أصر على إتمام منهج الفصل الثانى ما دام قد نجح فى منهج الفصل الأول، وناضل يوسف ودافع عن رأيه وفى النهاية تمت الموافقة. وكانت أول مرة فى تاريخ الجيش المصرى، أن ضابطًا يستكمل دراسته بكلية أركان الحرب وهو يرتدى (جاكت) من الجبس، وأثناء فترة دراسته كان يقوم بتدريس مادة (التكتيك) مدرس إنجليزى،

---

[١] ملحق رقم (٦) صورة أثناء عمله مدرسًا بالكلية الحربية . ؛ ملحق رقم (٦) مكرر صورة طلبة الكلية الحربية دفعة ١٩٤١.

[٢] علية توفيق، المصدر السابق ، ص٢٨.

[٣] ومن الوقائع الطريفة أنه عندما كان يوسف صديق نزيلًا بالمستشفى العسكرى، كان من المعتاد أن يقوم الضباط الأطباء الأخصائيون بالمرور على الضباط المرضى لمتابعة حالتهم الصحية، "، ذات يوم كان الدكتور عبد النبى يمر على غرف الضباط المرضى، وكان يرافقه فى المرور أحد الضباط الذين يعرفون يوسف صديق، فلما وصل إلى حجرة يوسف صديق، الضابط أخبر الدكتور بأن يوسف شاعرٌ، فطلب الدكتور من يوسف أن يقول فيه شعرًا، فارتجل يوسف هذين البيتين:

- عبد النبى يا ابن قوم فى الورى برعوا
- وراقهم منظر المرحاض فاخترعوا
- وسجلوه على الأيام مفخرة
- فليهنأ قومك من خيرات ما ابتدعوا. علية توفيق، المصدر السابق، ص ٢٩.

يقوم باستخدام نماذج صغيرة من الدبابات تشبه لعب الأطفال الصغيرة كوسائل للإيضاح، فقال له يوسف : " هل تعلمون ضباطكم فى إنجلترا على مثل هذه النماذج ؟ " أجابه المدرس الإنجليزى بأن إنجلترا ترسل أفضل ضباطها لتعليم الضباط المصريين. فرد عليه يوسف قائلا "هل هذا يعنى أن إنجلترا أرسلت لنا أفضل ضباطها لتعليمنا وهى الآن تخوض الحرب العالمية بالضباط الأقل كفاءة؟!، صمت المدرس ولم يستطع أن يرد على هذه الإهانة الذكية. كما انتقد يوسف أثناء فترة دراسته نظام عساكر المراسلة واعتبره إهانة للجندية المصرية[1]، وبرهن على ذلك من خلال قصيدته التى ألقاها فى حفل تكريم الجيش المصرى بعد الحرب العالمية الثانية قائلًا:

هى الدنيا صراع لا إقناع .. بغير الجيش لن نحيا كراما

ومن نادى بغير الجيش يهذى .. وعن نور الحقيقة تعامى [2].

وللحصول على الشهادة فى كلية أركان حرب كان يتعين على الضابط الدارس تقديم بحث باللغة الإنجليزية فى نهاية الفصل الدراسى، فاختار يوسف بحثًا يتناول تاريخ الجيش المصرى والمعارك التى خاضها، وكانت المحاضرة تُلقى أمام الضباط الدارسين ورئيس البعثة العسكرية الإنجليزية ورئيس هيئة أركان حرب الجيش، وبعض قيادات الجيش وقيادات حزب الوفد. وبدأ يوسف فى إلقاء بحثه متناولا تاريخ الجيش المصرى منذ عهد الفراعنة وأوضح فترات الازدهار والاضمحلال، كما كان بحثه يمجد أحمد عرابى[3]، بينما كان أحمد

---

(1) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ٣١ .

(2) نفس المرجع، ص٢٣.

(3) أحمد عرابى: (١٨٤١-١٩١١) ضابط وسياسى مصرى، زعيم الثورة العرابية التى قامت فى عام "١٨٨١" ضد النفوذ الأجنبى. ولد فى ٣١ مارس فى قرية بمحافظة الشرقية، درس فى الأزهر الشريف أربع سنوات، إلى أن تم تجنيده بالجيش فى ديسمبر ١٨٥٤، بناءً على قرار الوالى بتجنيد أولاد العمد والمشايخ، حكم عليه بالسجن لخلافه مع رئيسه، ثم أعفى من العقوبة ونقل إلى الخدمة المدنية، حتى تم إعادته للجيش فى عهد الخديو توفيق ورُقى إلى رتبة لواء، تكاثر على مصر فى زمنه الاستبداد السياسى والظلم الاجتماعى، فضلًا عن تفاقم الديون المالية للبلاد، ونمت الأفكار الوطنية فى البلاد، فقام

عرابى يُدرس كخائن فى ذلك الوقت. وأنهى البحث وكان الملك فاروق هو القائد الأعلى للجيش المصرى، وكان إبراهيم عطا الله باشا هو قائد عام الجيش، منتظرًا الإشادة؛ لأن القائد النقى وصل فعلًا وفاجأهم عندما أنهى يوسف صديق البحث بالعبارات التالية :

"But still The Egyptian army is waiting the pure Egyptian leader "،
أى وما زال الجيش المصرى ينتظر القائد المصرى النقى. وقام بالتعظيم ونزل، وبالطبع لم يأخذ درجات على هذا البحث القيم[1].

ورغم مرض يوسف صديق إلا أنه استمر فى دراسته بالكلية ولظروفه الصحية بعد تخرجه تم تعيينه فى السجلات العسكرية. وفي ذلك الوقت أحيل الأميرالاى (سليمان عبد الواحد سبل) إلى الاستيداع، وكان الأميرالاى رئيسًا لعمليات القوات المسلحة ومشهودًا له بالكفاءة والشرف والنزاهة، مما أثار استياء معظم الضباط، فنظموا حفل تكريم ووداع له بنادى ضباط الجيش، وطلب البكباشى رشاد مهنا من يوسف صديق - وقد كان يربطهما علاقة مودة وزمالة منذ كانا بالمدرسة الحربية – طلب منه المشاركة فى الاحتفال بإلقاء كلمة أو قصيدة، وطلب منه يوسف أن يجعله آخر المتكلمين لكى يستطيع تحضير كلمته، تحركت فى أعماق يوسف صديق حاسته الشعرية التى تعمل مطلقة داخله فى مثل هذه الأحداث، فأخذ يسطر القصيدة وينمقها فى خاطره

بحشد وحدات من الجيش المصرى بقصر عابدين فى سبتمر "١٨١٨" لمطالبة الخديو بعزل الوزارة، وتشكيل مجلس النواب، وزيادة عدد الجيش المصرى، فأذعن الخديو له، ما لبث الإنجليز أن تدخلوا عسكريًا متحالفين مع الخديو وفئة من كبار ملاك الأراضى، وقاموا بهزيمة قوات عرابى فى سبتمبر "١٨٨٣"، حُكم على عرابى بالإعدام ثم تم تخفيف الحكم بنفيه إلى جزيرة سيلان، عاد إلى مصر فى عام "١٩٠١" إلى أن وافته المنية فى سبتمبر ١٩١١، له مذكرات بعنوان "كشف الستار عن الأسرار". عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج١، ص١٠٠؛ محمود الخفيف، "أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه"، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أغسطس- سبتمبر "٢٠٠٤"، ص١٤-٢٠. لقراءة المزيد من التفاصيل عن الزعيم أحمد عرابى، انظر نفس المرجع.

(1) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ٣١ .

طيلة الوقت، فلم تكتمل إلا وهو مشرف على إلقائها. وكان آخر من خطب فى هذه الحفلة التى حضرها لفيفٌ كبير من ضباط الجيش على غير المألوف فى مثل هذه الحفلات هو يوسف صديق، وكان جوهر خطبته يتناول قضية فساد وهى قضية تصفية الأحرار الذين يرفضون مسايرة الفساد، وقد شغلت هذه القضية معظم ضباط الجيش عام "١٩٤٥"[1].

كتبت المخابرات تقريرًا عن هذا الحفل، إنه كان احتجاجًا صارخًا على إحالة (الأميرالاى عبد الواحد سبل) إلى الاستيداع وفيه هجوم على قيادة الجيش التى أصدرت القرار بذلك، وكان يرى يوسف صديق أن هذا الحفل العلنى الذى أقامه الضباط لتكريم عبد الواحد سبل، هو بداية الثورة على الأوضاع الخاطئة[2]. نشرت مجلة الجيش جميع الكلمات التى ألقيت فى الحفل، باستثناء القصيدة التى ألقاها يوسف، وبعد إلقائه لهذه القصيدة بدأت الأصابع تشير إليه كعنصر متمرد داخل القوات المسلحة، فتم نقله إلى الإسماعيلية[3]. وقد تسببت تلك القصيدة فى كثير من المشكلات والتشريد وقد وصف هذه القصة فى مذكراته وصفًا أدبيًا رائعًا. يصف دكتور رفعت السعيد بمقالة له تناول فيها تلك الواقعة قائلًا:" بسبب الموهبة، وربما امتدادًا للتراث الأزهرى فى الأسرة، يتألق شاعرًا وشعره كسيفه حاد، حاسم، شجاع، وعندما يحال الأميرالاى سليمان عبد الواحد سبل إلى الاستيداع، وينظم زملاؤه الضباط حفلًا لتكريمه، يدهش الجميع جرأة الضابط يوسف صديق الذى يتحدى بشعره ظلم الحاكم، ويحرض زملاءه على مشاركته تحديه له. فهو يوجه حديثه للضابط المحال إلى الاستيداع:

- يا صاحب القلب الكبير تحية.. فلقد بدأت ولا أقول وداعا
- حررت من قيد الوظيفة فانطلق..حرًا وأطلق للكفاح شراعا

---

[1] محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ٣١.؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٢١. وكانت هذه القضية واحدة من العوامل التى أدت إلى ثورة يوليو، انظر الفصل الثالث من ص ١٢٢ - ١٣٢.

[2] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٧٥؛ يوسف صديق، نفسه، ص٢٢.

[3] لطفى واكد، المقال السابق.

- عار الوظيفة أن تضم بها إذا.. كنا الرجال ولم نكن أتباعا
- ونفوس أهل الحق تأبى حرة.. وكريمة أن تشترى وتباعا[١].

وسافر يوسف صديق إلى الإسماعيلية وسافرت زوجته السيدة علية توفيق معه وطفلٌ لها، وبعد وصولهم الإسماعيلية بأيام قامت قيادة الجيش باعتقال باقى خطباء حفل التكريم، ولم يتمكنوا من اعتقال يوسف صديق حيث انتشر وباء الكوليرا فى منطقة القنال، وعزلت المنطقة بأكملها، وانفصلت عن باقى القطر فلم تكن القطارات تسير منها أو إليها، وتم اعتقال زملائه شهرين ثم تم الإفراج عنهم[٢][٣].

عند وصوله إلى الإسماعيلية طلبه رئيس إدارة الجيش -اللواء طه محمد الذى كان محبًا للشعر، عندما دخل يوسف عليه وجد القصيدة أمامه، فوجه كلامه ليوسف قائلًا :" لقد قمت بعمل مخالفة أمس بالنادى"لقد قمت بإلقاء خطبة فى النادى بدون إذن من إدارة الجيش، وحتى يقوم الضابط بإلقاء خطبة فى النادى لا بد من حصوله على إذن من إدارة الجيش. فأجاب يوسف أنه لم يخطب! فرد عليه متسائلًا ما هذا الذى أمامى ؟ فأخبره يوسف أن هذه قصيدة شعر ألهمه الوحى فى الحفلة، فمتى يحصل على تصريح؟! فدار بينهم حوار وقال له : الملك يذهب للسكر فى النادى، وعندما نقوم بإقامة حفلة تكريم لزميل لنا ونلقى الشعر، والشعر لغة عربية فصحى نكون قد أخطأنا؟ [٤][٥].

---

(١) رفعت السعيد، مجلة اليسار، إبريل "١٩٩١". لقراءة القصيدة كاملة، انظر يوسف صديق، المرجع السابق، ص٢٧-٣١.

(٢) يوسف صديق، المصدر السابق، ص ٢٣؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص٣٠.

(٣) لَم يَذكُر يوسف صديق فى مذكراته أنه اصطحب زوجته معه عندما تم نقله إلى الإسماعيلية، إلا أنها ذكرت فى كتابها أنها سافرت معه، وليس من المستبعد أن تكون رافقته، فهى كانت سيدة مناضلة ودائمًا تتبع زوجها وتدعمه، ربما تغافل يوسف صديق عن ذكر سفرها معه لتركيزه فى أن يروى الحدث الأساسى دون التطرق إلى تفاصيل هذه السفرية.

(٤) محمد توفيق، المرجع السابق، ص٣٢-٣٣.

(٥) لم يَذكُر يوسف صديق فى مذكراته هذه الواقعة أيضًا، وذلك ربما يكون لنفس السبب الذى ذكرته الكاتبة سابقًا وهو تركيزه على الحدث بصورة عامة، إلا أنه قد رواها لأفراد

وهنـاك بـدأ نشـاطًا بـين الضـباط، وتكونـت جماعـات العمـل الـوطنى ضـد الإنجليز[1]، ظهور تنظيم الضباط الأحرار، وإزاء نشاطه المعادى للإنجليز نقل إلى أسوان فى إبريل "١٩٤٨"، ولكنه لم يستمر هناك سوى أسـابيع قليلـة، حتـى نقل من إدارة الجيش إلى كتيبة فى فلسطين. فهو لم يعمل أركان حرب سوى ٣ أو ٤ شهور، فخريجو أركان حرب كانوا يعملون باستمرار فى مناصب إدارة عمليات، إدارة تخطيط، فنادرًا جدًا أن يعمل ضابط أركـان حـرب فـى أورطـة (كتيبة)، وكان النادر هذا هو يوسف صديق ويمكن الوحيد فى هذا العهد الذى عمل فى أورطة أو كتيبة[2].

أسرته. فقد كان يوسف صديق كان جريئًا، يقول ما يشاء دون أن ينظر إلى العواقب التى تلى قوله.

[1] وكان من بين هؤلاء الضباط حسن أحمد الدسوقى، وأحمد شوكت ونصر جعيصة، وكمال المنيرى وهو من الضباط الذين استشهدوا فى حرب فلسطين "١٩٤٨". محمد توفيق، المرجع السابق، ص٣٣.

[2] محمد توفيق، المرجع السابق، ص٣٣.؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص ٣١ ؛ عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١٩٨-١٩٩.

ثالثًا- مشاركته فى حرب فلسطين "١٩٤٨":

شارك يوسف صديق بحرب فلسطين التى بدأت ١٥ مايو عام "١٩٤٨"، كان له دور بارز حيث استطاعت كتيبته بأن تكون أكثر الوحدات توغلًا فى الأراضى الفلسطينية، حيث إنها احتلت نقطة مراقبة على خط الدفاع بين المجدل[1] وإسدود[2]، وأطلق يوسف الجنود على المنطقة التى دخلها يوسف صديق " شريط يوسف صديق " كانت كتيبته بين ثلاث مستعمرات يهودية

---

[1] المجدل: هى كلمة أرامية بمعنى البرج والقلعة والمكان المرتفع المشرف للحراسة، وفى فلسطين أماكن كثيرة تسمى المجدل، منها مجدل عسقلان التى تقع على بعد ٢٥كم شمال غزة، ويطلق عليها مجدل عسقلان. لأن آثار مدينة عسقلان قريبة منها. من أكبر وأقدم مدن فلسطين التاريخية. تقع اليوم فى اللواء الجنوبى الإسرائيلى على بعد ٦٥ كم غرب القدس. أسس الكنعانيون المدينة فى الألف الثالثة قبل الميلاد، وكانت أحد موانئ الفلسطينيين القدماء على ساحل البحر المتوسط. تقع إلى الشمال الشرقى من غزة، وتبعد عنها ٢٥ كم قريبة من الشاطئ على الطريق بين غزة ويافا. تبلغ مساحة أراضيها ١٠٧,٣٣٤ دونم بما فيها مساحة المدينة ١,٣٤٦ دونم. وسكنها اليهود، بعد تهجير أهلها العرب فى حرب "١٩٤٨" الذين انتقل الكثير منهم إلى قطاع غزة. أقدمت بعدها المنظمات اليهودية المسلحة بعد احتلالها للمدينة فى نوفمبر "١٩٤٨" على هدمها، وأقامت إسرائيل على أراضيها مدينة "أشكلون". ويعتبر الجامع الكبير من أبرز آثار المجدل بناه "سيف الدين سلار" من أمراء المماليك عام "١٣٠٠". محمد محمد حسن شراب، "معجم بلدان فلسطين"، ط٢، الأردن- عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ص٦٤٥-٦٤٧.

[2] إسدود: أشدود بالعبرية أو عربيًا إسدود بمعنى الحصن. هى قرية تقع فى شمال شرقى غزة، كان بها محطة سكة حديد – القنطرة- حيفا وتبعد عن يافا ٤١ كم وتبعد عن الشاطئ ٥ كم فهى مدينة ساحلية على ساحل فلسطين، يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد. دخلها الفلسطينيون فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد، وجعلوها إحدى مدنهم الخمس الرئيسة. تسيطر عليها إسرائيل منذ احتلالها عام "١٩٤٨" وتهجير سكانها من العرب. بعد الحرب أصبحت من أهم الموانئ على البحر الأبيض المتوسط، وقد هاجر معظم السكان العرب - من إسدود إلى مناطق أخرى مثل قطاع غزة، تبلغ مساحة المدينة ٤٧,٢٤٢ كم٢، واعتبرت كمدينة فى عام" ١٩٦٨". فاق عدد سكانها ٢٠٧,٨٠٠ نسمة (عام ٢٠٠٩) مما جعلها خامس أكبر مدن إسرائيل. وتقع فى منتصف المسافة تقريبًا بين يافا وغزة. نفس المرجع، ص ١١٣-١١٥.

وهذا الموقع سبب خسائر كثيرة لليهود، كانت هذه الفكرة قد قدمها الصاغ (أحمد فؤاد حسن)، لأن الجيش المصرى فى أثناء حرب فلسطين نشر جنوده كخط من رفح إلى أسدود، مما يمكن للعدو أن يستغل أى نقطة ضعف بالصف ويقوم بضربه، فقام الصاغ أحمد بانتقاد هذه الطريقة، وقدم لهم اقتراحه بعمل دفاع دائرى من جميع الجهات، وعندما قدمها فى تقرير لرؤسائه أحيل إلى استيداع فى اليوم التالى، لكن يوسف صديق اقتنع بها وقام بتنفيذها على أنها نقطة ملاحظة أى أقنعهم بالفكرة. وأطلق عليها الأوبى O.P وهى اختصار لكلمة Opservation Point (نقطة ملاحظة). وعندما بدأت القيادات تقتنع بهذه الفكرة انسحبت القوات من على الساحل إلى غزة؛ حيث أصبح بلا إمداد بسبب الخط، حيث قام اليهود أمام المجدل وخان يونس بإطلاق طلقات من الرصاص بمدفعين رشاشين فتم قفل الطريق [١] [٢].

كان ما قام به يوسف محل إشادة من القيادة العامة لحرب فلسطين، وقامت قيادة القوات فى فلسطين بإرسال الضباط إليه ليتدربوا على هذا الأسلوب التكتيكى الناجح، وبالرغم من ذلك فوجئ بعد فترة من صدور حركة الترقيات بتخطيه فى الترقية إلى رتبة بكباشى، كما تخطوا حسن الدسوقى فى الترقية إلى رتبة صاغ، وعندما سعى لمعرفة السبب وجد أن السبب المكتوب بالتقرير أنه لا يصلح للترقية بوجه عام، وعلم أن وراء ذلك التقرير المخابرات الحربية [٣].

وإزاء تلك المفاجأة والتناقض بين خطابات الشكر والتقدير من ناحية وتخطيه فى الترقية[٤] وهو يواجه العدو الصهيونى ويتعرض للموت فى كل لحظة من ناحية أخرى، تحرك صوت الشاعر داخل يوسف صديق فكتب قصيدة أرسلها لرئيس هيئة أركان حرب الجيش قال فى مطلعها:"

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١٩٩، ٢٠١-٢٠٢.

(٢) كان هناك عدد من الجنود لا يحملون مؤهلات، فيوجد منهم اللصوص، والهجامون، والخاطفون، فقام يوسف فى أيام الهدنة بالتسلية عليهم، فأخذ الجنود وقاموا بعمل دورية على المستعمرات اليهودية التى أمامهم وقاموا بسلب ما بها. نفس المكان.

(٣) علية توفيق، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٤) ملحق رقم (٧) طلب مقدم من يوسف صديق للقائد العام بالقوات المصرية المسلحة للنظر فى أمر ترقيته. حصلت الكاتبة عليه من السيدة سهير نجلة يوسف صديق، فى منزلها بمنطقة الدقى.

أمنتُ ظهرى بالحبيب مــن العـدا ∴ فأهابنى فيه الحبيب تعـــــمدا
ورميت بالسهمين .. سهــم شــاهد ∴ فى الصدر أنى ما تهيبت الردى
شهدت لى الأعداء عدلًا، يا تــرى ∴ سهم الأحبة ما عسى أن يشهـدا

كما أرسل قصيدة لوزير الحربية متظلمًا من تخطيه فى الترقية[1]"

قـــل للوزير وقد تبين حقُنــــا ∴ وولاؤنا ، مــــــا بالهُ نيسانــا
إنا لنطلبُ حـقـنـــا لا نبتغـــى ∴ من فضلهِ جودًا ولا إحسانـــــا.

و فى أثناء حرب فلسطين تم فتح باب الإجازات، وقامت كل وحدة بالسماح لنسبة من عساكرها بالنزول[2]، وأنزل يوسف صديق عساكره ببنادقهم. كان رأيه ألا يترك العساكر سلاحهم حتى يشعر المدنيون أن الجيش فى حالة حرب. وكان من جراء ذلك أن قبض البوليس الحربى فى مصر على أحد عساكر يوسف فأخذوا منه سلاحه وقاموا بترحيله، وأرسل قائد اللواء جوابًا سريًا إلى الصاغ يوسف منصور صديق يستفسر عن أسباب نزول العسكرى الإجازة، ومعه بندقيته. فرد عليه :" أرجو العلم بأن العسكرى فلان الفلانى ـ نزل إجازته ومعه بندقيته لأنها بندقيته ". هذا الرد أثار قائد اللواء وقام باستدعاء يوسف قائلًا له هل تمازحنى ؟ فى عسكرى يقوم بأخذ سلاحه عند نزوله إجازة ؟ كان رد يوسف عليه بأن هذه حالة حرب ولا يوجد سلاحليك يضع فيه العسكرى بندقيته، والكتيبة تتحرك. من الذى يحملها له ؟، فضلًا عن شرحه لأهمية نزول العسكرى الإجازة حاملًا سلاحه، ولشعوره بالظلم نظرًا لتخطيه فى حركة الترقيات بعد إرساله القصيدة إلى حيدر باشا[3]، نزل من فلسطين بملابس

---

(1) علية توفيق، المصدر السابق، ص٣٦، وفى ختام المقابلة بين اللواء عبد المجيد شديد والكاتبة، قام بإلقاء هذين البيتين، محضر نقاش، مع اللواء عبد المجيد شديد، فى القاهرة، فى منزلة بمنطقة جاردن سيتى، ٢٠١٥/٥/٥.

(2) ملحق رقم (٨) طلب مقدم من يوسف صديق لطلب إجازة. حصلت عليه الكاتبة من السيدة سهير نجلته الكبرى.

(3) محمد حيدر باشا: (١٩٢٠-١٩٦٥) هو فريق سابق فى القوات المسلحة المصرية، تولى منصب وزير الحربية والبحرية من ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ حتى عودة حكم الوفد فى ١٢ يناير "١٩٥٠" محتفظًا بمنصبه فى أربع حكومات متعاقبة. وقد اتهمته الصحافة بالإهمال

الميدان إلى مكتب رئيس أركان حرب الجيش. وحاول مدير المكتب تأجيل المقابلة على أساس أنه لم يتم تحديد موعد سابق، فقال له يوسف "أنا قادم من الميدان وعائد إليه ثانية وليس لدى وقت لأساليب الموظفين الجالسين داخل المكاتب الفاخرة بالقاهرة "[١]، وهذا يشير إلى مدى الرفاهية التى تنعم بها الرتب العليا فى حين أن هناك آلآفًا من الجنود فى أرض المعركة يتعرضون للموت فى كل ثانية ومنهم من ينال الشهادة.

وترك يوسف صديق المكتب وتوجه مباشرة إلى مكتب رئيس الأركان ودخل عليه بكل ما يحمل من غضب نتيجة الظلم الواقع عليه، مما جعل رئيس الأركان يبادر بإخبار يوسف بأنه صدر أمر بترقيته إلى رتبة (البكباشى) فى ذات أقدميته بين أقرانه، فسأله يوسف عن اليوزباشى حسن الدسوقى ؟ فأجابه بأنه سيرقى إلى رتبة الصاغ "، ويلاحظ هنا أن يوسف لم يطالب بحقه فقط فى أن ينال الترقية بل كان يهتم لأمر زملائه، فدائمًا ما يبحث عن الحق ولا يقول غير الحق[٢].

السؤال هنا ما رأى يوسف صديق من موقف الإنجليز فى حرب فلسطين؟ إن أكثر ما يلاحظ فى موقفه فهمه جيدًا للدور الذى يلعبه الإنجليز بأكثر من شكل: إما بإمداد اليهود بما يريدون من سلاح وترك الأرض لهم تخطيًا للأعراف والقرارات الدولية، أو دفع الأمريكان ليقوموا بنفس الدور إلى جانبهم ويتركوه لهم بعد ذلك، أو بخداع بعض الحكومات العربية فى هذا الوقت بطرق عديدة لتحقيق هذا الهدف، هدف تمكين اليهود من فلسطين لإضعاف العرب. وبعد

عندما تم اتهام ضباط الجيش المصرى وبعض الشخصيات المهمة؛ بارتكاب تجاوزات تتصل بصفقات شراء الأسلحة والذخيرة للجيش المصرى خلال حرب فلسطين، بصفته وزيرًا للحربية والبحرية عند وقوع تلك التجاوزات. كما أصبح وزيرًا للدفاع و البحرية فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر. و هو خال المشير عبد الحكيم عامر. يعتبر محمد حيدر باشا هو الرئيس الرابع لنادى الزمالك الرياضى، وأطول من جلس على كرسى الرئيس فى تاريخ النادى ٣٠ عامًا. رؤوف عباس حامد، شخصيات مصرية فى عيون أمريكية، القاهرة، دار الهلال، "٢٠٠١"، ص ٢٨-٢٩.

[١] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٢٠٠ - ٢٠٣.

[٢] نفس المرجع، ص ٧٤ .

الدور الذى قام به يوسف فى حرب فلسطين بموقع إسدود أبلى فيها بلاءً حسنًا فى وسط قدر كبير من شراسة الإنسان والسلاح، ولما كان عليه أن يكتب أوراقه بعد ذلك بسنوات كتب هذه العبارة التى تدل على وعى فائق بالدور الذى قام به الإنجليز ضد الشعوب العربية، قائلًا هذه العبارة:"وجاءت حرب فلسطين لتضع اللمسات الأخيرة كما يقولون فقد دُفع بالجيش المصرى والجيوش العربية الأخرى إلى المعركة على أساس أن يتلقوا ضربة قاضية من اليهود ويستنجدوا بإنجلترا التى تأتى من مركز قوة لتملى شروطها[1].

فقد ألقى بالجيش إلى الحرب الفلسطينية ولم يكن مستعدًا لها، فقد كان بلا سلاح كاف أو ذخيرة كافية، فضلًا عن كون الأسلحة فاسدة فقد كانت حاشية الملك تقوم بشراء أنواع رديئة من الأسلحة ،ويحاسبون الحكومة على أسعار أعلى ويفيدون من الفرق، وكانت البنادق التى اشترتها مصر من إسبانيا يرجع تاريخ صناعتها إلى عام "١٩١٢"، وهو ما عُرف بصفقة الأسلحة الفاسدة، لقيام الحكومة بشراء أسلحة أقل كفاءة لتوفير المال، وقاموا بتسجيلها على أنها أسلحة غالية الثمن، ومن المثير للدهشة أن الجيش دخل الحرب دون أن يقوم بأية مناورة للتدريب العملى طوال سنتين أو ثلاث سنوات سابقة على حرب "١٩٤٨"[2]. وانتشرت العديد من التساؤلات كيف دخلت مصر الحرب؟ وكيف دُفع إليها الجيش المصرى فجأة؟ ولم يكن مؤهلًا لخوض أى معارك، وكيف انتهت رغم شدة بلاء الجندى العربى بنكبة توالت وراءها الهزائم؟[3].

---

[1] مصطفى عبد الغنى، "أوراق يوسف صديق.. والدور المجهول!"، جريدة الأهرام، عدد ٤٠٩٨٥، ١٩٩٩/٢/٢٢، ص٢٦ ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٢٣.

[2] محمد نجيب، كنت رئيسًا لمصر، تقديم أحمد يحيى، ط١، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، سبتمبر "١٩٨٤"، ص ٧٢.؛ أسباب هزيمة العرب فى حرب فلسطين٤٨، انظر جمال شقرة، ، موسوعة مصر والقضية الفلسطينية، المجلد الثانى، تحرير أ.د عادل غنيم، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، "٢٠١٣"، ص ٤٩٣-٥٢٨. ؛ مجموعة من الكتاب والقادة الإسرائيليين، حرب فلسطين (١٩٤٧-١٩٤٨): الرواية الإسرائيلية الرسمية، ت: أحمد خليفة، فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤.

[3] لمزيد من التفاصيل عن دخول مصر حرب فلسطين "١٩٤٨" انظر، عبد الوهاب بكر محمد، الجيش المصرى وحرب فلسطين (١٩٤٨-١٩٥٢)، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢.

وعاد يوسف صديق من فلسطين وهو أكثر سخطًا واقتناعًا بأنه لا أمل في إصلاح الأوضاع، حيث إنه يرى أن سوء الإدارة وتردى الأوضاع السياسية فى البلاد هو ما تسبب فى حصار القوات المصرية بمنطقة الفالوجا، فعندما صدر له أمر بالانسحاب بقواته من موقعه كان لا بد أن يمر من خلال موقع الفالوجا، وكان يستطيع أن ينهى حصارها لكنه لم يكن يعلم بأمر حصارها إلا بعد أن تجاوزها بمسافة كبيرة ووصل إلى منطقة غزة[١]. كان يوسف يعتقد أن حصار الفالوجا أمرٌ مدبر بين السراى والإنجليز؛ لتبرير وقف القتال والانسحاب من معظم المواقع المتقدمة المهمة[٢]، بينما كانت مصر مشغولة فى الحرب، اختار الملك فاروق هذا التوقيت لإعلان طلاقه من الملكة، وكذلك قيام شاه إيران محمد رضا[٣] بطلاق الإمبراطورة أخت الملك فاروق[٤].

---

[١] علية توفيق، المصدر السابق، ص ٣٧ .

[٢] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٧٤ .

[٣] محمد رضا بهلوى: (١٩١٩-١٩٨٠) شاه(إمبراطور) إيران المخلوع وابن رضا شاه الكبير. خلف والده عندما استقال عام "١٩٤١" تحت ضغط أحداث الحرب العالمية الثانية، تزوج من فوزية أخت الملك فاروق فى "١٩٤٥"، ومن ثريا إسفنديارى فى "١٩٥١" وطلقهما، ثم من فرح ديبا فى "١٩٥٩" زوجته التى أنجبت له فى١٩٦٠وريثًا للعرش، حصل على عدة شهادات جامعية من أنحاء مختلفة من العالم. برز اسمه عالميًا عندما واجه محاولة تأميم النفط التى أقدم عليها رئيس وزراء إيران السابق محمد مصدق فى مطلع الخمسينيات. بدأ يرسخ نفوذه وحكمه، فأقدم على بعض الخطوات الإصلاحية الزراعية وأخذ يعزز الأجهزة الأمنية بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، التى حاولت أن تسخر إيران فى مخططاتها ضد عروبة الخليج وضد الحكم الوطنى فى العراق. اتبع سياسة خارجية توسعية وبالغ فى شراء أحدث الأسلحة الأمريكية وبكميات وفيرة بفضل دعم الغرب وأموال النفط، ورغم ميله قليلًا إلى سياسته العدائية للعرب؛ فإن تحالفه مع الصهيونية وعلاقاته الأمنية والاقتصادية والسياسية بقيت على حالها.أطاحت بحكمه ثورة شعبية عارمة أجبرته على اللجوء إلى الخارج بعد أن انهارت دعائم حكمه الإمبراطورى فى عام "١٩٧٩". عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق،ج١، ص٥٨٠-٥٨١. ؛ عبد الفتاح أبو عيشة، موسوعة القادة السياسيين عرب وأجانب، ط١، عمان- الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص٤٦.

[٤] محمد نجيب، المصدر السابق، ص ٦٥ .

وكان يرى يوسف صديق أنه وبالرغم من أن الملك فاروق لم يتعد عمره الثامنة والعشرين، إلا أنه لم يعرف كيف يحافظ على مصالحه، وقام ببيع الألقاب والمزايا الملكية، وكان يشترى بثمنها الفساد حتى أصبحت مصر فى تلك الفترة رمزًا لكل ما هو خطأ فى الشرق، فقد كان ملاك الأراضى يدفعون الرشا لموظفى الحكومة للتخلص من دفع الضرائب، وبدلًا من استغلال أموالهم فى مشروعات إنتاجية لتحسين أوضاع المعيشة، قاموا إما بتهريبها للخارج أو شراء العقارات دون أن يراعوا الغالبية العظمى من الشعب، التى كانت تعانى الحرمان، فلم تكن الحكومة قادرة على الإصلاح بل غير راغبة فيه، ومع ارتفاع الأسعار ارتفعت معدلات البطالة، ولم يجد خريجو المدارس الثانوية والجامعات وظائف يرتزقون منها، أما فى الريف فكانت الحالة أسوأ فقد ارتفع سعر القطن وارتفع ثمن الأرض مما زاد الإيجار على المستأجرين من الفلاحين فى حين أن دخلهم قل وأصبحت الأرستقراطية[1] حكرًا على العائلة المالكة[2].

وفى تلك الأجواء توارى أصحاب الشجاعة الذين لديهم رغبة فى الإصلاح، وكان الكثير منهم فى الجيش، وبعضهم قد فسد من الرشا وغيرها وفقد

(1) الأرستقراطية: Aristocracy كلمة يونانية الأصل تعنى (حكم الأفضل) وهى تسمية لطبقة اجتماعية تتمتع بالأصول النبيلة فى المجتمعات الأوروبية وينحصر فيها حكم البلاد، وصارت هذه اللفظة تشير إلى جميع العوائل الإقطاعية فى إنجلترا، فرنسا، روسيا، وتشير إلى القوة والسلطة وباتت نمطًا من أنماط الحياة فى العالم.وقد أطلق مصطلح أرستقراطى للمرة الأولى فى أثينا على صغار المواطنين (رجال الطبقة الحاكمة) الذين قادوا الجيوش من الخطوط الأمامية، ونظرًا لبسالة العسكرية فكانت تُقدر كثيرًا باعتبارها فضيلة فى اليونان القديمة، حيث كان يفترض أن من يقود الجيش هم صفوة المجتمع وأصبح يطلق عليهم طبقة النبلاء ..وقد هاجمت الثورة الفرنسية الطبقة الأرستقراطية فى أوروبا؛ نظرًا لأنهم حصلوا على مكانتهم لمجرد ولادتهم فى عائلات ثرية ولم يستحقوها عن جدارة، وهو ما كان يعد أمرًا غير عادل فى المملكة المتحدة وغيرها من الدول الأوروبية مثل إسبانيا والدنمارك؛ حيث ما زال يعترف بالألقاب الموروثة . تاريخيًا ترتكز الأرستقراطيات على الأراضى المملوكة وعلى مبدأ الوراثة. وقد ترتكز الأرستقراطية على الثروة والأرض كما فى قرطاجة القديمة وفينسيا(البندقية) فى العصور الوسطى، وقد تكون دينية كالطائفة البرهمية فى الهند. والمبدأ الديمقراطى عدو للمبدأ الأرستقراطى. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج١، ص١٤٧.

(2) محمد نجيب، المصدر السابق، ص٦٦.

الإحساس بالأهداف الوطنية، ولكن الغالبية العظمى ظلت مخلصة تعرف ما يحدث فى بلدها وتسعى للتخلص منه[1]، لذلك بات يوسف على يقين أنه لا حل إلا بتغيير الأوضاع كلية، فضلًا عن قيامه بتوعية من حوله عن طريق الحديث حول الأوضاع الاقتصادية المتدهورة نتيجة فساد الأوضاع السياسية فى البلاد، وتوسيع الأفق من خلال التفكير فى حلول لتحسين تلك الأوضاع، كان يقوم بالتعبير عن سخطه وغضبه بقصائده الشعرية التى كانت تحشد النفوس ضد الظلم والسخط. وعقب عودته من فلسطين كان لا يهدأ فى الصباح يقوم بعمله فى الجيش، ومساءً يلتقى بالضباط يتحدثون عن الأوضاع وعن أحداث فلسطين والإنجليز والسراى، فضلًا عن قيامه بعدة لقاءات بالعديد من السياسيين الذين ينتمون إلى اتجاهات سياسية مختلفة[2].

---

[1] نفس المكان.

[2] علية توفيق، المصدر السابق، ص ٤١.

رابعًا- موقف الحرس الحديدى[1] من يوسف صديق:

ذات يوم ذهب جندى إلى منزل يوسف وسأل زوجته السيدة (علية توفيق) عن البكباشى يوسف صديق فأخبرته أنه موجود، فترك معها خطابًا مغلقًا مكتوبًا عليه " البكباشى يوسف صديق " وفى أعلى المظروف عبارة(سرى للغاية) وطلب الجندى منها تسليم الخطاب له وانصرف مسرعًا دون أن ينتظر ليتأكد من تسليم الخطاب ليوسف، وعندما فتح يوسف الخطاب وجد به ورقة

---

[1] الحرس الحديدى: تنظيم سرى لم يكن أحد يعلم عن هذا التنظيم اللغز شيئًا حتى تحدث "سيد جاد" أشهر أعضائه وأكثرهم معرفة بأسراره، كانت مصر فى تلك الفترة مليئة بالتنظيمات السرية التى ولدت وعاشت تحت الأرض مثل تنظيم الإخوان المسلمين وغيرها ، ولكن كان أكثرهم سرية وغموضًا ذلك التنظيم العسكرى الذى أنشأه الملك فاروق شخصيًا ليواجه به التنظيمات السرية المعادية لنظامه الملكى. وقد اختير له اسم الحرس الحديدى، فذلك تعبيرًا عن رغبة الملك فى أن يظل التنظيم حديديًا حين يواجه أعداءه. ولكى ينجح "الحرس الحديدى" فى مهمته التى أوكلها إليه الملك وهى التخلص من الخصوم والأعداء إلى حد اغتيالهم إذ كانت هذه إرادة الملك فقد أُختير أعضاؤه من الضباط فقط ، ولكن الأكثر ولاء للملك والأكثر حرصًا على كسب رضاه الملكى، وكان "سيد جاد" الذى ولد فى ١٥ أبريل "١٩١٦" وكان أحد الذين درس لهم يوسف وربطتهم به علاقة مودة وتقدير واحدًا من هؤلاء الضباط الذين وقع عليهم الاختيار ليفدوا الملك بأرواحهم إذا لزم الأمر. ولكن "سيد جاد" وعددًا آخر من زملائه الضباط من أعضاء التنظيم الملكى لم يمنحوا الملك فاروق سوى نصف ولائهم أما النصف الآخر فقد منحوه لتنظيم سرى آخر كان شديد العداء للملك ، بل إنه التنظيم الوحيد الذى نجح فى التخلص من النظام الملكى ... وهو الضباط الأحرار ، ولم يكن سيد هو الضابط الوحيد الذى منح ولاءه المزدوج لكلا التنظيمين معًا، فقد كان (حسن تهامى، خالد فوزى ، أنور السادات، عبد الرءوف نور الدين، حسن فهمى عبد المجيد، يوسف رشاد، عبد الله صادق) معهم. ولكن لماذا انضم هؤلاء لتنظيم يدافع عن الملك .. وآخر يهاجمه ويسعى للتخلص منه ؟ ولأى من التنظيمين كان ولاؤهم الحقيقى ؟ وكيف كانوا يتصرفون للموازنة بين الولاءين؟ هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة المهمة لم يكن يعلم أحد لها إجابة محددة، حتى جاء "سيد جاد" ليضعنا أمام عالم من المعلومات كان ينقصنا لمعرفة التاريخ الحقيقى لمصر فى تلك المرحلة الخطيرة . "سيد جاد"، الحرس الحديدى كيف كان يتخلص الملك فاروق من خصومه؟، ط١،القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،" ١٩٩٣"، ص ٦. انظر كذلك حسن عزت ، قصتى مع العمالقة والأقزام السبعة وثامنهم هيكل، ط١، "١٩٨٥"، ص ١٥٧- ١٦٢.

بيضـاء صـغيرة مكتوبًـا عليهـا " تخلـص مـن صـديقيك الجديـدين مرتضـى المراغى[1] وصلته معلومـات "، التوقيـع: "صديق"، وكـان وزيـر الداخليـة فـى ذلك الوقت هو المراغى. والصديقان همـا ضـابطان كـان يتحدث إليهمـا عـن الأوضاع المتردية فى البلاد، ويسعى لتجنيدهما ضد السراى، وكانا قد اتفقا مع يوسف على مقابلته مساء نفس اليوم بشقة أحدهما وقالا لـه إنـه يوجد حفل عيد ميلاد، وخلال الحفل يمكن أن ينفردوا ببعضـهم فـى مكـان آمـن ويتحدثوا كمـا يشاءون[2].

فـى ذلك الوقت كـان يوسف يحـاول إثـارة الجيش ضـد السـراى، ويرسـل المنشـورات إلـيهم بالبريـد. وقـرر يوسـف صـديق أن يتـأخر عـن موعـده مـع الضـابطين بعض الوقت سـاعة أو سـاعتين، ثـم توجـه إلـى العنـوان المُعطـى لـه فوجد حارس العقار جالسًا أمامه، فسأله عن الشقة التى بها حفل عيد الميلاد، فأجابه بعدم وجود حفلات بالعقار، فسأله يوسف عن شقة الضـابط " فـلان " فأشـار إليهـا الحـارس وأضـاف بـأن الضابط خـرج مـنذ فتـرة قصيرة، وتذكر

[1] هو أحمد مرتضى المراغى، آخر وزير داخلية فى عصر الملك فاروق، قام بكتابة مذكرات له بعنوان" غرائب من عهد فاروق وبداية الثورة". ما زال حكم الملك فاروق موضوعًا مثيرًا للجدل، وبه الكثير من المناطق الغامضة والمجهولة، بما ثار من أساطير حول شخصية الرجل من ناحية، وعلاقاته بالإنجليز من ناحية أخرى، وفى السنوات الأخيرة أعيد الموضوع ليُفتح من جديد، ولتثار أسئلة عديدة لم تُطرح من قبل. وهو ما يضع هذا الكتاب فى قائمة أهم ما صدر حول الملك المخلوع، وكذا طبيعة الصراع السياسى فى مرحلة ما قبل الثورة، إن الكتاب هو شهادة أحمد مرتضى المراغى الذى شغل منصب وزير الداخلية المصرية على مدار ثلاث حكومات، كانت كلها فى عام "١٩٥٢"، وكان آخر أيامه على كرسى الوزارة هو يوم ٢٤ يوليو "١٩٥٢".ويستعرض المؤلف من خلال هذه المذكرات سيرة فاروق منذ طفولته وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ملقيًا الضوء على ما اشتهر عن آخر ملوك مصر من غرابة الأطوار، مثلما حدث عندما أراد أن يطلق زوجته، وسبب انكساره العنيف بعد حادث ٤ فبراير، ووسائله فى إزاحة خصومه وجلسات الحشيش والخمر، وكذا علاقته بالإخوان المسلمين.. وغيرها من أسرار ووقائع تنشر للمرة الأولى. لقراءة المزيد عن أحمد مرتضى، انظر أحمد مرتضى المراغى، غرائب وعجائب من عهد فاروق وبداية الثورة المصرية، بيروت، دار النهار، ١٩٧٦.؛ رؤوف عباس حامد، المرجع السابق، ص٣٣-٣٤.

[2] علية توفيق، المصدر السابق، ص٤٢.

زوجته السيدة علية توفيق أن هذه الرسالة التحذيرية تمثل لهم علامة استفهام، فظن البكباشي يوسف أن الذى أرسلها هو القائمقام على نجيب شقيق اللواء محمد نجيب الذى كان يشغل منصبًا مهمًا بالبوليس، حيث كانت تربطه به صداقة ومودة وهو شخصية وطنية، وهناك من قال إن الذى أرسل هذا الخطاب هو تنظيم الضباط الأحرار بصفة عامة، وهناك من قال إن الذى أرسله هو الصاغ عبد الحكيم عامر[١] نتيجة معلومات وصلته من مكتب حيدر باشا وزير الحربية. وعندما صدر قرار نقل يوسف إلى السودان ... ثار وغضب وفكر فى عدم تنفيذ أمر النقل، فأرسل له تنظيم الضباط الأحرار نصيحة بتنفيذ أمر النقل وقام بالذهاب إلى السودان بعد أن تخلص من الكمين الذى أعد له بمعرفة تنظيم الحرس الحديدى[٢].

فيما بعد علم يوسف أن تلك الرسائل المجهولة كانت تصله من الضباط الأحرار، حيث كان يوجد بالتنظيم من كان - أيضًا - أحد أعضاء الحرس الحديدى الذين كان لديهم ولاء مزدوج لكلا التنظيمين، وكان يوسف صديق يعلم أن "سيد جاد" أحد أفراد الحرس الحديدى الملكى، وكانت رواية "سيد جاد" بهذا الأمر بأن يوسف قدم له مجموعة من المنشورات التى يصدرها الشيوعيون فى مصر، وحاول إقناعه بالانضمام إلى هذا التيار، إلا أن "سيد جاد" لم يطمئن

---

(١) محمد عبد الحكيم عامر: (١٩٢٠-١٩٦٧) مواليد ديسمبر "١٩٢٠" أسطال ، المنيا ، التحق بكلية الزراعة قبل الكلية الحربية، وأمضى بها ستة شهور، ربطته علاقة صداقة بجمال عبد الناصر بدأت عندما التحق عبد الحكيم بالكلية الحربية "١٩٣٧"، كان جمال عبد الناصر هو رئيس فريق بالكلية ومسئولًا عن تدريب عبد الحكيم ، ودامت صداقتهما ما يقرب من ثلاثين عامًا ، وقد ذكر المؤلف " جورروج فوشيه " فى كتابه (جمال عبد الناصر وصاحبه)، أن عبد الحكيم كان شغوفًا بقصص الأسفار والمغامرات، وكان إذا تواجد جمال تواجد عبد الحكيم، وكان لقاؤهما فى مكتبة الكلية ، والاثنان كانا جديرين بحياة العسكرية ومثالًا للالتزام واحترام اللوائح والنظم العسكرية وكانت حياة العسكرية تروق لهما ، شغل عدة مناصب فقد شغل منصب مشير وقائد عام للقوات المسلحة،ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، توفى عام "١٩٦٧"، وصارت بعض الشكوك حول وفاته ، بعض الآراء ترى أنه قُتل والبعض الآخر يرى أنه انتحر ، لمزيد من التفاصيل انظر. رشاد كامل، "حياة المشير محمد عبد الحكيم عامر"،، ط١ القاهرة، دار الخيال ، يناير ٢٠٠٢.

(٢) علية توفيق، المصدر السابق، ص٤٢-٤٣.

ليوسف صديق، ووصف موقفه من الصهاينة فى فلسطين بأنه مائع. فوجد أنه من الضرورى إخطار الحرس الحديدى بذلك، فذهب وأخطر أحد أعضاء تنظيم الملك (الحرس الحديدى)، وعندما سأله عن الرجل الذى يقود هذه العملية، امتنع عن ذكر اسمه إلى أن يقابل الملك ويضمن له الأمان، الذى وثق به حتى لا يتسبب له فى الضرر لا سيما أنه كان يعول أسرتين، علمًا بأنه قد تم تهديد سيد جاد بالقتل إن لم يخبرهما باسم الضابط الذى ينشر الشيوعية فى الجيش، ولم يهتم بأمرهما حتى تدخل الملك ليحل الأزمة، فأعطى الأمان لهذا الضابط ووعد بألا يضره. ولكن ضابط البوليس " عبد الله صادق " أرسل خطابًا سريًا إلى يوسف صديق وأخبره أن "سيد جاد" أوشى به، وأنه أصبح الآن تحت المراقبة وسيهاجم فى وقت قريب .. وهذا هو الخطاب المجهول الذى أرسل ليوسف وحذره بأن يتخلص من صديقيه(١).

وقد ذكر "سيد جاد" فى مذكراته.. أنه على أثر الخطاب قام بإحراق جميع الأوراق التى كانت فى حوزته، وحمل مدفعًا رشاشًا أخذ يطوف به حول منزل خطيبتى فى حى " الزيتون " ولكنى فى الغالب لم أكن موجودًا هناك، وذهب "سيد جاد" إلى منزل يوسف صديق ليلًا وأحرق كل ما كان يضعه فى الحديقة من أثاث وأدوات وتوقف عما يقوم به وصدر أمر بنقله إلى السودان، وأن يوسف صديق لم يكن يعلم أنه وراء العفو الملكى الذى صدر بشأنه(٢).

هناك تناقض فى رواية "سيد جاد"، فكيف أنه أبلغ عنه الحرس الحديدى حين ذكر أنه أيقن أن الرجل- حسب روايته- خان وطنه، ووصفه بمذكراته التى تم نشرها بأنه فى منتهى الشجاعة والقوة وضابط عظيم بالجيش؟! قائلا.." كان

---

(١) سيد جاد، المصدر السابق، ص٢٩.

(٢) نفت السيدة سهير نجلة يوسف صديق هذا الحدث قائلة " إنه فى تلك الفترة كان يوسف صديق فى منقباد علاوة على ذلك فلا أحد من الجنود يملك رشاشًا؛ مرددة بأن هذا كذب وافتراء ليس له أساس من الصحة .. وأضافت أن الرسالة جاءت إلى منزلهم بحلمية الزيتون وقامت والدتها السيدة توحيدة صبرى بالاتصال بيوسف صديق من بيت اللواء فريد عبد الله الذى كان صديقًا لعائلتهم وأبلغته فى منقباد بأمر رساله التحذير التى أتت إلى والدها بأن يقوم بتنفيذ أمر النقل إلى أسوان " . مكالمة تليفونية مع السيدة سهير صديق ٢٠١٤/٢/١٥ الساعة ٨ مساءً.

يوسف منصور صديق أحد الذين يدرسون لنا في الكلية الحربية، ومن صفاته الشجاعة والقوة ، ناهيك بفقره كذلك، وقد كان يحبني وكنت أبادله الحب وأقدره، وكضابط عظيم في الجيش كان يعرف أنني أحد أفراد الحرس الحديدي الملكي"[1]. فضلًا عن وجود شيء يُثير التساؤل، ومعلوم أن الملك كان يحارب الشيوعية، ويخشى أن يمتد نفوذها داخل الجيش، وإذا كان الملك حقًا علم بأمر يوسف فهل كان سيكتفي فقط بنقله؟! بالطبع لا فإنه كان سيأمر باعتقاله على الفور والتحقيق معه حتى يعلم من هم زملاؤه الذين يروجون للشيوعية داخل الجيش. كان يوسف صديق يؤمن بأفكار الشيوعية، وهذا محل دراسة في الفصل الثاني.

خامسًا- نقله إلى السودان:

قام يوسف بالعمل بالنصيحة ونفذ أمر نقله إلى السودان، وقد حفلت تلك الفترة بداية من عام "١٩٥٠" بعديد من الأحداث؛ حيث تولى منصب أركان حرب القوات المصرية بالسودان، وبدأ بتنظيم حلقات لتوعية الضباط الذين يختارهم ويحثهم على ضرورة التغيير نظرًا لسوء الأوضاع السياسية وفساد الحكم. وخلال تلك الفترة اصطدم يوسف صديق بقائد عام القوات المصرية بالسودان، لما كان يشوب تصرفاته من أمور تسيء إلى سمعة وكرامة القوات المسلحة المصرية، كقيامه بالانحناء وفتح باب سيارة قائد القوات البريطانية بالسودان، فقد التقطت وسائل الإعلام السودانية صورًا فوتوغرافية عدة لهذا المشهد المهين في إحدى المناسبات (مناسبة الاحتفال باعتلاء فاروق العرش)، وقام يوسف بكتابة تقرير لرئاسة الجيش بالقاهرة ضمنه تصرفات القائد العام المصري، والصور التي تم التقاطها له وهو ينحني ويفتح باب السيارة للقائد العسكري الإنجليزي، علاوة على بعض المستندات التي تدين سلوكه وتصرفاته، وبعد أيام قليلة علم القائد العام وزوجته بالتقرير الذي أرسله يوسف لرئاسة الجيش، وعلى أثر هذا صدر كشف تنقلات به اسم واحد فقط هو اسم البكباشي يوسف منصور صديق، ونقله إلى منقباد بمديرية أسيوط[2].

---

(١) سيد جاد، المصدر السابق، ص٢٩.

(٢) علية توفيق، المصدر السابق، ص٤٣.

ونفذ صديق قرار النقل فى مايو "١٩٥٠"، وهناك التقى بضباط آخرين لديهم الحماس الوطنى ويفكرون فى الخلاص- مثله- من تلك الأوضاع، وفاض الكيل بيوسف ووجد أنه لا بد من تغيير الأوضاع وفكر فى تحريك قواته من منقباد إلى القاهرة. خلال إحدى المناورات ومهاجمة رئاسة الجيش واحتلالها، وتحركه هذا سوف يساعد فى تشجيع الوحدات الأخرى على التحرك، وقد كلف الضابط المختص بتقديم تقرير له عن حالة المعدات العسكرية، وجاء تقرير الضابط المختص مؤكدًا سوء حالة المركبات، مما جعل يوسف يرجئ ويأمل فى فرصة أخرى مواتية - حسب روايته -[1]. وحتى إن جاءت التقارير تُفيد بأن حالة المركبات جيدة فماذا كان سيُجدى ذلك؟ فتفكيره به نوع من التسرع؛ لأن نجاح أى عمل ثورى متوقف على مدى الاستعداد والترتيب له وفق خطة مسبقة تضمن له السيطرة على أهم مراكز السلطة.

خلال فترة خدمته بالجيش عُرف يوسف ببلاغته وفصاحته مما دفع زملاءه الضباط إلى الاستعانة به فى الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية، وكان قانون المحاكمات العسكرية يسمح للضابط المحال إلى المحاكمة بأن يستعين بمحام من خارج الجيش مع صديق من الضباط يساعد المحامى المدنى فى الدفاع عنه. ولكن بعض الضباط لم يكن لديهم المقدرة لتوكيل محام مدنى فكان يكتفى بضابط يدافع عنه، وقد اشتهر يوسف بأنه محام بارع يحفظ القانون، طلق اللسان، شجاع الرأى، خطيب مفوه يستطيع بقوة أن يقنع القضاة[2].

وبناءً على ما سبق فإن حياته بالجيش كانت مليئة بالأحداث وكانت مواقفه حاسمة وواضحة لم يشغله سوى قول الحق، مهما كلفه ذلك، مما جعله عرضة لكثرة التنقلات فعندما تخرج تم تعيينه فى السلوم عام "١٩٣٣"، ثم نقل إلى منشية البكرى بالقاهرة، ثم إلى المعادى ومنها إلى الإسكندرية بمنطقة الدخيلة، ثم عاد مرة أخرى إلى منشية البكرى ومنها إلى مرسى مطروح عام (١٩٣٨-١٩٣٩)، إلى أن عين مدرسًا بالكلية الحربية عام (١٩٣٩-١٩٤١)، والتحق بكلية أركان حرب عام "١٩٤٢"، وعمل بالسجلات العسكرية، ثم إلى

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٧٨.

(٢) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ٢١٨.

الإسماعيلية بعد حفلة وداع الأميرالاى عبد الواحد سبل عام "١٩٤٥"، وعاد إلى القاهرة مرة أخرى إلى أن ذهب للمشاركة بحرب فلسطين عام "١٩٤٨"، ومن ثم عاد بعد انسحاب القوات المصرية من الأراضى الفلسطينية إلى القاهرة، ومنها السودان عام "١٩٥٠"، ثم منقباد وتم نقله بعد شهرين إلى القاهرة مرة أخرى، ثم القنطرة غرب وشرق ومنها للعريش عام "١٩٥٢" ثم القاهرة[1].

وبذلك تشكل نشأة وتطور حياة يوسف صديق صفحة مشرفة أثرتها حياته العسكرية التى جعلته يشارك فى تكوين الجيش المصرى، فى المواقع العديدة التى عمل بها وفى حرب فلسطين "١٩٤٨"، وفى انضمامه ومشاركته للأحزاب والتنظيمات على الساحة السياسية، حتى لفت أنظار الضباط الأحرار الذين سيشاركهم بعد ذلك فى أحداث ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، على نحو ما سوف يتضح جليًا فى الفصل الثانى.

---

[1] محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٣٥- ٣٦.

الفصل الثانى

يوسف صديق وتوجهاته الأيديولوجية

أولًا: الأحزاب والصراعات السياسية.

ثانيًا: الجماعات الأيديولوجية.

- جماعة الإخوان المسلمين.
- جمعية مصر الفتاة.
- اليسار الماركسى انضمامه إلى منظمة حدتو.

ثالثًا: انضمامه لتنظيم الضباط الأحرار.

قُدر ليوسف صديق أن يعيش فى فترة عامرة وغامرة بالحركة السياسية، حيث نشطت الأحزاب والقوى السياسية التى تأسست مع مطلع القرن العشرين وفى منتصفه، لتطالب بالاستقلال وتحقيق العدالة الاجتماعية، ولم تهدأ هذه الحركة بعد دخوله الكلية الحربية، بل ازدادت وهجًا وهو الأمر الذى دفعه للاختيار من بينها. وكان على يوسف صديق وهو يتحسس طريقه أن يختار أى حزب أو أى جماعة أيديولوجية يؤمن بها، ويتصور أنها ستحقق أحلامه وأحلام بلاده.

فى تلك الأثناء بلغ الصراع على السلطة بين القصر الملكى والأحزاب السياسية فى مصر حدته وذروته[1]، كما حاول القصر الهيمنة على الحياة الحزبية، مما أثر على مجريات الأمور السياسية ووضع البلاد، وتعددت الأحزاب السياسية التى كان لها دور فى توجيه الشباب وتوعيتهم عن طريق دعوتهم للانضمام للأحزاب، كما ظهر كثيرٌ من التناقضات بين الأحزاب وموقفها حيال الدستور، كحزب الوفد وهو حزب الأغلبية وحزب الأحرار

---

[1] ظهر مصطلح الأحزاب السياسية إلى الوجود فى القرن التاسع عشر، عندما ظهرت فكرة الحكومة النيابية، وأصبحت الأحزاب السياسية تمثل جوهر النظام الديمقراطى الأوروبى "أوروبا الغربية" والولايات الأمريكية المتحدة. ولعل الدوافع الأساسية التى أدت إلى نشأة الأحزاب اختلاف الناس فيما بينهم فى بلدان العالم، وظهورها فى الدول المتقدمة يعد ظاهرة صحية، أما فى الدول النامية فإن ظاهرة الحزب الواحد أو تعدد الأحزاب؛ فإنه يخلق مناخًا غير صحى لحركة التطور والتقدم. محمود متولى، "مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة "١٩٥٢"، سلسلة محكمة التاريخ، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، "١٩٨٠"، ص٦.

الدستوريين، والحزب الوطنى وظهور ما يعرف بأحزاب القصر؛ كحزب الشعب وحزب الاتحاد، والدور الذى لعبه حزب الوفد فى الحياة البرلمانية، فضلًا عن محاولة القصر الاستيلاء على الحزب الجماهيرى "حزب الوفد". ومع توالى الأزمات الدستورية ومحاولة إقصاء الوفد عن الحكم، كل ذلك كان له أثره الكبير على الشعب. كل هذه الأحداث لم يكن الجيش بمنأى عنها فظهرت بعض الجمعيات السرية محاولة ضم ضباط الجيش غير الراضين عن تلك الأوضاع فى البلاد [1]. وأصبحت الساحة السياسية مفتوحة للإخوان المسلمين، والشيوعيين، وجمعية مصر الفتاة.

لذلك كان أول ما جال بخاطر يوسف صديق هو محاولة الانضمام إلى أى من الأحزاب المطروحه على الساحة السياسية، ومن البديهى أن يُفكر أن يبدأ طريقه بالانضمام إلى الحزب الذى أثر فى أفكاره منذ الصغر ألا وهو حزب الوفد ثم انضم لجمعية مصر الفتاة، أما الجماعات الأيديولوجية فقد لفتت نظره أيضًا لذلك انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، إلا أنه سرعان ما انفصل عنها، كما انضم إلى حدتو [2]، وكانت له آراء فى أفكارهم، وأخيرًا وجد ضالته بانضمامه إلى جماعة الضباط الأحرار فى عام "١٩٥١".

---

[1] يونان لبيب رزق وآخرون، "الأحزاب المصرية (١٩٢٢- ١٩٥٣)، تحرير رءوف عباس حامد، القاهرة، مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية، "١٩٩٥"، ص ٢٦٤- ٢٦٨.

[2] حدتو: اختصار لحركة التحرر الوطنى؛ هو حزب سياسى مصرى ماركسى، تكون فى "١٩٤٧" بانضمام عدة منظمات ماركسية، أهمها: الحركة المصرية للتحرر الوطنى التى أسست فى "١٩٤٢" من عصبة الشيوعيين وشعوب وادى النيل، ومنظمة إيسكرا تعنى الشرارة، وقد أصدرت صحفًا كان أهمها فى "١٩٤٧" جريدة الجماهير الأسبوعية. نشطت بين الطلبة والعمال. عندما أعلنت الأحكام العرفية مع حرب فلسطين فى مايو "١٩٤٨" فاعتقل الكثير من أعضائها ، وقد استطاعوا فى المعتقل أن يعقدوا اتصالات مع شباب من الوفد ومصر الفتاة والإخوان المسلمين. وشهدت هذه الاتصالات نشاطًا أوسع بعد الإفراج عن المعتقلين فى عام "١٩٥٠". أصدرت صحفًا أهمها صحيفة الملايين الأسبوعية، وصار لها نفوذ على بعض نقابات العمال. ودعت غيرها إلى تكوين جبهة وطنية تضمها مع يسار الوفد والحزب الاشتراكى. تحددت أهدافها وقتها فى جلاء المستعمر والكفاح المسلح ورفض الأحلاف العسكرية وتأميم قناة السويس فضلًا عن

أولًا- الأحزاب والصراعات السياسية:

الأحزاب السياسية تحتل مركزًا مهمًا من مراكز العملية السياسية في كافة النظم كافة. وهي تمثل القوى الاجتماعية، والوسيلة التي تستطيع عن طريقها الطبقات والمحليات والجماعات العنصرية وغيرها السعي لتحقيق أهدافها. وتعمل الأحزاب في المجتمعات الديمقراطية كأدوات لحل الصراعات وتمثيل المصالح المختلفة[1]. تختلف الأحزاب السياسية عن جماعات المصالح أو جماعات الضغط[2] وكذلك عن النقابات المهنية والعمالية من حيث إن الأخيرة

إطلاق الحريات السياسية وتحديد الملكية الزراعية، واتفقت في هذه الأهداف مع كثير من التنظيمات الشعبية الأخرى. كان لها نشاط بالجيش كما أشارت الكاتبة في المتن سابقًا. أيدت ثورة ٢٣ يوليو عند قيامها ثم هاجمتها بعد اعتقال الشيوعيين. اتخذت سياسة الجبهة مع الإخوان المسلمين والوفد في "١٩٥٤". أيدت عبد الناصر في "١٩٥٥" بعد مؤتمر باندونغ وإبرام صفقة الأسلحة الروسية. عندما تم تأميم قناة السويس "١٩٦١" بلورت خطًا سياسيًا أساسه وجود جماعة اشتراكية في السلطة، يمكن بواسطتها إنجاز المهام الثورية. وأدى هذا إلى قرار حل التنظيم في "١٩٦٤" عقب الإفراج عن المعتقلين. وذلك توطئة لانضمام منظمات الحكومة؛ وكانت لائحة التنظيم الشيوعي تنص على أن الاتصال الجانبي مع عضو من نفس التنظيم جريمة يتم العقوبة عليها، وذلك بلفت النظر أولًا ثم بالفصل من التنظيم ثانيًا. كما لا يسمح لأحد أعضاء التنظيم الواحد بالاتصال بعضو من تنظيم آخر دون قرار من اللجنة المركزية. كانت سياسة التنظيم هي الهجوم المستمر على التنظيمات الشيوعية الأخرى المعادية لها. عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج٢، ص٢٢٨؛ مصطفى طيبة، الحركة الشيوعية المصرية (١٩٤٥- ١٩٦٥)، ط١، القاهرة، سينا للنشر، "١٩٩٠"، ص٢٥، ٢٦.

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأحزاب السياسة وجماعات المصلحة والضغط، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، "٢٠٠٨"، ص ٢١ .

[2] وهي أنواع منها ما هو سياسي، ومنها ما هو نقابي أو مهني أو اقتصادي بقصد المنفعة المادية الذاتية أو الفئوية، ومنها ما هو إنساني للبحث عن رعاية للطفولة أو العناية بكبار السن أو الرأفة بالحيوان. ومنها ما هو محدد بغرض الدفاع عن مصالح الدول الأجنبية داخل الدولة، وتعتمد جماعات الضغط في وسائلها على الاتصال المباشر بأعضاء الحكومة، وبأعضاء المجالس التشريعية. وقد تستخدم في ذلك وسائل الإقناع والمعلومات والهدايا، أو الوعود بالتبرعات أثناء الحملات الانتخابية أو ما شابه ذلك . عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج٢، ص٧٢.

تعبر عن رغبات أو احتياجات أو مطالب قطاعات معينة من السكان، وهى هيئات لها اهتمام واحد، وبذلك فهى تقوم بدور الوسيط بين هذه القطاعات وصانعى القرار السياسى، ومن ثم فإنها عامل مؤثر فى السياسية العامة. أما الأحزاب فهى متعددة الاهتمامات، فهى تقوم بوظيفة تجميع وتمثيل جماعات المصالح. وتُعَد الأحزاب السياسة إحدى أهم وسائل التنمية السياسية، فكما تعتَبر استخدام التكنولوجيا وغيرها وسيلة من وسائل التحديث الاقتصادى، تُعتَبر الأحزاب السياسية وسيلة من وسائل التحديث السياسى[1]. فالأحزاب السياسية وهى تسعى للوصول إلى السلطة بالرقابة على أعمال السلطة التنفيذية، وتعد هذه الرقابة من أقدم الوظائف التى تقوم بها الأحزاب [٢].

تهدف تلك الرقابة إلى نقد الأحزاب للسلطة التنفيذية والرقابة على الإدارة، وإسماع السلطة المطالبَ العامة، وطرح البدائل والحلول، التى تتوافق مع أفكارها ومبادئها. وهذا ما قام به حزب الوفد إذ بدأ كحركة سياسية للمطالبة باستقلال البلاد، دون أن يكون حزبًا سياسيًا بالمعنى المفهوم. بيد أنه من تتبع الإطار الحركى انخرط فى الصراع الحزبى وهو بصدد الدفاع عن قضية الاستقلال، وتولى الحكم منفردًا أو مؤتلفًا مع غيره من الأحزاب السياسية مما أكد على صفته الحزبية. كما ظهر على الساحة أيضًا حزب الأحرار الدستوريين، الذى كانت نواته لجنة الثلاثين التى تولت إعداد مشروع الدستور، والذى تم إعلانه فى ٣٠ أكتوبر عام "١٩٢٢"، ورغم تذبذب علاقتهم بالقصر الملكى بين التأييد والمعارضة، فإنهم احتفظوا بعلاقات طيبة مع قصر الدوبارة فى غالبية أطوارها[٣].

أما الحزب الوطنى فرغم ضروب الاعتقال والنفى والتشديد التى لحقت بزعامته، وأثرت على فاعليته إلى حد كبير فى ظل الأحكام العرفية، فإنه سعى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى إلى إعادة بناء كيانه من جديد أملًا فى أن يستعيد مكانته على الساحة، وإن ظل على ولائه للعرش وعدائه التقليدى لوجود

---

[١] حسين عبد الحميد رشوان، المرجع السابق، ص١٦.

[2] J.Blondel، "*comparative Legislature*"،new jersey: Englewood Cliffs، prentice Hall،inc،1973 ،p.82

[٣] حسين عبد الحميد رشوان، المرجع السابق، ص٢١-٢٢. ؛ أحمد زكريا الشلق، حزب الأحرار الدستوريين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، ص٢١٧.

الاحتلال. ولعل الهدف الرئيس من الرقابة الحزبية هى؛ وضع القيود على السلطة التنفيذية كى لا تنفرد بالحكم وتصبح سلطة مطلقة مثلما حدث فى مصر وكانت الكلمة العليا للقصر الملكى[1]. إذ راح الملك فؤاد يتحرك فى اتجاهين:

الأول: محاولة الخروج من دائرة الوصاية البريطانية.

والثانى: تدعيم ركائز حكمه كمؤسسة سياسية بعد أن تداعت فى ظل الحماية البريطانية. وإن كان قد أصاب نجاحًا محدودًا بالنسبة إلى الاتجاه الأول، إلا أنه حقق نجاحًا ملموسًا بالنسبة إلى الاتجاه الثانى، فقد استطاع من خلال مجموعة من القوانين والمراسيم، تأمين وراثة العرش فى ذريته وتنظيم الأسرة المالكة وتشكيل مجلس البلاط، وبذلك تمكن من إخضاع الأسرة العلوية لنفوذه، باعتبارها المصدر الرئيس لتهديد العرش. ثم اتجه لاستكمال التنظيم الداخلى للقصر من خلال مجموعة من الإدارات والدواوين؛ لكى يتمكن من ممارسة دوره كطرف أصيل فى الصراع على السلطة. ودعمت بريطانيا ما قام به الملك من محاولاته لتنمية دور القصر فى الحياة السياسية، وهذا التدعيم له ما يبرره حيث أرادت السياسة البريطانية التخلص من المفهوم الاستعمارى التقليدى وحكم البلاد حكمًا مباشرًا، وفى الوقت الذى كانت الحركة الوطنية قد اشتدت، كانت بريطانيا تسعى لتجنب المواجهة معها دون أن تتأثر مكانة وجود الاحتلال البريطانى وهيبته فى البلاد، ومن ثم فقد كان القصر الملكى بمثابة القوة الوحيدة التى يمكنها أن تقوم بتلك المهمة[2].

ورغم ظروف الحرب التى قد هيأت للجانب البريطانى إحكام قبضته على البلاد، فإن ذلك لم يكن ليعنى قبول البلاد له، على العكس فلقد تزايد نشاط الحركة الوطنية فى البلاد بصدد المطالبة بالاستقلال، وبلغت ذروتها باندلاع ثورة ١٩١٩، مما كشف عن العجز الحقيقى للسياسة البريطانية فى تحقيق ما تسعى إليه، فسعت لإقرار علاقتها بمصر واختفاء الشرعية على الوجود البريطانى، وأعلنت تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢من جانب واحد[3].

---

[1] حسين عبد الحميد رشوان، المرجع السابق، ص١٦.

[2] يونان لبيب رزق وآخرون، المرجع السابق، ص٢٦٤.

[3] يونان لبيب رزق وآخرون، المرجع السابق، ص٢٦٥.

وبدأ يوسف منصور صديق يرقب التطورات السياسية وأول ما جال بخاطره هو الانضمام إلى حزب الوفد؛ لأنه الحزب الذى أشعل بداخله الثورة منذ الصبا، لِما تميز به من شعبية ومن منهج لمواجهة الاحتلال، فضلًا عن نضال الحزب منذ نشأته ضد الفساد. لكن السؤال هنا هل انضم يوسف بالفعل إليه أم ذهب ليبحث عن تيار آخر؟.

فقد كان الوفد أكبر بيوت الشعب سنين طويلة، ولم يكن فى تاريخه سلطة فحسب، بل وقف فى المعارضة زمنًا طويلًا لا يجد له قوة غير قوة الناس. فجميع الهيئات التى كانت تائهة فى ذلك الحين، قد فوضت الوفد للتكلم باسم الشعب؛ لذلك كان أول ما فكر به يوسف صديق هو الانضمام لحزب الوفد. وقد اشتد الصراع على السلطة فى تلك الأثناء بين الأحزاب السياسية والقصر، ورغم صدور دستور "١٩٢٣"[1] فإن ذلك لم يحسم الصراع القائم بين القصر والإنجليز والأحزاب السياسية، وقد جاء معبرًا عن التوازن السياسى بين تلك

---

(1) كان مجمل ما تضمنه دستور "١٩٢٣" من مبادئ تتعلق بحقوق المصريين وواجباتهم، هو إقرار مبدأ بناء دولة القانون القائمة على السلطات المقيدة، ومبدأ المساواة بين المصريين فى الحقوق والواجبات المدنية والسياسية وكفالة الحرية الشخصية، وعدم جواز القبض على مواطن إلا وفق القانون، وعدم جواز إبعاد المصرى عن وطنه إطلاقًا أو تقييد حريته فى الحركة، كفالة حرية المنازل والرسائل السرية، وحرمة الملكية الخاصة وحظر مصادرة الأموال، كفالة حرية الرأى، حظر مصادرة الأموال. فجميعها حريات فردية أما الحرية فى صورتها الجماعية فكان هناك صعوبة فى تحقيقها، وتتعلق بحرية الصحافة التى تتضمنها المادة ١٥ من الدستور، وحرية الاجتماعات التى وردت بالمادة ٢٠، وقد أبدى الملك والاحتلال بشأن هذين الأمرين معاناة شديدة، ولكن الملك أصر على تقييد الحكمين الصادرين بحرية الصحافة وحرية الاجتماعات، وهو" إلا إذا كان ذلك ضروريًا لوقاية النظام الاجتماعى". هذا التحفظ بقصد إقرار تدخل الجهاز الإدارى فى ممارسة المواطنين للصحافة والاجتماعات، بدعوى حماية النظام الاجتماعى. وبقيت هاتان المادتان طوال العمل بالدستور، مجالًا للصراع بين القوى الديمقراطية وخصومها. وقد حاول الوفد فى أول مجلس نواب له فى عام "١٩٢٤" تعديل القانون لكنه فشل، وقررت المحاولة مرة أخرى فى عام "١٩٢٨"، إلا أن البوارج البريطانية وقفت فى ميناء الإسكندرية فى مظاهرة عسكرية حالت دون تحقيق هذا. طارق البشرى، "الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو(١٩٥٢-١٩٧٠)"، ط١، القاهرة، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٧، ص١٣.

القوى[1]. وقد أظهرت الأحزاب السياسية تناقضًا فى مواقفها حيال الدستور. فعلى سبيل المثال هاجم الوفد اللجنة التى تولت صياغته ووصفها سعد زغلول بأنها "لجنة الأشقياء"، وإبان ذلك تولى مقاليد السلطة فى يناير "١٩٢٤" على مقتضى الدستور الذى تنكر له من قبل[2].

كذلك فإن الحزب الوطنى رغم موقفه المعارض للجنة الدستور باعتبارها لجنة حكومية فإنه شارك فى الانتخابات التى أجريت فى ظل هذا الدستور، بل وشارك أيضًا فى الحكم بمقتضاه. خلال العديد من وزارات القصر منذ عام "١٩٣٨". أما حزب الأحرار الدستوريين فرغم أنه تحمل العبء الأكبر فى إصدار الدستور، فإن مواقفه قد اتسمت بالتناقض الحاد[3].[4]

أما القصر الملكى فلقد ورث عداءً تقليديًا بالفكرة الديمقراطية والحكم الدستورى كما ذكرنا فى الفصل السابق. فضلًا عن سعيه إلى تركيز مقاليد السلطة فى يد الملك كما كان فى عهد أسرة محمد على باشا[5]، مما يفسر جنوح

---

[1] زهير مارديني، المرجع السابق، ص١٧٥.

[2] يونان لبيب رزق، المرجع السابق، ص٢٦٥.

[3] فقد كان حزب الأحرار الدستوريين تارة يشارك فى الانقلاب الدستورى لصالح القصر فى أثناء العهد الزيورى (١٩٢٥-١٩٢٦)، وتارة أخرى يناضل من أجل الدستور فى أثناء عهد إسماعيل صدقي، وأخرى يَعمِد إلى تعطيل الدستور من خلال الوزارة التى تألفت برئاستة (١٩٣٧-١٩٣٨). نفس المكان.

[4] نفس المرجع، ص٢٦٥.

[5] محمد على: (١٨٠٥-١٩٥٣) والى مصر فى الفترة (١٨٠٥-١٨٤٨). ظهرت فى عهده مصر الحديثة. هو مؤسس الأسرة العلوية المالكة التى حكمت مصر فى (١٨٠٥-١٩٥٣). ولد فى مقدونية التابعة الآن لليونان. توفى والده وأدخله حاكم المدينة فى الجندية. ثم احترف تجارة التبغ. واشترك فى معركة أبى قير البرية فى "١٧٩٩" ضد الفرنسيين فى مصر. ثم انتظم فى كتيبة ألبانية أرسلت لمصر فى "١٨٠١". أظهر تقدمًا درج به سريعًا إلى رتبة لواء. بعد خروج الفرنسيين أدرك أن السلطة فى مصر مطمع لأطراف ثلاثة (الأتراك-المماليك-الإنجليز). وأدرك أن الحركة الشعبية للمصريين بزعامة عمر مكرم صارت عنصرًا سياسيًا مؤثرًا فعمل على استغلاله. وطلب المصريون إلى السلطان توليته عليهم فولاه فى "١٨٠٥". تخلص من تهديد الإنجليز بهزيمة المصريين لحملة فريزر "١٨٠٧". طارد المماليك حتى تم القضاء عليهم فى

القصر للحكم الأوتوقراطى[1]، وقد استخدم الملك فؤاد الدستور كأداة للحكم وذلك عندما بسط هيمنته على الجيش كمؤسسة عسكرية من خلال احتفاظه بحق منح الرتب والنياشين وتعيين الضباط وعزلهم، كما احتفظ لنفسه بحق الإشراف على المؤسسات الدينية وفى مقدمتها الأزهر؛ إذ استطاع فؤاد بمهارته السياسية أن يحول الأزهر إلى نصرته واستخدامه كأداة ضغط فى مواجهة خصومه[2].

مذبحة القلعة فى "١٨١١"، مما أكسبه نفوذًا أمام الباب العالى. عمل على تشتيت المقاومة واستعان بالأوروبيين خصوصًا الفرنسيين فى بناء دولة جديدة على أساس تنظيم حديث للجيش وبناء البحرية. قام بتجنيد المصريين واحتكر التجارة كما أعاد تقسيم الأرض، أرسل حملة ضد الوهابيين بالجزيرة العربية(١٨١١-١٨١٩). فتح السودان فى "١٨٢٠"، كما أعان السلطان بحملة للقضاء على ثوار اليونان "١٨٢٦"، وانتصر عليهم ثم تدخلت فرنسا وبريطانيا ضده وساءت علاقته بالسلطان، ورفض معاونته فى حربه مع روسيا فى، "١٨٢٩". تجدد القتال مع السلطان فى معركة نصيبين الفاصلة فى "١٨٣٩" فانفتح أمامه الطريق إلى إستانبول، إلا أن الدول الأوروبية أجبرته على العودة بجيشه إلى حدود مصر، وأبرمت معاهدة لندن "١٨٤٠" التى حصرت حكم محمد على وذريته فى مصر وحدها وخفض عدد الجيش المصرى. فى نهاية حكمه صفيت قوة جيشه وأغلق الكثير من المصانع. ثم مرض وولى ابنه إبراهيم (١٦٨٩-١٨٤٨) مصر فى "١٨٤٨" ولكنه توفى فى السنة ذاتها فعين حفيده عباس الأول (١٨٤٨-١٨٥٨) واليًا. مات محمد على بالإسكندرية فى أغسطس "١٨٤٩". فإن فتوحاته فى أوروبا آنذاك جعلت الدول الأوروبية الكبرى تعمل جاهدة على عدم قيام محور مصرى- سورى قوى يقف سدًا أمام المطامع الغربية فى هذه المنطقة. ومنذ ذلك الحين بدأت تتبلور فكرة إنشاء حاجز إقليمى غربى فى فلسطين يقف حائلًا دون تحقيق وحدة مصر وسورية. وكان من أبرز دعاة هذه الفكرة اللورد كلير بالمرستون الذى اعتبر بحق المؤسس العملى الحقيقى للكيان الصهيونى فوق أرض فلسطين، والممهد لوعد بلفور. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٦، ص٩٢.

[1] Autocracy يطلق هذا الاصطلاح على الحكومات الفردية؛ حيث يتمثل الاستبداد فى إطلاق سلطات الحاكم الفرد وفى استخدامه إياها فى بعض الأحيان تحقيقًا لما يريده. ويعتبر النظام الأوتوقراطى بمثابة الحكم، لأنه مستقل عن الأحزاب، وفوق الأحزاب والأفراد. وتتظاهر الدولة الأوتوقراطية بأنها مستقلة عن جميع الفئات الاجتماعية لكنها فى واقع الأمر بين أيدى طبقة أو جماعة منظمة. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج١، ص٣٨٢.

[2] يونان لبيب رزق، المرجع السابق، ص٢٦٦-٢٦٧.

استمر الصراع بين الوفد والقصر وكان إطاره في حقوق العرش الدستورية، لكن القصر استطاع حسم الصراع من خلال الانقلابات الدستورية، واستطاع القصر تكريس حكمه على أنقاض الدستور من خلال تلك الأحزاب التى اصطنعها لنفسه، وقام بدفعها على ساحة الصراع الحزبى؛ ليحقق لنفسه من خلالها وجودًا فعليًا. لكن سرعان ما حاولت هذه الأحزاب أن تنقلب على الدستور وتسعى لإفساد الحياة النيابية فى البلاد، فكان هدفها تزوير الانتخابات وتولى الحكم، وقد وجدت لها بعض أحزاب الأقلية بين مؤيد لها كالحزب الوطنى أو مشارك لها فى السلطة كحزب الأحرار الدستوريين(١).

استنتاجًا مما سبق فإن الوفد المصرى كان ظاهرة غير مرغوب فى بقائها، سواء فى عهد الملك فؤاد أم فى عهد ابنه الملك فاروق. فكان مجرد وجود كيان يجمع الناس مكونين حشدًا، فهو فى حد ذاته تهديد للسلطة وهذا ما تخشاه القوى الطاغية. لذلك أعدت أحزاب الأقلية وكافة القوى المعادية كل أسلحتها لتصفية الوفد، وتصفية قادته. إلا أن هذه الجهود لتصفيته أصبحت مصدرًا لقوته، حيث إن القوى المعادية له من عناصر تبغضها الأكثرية من الشعب. خاض حزب الوفد المعارك ضد الاحتلال البريطانى.. وبذلك يكون هو الحزب الذى حمل الثورة الحقيقية ثورة "١٩١٩" على كتفيه. ورغم اختلاف المؤرخين فى تقييم معاهدة "١٩٣٦"، فمنهم من هاجمها ومنهم من اعتبرها الحل المؤقت. ولأن حزب الأغلبية هو من قام بتوقيعها فلم يستطع المعارضون أن يمضوا طويلًا فى معارضتها(٢).

فى ظل تلك الظروف التى كانت تمر بها البلاد من احتلال وصراع بين الأحزاب السياسية، ومحاولات القصر للسيطرة على الحياة النيابية من خلال دورات مجلس النواب. قد ظهرت جماعة الإخوان المسلمين كقوة سياسية ذات فاعلية كبيرة. كما ظهرت التنظيمات الشيوعية بتأثير واضح فى الحركة السياسية الشعبية بين الشباب، وتحول حزب مصر الفتاة إلى حزب ثورى جديد لا سيما عام "١٩٤٩" وعرف باسم" حزب مصر الاشتراكى"(٣).

---

(١) نفس المرجع.

(٢) زهير البردينى، المرجع السابق، ص١٧٨.

(٣) طارق البشرى، المرجع السابق، ص٢١.

لم تكن سياسة الوفد تهدف إلى تصعيد الخلاف مع الملك إلى درجة التأزم حتى لا يذهب دور الملك بعيدًا خارج نطاق دستور "١٩٢٣"، ويفرض حكمًا دكتاتوريًا تستفيد منه القوى الأجنبية المتربصة. وقد جاء انتصار الوفد فى انتخابات "١٩٥٠" انتصارًا لإرادة الشعب وأحزاب الأقلية، وتعبيرًا عن الموجة الشعبية الجديدة المؤيدة للوفد. ومع ذلك فإن تشكيل الوزارة لم يأت معبرًا عن الاتجاهات اليسارية التى بدأت تنمو داخل الوفد[1].

أخذت أحزاب الأقلية تنتعش بعد أن كانت هذه الأحزاب فى حالة الاحتضار منذ إبرام معاهدة "١٩٣٦"؛ هذا لاختفاء شخصية الملك فؤاد، ودخول علاقة الوفد بالإنجليز مرحلة جديدة. كما أن ظروف انقسام الوفد وتولى على ماهر رئاسة الديوان الملكى، أتاحت لهذه الأحزاب فرصة البعث من جديد.

فى ذلك الحين كانت القوى الإقطاعية والرأسمالية الملتفة حول القصر تؤجج نيران الفرقة بين العرش والأمة. دون أن تدرى أن هذه النيران سوف تمتد فى النهاية لتلتهم النظام بأكمله[2]. ورغم ذلك فقد استمر تدخل الملك فاروق فى موقف الحكومة الوفدية تجاه المعاهدة، كما كان حريصًا على أن تكون الحكومة البريطانية على علم تام بما يقوم به من جهد لمنع حكومته من إلغاء المعاهدة. وأرسل الملك برقية إلى النحاس باشا يأمره فيها بعدم اتخاذ أى إجراء فى مسألة المعاهدة إلى أن يعود الملك من الخارج[3].

وبذلك يمكن القول بأنه رغم أن حكومة الوفد بقيادة النحاس باشا لم تكن فى عزمها أن تلغى المعاهدة وتتبنى الكفاح المسلح ضد الوجود البريطانى، فإن الظروف الداخلية قد انعكست إيجابيًا على سياسة الحكومة الوطنية فقررت إلغاء المعاهدة. وبعد انتهاء مدة خدمة يوسف صديق فى السلوم وجد تيارات كثيرة تسعى إلى التحرير، من الأحزاب وعلى رأسها الوفد وجماعة الإخوان المسلمين وجمعية مصر الفتاة، والشيوعيون، ففكر فى الانضمام إلى إحداها رغم أن ذلك يتعارض مع عمله بالجيش. ولأنه من البديهى أن يبدأ من حيث

---

(١) نفس المكان؛ أحمد حمروش، المرجع السابق، ص١٤٢.

(٢) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٥٨ ـ ٦١، ٦٦.

(3) F.O 371/90134. Alex. To F.O 27 July 1951. No. 508. Priority. Secret.

انتهى قبل دخوله الكلية الحربية، وهو بأن يفكر فى الوفد إلا أن الوفد كما رأينا مما سبق بدأ يفقد شعبيته مع مرور الزمن لا سيما بعد رحيل زعيمه سعد زغلول، كما لم يعد قادرًا على مواجهة القصر، فضلًا عن الانقسامات التى لحقت به، لذلك كان عليه أن يفكر فى مجال جديد. ولطبيعة تربيته الريفية القائمة على التمسك بأصول الدين، رأى أن عليه الاتصال بالإخوان المسلمين(١).

ثانيًا- الجماعات الأيديولوجية:

- **جماعة الإخوان المسلمين.**

فى ظل الصراع المتواصل بين الأحزاب والحكومة، وبين العرش والوفد تكونت جماعة الإخوان المسلمين كرد فعل لحركة التخريب فى المجتمع المصرى، وقد بدأ هذا من نبذ المرأة المصرية للحجاب، وإقبالها على التعليم، فضلًا عن نزولها إلى ميدان العمل، والمناداة بإلغاء المحاكم الشرعية، فضلًا عن إقبال الرجل المصرى على أساليب الحياة العصرية، وانصرافه عن التعليم الدينى فى الأزهر إلى العلوم الحديثة. فالغزو الاستعمارى الأوروبى للشرق الإسلامى أسهم فى ظهور تيار كبير ليس فقط فى مصر وإنما فى العالم الإسلامى بأسره، لا سيما تركيا ، وكان بدوره يدعو إلى تبنى الحضارة الغربية باعتبارها الحضارة التى أثبتت تفوقها وهزمت حضارة الشرق. فقد وقفت العناصر ذات الثقافة الدينية من خريجى الأزهر ودار العلوم والطرق الصوفية، فى مواجهة التيار الغربى(٢).

وقد أراد حسن البنا(٣) أن يقوم بتغيير فى المجتمع الإسلامى بمصر، وبرزت شخصيته كداعية من طراز جديد، فلم يتوجه إلى جمهور المساجد، بل اختار

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٧٥.

(٢) عبد العظيم رمضان، "الإخوان المسلمون والتنظيم السرى"، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، "١٩٩٣"، ص٢٥.

(٣) هو حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتى (١٩٠٦-١٩٤٩) ، ولد فى المحمودية التابعة لمحافظة البحيرة، فى ١٤ أكتوبر "١٩٠٦" والده هو الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا من العلماء العاملين، له عدة مصنفات فى الحديث الشريف من أهمها" الفتح الربانى

عدة مقاهٍ كبيرة فى المدينة، وقدم بها دروسًا أسبوعية وبعد مرور ستة أشهر أثمرت خطته، فى مارس "١٩٢٨" زاره بمنزله ستة من أصدقائه وتمت البيعة بينهم، على أن يعملوا بالإسلام والمسلمين. اختار البنا اسم "الإخوان المسلمون" قائلًا:" ليكن أول اجتماع أساسه إننا إخوة فى خدمة الإسلام"، وقد كانت بداية لأخطر حركة فى تاريخ مصر الحديث، وكانت بداية انشغالهم بالعمل السياسى رسميًا فى "١٩٣٨" عندما أصدر البنا مجلة النذير الأسبوعية. وفى هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن مقاومة الأحزاب المصرية لفكر حسن البنا حالت دون توسع الإخوان المسلمين السياسى، من بين تلك الأحزاب حزب الوفد الحزب الأكثر انتشارًا فى ذلك الوقت وحزب السعدى، وقام البنا بخوض الكثير من المعارك الانتخابية لكنه لم يفز، ورشح لانتخابات مجلس النواب فى "١٩٤٢" ثم انسحب؛ لطلب مصطفى النحاس رئيس الوزراء حينها أن يقتصر نشاطه فى المجال الدينى دون السياسي[١].

لترتيب مسند الإمام أحمد ترتيبًا فقهيًا". كان أبوه يعمل فى تصليح الساعات فسمى بالساعاتى. بدأ البنا اهتمامه بالعمل الإسلامى فى سن مبكرة، فاشتغل بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله، فأنشأ جمعية الأخلاق الدينية، ومن ثم جمعية منع المحرمات، فضلًا عن مشاركته فى ثورة "١٩١٩" وهو فى سن الثانية عشرة من عمره. حفظ نصف القرآن فى الصغر ثم أتمه فى الكبر. تخرج فى دار العلوم "١٩٢٧"،عمل مدرسًا للغة العربية فى الإسماعيلية، ثم نُقل إلى القاهرة، استقال من التدريس فى "١٩٤٦" للعمل فى جماعة الإخوان المسلمين. هو مؤسس حركة الإخوان المسلمين عام "١٩٢٨" والمرشد الأول لها. أُغتيلَ فى ١٢ فبراير "١٩٤٩" أمام دار الشبان المسلمين، كانت إصابته تحت الإبط إلا أنه مات من شدة النزف. تمت مراسم الدفن فى حراسة مشددة، لم تسمح الدولة بخروج أحد من الرجال فى جنازته، حتى لا يتظاهروا فحملتها النساء وقد صلت عليه فقط أربع نساء مع والده، لكن مكرم عبيد باشا القبطى تحدى الحكومة وانضم إلى عائلة البنا فى جنازته. واختار الإخوان مرشدًا جديدًا وهو حسن الهضيبى. وقد وقعت أحداث اغتيال سياسى ونسف منشآت عامة نُسبت إلى الجماعة فحلتها وزارة النقراشى فى ديسمبر "١٩٤٨" فاغتيل النقراشى فى الشهر نفسه. موقع ذاكرة مصر المعاصرة، عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق،ج٢، ص٥٣٢.

[١] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٢٧. لقراءة المزيدعن فكر الإخوان، انظر حسن دوح، خمسة وعشرون عامًا فى جماعة مرورًا بالغابة، القاهرة، دار الاعتصام، "١٩٨٣".

لم تهتم حكومة الملك بالأمر، حيث كان فى اعتقادهم أن هؤلاء ليس منهم خطر. إلا أن الدعوة انتشرت وانضم إليها الكثير من أبناء مصر، لذلك قام الملك فاروق والإنجليز بالتخطيط لضرب الحركة الإسلامية، لا سيما بعد أن تجمعت بعض المبررات لذلك منها اغتيال رئيسين للوزراء أحمد ماهر والنقراشى[1]. ولكن قد تأخر تحرك الملك فقد تسللت الجماعة إلى الجيش و كان محمود لبيب[2] ،هو المسئول عن تجنيد الضباط فى الجيش للإخوان الضابط، فقام يوسف بالاتصال به غير أن هذه الاتصالات لم تدم أكثر من عدة شهور، اتضح ليوسف حينها أن الإخوان غير منظمين تنظيمًا عصريًا مقبولًا. وأكثر ما جعله ينفر منهم على حد قوله هو نداداتهم بأن الدستور القائمين عليه هو القرآن. وعلق يوسف فى مذكراته قائلًا:" مع احترامى الشديد بل وتقديسى (للقرآن) غير أن إطلاق هذا الشعار مطلقًا ، كان لا يعنى شيئًا مفهومًا فليس من المعقول أن نضع (القرآن) أى المصحف أمامنا لنحتكم إليه فى كل قضية- وبمفهومى للأمور كنت أتصور أن يكون الإخوان قد استنبطوا من كتاب الله دستورًا عصريًا مكتوبًا بلغة الدساتير المعروفة وكانت لا تنقصهم القدرة على ذلك، فقد كان فيهم الكفاءات العالية فى مجالات القانون والتشريع، وكانت عندهم فى جميع المجالات قدرات معروفة"[3].

ولأسباب لا يعلمها يوسف لم يضع الإخوان مثل هذا الدستور الذى يَصلح أساسًا لمُناقشة برنامجهم وأسلوبهم فى الحكم. ويرى يوسف أن الذى يحكم

---

[1] وقد اعترف شاب يدعى عبد المجيد أحمد حسن أنه من جماعة الإخوان المسلمين، وأنه قام بقتل النقراشى انتقامًا من تصرفاته ضد الجماعة. نفس المرجع، ص٢٧. ؛عبد الرحمن الرافعى، فى أعقاب ثورة "١٩١٩"، ج٣، القاهرة، دار الشعب، "١٩٥٩"، ص٢٧٠-٢٧١.

[2] محمود لبيب: (١٨٨٢- ١٩٥١) من رموز الإخوان المسلمين والقائد العام لمتطوعى الإخوان المسلمين فى فلسطين داخل الجيش المصرى، ولد بالقاهرة عام "١٨٨٢"م، انتخب عام "١٩٤٧"م وكيلًا ثانيًا للإخوان المسلمين للشئون العسكرية، تخرج (ملازم ثان) عام "١٩٠٦"، توفى فى ١٨ ديسمبر "١٩٥١". حسين حمودة، "أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين"، ط١، القاهرة، الزهراء للإعلام العربى، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥)، ص ٧٠.؛ محمود عبد الحليم، "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ"، ثلاثة أجزاء، القاهرة، دار الدعوة، "١٩٨٥".

[3] عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص٧٦ ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٩.

والقرآن دستوره لا بد أن يكون رجلًا ملمًا إلمامًا تامًا بالقرآن، ويفهم معانيه فهمًا دقيقًا وعالمًا بأحكامه ولن يكون ذلك ممكنًا. كما أن وجود دستور مكتوب فى بنود يفصل الحكم فى القضايا من جميع فروع الحياة يستند فى أحكامه إلى (القرآن) كان عملًا لا بد منه. لذلك لم يكن هناك ردٌّ مقنع لمن يسألهم عن برنامجهم أن دستورهم هو (القرآن)[1][2]. ويذكر يوسف فى مذكراته أن الأحداث فيما بعد بينت جمود الإخوان العقائدى، وذلك عندما انشق الإخوان على أنفسهم إذ طالب المنشقون حسن الهضيبى (١٨٩٣-١٩٧٣) خليفة البنا بالتخلى عن الخلافة. فقال لهم الجملة التى قالها الخليفة عثمان بن عفان (**٤٧ق هـ/٥٧٧م -٣٥هـ/٦٥٦م**)[3]: "هذا قميص قمصنيه الله" مما يعنى أن الخلافة تلازمه حتى الموت. وكأنما نسى الهضيبى على حد قول يوسف أن الخليفة عثمان حينما قال ذلك للثائرين المطالبين بخلعه، قاموا بإنهاء حياته إنهاءً لخلافته[4].

ذِكر يوسف لما حدث فى عهد الخليفة عثمان، إنما يدل على ثقافته الدينية المترسخة منذ صباه، فضلًا عن توضيحه أسباب اعتراضه بأن القرآن هو دستورهم دون أن يقوموا بتوضيح ذلك، عن طريق استنباط بعض المبادئ والقيم الإسلامية واستخدامها كقانون لهم. ولم يجد يوسف فى اتصاله بالإخوان

(1) فإذا تمعنا فى رأى يوسف صديق بشأن أن الدستور هو القرآن دون أن يضعوا بنودًا مستندين فيها إلى القرآن الكريم، فهذا يجعلهم يفسرون الآية الواحدة حسب أهوائهم ولما يتناسب مع ما يريدونه وقتها، أما إذا كانت البنود فى نقاط واضحة مستندة إلى القرآن، فيجب أن يكون ذلك شيئًا محددًا وواضحًا، كما أنه يريد أن يكون أكثر اطمئنانًا لمن يريد أن ينضم إليهم.

(2) عبد العظيم رمضان، نفس المرجع، ص٧٦؛ يوسف صديق، نفس المصدر، ص٩.

(3) هو عثمان بن عفان الأموى القريشى، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة، يُكنى بذى النورين؛ لأنه تزوج اثنتين من بنات الرسول ﷺ، رقية ثم بعد وفاتها تزوج أم كلثوم. وقد أضاف عثمان جهاز الشرطة إلى أجهزة الدولة الإسلامية. وقد كان مقتله بداية الصراع الذى مزق وحدة العرب المسلمين، دامت خلافة عثمان من ٢٩ ذى الحجة ٢٣ هـ حتى ١٠ ذى الحجة ٣٥هـ. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٤، ص١٤،١٣.

(4) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٨٠. ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٩.

المسلمين ما يتوافق مع ما بداخلهِ من ثورة على حد قوله[١]. ناهيك بأن تنظيمهم لم يؤسس على قضايا تتعلق بقضايا الاستقلال والدستور، أو رفض النظام القائم، إنما كانت أفكارهم سلفية[٢] تتعارض مع تيار التغريب. فلم تكن فكرة العنف سببها السعى للوصول إلى الحكم فى تقديرهم، بل يرون أنهم أرادوا العمل السلمى عن طريق الوعظ والإرشاد مستخدمين الجرائد وتكوين الجمعيات الإسلامية تحقيقًا لذلك. لكن مع انتشار الدعوة ومرور الوقت كان على الجماعة أن تقوم بتحديد موقفها الفكرى من القضايا الإسلامية والسياسية العامة. عندئذٍ برزت لها أيديولوجية[٣] متكاملة واضحة المعالم تختلف عما بدأت به. وقد قامت على دعائم بسيطة لكنها خطيرة، حيث إنها تناقضت مع أيديولوجية النظام السياسى القائم[٤].

---

[١] نفس المكان.

[٢] السلفية: هى مفهوم فكرى سياسى يقوم على مبدأ العودة إلى الماضى والاقتداء بتجربة السلف الصالح، وتمجيدها واعتبارها النموذج الواجب الرجوع إليه من أجل إصلاح المجتمع. وقد طُرحت هذه الفكرة إبان الاحتكاك بالغرب واتجاه الدول الأوروبية لاستعمار الأقطار العربية. فكانت الدعوة للتمسك بالتراث ورفض ما هو آت من الغرب. والسلفية تؤكد على الاقتداء بالشكل والمضمون على تجربة الخلفاء الراشدين بالتحديد، واعتبارهم السلف الصالح. وهناك سلفية موازية تؤكد على تجربة الإمام على، وتجربة الأئمة الذين تبعوه. والسلفية بهذا تختلف عن تيارات واسعة فى الفكر العربى لا تنفى أهمية التراث وتأثيره، بل ترى ضرورة الاقتداء بروح السلف الصالح ومضمون تجربتهم لا بشكلها وظواهرها. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٣، ص٢٢٩-٢٣٠.

[٣] الأيديولوجية: Ideolog مصطلح لاتينى استخدم للمرة الأولى فى مطلع القرن التاسع عشر بمعنى" علم الأفكار". كما استخدمه كارل ماركس بمعنى مجموعة الأفكار والمعتقدات التى تسود مجتمعًا ما بفعل الظروف الاقتصادية والسياسية القائمة، وذكر ذلك فى كتابه الأيديولوجية الألمانية عام "١٨٢٩". ويمكن تعريف الأيديولوجية على أساس أنها ناتج عملية تكوين نسق فكرى عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد مما يحدد موقفًا فكرياً وعمليًا معينًا لمعتنق هذا النسق. ولا يعنى ذلك اتخاذه موقفا مطلقا من الظواهر الاجتماعية التى هى بطبيعتها متطورة. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج١،ص٤٢١.

[٤] عبد العظيم رمضان، الإخوان المسلمون والتنظيم السرى، ص٢٧.؛ صلاح شادى، حصاد العمر صفحات من التاريخ، ج١، الكويت، شركة الشعاع للنشر، ١٩٨١. لمعرفة

فى تلك الأثناء كان الجيش المصرى يشترك مع القوات البريطانية فى الدفاع عن الصحراء الغربية ضد قوات المحور مما جعل مصر طرفًا فى النزاع العالمى، رغم أن المحور لم يعلن الحرب على مصر. وكانت هذه السياسة تناقض بطبيعة الحال سيادة مصر التى نصت عليها معاهدة ١٩٣٦. كما أن عدو مصر الأول هو عدوها المحتل (بريطانيا). وفى تلك الأثناء لم يكن الرأى العام فى مصر راضيًا عن هذا الوضع. ثم جاء على ماهر رئيس الوزراء وأعلن فى البرلمان سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب. وهى السياسة التى أقرها البرلمان على الفور وبالإجماع، وبناءً عليه صدرت الأوامر لنزول الجنود من مرسى مطروح، وهذا يعنى أن يتولى الإنجليز الدفاع عن القطاعات الموجودة فى المنطقة وحدهم. وقد أغضب هذا الإنجليز فطلبوا من الجنود تسليم أسلحتهم قبل الانسحاب من مواقعهم. لكنَّ الجنود أجمعوا على عدم تخليهم عن أسلحتهم؛ لأن ذلك يعد إهانة عسكرية، وعندما علمت الإدارة بهذا سلموا بقرار الضباط وصدرت الأوامر لهم بالانسحاب مع الاحتفاظ بأسلحتهم[1].

كان هذا الوضع جديرًا بأن يؤهل الضباط نفسيًا لقبول فكرة التخلى عن الاحتلال والتخلص منه، فضلًا عن تأهيل الشعب لتقبل الأمر بل والإسهام فيه وهذا ما حدث فى ثورة ٢٣ يوليو حيث إنها بدأت بانقلاب، وتحولت لثورة بتأييد الشعب لها. وهذا ما سنتناوله بالحديث فى الفصل الثالث.

استقراءً مما سبق يلاحظ أن الإخوان أصبحوا قوة لا يستهان بها، وأصبح لهم هدف واضح وهو الانخراط فى العمل السياسى الذى يمهد لهم الطريق للسلطة. وكان موقف يوسف كموقف السادات وعبد الناصر[2] وهو أن

المزيد عن مؤسس جماعة الإخوان السلمين وعن أهدافها انظر حسن البنا، "مذكرات الدعوة والداعية"، القاهرة، مركز الإعلام العربى، "٢٠١٠"؛ لقراءة المزيد حول نجاح الإخوان داخل الجيش المصرى، انظر جمال معوض شقرة، الحركة السياسية فى مصر من ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" إلى أزمة مارس "١٩٥٤"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، "١٩٨٥"، ص٣-٨.

[1] أنور السادات، البحث عن الذات، ص٣٦-٣٧.

[2] لقراءة المزيد حول سبب ابتعاد عبد الناصر عن الجماعة، انظر جمال شقرة، مصادر التكوين الفكرى لقائد ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" جمال عبد الناصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، "٢٠١٣"، ص٢٩- ٣٠.

انتماءهـم الأول والأخير للوطن وليس لفرد أو هيئة أو حزب، تكمن أسباب ابتعاد عبد الناصر عن الجماعة، حسب روايته، ورواية رفاقه بل وحسب رواية بعض كوادر الإخوان فى فشل الإخوان فى تقديم إجابات شافية محددة حول طبيعة النظام وماهية السياسات أو البرامج التى سيحكمون بها مصر فى حالة توليهم زمام الأمور؟ كما أن تأييد الإخوان لإسماعيل صدقى هز صورة الجماعة فى نظر الضباط [1]. أما يوسف فكان تائهًا حائرًا ورغم ذلك فإنه لم يتنازل عن مبادئه أو أفكاره فى سبيل انتمائه لاتجاه يعمل فيه من أجل تحقيق هدفه وهو القيام بثورة. فضل يوسف أن يبتعد عن الإخوان ويبحث عن اتجاه آخر ألا وهو جمعية مصر الفتاة[2].

---

[1] أنور السادات، المصدر السابق، ص٣٢.

[2] أعلن قيام جمعية مصر الفتاة على يد أحمد حسين (١٩١١-١٩٨٢) فى ٢١ أكتوبر "١٩٣٣"، وقد ظهر اسم مصر الفتاة للمرة الأولى - فى ضوء ما لدينا من معلومات- فى عام "١٨٧٩" على يد مجموعة من الشبان المثقفين فى مدينة الإسكندرية، انتظموا فى جمعية واتخذوا لها صحيفة عرفت باسم (مصر الفتاة) فى أواخر عام "١٨٧٩". استمرت تلك الصحيفة فى الصدور بعد تولى أديب إسحاق(١٨٥٦-١٨٨٥) رئاسة تحريرها. أما عن صحيفة مصر الفتاة فلم يرد ذكرها إلا فى كتاب الدكتور عبد اللطيف حمزة، ساعده جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩ – ١٨٩٧)، فى الحصول على امتياز إصدار جريدة (مصر) فى عام "١٨٧٧"، والتى اشتهرت بمقالاتها فى التعريف بالوطنية والدعوة إلى الحرية، وهى أول جريدة ظهرت فيها اسم مصر الفتاة. ومن المرجح أن تلك الجريدة كانت تعبر عن أفكار الجمعية داخل صفحاتها. لا سيما أن إسحاق صاحب امتيازها كان أحد أعضاء هذه الجمعية. توقف نشاط جمعية مصر الفتاة فى "١٨٨٠" وانضم معظم أعضائها إلى الحزب الوطنى، برز اسم مصر الفتاة مرة أخرى كإحدى الصحف التى أصدرها الحزب الوطنى، وصدر العدد الأول منها فى ديسمبر "١٩٠٨". وقد مرت تلك الصحيفة بأطوار مختلفة إلى أن انتقلت ملكيتها إلى يد أجنبى لتتمتع بالحماية وتنجو من المصادرة؛ لنهجها نهجًا متطرفًا فى معالجة القضايا إلى أن عُطلت فى أبريل "١٩١١". أهمل استخدام اسم مصر الفتاة إلى أن استخدمه أحمد حسين في "١٩٣٣". ظهرت الجمعية وكان شعارها الله-الوطن- الملك، جعلت غايتها أن تصبح فوق الجميع بتكوين إمبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الإسلام. على شلبى، مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية (١٩٣٣-١٩٤١)، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، "٢٠١٠"، ص١٩٧.؛ رؤوف عباس، شخصيات مصرية فى عيون أمريكية، ص٦٤-٦٩.

- **جمعية مصر الفتاة.**

كان ظهور الجمعية فى ظل تلك الأوضاع السياسية التى اتسمت بالتشاحن والصراع بين قوى سياسية مختلفة، أثار تساؤلات عديدة هل هى قوة سياسية جديدة؟ وما اتجاهها؟، أم هى رافد لإحدى القوى القائمة لمساندتها فى مواجهة القوى الأخرى، أم هى حركة معادية لهم جميعًا. فعندما أعلنت شعارها اطمأن لها القصر واعتبرها حركة مساندة له. كانت شديدة الهجوم على الأجانب عامة والإنجليز خاصة، فاعتبرها الإنجليز حركة معادية له. أما الأحزاب المصرية القائمة التى كانت فى تلك الفترة، فانقسمت إلى قسمين اعتبرها الوفد معادية لأنها جعلت الملك جزءًا من شعارها " الله- الوطن- الملك"، والوفد كان معاديًا للقصر والملك، أما القسم الثانى وهو أحزاب الأقلية على رأسها الأحرار وحزب الدستوريين، فقد رأت فيها حركة مساندة تدعم موقفها فى مواجهة الحزب الشعبى (حزب الوفد)[1]. قدم المندوب السامى البريطانى إلى وزارة خارجيته تقريرًا يشير فيه أن القصر كان يرعى جمعية مصر الفتاة ويدافع عنها، مما جعل السلطات البريطانية تعتقد بأن الجمعية تتلقى تأييدًا من القصر، هو اعتراض القصر على مصادرة عدد من مجلتها يضم مقالة عنيفة تهاجم بريطانيا[2].

لعل ما ظهرت به جمعية مصر الفتاة من مناداتها بالحرية، وهجومها على الأجانب جعل يوسف يفكر فى الانضمام إليها. باحثًا فيها عما يجول فى نفسهِ من ثورة. وقد كتب في مذكراته:" لجأت بعد ذلك إلى جماعة مصر الفتاة .ولم تطل مسيرتى معهم"[3]. لم يذكر يوسف رأيه فى السياسة التى اتبعتها جمعية مصر الفتاة، ولا الأسباب التى جعلته لا يستمر معهم. ربما لم تطل مسيرته معهم بسبب ما أثير حولها من تساؤلات، إذ كانت مؤيدة للملك وتتخذ مهاجمتها لما يحدث فى البلاد كستار لتكتسب شعبية[4].

---

[1] على شلبى، المرجع السابق، ص ٥٨ ،٣٣١-٣٣٢. ؛ انظر كذلك جمال شقرة، المرجع السابق، ص ٣١-٣٦.

[2] F.O. 371/19071، M Lampson to John Simon، Cairo of 26 April، 1935. No. 466، Confidentia.

[3] عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص٨١.

[4] لم يذكر يوسف صديق فى مذكراته التى حُققت وتم نشرها سوى إنه لم تطل مسيرته معهم، وقد ظنت الكاتبة أنه ربما يكون هناك معلومات أكثر عن انضمامه لجماعة مصر

الكثير من ضباط الجيش رفضوا الحالة التى آلت إليها البلاد، فقاموا بالبحث عن تجمع سياسى ينتمون إليه. وقد وجد البعض سبيله فى انضمامه للإخوان المسلمين، والبعض الآخر ظل يبحث. فصلاح نصر[1] على سبيل المثال سجل

الفتاة، قد كتبها بخط يده ولكنها لم تنشر فطلبتُ من نجلته السيدة ليلى صديق أن تطلعها على النسخة الأصلية للمذكرات المكتوبة بخط يده. وبالفعل لم تجد الكاتبة سوى هذا السطر. محضر نقاش مع نجلة يوسف صديق السيدة ليلى فى منزلها بالمهندسين، يوم الأربعاء ٢٢/١٠/٢٠١٤.

(1) صلاح نصر: (١٩٢٠-١٩٨٢) هو أحد الضباط الأحرار، عمل رئيسًا للمخابرات المصرية ، كما أسهم إسهامًا كبيرًا فى نجاحها وتنميتها، ولد فى أكتوبر ١٩٢٠ فى قرية سنتماى. والده محمد نصر النجومى، وتلقى صلاح تعليمه الابتدائي فى مدرسة طنطا الابتدائية وتلقى تعليمه الثانوى فى مدارس عدة نظرًا لتنقل أبيه من بلدة لأخرى فقد درس فى مدارس طنطا الثانوية، وقنا الثانوية، وبمبة قادن الثانوية بالقاهرة، ثم التحق بالكلية الحربية. انضم إلى الضباط الأحرار عن طريق عبد الحكيم عامر. وفى ٢٣ أكتوبر "١٩٥٦" استدعاه جمال عبد الناصر وطلب منه أن يذهب إلى المخابرات العامة ليصبح نائبًا للمدير. وبعد عدة شهور تولى صلاح نصر رئاسة الجهاز فى ١٣ مايو عام "١٩٥٧"، كان من قبل مديرًا لمكتب عبد الحكيم عامر نائب جمال عبد الناصر وقائد قواته المسلحة. كون جهاز مخابرات قويًا فاستطاع صلاح نصر باتصالاته المباشرة مع رؤساء أجهزة المخابرات فى بعض دول العالم أن يقدموا عونًا كبيرًا، تحفظ صلاح نصر الوحيد كان الخوف من إرسال البعثات إلى الخارج بأعداد ضخمة حتى لا تستطيع أى من أجهزة المخابرات فى العالم اختراق الجهاز مع نشأته أو زرع بعض عملائها به. فاكتفى صلاح نصر بإرسال عناصر من كبار الشخصيات داخل الجهاز بأعداد قليلة لتلقى الخبرات والعودة لنقلها بدورهم إلى العاملين فى الجهاز. كانت مهمة المخابرات الوحيدة جمع المعلومات وتحليلها وتقديمها لصانع القرار. إسرائيل كانت همًا شاغلًا لهذا الجهاز منذ تأسيسه؛ فصلاح نصر منذ اللحظة الأولى له فى جهاز المخابرات جمع كل ما كتب عن إسرائيل والموساد وقرأه؛ حيث قامت المخابرات فى هذه الفترة بأهم عملياتها ضد إسرائيل تلك العمليات التى أصبحت فيما بعد تدرس فى معهد المخابرات. أمر الرئيس المصرى جمال عبد الناصر باعتقال صلاح نصر وقدمه للمحاكمة وأدانه فى قضية انحراف المخابرات بالسجن لمدة ١٥ سنة وغرامة مالية قدرها ٢٥٠٠ جنيه مصرى، وحكم عليه أيضا لمدة ٢٥ سنة فى قضية مؤامرة المشير عبد الحكيم عامر. لكنه لم يقض المدة كاملة، إذ أفرج عنه الرئيس المصرى أنور السادات فى ٢٢ أكتوبر "١٩٧٤" ضمن قائمة أخرى وكان ذلك بمناسبة عيد النصر. كانت لممارساته أثر سلبى واضح عملت على تشويه صورة النظام المصرى ممثلًا بجمال عبد الناصر. سقط فى مكتبه فى صباح

إعجابه بجماعة الإخوان المسلمين، وبرسالتها الدينية وما قدمه الكثير من أفرادها، فى ميدان الكفاح المسلح لكنه نفر منها بسبب ما نُسب إليها من أعمال عنف وتخريب. فكان كالتائه لا يجد مخرجًا، وجرت بينه وبين زميلٍ له مناقشة، عن الأحوال فى مصر وما بها من فساد وظلم، وأخبره ألا أمل فى إنقاذ البلاد إلا من خلال القيام بثورة اشتراكية. أُعجب بحديث زميله. لكن صلاح لم يقرأ شيئًا عن الفكر الشيوعي[1]. حيث كان من الصعب الحصول على مراجع حول هذا الموضوع، فضلًا عن كون الكتب الشيوعية كانت محظورة التداول، ومن كانت تضبط لديه أى مطبوعات منها، كان يعرض نفسه للسجن والاعتقال، لذا كان لا بد أن يتم تداول هذا الكتب والمنشورات بطريقة سرية. وعندما قرأ نصر بعضًا منها لم تستهوه لذلك لم ينضم إليهم[2].

- انضمام يوسف صديق إلى حدتو.

قام يوسف أيضًا بالتقرب إلى الشيوعيين لفترة، وكان له رأى فى أفكارهم ومبادئهم، التى تشابهت كثيرًا مع أفكاره. وقد كتب فى مذكراته عن الحركة الشيوعية تحت عنوان (اللقاء مع الشيوعيين)[3]. وقبل الحديث عن تلك المرحلة فى حياة يوسف السياسية سأقدم نبذة عن بداية الحركة الشيوعية.

---

١٣ يوليو عام "١٩٦٧" مصابًا بجلطة دموية شديدة فى الشريان التاجى، هزت تلك الأزمة الصحية صلاح نصر من الأعماق، فهو لم يكن يتوقع أن يداهمه المرض بكل هذه القوة وهو فى مكتبه الخاص فى جهاز المخابرات العامة، وبقى مع معاناته مع المرض إلى أن توفى فى عام "١٩٨٢". مذكرات صلاح نصر،ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، ج١، مطبوعات مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، مايو "١٩٨٦"، ص ١١،٦٦.

[1] هى مجموعة أفكار وعقائد ورؤى اشتراكية ثورية ماركسية، تنادى بضرورة الإطاحة بالنظام الرأسمالى والعدل، فى إطار مرتكز على الملكية العامة لوسائل الإنتاج. ويكون خاليًا من التمييز الطبقى والاجتماعى بحيث تختفى الفروق والتفاوتات بين المدينة والريف، كما تنادى بزوال الفروق بين الأمم بحيث يكون مجتمعًا كونيًا لا طبقيًا، والشيوعية بالمعنى الحقيقى للكلمة تهدف إلى إلغاء الملكية الخاصة.عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٣، ص٥٣٤-٣٣٥. لمعرفة المزيد عن تعريف الشيوعية، انظر نفس المرجع، ص٥٣٤-٥٤٤.

[2] صلاح نصر، المصدر السابق، ص٦٨.

[3] عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص٨١ ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٩.

هناك قدر من الصعوبة فى الحديث عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، خلال مرحلة الأربعينيات وحتى منتصف الستينيات، بمعزل عن الجذور العميقة للفكر الاشتراكى فى مصر، والتى غرست بذورها فى المجتمع المصرى، منذ المراحل الأولى لما يطلق عليه تاريخ مصر الحديث. والذى افتتحت أولى صفحاته بحدثين كبيرين، هما الحملة الفرنسية ١٧٩٨[١] بقيادة نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte [٢]، ونشأة دولة محمد على فى ١٨٠٥. لأهمية هذين الحدثين، فإن الدراسات حول تأثيرهما على ظهور وتطور جميع التيارات الفكرية المعاصرة، من ليبرالية[٣] وسلفية،

---

[١] الحملة الفرنسية: هى حملة عسكرية فرنسية استعمارية ضد مصر وفلسطين، لها نتائج سياسية واقتصادية وفكرية بالغة على مصير العرب فى العصور الحديثة، وأسهمت فى تفكيك السلطنة العثمانية تمهيدًا لتقاسم ممتلكاتها بين الدول الكبرى وفق المنطق الاستعمارى الذى ساد العالم العربى فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٢، ص٥٤٣-٥٨٥.

[٢] نابليون بونابرت: (١٧٦٩-١٨٢١) عسكرى وإمبراطور فرنسى. ولد فى أجاكسيو فى جزيرة كورسيكا الإيطالية. أصبح ضابطًا للمدفعية. تمكن عام "١٧٩٣" من حماية مدينة طولون فى أثناء الثورة الفرنسية. برز اسمه أثناء إخماد التمرد الملكى فى باريس "١٧٩٥"، وعين قائدًا للجيش الفرنسى فى إيطاليا "١٧٩٦" مكافأة له. ظل يحارب الجيوش النمساوية حتى وصل إلى أبواب فيينا. انتقل إلى قيادة الحملة المصرية فى يوليو "١٧٩٨"، التى أراد بها تهديد طريق بريطانيا إلى الهند، فتح نابليون بغزوه مصر صفحة المسألة الشرقية، وأطلق شرارة النهضة عن طريق إبراز معالم التحدى الغربى للشرق والإسلام. فى عام "١٩٠٤" أعلن نفسه إمبراطورًا رغم نشأة الجمهورية. كان يطمح إلى توحيد أوروبا تحت قيادته. فى النهاية تم نفيه إلى جزيرة هيلانة النائية فى المحيط الأطلسى وتوفى بها. ترك بصماته لا بفضل عبقريته العسكرية فحسب بل لنشره تشريعات الثورة الفرنسية فى العديد من البلدان التى احتلها. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٦، ٥٣٨-٥٣٩.

[٣] ليبرالية liberalism: هو مذهب ينادى بالحرية المطلقة فى الميادين الاقتصادية والسياسية. فى مجال السياسة على النطاق الفردى، ويؤكد المذهب على القبول بأفكار الآخر وأفعاله حتى لو تعارضت مع أفكار المذهب وأفعاله بشرط المعاملة بالمثل.وعلى النطاق الجماعى فإن الليبرالية هى نظام سياسى مبنى على التعددية الأيديولوجية والتنظيمات الحزبية والنقابية التى لا يضمنها، وأن النظام البرلمانى الديمقراطى هو الذى يفصل فعليًا بين السلطات الثلاث التشريعية- التنفيذية- القضائية، ويؤمن الحريات الشخصية والعامة

ويسارية[1] لم تنقطع حتى الآن. وقد ذكر جمال عبد الناصر هذا فى كتاب فلسفة الثورة الذى تم إصداره بعد ثورة يوليو بعام يقول فيه:" جاءت الحملة الفرنسية لتحطيم الستار الحديدى الذى فرضه المغول علينا وتدفقت أفكار جديدة، لقد كنا فى حاجة إلى نسمة هواء.. فانطلق إعصارٌ عاتٍ.. هذا ما حدث لمجتمعنا تمامًا"[2].

الإعصار الذى يشير إليه هو ما اصطلح تسميته بالصدمة الحضارية، الناتجة عن تحطيم الجهل والعزلة التى فُرضت على مصر والدول العربية، قرابة خمسة قرون فى أثناء سيطرة الحكم العثمانى. بينما كانت أوروبا تجتاز عصر نهضتها، وتنطلق نحو آفاق الثورة الصناعية الأولى. وقد برز مجموعة من العلماء الفرنسيين مع الحملة الفرنسية فى عدة مجالات. فقام أولئك العلماء

بما فى لك حرية الاعتقاد الدينى. بالرغم من تشديد الليبراليين الرأسماليين على أهمية الحرية؛ فإنهم فى الغالب يتصرفون ضد حريات الأفراد والشعوب فى علاقاتهم الدولية لارتباط الظاهرة الرأسمالية بالإمبريالية وما يتضمن ذلك من استغلال واستبعاد للشعوب الخاضعة للاستعمار. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٥، ص٥٦٦.

[1] اليسارية: عبارة عن مصطلح يمثل تيارًا فكريًا وسياسيًا يسعى لتغيير المجتمع إلى حالة أكثر مساواة بين أفراده. يرجع أصل مصطلح اليسارية إلى الثورة الفرنسية عندما أيَّد عموم من كان يجلس على اليسار من النواب، أيدوا التغيير الذى تحقق عن طريق الثورة الفرنسية، ذلك التغيير المتمثل بالتحول إلى النظام الجمهورى والعلمانى. ولا يزال ترتيب الجلوس نفسه متبعًا فى البرلمان الفرنسى. بمرور الوقت تغير وتشعب استعمال مصطلح اليسارية بحيث أصبح يغطى طيفًا واسعًا من الآراء لوصف التيارات المختلفة المتجمعة تحت مظلة اليسارية، فاليسارية فى الغرب تشير إلى الاشتراكية أو الديمقراطية الاشتراكية أو الليبرالية الاجتماعية فى أوروبا والولايات المتحدة، من جهة أُخرى تدخل تحت المصطلح العام لليسارية حركة يطلق عليها اللا سلطوية والتى يمكن اعتبارها بأقصى اليسار أو اليسارية الراديكالية. ونتيجة لهذا التنوع فى استخدام المصطلح هناك اختلاف بين اليساريين أنفسهم حول من يشمله اللفظ فمثلًا، يؤكد الليبراليون الاجتماعيون على الحريات والديمقراطيون الاشتراكيون على التزامهم بالديمقراطية ورفض الثورية التى يتبناها الشيوعيون الذين يرون الاشتراكية الثورية التى ترفض الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج الممثل الحقيقى لليسار. كلما وجدت شرطًا صدمت به حين تتذكر حركة أو حزبًا يساريًا يضرب بها عرض الحائط. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٧، ص ٤١٢.

[2] مصطفى طيبة، المرجع السابق، ص١٣.

باستدعاء كبار علماء الأزهر الشريف، لاطلاعهم على عجائب ما وصل إليه العلم من تقدم. أما الإعصار الثانى فقد تمثل فى تكوين دولة محمد على تلك الدولة التى أنشأت المؤسسات المتطورة للدولة والجيش الحديث[1].

لم يتردد محمد على فى الاستعانة بالخبراء الفرنسيين. وأرسل البعثات الدراسية إلى أوروبا، كما تُرجمت القوانين واللوائح الفرنسية كافة لتنظيم الجيش، فضلًا عن قيامه بإرسال البعثات الدراسية وكان من بين المرافقين لإحدى البعثات إلى فرنسا، رفاعة رافع الطهطاوى[2] كانت مهمته الرسمية مع البعثة تقتصر على الوعظ والإرشاد الدينى؛ لحماية أعضاء البعثة من البلبلة الفكرية أو الانحراف فى باريس. لم تكن جهوده مقتصرة على الوعظ والإرشاد إنما امتدت إلى الدعوة لنشر التعليم بين أبناء الشعب. وقدم رافع فى كتابه " **مناهج الألباب المصرية، فى مباهج الآداب العصرية**" مفاهيم عن الأرض للزراعيين، وقدم فيه مجموعة من النظريات الاقتصادية التى تعبر عن تأثره بالتيارات الفكرية التى كانت تموج بها فرنسا آنذاك، ومن بينها النظريات

---

(1) نفس المرجع، ص١٤.

(2) رفاعة رافع الطهطاوى: (١٨٠١-١٨٧٣) هو رائد حركة الترجمة والتنوير فى مطلع النهضة الحديثة، ولد بطهطا بمحافظة سوهاج جنوبى صعيد مصر، حفظ القرآن وألم بطرقه من الفقه، وفد إلى الأزهر فى "١٨١٧". تتلمذ على يد الشيخ حسن العطار (١٧٦٦-١٨٣٥) واشتغل بالتدريس فى الأزهر منذ عام (١٨٢٠-١٩٢٤) عمل واعظًا بالجيش، وقد رشحه العطار إمامًا لأولى بعثات محمد على لفرنسا فى "١٨٢٦". ودرس هناك علوم الحرب والهندسة والمعادن والقانون، تخصص وبرع فى الترجمة ثم ألف كتابه الشهير" تخليص الإبريز فى تلخيص باريز"، الذى كان أول نافذة أطل منها العقل العربى على الحضارة الأوروبية الحديثة. بعد عودته إلى مصر تكونت حوله مدرسة الفكر المصرى الحديث، عن طريق إشرافه على إقامة مدرسة الألسن(بمثابة كلية الآداب والحقوق) بموافقة الوالى محمد على١٨٣٦. ظهرت ثمار تلك المدرسة فى صورة عشرات الكتب الحديثة ترجمة وتأليفًا وتحقيقًا. دعى الطهطاوى إلى تعليم النساء فهو يستحق لقب الرائد الأول لقضية تحرير المرأة من قيود عصور الحريم والتخلف. كما رأس تحرير جريدة الوقائع المصرية، وقلم الترجمة إلى أن تولى عباس الأول فأبعده إلى السودان فى ١٨٥٠، كما أغلق المدارس بمصر. عاد مرة أخرى فى عهد إسماعيل ليشرف على ترجمة القانون المدنى الفرنسى. توفى فى "١٨٧٣". مصطفى طيبة، المرجع السابق، ص١٤،١٥.

الاقتصادية التى يستند إليها المفكرون الاشتراكيون. كان الطهطاوى أول تعبير عما أحدثته الصدمة الحضارية الناتجة عن الحملة الفرنسية. شهد القرن التاسع عشر إلى جانب الطهطاوى، بروز عدد من المفكرين والمصلحين، ينتمون إلى مدارس فكرية مختلفة لكن جميعهم عبروا عن تأثرهم بالفكر الاشتراكى[1].

يعد آخر ما نشر من أفكار الأفغانى كتاب "خاطرات الأفغانى" يقول فيه" أما الاشتراكية[2] فى الإسلام، فهى ملتحمة مع الدين الإسلامى ملتصقة فى خلق أهله، منذ كانوا أهل بداوة وجاهلية". وقال أيضًا فى الكتاب نفسه" الدعوة لطلب الحرية فى فرنسا، هى دعوة ومطلب حق كم صادف أهلوها من المحن، وكم استمر فيها القتل وسالت الدماء، واليوم فالعالم يقدرهم ويحتذى بهم". وأكد الأفغانى كلامه بأن دعوة الاشتراكية، وإن قل نصراؤها اليوم، فلا بد أن تسود العالم يوم يتم فيه العلم الصحيح"[3].

إذ تحدث الأفغانى من منطلقاته الإسلامية عن الاشتراكية فى كتابه الأخير، رغم أنه بدأ حياته بالهجوم عليها فى كتابه" **الرد على الدهريين**"، فإن هذا التغيير فى فكره إنما يرجع إلى تفتحه على ثمار الحضارة الأوروبية، ومحاولة الاستفادة من منجزاتها وتياراتها الفكرية وتطويع ذلك بما يتفق مع فهمه العميق للدين الإسلامى، ونظرته العميقة لما ينطوى عليه من ريادة وأصالة فى شتى ميادين الحرية والعدالة الاجتماعية. برز العديد من رواد الفكر العلمى والاشتراكى مع الأفغانى أو بعده، وإن اختلفوا معه فى المنطلقات الفكرية وكثيرون غيرهم. مع انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية فى روسيا "١٩١٧"، واشتعال ثورة "١٩١٩" فى مصر، تطور الفكر الاشتراكى، وتزايدت أعداد المثقفين المصريين المؤمنين بهذا الفكر- ممن اشتركوا فى البعثات الدراسية

---

[1] نفس المرجع، ص١٤.

[2] الاشتراكية: Socialism، هى مجموعة من المفاهيم والمناهج التى تهدف إلى القضاء على المجتمع الرأسمالى، وإقامة مجتمع أكثر عدلًا ومحققًا لمبدأ المساواة بين جميع الأفراد والإخاء بين الأمم. وتتناول أيديولوجية الاشتراكية ثلاثة عناصر (الاقتصاد- الفلسفى- النضالى). عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج١، ص١٩٧.

[3] مصطفى طيبة، المرجع السابق، ص ١٥؛ رفاعة الطهطاوى، مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية، ص٢٢.

لأوروبا. أو من تجمعات المهاجرين الأجانب[1]. ثم جاء إعلان تشكيل الحزب الاشتراكى المصرى فى أغسطس "١٩٢٢"[2]، ليكون معبرًا عن صعود هذا الفكر. بذلك كانت البداية الحقيقية لأولى صفحات تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر، بعد ظهور أشكال متعددة منها، بدءًا من الإرهاصات العامة التى حملتها كتابات الطهطاوى والأفكار الأخيرة للأفغاني[3].

قامت حكومة أحمد زيور باشا[4] بشن حملة على الحزب الشيوعى، صادرت أوراقه ومطبوعاته وقدمت أعضاءه للمحاكمة فى يناير "١٩٢٦"، ولم يقم

---

(1) وتجدر الإشارة إلى أنه قد ظهر تياران اشتراكيان فى الوقت نفسه، تيار الحزب الاشتراكى بقيادة جوزيف روزنتيال Joseph Rosenthal (١٨٩٩) ، ويغلب عليه الفكر الماركسى وهو من أبرز الشخصيات الاشتراكية بين المهاجرين وأكثرهم نشاطًا بين العمال، لا سيما العمال الأجانب ، وكان أول من دعا إلى تكوين أول اتحاد مصرى للنقابات عام "١٩٢١". والتيار الآخر هو الفكر الاشتراكى بقيادة سلامة موسى(١٨٨٧-١٩٥٨)، و يغلب عليه الفكر الفابى الذى كان يسيطر على حزب العمال فى بريطانيا. ومن التقاء التيارين تشكل الحزب الاشتراكى المصرى فى "١٩٢١"، الذى تضمن العمل على تحرير مصر من الاستعمار الأجنبى، وإلغاء استغلال جماعة لأخرى، ومحو التفريق بين الطبقات، ومجانية التعليم، وتحرير المرأة من قيود العصور الوسطى. لقراءة المزيد عن الطبقة العاملة المصرية ونشاطها ، انظر أمين عز الدين، الطبقة العاملة المصرية منذ نشأتها فى عام "١٩٠٧"، القاهرة، دار الغد العربى، "١٩٨٧".

(2) يقصد به حزب مصر الفتاة حيث عُدل اسمه فى "١٩٤٩" بعد انشقاق أغلب أعضائه، وانضمامهم للحزب الوطنى؛ وكذلك لمعارضتهم تأييد أحمد حسين لحزب الوفد بعد حادث ٤ فبراير "١٩٤٢". عرف فى تلك الأثناء بالحزب الاشتراكى، وأعلن برنامجًا يتعلق بتحديد الملكية ٥٠ فدانًا وتأميم بعض المشروعات الكبيرة ، وشن هجومًا عنيفًا على الملك وكبار الملاك. أسهم فى الكفاح ضد الإنجليز فى قناة السويس "١٩٥١". بعد حريق القاهرة اعتقل عدد من رجاله؛ وقدم أحمد حسين للمحاكمة بتهمة التحريض على الحريق، ثم أفرج عنه بعد ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢". وتم حل الحزب مع حل الأحزاب فى "١٩٥٣". عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٢، ص ٥١٨-٥١٩.

(3) مصطفى طيبة، المرجع السابق، ص ١٧.

(4) أحمد زيور: (١٨٦٤-١٩٤٥) ابن زيور رحمى أغا الجركسى. وُلد عام "١٨٦٤"م فى الإسكندرية، مُنحدرا من أسرة شركسية تركية الأصل، يونانية الجنسية جاءت إلى الإسكندرية من إقليم قوله التابع لليونان. تلقى تعليمه فى مصر ثم فى كلية الجزويت ببيروت، ثم تخرج فى كلية إكس فى فرنسا حاصلًا على شهادة الحقوق منها. وكان وزيرًا

للحزب قائمة من وقتها وظلت جماعاته متفرقة محتفظة بأفكارها، تبحث عن إطار تنظيمى تعيد من خلاله كيان الحزب. فقد انحصرت الصراعات الفكرية والحزبية على النطاق الجماهيرى بين حزب الوفد من ناحية، وتنظيم الإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة من ناحية أخرى[1].

نجح الاستعمار فى دعايته ضد الشيوعية فقد كان الفكر الشيوعى العدو الرئيس له. ويقول يوسف صديق فى مذكراته معبرًا عن نظرة الناس للشيوعية حينها: "إن المسلم من أمثالى وبصفة خاصة الريفى يبسمل (بسم الله الرحمن الرحيم) ويحوقل (لا حول ولا قوة إلا بالله) ويستغفر الله لمجرد ذكر اسمها. فقد كانت الدعاية تصور لنا أن الشيوعية تعنى شيئًا واحدًا لا غير وهو الإلحاد (الكفر) وكأنما كل ما جاء به كارل ماركس Karl،Marx [2]

للمعارف العمومية فى وزارة محمد سعيد باشا ذو الفقار الثانية فى ٢٠ مايو عام "١٩١٩"، و تمّ تعيينه وزيرًا للمواصلات فى أربع وزارات أخرى هى ، وزارة يوسف باشا وهبه الأولى (١٩١٩-١٩٢٠) ، ووزارة محمد توفيق باشا نسيم (١٩٢٠-١٩٢١) ، ووزارة عدلى يكن باشا (١٩٢١) ووزارة يحيى إبراهيم باشا (١٩٢١-١٩٢٤) ثم عين وزيرًا للدولة فى التعديل الوزارى الثالث لوزارة سعد باشا زغلول عام "١٩٢٤" م.شغل منصب رئيس مجلس الشيوخ المصرى ذى الأغلبية الوفدية. شكّل وزارته الأولى فى ٢٤ نوفمبر "١٩٢٤"م ، واستمر فى الحكم حتى ١٣ مارس "١٩٢٥". جامعًا مع منصب الرئاسة وزارتى الداخلية والخارجية كذلك. أُعيد تكليفه بتشكيل الوزارة المصرية مرة ثانية . بعد تقديم استقالة وزارته الأولى فى ١٣ مارس "١٩٢٥". واستمر فى الحكم حتى ٧ يونيه "١٩٢٦"م. عُيّن رئيسا للديوان الملكى فى ٢٧ أكتوبر "١٩٣٤". لمعرفة تشكيل الحكومة فى عهده، انظر فؤاد كرم، النظارات والوزارات المصرية، ج١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، "١٩٤٩"، ص٢٦٤-٢٨٢.

(١) مصطفى طيبة، المرجع السابق، ص١٨.

(٢) كارل ماركس: karl،Marx (١٨١٨-١٨٨٣) فيلسوف اشتراكى ألمانى ومناضل ثورى، ولد فى مدينة ترير بمنطقة الراين كان أبوه يهوديًا ثم اعتنق المسيحية، التحق ماركس بجماعتى بون وبرلين حيث درس القانون كما درس الفلسفة، وكتب رسالة فى فلسفة القانون، كما درس الإنجليزية والإيطالية، اشترك فى تأليف كتاب" الأيديولوجية الألمانية". شارك فى كتابة العديد مع فريدريش إنغلس Engels (١٨٢٠-١٨٩٥) من أبرز أعمال ماركس التى نشرت وترجمت إلى معظم لغات العالم. الرأسمالية (١٨٦٧-١٨٩٤)، الصراع الطبقى فى فرنسا "١٨٥٠"، المسألة اليهودية، العمل المأجور

للبشرية وكانت فى غفلة عنه هو، أن الله غير موجود"[1].

بعد قيام الثورة الروسية "١٩١٧"[2] وما حققته من انتصارات، التى لم تكن ممكنه بدون اشتراك الشيوعيين فى الحرب على حد قول يوسف صديق، جعلته يعيد النظر فى أمر الشيوعية، ونظر للأمور بصورة أعمق وقد كان فى الثلاثينيات من عمره، فرأى أن وصول الدولة الروسية فى مدى نحو ربع قرن من الزمان إلى ما أصبحت عليه، ليس السبب فيه هو اعتمادهم على نظام لا جديد فيه إلا أن الله غير موجود. وقد دفعه إسلامه وإيمانه بالله إلى الأخذ بأن

والرأسمالى: بيان الحزب الشيوعى "١٨٤٨".... وهو المنظم الرئيس للحركة العمالية الأوروبية. والماركسية سميت بذلك نسبًا له وقد سببت الماركسية، صراعات أيديولوجية وسياسية. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٥، ص٦٣٥. للمزيد عن الماركسية، انظر نفس المرجع، ص٦٣٩-٦٥٠.

(١) عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص٧٧.؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص١٠.

(٢) الثورة الروسية: Russian Revolution هى أول ثورة اشتراكية منتصرة فى تاريخ العالم، قامت بها الطبقة العاملة الروسية فى "١٩١٧" متحالفة مع الجنود الروس الفقراء، وتمت بفضلها الإطاحة بسلطة تحالف البرجوزاية مع كبار الملاك فى روسيا. وعلى أنقاض هذه السلطة أقيمت دكتاتورية البروليتاريا. وقد سبقتها ثورة برجوازية ديمقراطية فى (١٩٠٥-١٩٠٧)، إلا أنها فشلت، وفى يوم ٢٨ فبرايرترك القيصر نيقولا الثانى الحكم (١٨٩٤-١٩١٧). وأعلن الإضراب العام فى موسكو. وهكذا انهار النظام القديم، وبعد نجاح الثورة طالب الشعب الروسى بإنهاء الحرب الاستعمارية التى كانت تخوضها روسيا إلى جانب الحلفاء، وإقرار السلام، وإلغاء ملكية كبار ملاك الأراضى، وتخفيض ساعات العمل كما طالب بإطلاق الحريات الديمقراطية، ولكن هذه المطالب تجاهلتها الحكومة المؤقتة ،ولكن الشعب ظل يناضل من أجل تحقيق مطالبه، قامت الثورة مرة أخرى فى أكتوبر واستطاعت تحقيق مطالبها، وتم إعلان المساواة والسيادة لشعوب روسيا كلها. فى مارس "١٩١٨" توصل الوسفيات إلى السلام وانسحبت روسيا من الحرب العالمية الأولى، بعد عقد معاهدة بريست ليتوفسك. ومن هنا فتحت الثورة الروسية صفحة جديدة فى تاريخ العالم وانقسم بها العالم إلى نظامين متعارضين، النظام الاشتراكى والنظام الرأسمالى. وكانت هذه الثورة بداية عصر الثورات الاشتراكية فى الدول الرأسمالية وحركة التحرر الوطنى. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج١،ص٨٧ ٨-٨٨٨، ٨٩٤-٨٩٥. ؛ خراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج٤، ط١، عمان- الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، "٢٠١٣"، (١٣٢٧-١٣٣٠).

النظام الذى يدفع بدولة فى مثل هذه الفترة، لا بد أن يكون على أسس ترضى الله. وقد كانت الماركسية على حد قولهِ تنتشر على الأرض بسرعة لم يسبقها إليها غير الإسلام. وأصبحت الماركسية عنده أمرًا يمكن للمرء أن ينظر فيه لا يقابله بالبسملة والحوقلة والاستغفار. وقام بتحصين نفسه بمضاعفة اجتهاده فى الدين علمًا وعملًا فى الوقت نفسه، فقام بمضاعفة القراءة فى الثقافة الإسلامية، وحرص على أداء واجباته الدينية بالتزام أدق، ودعى الله كثيرًا أن يجنبه شر الانزلاق إلى الضلال. قام يوسف بقراءة الكثير من الكُتب التى قدمها له أصدقاؤه الشيوعيون[1].

قام يوسف صديق بتسجيل انطباعه عن الماركسية قبل أن يتركها فى "١٩٥٠" ليلتحق بالضباط الأحرار. فرأى أن الشيوعية شيء لا وجود لها فى عالمنا الحاضر- وإنما هى نظام اجتماعى واقتصادى سوف تتمخض عنه الاشتراكية كما تنبأ بذلك ماركس، و أن النظام الموجود حاليًا هو الاشتراكية. كما أن الأحزاب الموجودة جميعها تمارس التطبيق الاشتراكى- فالحزب الشيوعى هو الذى يقوم بتطبيق الشيوعية، إذًا فلماذا تطلق على نفسها اسم الحزب الشيوعى ؟! ينبغى عليها أن تستخدم اسم الحزب الاشتراكى، كما أن ماركس لم يكن نبيًا مرسلًا علينا أن نقبل تعاليمه وتصوراته بلا مناقشة، فالشيوعية كما تصورها ماركس تحوى صورة للحياة لا يقبل الإنسان المعاصر بعض مفاهيمها. قائلًا "فربما تتغير الأمور فى أثناء التطبيق الاشتراكى ويهتدى العلماء الذين يجتلون أسرار الكون ويصلون إلى القمر ويحاولون الوصول إلى العوالم الأخرى، ربما يهتدى هؤلاء إلى التسليم بوجود الله وتقبل البشرية المرحلة التى ستتمخض عنها الاشتراكية فى ظل الإيمان وتنعم بالسلام والرخاء ويفرغ الإنسان إلى عبادة الله الذى قال"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ"[2]. فتسمية الأحزاب بالشيوعية أساء إليها وسهل من التأثير على الناس بالدعاية ضدها[3].

كما أن يوسف يرى أن بعض الشيوعيين المحليين أسهموا فى الإساءة إلى الشيوعية؛ بما كانوا يجاهرون به من إعلان إلحادهم وعدم مبالاتهم بالدين،

---

(1) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٧٨.

(2) الآية ٥٦ من سورة الذاريات،" القرآن الكريم"، رقمها ٥١ فى ترتيب المصحف.

(3) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٧٨-٧٩. ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص١١.

فضلًا عن سخريتهم من المصلين والإفطار جهرًا فى رمضان، وقد رأى صورًا من ذلك فى الريف وكيف أثر ذلك فى الناس البسطاء وجعلهم ينفرون من الشيوعية. فالحزب الذى يحكم الاتحاد السوفيتى ويسمى نفسه بالحزب الشيوعى لم يفرض الإلحاد على شعوب الاتحاد السوفيتى، والمواطنون هناك يمارسون حرية الاعتقاد الدينى، ويقوم المؤمنون بممارسة شعائرهم الدينية فى المساجد أو الكنائس بحرية تامة. فضلًا عن كون الجمهوريات السوفيتية منطقة القوقاز[1] التابعة للاتحاد السوفيتى، تحوى تراثًا إسلاميًا فاخرًا من المساجد والأضرحة قد ساعد الحزب على ترميمها، وهناك سجل كبير يحوى هذه الآثار مصورة. مما

---

[1] منطقة القوقاز: تقع جبال القوقاز السفلية فى منطقة الشرق الأوسط الكبير. حيث تعتبر هذه المناطق الحد الفاصل بين أوروبا وآسيا، وتعد مناطق القوقاز واقعة فى واحدة من تلك القارتين أو كلتيهما. يعد جبل ألبروز أعلى مناطق القوقاز بارتفاع يصل إلى ٥،٦٤٢ م فى روسيا، كما يعد الجبل أعلى نقطة فى أوروبا (بالنسبة إلى من يعد القوقاز أوروبيًا). يعد القوقاز أكثر المناطق تنوعًا من الناحيتين اللغوية والثقافية على وجه الأرض. يتألف القوقاز من الدول القومية السوفيتية سابقًا جورجيا، أرمينيا وأذربيجان، أما القوقاز الروسى فيتألف من كراسنودار كراى، ستافروبول كراى، أديغيا، قراتشاى - تشيركيسيا، قبردينو - بلقاريا، الشيشان، إنغوشيا، أوسيتيا الشمالية وداغستان. كما يضم القوقاز ثلاث دول أعلنت استقلالها غير المعترف بها دوليًا وهى: أبخازيا، أوسيتيا الجنوبية وقرة باغ. والقوقاز كان مقرًا للصراعات السياسية والعسكرية والدينية والثقافية والعمليات التوسعية عبر القرون. كان إقليما "إيروان" و"نخجوان" فيما وراء القوقاز فى البداية إقليمين حدوديين من الدولة القاجارية ،العالم الإيرانى، فى بداية القرن التاسع عشر، اقتطعت الإمبراطورية الروسية المنطقة من القاجاريين.وفق معاهدة تركمانجاى سنة "١٨٢٨". وأقام غرب شمالى القوقاز علاقات صداقة وتجارة مع الإمبراطورية البيزنطية حسبما جاء فى كتاب "أصل الشركس" للبروفيسور آيتق ناميتوق . وكتاب "تهجير الشركس" . أسلم القسم الشرقى من شمالى القوقاز على يد التجار المسلمين فى عهد على بن أبى طالب. بعد أن توقفت الفتوحات التى أرسلها الخليفة عمر عند باب الأبواب. وفى حين أسلم النبلاء فى القسم الغربى إلا أن إسلام السكان تأخر حتى البعثات العثمانية، التى صار القفقاسيون الشماليون يدينون لخليفة المسلمين بالولاء كزعيم روحى لهم، لكن المنطقة مضت فى تحولين دينيين كبيرين بعد ذلك. بسبب الصراع الكبير بين فارس وروما (بيزنطة) لاحقًا، إذ قامت الأخيرة باحتلال المنطقة عدة مرات، إلا أنها لم تستطع السيطرة عليها لوقت طويل. منير البعلبكى، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، "١٩٩١"، ص٧٨.

يدل على أن الحزب لا يعادى الأديان أو يضطهدها، ويرى يوسف أن فى ظل الاشتراكية نستطيع أن نقول، إن الدين الإسلامى هناك قد أزهر وأنجب أعلامًا أسهموا فى إثراء تراثها الإسلامى. كان يوسف صديق يخشى أن تتأثر عقيدته قبل أن يقرأ عن الشيوعية ، لذلك جلس يحصن نفسه قبل أن يخوض تجربة التعرف على الشيوعية عن قرب، بَيْدَ أنه أكد أن كل ما قرأه أو سمعه فى المناقشات التى دارت بينه وبين الشيوعيين أو فى المحاضرات التى استمع إليها حول الاشتراكية لم يشعره بما يهدد عقيدته. وتوصل إلى أن كل ما تحويه الاشتراكية يطابق الإسلام إذا استبعدنا قضية الإلحاد، والتى لا تفرضها الاشتراكية ولا يعتنقها سوى قلة من الشعوب الاشتراكية الرائدة، فالاشتراكية تقوم - أساسًا - على تحقيق العدالة الاجتماعية فهى تقدس العدل، كما تعمل على تحقيق السلام على الأرض وأن تكون المحبة والتعاون محلًا للتنافس بين أفراد المجتمع. فهى تنادى بإلغاء استغلال الإنسان للإنسان، ولما كان الربا نوعًا من الاستغلال فقد ألغت الاشتراكية الربا فى بلادها. فمقياس كل فرد فيها هو عمله الصالح فقط[1].

رأى يوسف صديق أن الاشتراكية العلمية الماركسية نظرية قابلة للتطبيق، وإذا كانت بعض البلاد قد طبقتها بصورة لا يرضى عنها البعض فهذا لا يعيبها، واختلاف الدولتين الرائدتين فى تطبيقها روسيا والصين فهذا لا يقدح فيها أو يعيبها. فهما يكونان فى صف واحد فى أغلب القضايا العالمية، كما نجدهما دائمًا فى عون البلاد التى تناضل فى سبيل تحررها من الاستعمار. نظر يوسف إلى الشيوعيين كونهم قومًا ينكرون الله بأقوالهم لكنهم يعبدونه بأفعالهم، قائلًا:" فهم قوم يؤمنون بالإنسان والعلم ويقدسون الحق والعدل والسلام، وهذه كلها سمات المؤمنين. ورب سائل يسأل وما الذى يجعلنا نأوى إلى نظرية من صنع البشر وعندنا الإسلام؟... ولعل خير رد على ذلك هو فشل (الإخوان المسلمين). وقد يكون الإخوان المسلمون أنفسهم أسهموا فى فشل قضيتهم". ويبرهن على

---

(1) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٨٠-٨١. ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص ١٢.

ذلك قائلًا:" فالذى قتل حسن البنا ملك والملك بطبيعته لا يمكن أن يكون مسلمًا- لأنه جاء إلى الحكم بطريقة غير التى يقرها الإسلام - طريق الشورى- والنبى -عليه الصلاة والسلام- لم يعين من يحكم المسلمين بعده وإنما ترك الأمر لأصحابه- للشعب- واختار الشعب أبا بكر- رضى الله عنه - وأرضاه فحكم"[١].

وتابع يوسف قوله بأن أول ما قام به الإسلام بعد استقراره فى جزيرة العرب، هو أنه داس تيجان الأباطرة، وأن القرآن قد هاجم الملكية والملوك فى أكثر من موضع منه. وأن فى سيرة رسول الله ﷺ أن عُمَر[٢] رضى الله عنه

---

[١] يوسف صديق، المصدر السابق، ص١٣.؛ عبد العظيم، المرجع السابق، ص٨٢.

[٢] عمر بن الخطاب :(١٣- ٢٣هـ) هو أبو حفص عمر بن الخطاب العدوى القرشى، هو ثانى الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول محمد، لقب بالفاروق، وهو أحد أشهر الأشخاص والقادة فى التاريخ الإسلامى ومن أكثرهم تأثيرًا ونفوذًا. هو من العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة. تولّى الخلافة الإسلامية بعد وفاة أبى بكر الصديق فى ٢٣ أغسطس سنة "٦٣٤"م، الموافق ٢٢ من جمادى الثانى ١٣هـ. كان عمر قاضيًا خبيرًا وقد اشتهر بعدله وإنصافه الناس من المظالم، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، وكان ذلك أحد أسباب تسميته بالفاروق، لتفريقه بين الحق والباطل. هو مؤسس التقويم الهجرى، وفى عهده بلغ الإسلام مبلغًا عظيمًا، وتوسع نطاق الدولة الإسلامية حتى شمل كامل العراق ومصر وليبيا والشام وفارس وخراسان وشرق الأناضول وجنوب أرمينية وسجستان، وهو الذى أدخل القدس تحت حكم المسلمين للمرة الأولى وهى ثالث أقدس المدن فى الإسلام، وبهذا استوعبت الدولة الإسلامية كامل أراضى الإمبراطورية الفارسية الساسانية وقرابة ثلثىّ أراضى الإمبراطورية البيزنطية، تجلّت عبقرية عمر بن الخطاب العسكرية فى حملاته المنظمة المتعددة التى وجهها لإخضاع الفرس الذين فاقوا المسلمين قوة، فتمكن من فتح كامل إمبراطوريتهم خلال عامين. تم طعنه وهو يُصلى الفجر بالناس يوم الأربعاء ٢٦ ذى الحجة (٢٣ هـ/٦٤٤ م)، ثم حُمل إلى منزله وهو ينزف توفى بعد ٣ أيام من طعنه ودفن بجوار الحجرة النبوية إلى جانب أبى بكر الصديق والنبى محمد، وكان عمره خمسًا وستين سنة. وحاول المسلمون القبض على القاتل فطعن ثلاثة عشر رجلًا مات منهم ستة، فلما رأى عبد الرحمن بن عوف ذلك ألقى رداءً كان معه على أبى لؤلؤة فتعثر وقام بطعن نفسه منتحرًا. وبذلك دفن أبو لؤلؤة فيروز الفارسى. أما عن أخبار المؤامرة والدوافع إليها، فقد اختلفت الروايات حسبما يستنتجه المؤرخون. أحمد نذير، الإسلام فى التاريخ العالمى، المعهد الأمريكى للثقافة والتاريخ الإسلامى، "٢٠٠١"، ص٣٤؛ عصام شبارو، الدولة العربية الإسلامية الأولى (١-٤١ هـ/ ٦٢٣-٦٦١ م)، ط٣، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان،"١٩٩٥"، ص٢٧٩.؛ الطبرى، أبو

زاره ذات يوم فوجده ينام على فراش خشن قد أثر فى جلده، فأشفق عمر على حبيبه وقال: يا رسول الله هلا اتخذت لك فراشًا لينًا ؟ فأجاب الرسول ويحك يا عمر- إنها نبوة لا ملك. كما أكد أن الإسلام بلا شك يحوى كلَ ما فى النظرية الماركسية من خير- ويزيد عليه ما فى الإيمان من قوة مستمدة من تأييد القوى العزيز(الله)[1].

ورأى يوسف صديق أن الزمن تطور تطورًا كبيرًا، ومن ثم فإن إحياء الخلافة الإسلامية على النحو الذى كان قائمًا فى عهد الخلفاء الراشدين، لا يصلح لهذه الأيام، كما أن الدين الإسلامى نزل ليلائم كل زمان فهو يتطور مع الزمن فهو دين يُسر. وهنا استحضر قصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه (١٣هـ - ٢٣هـ) عندما حضره الموت أوصى بأن يكون الأمر شورى بعده فى ستة ممن توفى (النبى محمد) وهو عنهم راضٍ وهم: عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب(٣هـ/٦٢٥م- ٥٠هـ/٦٧٠م)، طلحة بن عبيد الله (٢٦ ق.هـ/٥٩٨م - ٣٦ هـ/٦٥٦م)، الزبير بن العوام(٢هـ / ٦٢٤ م- ٧١هـ/ ٦٩٢م)، عبد الرحمن بن عوف (٣٣هـ/٥٨١م-٤٣هـ/٦٥٢)، وسعد بن أبى وقاص (٢٣ق.هـ - ٥٥هـ)[2]. كما أمر بحضور ابنه عبد الله مع أهل الشورى ليشير بالنصح دون أن يكون له من الأمر شيءٌ، ثم أوصى صهيب بن سنان أن يصلى بالمسلمين ثلاثة أيام حتى تنقضى الشورى.مات عمر بن الخطاب بعد ثلاثة أيام من طعنه[3]. واختتم القصة بذكره لحظة المبايعة عندما سأل عبدُ الرحمن بن عوف عليا بن أبى طالب لحظة إعلان النتيجة هل نبايعك على أن تسير سيرة الرجلين

جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٤، القاهرة، دار المعارف، "١٩٦٠"، ص١٩٠-١٩١.

[1] يوسف صديق، المصدر السابق، ص١٣.

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية ،ج٧، بيروت، مكتبة المعارف، "١٩٨١"، ص١٣٧، ١٣٨، ١٤٤؛ محمد حسين هيكل، الفاروق عمر، ج٢، ط١٠، القاهرة ، دار المعارف، د.ت ص٢٨٢-٢٨٣.

[3] نفس المرجع، ص ٢٧٦-٢٧٧. قد ذكر يوسف هذه القصة ولكنه أخطأ فى اسم ابن عمر ابن الخطاب - كرم الله وجهه - قال محمد، فالواقعة صحيحة ولكن ربما خانته الذاكرة فى ذكر الاسم الصحيح.

يقصد(أبا بكر وعمر)، فأجاب لا فلم يناقشه، وجه السؤال ذاته لعثمان بن عفان فأجاب بنعم، وكانت الخلافة له[1].

وقد فسر يوسف صديق وجهة نظر عليَّ عندما أجاب بلا بأنه - كان يعى أن لكل زمان سيرته فى الإسلام، وأن ما كان فى عهد الرجلين ربما لا يتماشى مع العهد القادم، لأن الإسلام لم ينزل لزمن الرجلين ويتجمد عند هذا الزمن إنما يتطور مع تطور البشرية... كما أن البشرية قد دفعت ثمنًا غاليًا من أرواحها بحثًا عن الحياة الأفضل للإنسان حتى وصلت فى أيامنا هذه على حد قولهِ، إن الاشتراكية هى الحل فى قضية الإنسانية[2].

وقد أسهمت الظروف أيضًا فى خلق مناخ ملائم لظهور الحركة الشيوعية المصرية، حين أثبتت الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ أن معاهدة الشرف والاستقلال "١٩٣٦" التى أبرمتها مصر مع بريطانيا، بعيدة كل البعد عن هاتين الصفتين، فقد تعرضت مصر لأخطار الدمار لخوضها حربًا لا مصلحة لها فيها، فأضرت باقتصادها وأصابته بالتضخم وأول من شعر به هى الطبقة العاملة المصرية، فضلًا عن تسريح عمال ورش الصيانة العسكرية التى أقامها الحلفاء فى مصر خلال الحرب، كما حُرم عشرات الألوف من العمال من حق العمل، مما زاد من حدة البطالة وسهل من استقطاب العمال إلى بعض القيادات النقابية العمالية. وبذلك اجتمعت الآراء السياسية فى مصر على اختلاف توجهاتها على ضرورة إعادة النظر فى العلاقات المصرية البريطانية وصولًا إلى استقلال تام بجلاء القوات البريطانية عن مصر. وقامت الحركة الشيوعية بالعمل بين صفوف الجماهير مما جعلها تستقطب الكثيرين، حتى إنها كان لها وجود بالجيش اتسع ليضم بعضًا من الضباط مثل أحمد حمروش[3]،

---

[1] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ٨٢-٨٣. ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص١٤.

[2] نفس المصدر، ص١٤.

[3] أحمد حمروش: (١٩٢١-) من مواليد "١٩٢١"، هو أحد الضباط الأحرار، ورئيس اللجنة المصرية للتضامن، وأحد أبرز مؤرخى ثورة ٢٣ يوليو. كان الراحل ينتمى إلى اليسار المصرى، وعمل مدرسًا فى جناح الأنوار الكاشفة بمدرسة المدفعية وكان مسئولًا عن تنظيم الضباط الأحرار فى الإسكندرية ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢".وقد كان فى طليعة رجال ثورة ٢٣ من يوليو "١٩٥٢". وتخرج حمروش فى الكلية الحربية عام "١٩٤٢"

ويوسف صديق، وخالد محى الدين[1]، الذين انضموا للضباط الأحرار فيما بعد[2].

وكلية أركان الحرب "١٩٥٣". تولى رئاسة تحرير مجلة "التحرير" والتى كانت أول مجلة لحركة الجيش عام "١٩٥٢"، ثم ترأس كلا من صحف "الهدف" و "الكتائب" و"روزاليوسف" إضافة إلى امتلاكه عشرات المؤلفات والكتب في السياسة والقصة والمسرح والرحلات، وعمل بالصحافة فى جريدة الجمهورية عام "١٩٥٦". هو صاحب كتاب "ثورة يوليو وعقلية مصر" الذى أوضح أن كل الأعمال العظيمة لا يظهر مقدار عظمتها إلا بعد أن تدور عجلتها ويفصل التاريخ فى أمرها، فحركة ٢٣ يوليو، بدأت فى صورة انقلاب عسكرى ولكنها كانت تتطور كل ساعة، بل كل دقيقة، حتى وصلت خلال ثلاثة أيام فقط إلى صورة كاملة بكل ما تعنيه الثورة من أبعاد.،حاول حمروش فى كتابه تقييم الثورة، وذلك من خلال من شاركوا فى صنعها أو قاوموا مسيرتها، أو وقفوا منها موقف المفكر الحر الذى يتأمل ويختزن فى الصدر. فكانت مجموعة أسئلة وجهها المؤلف إلى هؤلاء الذين قدموا إجابات، عرضوا من خلالها صورة صادقة عن رأيهم ووجهة نظرهم فى ثورة يوليو بعد ٣٢ عامًا. لقراءة المزيد، انظر أحمد حمروش، المرجع السابق.

(١) خالد محى الدين: (١٩٢٢ -) أحد الضباط الأحرار، وأحد أعضاء مجلس قيادة الثورة، مؤسس حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى حتى اعتزاله العمل العام، ولد خالد محى الدين فى كفر شكر فى محافظة القليوبية عام "١٩٢٢". تخرج فى الكلية الحربية عام "١٩٤٠"، وصفه جمال عبد الناصر بالصاغ الأحمر فى إشارة إلى توجهات محى الدين اليسارية، وحينما دعا الصاغُ خالد محى الدين رفاقَه فى مارس "١٩٥٤" إلى العودة لثكناتهم العسكرية لإفساح مجال لإرساء قواعد حكم ديمقراطى، نشب خلاف بينه وبين جمال عبد الناصر ومعظم أعضاء مجلس قيادة الثورة استقال على أثره من المجلس. تحالف مع محمد نجيب لعودة الحياة الحزبية والنيابية فى مارس "١٩٥٤". اعتزل العمل السياسى وسافر إلى أوروبا فى إبريل "١٩٥٤"، ثم عاد مرة أخرى لمصر ليرأس تحرير صحيفة المساء اليسارية فى عام "١٩٥٦". تولى رئاسة مجلس إدارة ورئاسة تحرير دار أخبار اليوم خلال عامى (١٩٦٤ و١٩٦٥)، حصل على جائزة لينين للسلام عام "١٩٧٠" وأسس حزب التجمع العربى الوحدوى فى ١٠ إبريل "١٩٧٦". اتهمه الرئيس السادات بالعمالة لموسكو، وهى تهمة كانت توجه لعديد من اليساريين العرب فى حقبتى السبعينيات والثمانينيات، وفى السنوات التى سبقت اعتزاله السياسى أبى المشاركة فى انتخابات رئاسية مزمعة فى مصر؛ ليقينه بأن الانتخابات لن تكون نزيهة وأن مشاركته ستستخدم لتبرير شرعية الرئيس مبارك. كان عضوًا فى مجلس الشعب المصرى منذ عام "١٩٩٠" حتى عام "٢٠٠٥". قام بكتابة مذكراته ونشرها فى كتاب بعنوان الآن أتكلم؛ عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٢، ص٦٠٤- ٦٠٥.

(٢) رؤوف عباس، أوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية، ت عزة رياض، ط١، القاهرة، سينا للنشر، يناير ١٩٨٨، ص٣٤-٣٥.

بعد أن ذكر يوسف مدى التوافق والاختلاف بين مبادئه وأفكاره ومبادئ الشيوعيين وأفكارهم، هل استمر معهم أم لا؟. فى الحقيقة رغم اقتناعه بأن الشيوعيين كانوا أقرب الاتجاهات الثائرة على الأوضاع حينها، و بالرغم من اتفاقه معهم فى كل شىء فإنه استنكر إلحادهم، وظل متمسكًا بعقيدته بل كان يحاور نفسه بالعقل والمنطق حول مبادئهم، التى كانت مستمدة كلها من القرآن الكريم والإسلام، بل إنها نفس المبادئ التى نادت بها كل الأديان السماوية سواء اليهودية أم المسيحية. ورغم ذلك فإنه حاول أن يستمر معهم أملًا فى القيام بثورة أو انقلاب ليترجم حماسته هو وغيره من الذين أرادوا بشدة أن يخلصوا بلادهم من الاستعمار. إلا أنه تركهم. فلماذا تركهم إذًا؟ هل لأنه رأى أن عقيدته وإيمانه أقوى من أن يحتفظ بهم بداخله فى سبيل القيام بشىء من شأنه أن يحرر بلاده؟. أم لأنه شعر بأن عقيدته بدأت تتأثر !.

كان يوسف مثقفًا وواعيًا يعرف ماذا يريد، مؤمنًا ولديه منطق ليخُضِع كل ما يمر به للنقد والتحليل فلم تتأثر عقيدته. لكنه تركهم عندما وجدهم انقسموا على أنفسهم حتى بلغ عدد منظماتهم نحو عشر منظمات، وكان هو نفسه عضوًا بإحدى منظماتهم وتعرف باسم حدتو(الحركة المصرية للتحرر الوطنى). فلم يكن يوسف وحده هو من لاحظ هذا بل إن الشيوعيين أنفسهم كانوا يتساءلون حول تعدد الأحزاب الشيوعية، وعندما يسأل كلًا منهم تنظيمه لماذا هذا التعدد رغم عدم وجود اختلاف سياسى أو فكرى بينهم، وأن بينهم نضالًا مشتركًا وهدفًا واحدًا. كانت تأتى إجابات كل قيادات التنظيمات واحدة ألا وهى" إن تنظيمهم هو التنظيم الثورى والتنظيمات الأخرى انتهازية[1]. وقد كان التنسيق بين المنظمات الشيوعية ضروريًا للعمل بين صفوف الطلبة والعمال، ودافعًا للتفكير فى وحدة المنظات الشيوعية فى تنظيم واحد، لا سيما أنها جميعًا فشلت فى كسب اعتراف الحركة الشيوعية الدولية بأى منها كحزب شيوعى مصرى. لذلك نادى هنرى كورييل Henri Curiel [2] بالوحدة بين جميع المنظمات

---

[1] مصطفى طيبة، المرجع السابق، ص٢٩-٣٠.

[2] هنرى كورييل: (١٩١٤-١٩٧٨) كان ناشطًا سياسيًا مصريًا / فرنسيًا. أسس منظمة شيوعية فى مصر وأحد مؤسسى الحزب الشيوعى المصرى، أسهم فى دعم عدة حركات

الشيوعية، واستطاعت حدتو توسيع عضوية القاعدة العمالية، فطالب بتمصير القيادة من اللجنة المركزية؛ تجاوبًا لما يطالب به الأعضاء المصريون، إلا أنه لم يستوعب أن التمصير يعنى تخليه عن قيادة الحركة[1].

هكذا بدأت حدتو تنفجر من الداخل، وهى المنظمة التى أُقيمت للقضاء على الانقسام وتهيئة الأوضاع لإقامة حزب شيوعى مصرى يحظى باعتراف واحترام الحركة الشيوعية الدولية. خرجت من حدتو انقسامات جديدة مكونةً تنظيمات أُخرى. كما أن حدتو أصبحت مخترقة من البوليس السياسى[2]، وتجلى ذلك فى حركة الاعتقالات فى مايو "١٩٤٨" وذلك بعد إعلان الأحكام العرفية بمناسبة حرب فلسطين. بذلك قد سقطت كوادر حدتو. فضلًا عن موقف حدتو من القضية الفلسطينية الذى جاء معبرًا عن قناعات كوريل، حيث إنه وقف فى بداية الأمر إلى جانب إقامة دولة عربية- يهودية واحدة فى فلسطين. فقد كانت تربطه بالصهاينة صلات وثيقة خلال الحرب العالمية الثانية، وأشاد بهم فى مذكراته، كما أنه عمل على إحباط النشاط اليهودى المعادى للصهيونية فى مصر، واتهم ذلك النشاط بالمعاداة للسامية ووصف حرب فلسطين (بالحرب الإمبريالية الظالمة ضد دولة إسرائيل)، كما أيدت حدتو قرار الأمم المتحدة

تحررية إلى أن تم اغتياله فى باريس فى ٤ مايو "١٩٧٨". وقد دفن فى مقبرة بير لاشيز وهى أكبر مقابر باريس وأشهرها. ولد فى القاهرة لأسرة يهودية مصرية ذات جذور إيطالية، أسس عام "١٩٤٣" حركة التحرر الوطنى المصرى (ح..م.ت.و حمتو) (HAMETU) التى أصبحت فى "١٩٤٧" الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) (M.D.L.N). فى ذات الفترة الزمنية شارك فى تأسيس شقيقتها السودانية "الحركة السودانية للتحرر الوطنى" (حستو) من رحم قسم السودانيين فى التنظيم و تطور لاحقا للحزب الشيوعى السودانى، اغتيل هنرى كوريل فى باريس فى ٤ مايو "١٩٧٨"، حيث عثر عليه مُضرَّجًا بالدماء فى مصعد منزله فى باريس، وتبنت جماعة يمينية متطرفة المسئولية لكن القضية لم تكشف جوانبها. بيرو جيل، "هنرى كورييل رجل من طراز فريد" "الحركة المصرية الشيوعية المصرية بمنتصف القرن"، ط١، ت:كميل داغر، دار النضال، ١٩٨٦، ص ٩١-٩٣.

[1] رؤوف عباس، المرجع السابق، ص٣٩، ٤٢.

[2] ملحق رقم (٩) نماذج لتقرير المخابرات الحربية والبحرية عن تسلل الحركة الشيوعية داخل الجيش، حصلت الكاتبة عليها من أ.د. جمال شقرة.

بتقسيم فلسطين وقبلت بقيام دولة إسرائيل. لكن لم تشاركها فى ذلك أيٍ من التنظيمات الشيوعية المصرية أو العربية فى ذلك فيما عدا الحزب الشيوعى العراقى. لذلك أُتهمت حدتو من قبل أعدائها بالفاشية(١) والصهيونية(٢).

ومن ذلك يتضح أن موقف حدتو تناقض تمامًا مع مفهوم التحرر الوطنى الذى تبنته فى البداية، كما أنه لا يتفق مع تبنيها لهدف الوحدة العربية الذى يفتخر به هنرى. فكيف تتحقق الوحدة العربية مع وجود الكيان الصهيونى فى قلب الوطن العربى؟!. كل هذه التناقضات والانقسامات فيما بين المنظمات الشيوعية جعلت يوسف يعيد النظر مرة أخرى، فأدرك أن هذا الاتجاه لا يتناسب مع ثورته الداخلية فكيف يستطيعون تحقيق الوحدة وهم منقسمون على أنفسهم؟ على أية حال سيكون الاختيار الأخير ليوسف صديق هو الانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار.

ثالثًا- انضمامه إلى تنظيم الضباط الأحرار:

لم يحدث فى تاريخنا الحديث أن اختلفت الآراء التاريخية حول حقيقة أكثر مما حدث للتنظيم، الذى عرف باسم تنظيم الضباط الأحرار، فقد حدث خلط شديد بين التنظيمات السرية التى قامت داخل القوات المسلحة بأسماء مختلفة وبين اسم "الضباط الأحرار". قال كمال الدين حسين(٣) وكان مقربًا من عبد

(١) الفاشية: هى الحركة التى أسسها بنيتو موسولينى Benito،Mussolini (١٨٨٣- ١٩٤٥) رئيس وزراء إيطاليا فى ميلانو ١٩ مارس "١٩١٩"، بأعداد من قدامى النقابيين الثوريين. وهى أيضًا النظام السياسى الذى فرضه على إيطاليا بعد وصوله إلى السلطة فى ٣٠ أكتوبر "١٩٢٢". كما تُطلق الفاشية على الأيديولوجية والحركات السياسية وأنظمة الدولة التى تتخذ موقفًا قوميًا متطرفًا وتجنح إلى التسلط والعسكرة. وهى النقيض المباشر للديمقراطية والاشتراكية. هدفت الفاشية إلى سيطرة الحزب الواحد على السلطة والحياة السياسية فضلًا عن الولاء المطلق والكامل بالزعيم القومى. عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٣، ص ٤٤٩.

(٢) رؤوف عباس، المرجع السابق، ص٤٣.

(٣) كمال الدين حسين: هو أحد الضباط الأحرار واشترك فى حرب فلسطين، كان عضوًا فى جماعة الإخوان المسلمين عام "١٩٤٥"، ثم ابتعد عن الإخوان المسلمين، واتفق على أن

الناصر:" إن فكرة تنظيم الضباط الأحرار قد نبعت عام "١٩٣٨"م برئاسة جمال عبد الناصر فى منطقة منقباد، وهذا كلام مرسل لا يقوم على سند تاريخى ولم يذكره عبد الناصر نفسه". كما تحدث أنور السادات عن التنظيمات العسكرية مرتين لا تتفق الأولى مع الثانية فى كتابه **"قصة الثورة كاملة"** والذى أصدره فى حياة عبد الناصر وكتابه **"أسرار الثورة المصرية"** الذى كتب مقدمته جمال عبد الناصر، وصدر الكتابان عن دار نشر رسمية هى الدار القومية.. وذكر أنور السادات ما يفهم منه أن تنظيم الضباط الأحرار نشأ عام "١٩٤٨"، وقد لحقته خسائر شديدة فى أثناء المعركة فى فلسطين، وبدأ الضباط الأحرار بعد العودة من فلسطين يعيدون الاتصالات من جديد[1].

تشكيل تنظيم الضباط الأحرار لا يكون مرتبطًا بحزب أو هيئة، عُين مدرسًا بمدرسة المدفعية "١٩٤٨" كما حصل على أركان حرب "١٩٤٩"، كان عضوًا فى اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار، وقد اشترك كمال الدين حسين مع عبد الحكيم عامر وزكريا محى الدين فى وضع الخطة التفصيلية لتحرك قوات الجيش ليلة الثورة. وقاد سلاح المدفعية فى ألماظة ليلة ٢٢ يوليو "١٩٥٢"، وألقى القبض على قائد المدفعية اللواء حافظ بكرى وعلى على نجيب -أخو محمد نجيب، ثم عين وزيرًا للتربية والتعليم ثم قدم استقالته عقب انتهاء أعمال مجلس قيادة الثورة رسميًا بانتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية، وإعلان دستور عام "١٩٥٦"، وانتخاب مجلس الأمة عام "١٩٥٦"، لكن عبد الناصر رفض استقالته، عُين نائبًا لرئيس الجمهورية "١٩٦١"، ومنذ أغسطس "١٩٦٣" وبعد أن تبين أن مجلس الرئاسة لم يعد يؤدى دوره، كان واضحًا انفراد جمال عبد الناصر بالسلطة فقدم استقالته ولكنها لم تُعلن، وصدر أمر باعتقاله عقب إرساله خطابًا للرئيس جمال عبد الناصر فى ١٢ أكتوبر "١٩٦٥"، وذلك فى أثناء فترة الاعتقالات للإخوان المسلمين ومحاكمتهم، ملخصه أن يتقى الله فصدر أمر باعتقاله عقب ذلك بثلاثة أيام وتحديد إقامته فى فيلا بالهرم، وظل فى المعتقل ثلاثة أشهر. توفى فى ٢٩ يونيو سنة "١٩٩٩" فى مستشفى المعادى للقوات المسلحة نتيجة قصور شديد فى وظائف الكبد، وأقيمت له جنازة عسكرية يتقدمها حملة النياشين منها- قلادة النيل- وهو أرفع وسام فى مصر وكان من أوئل المشيعين من بقى على قيد الحياة من زملائه فى مجلس الثورة والظباط الأحرار وجميع الوزراء فى الحكومة يتقدمهم رئيس الجمهورية .اللوحة التعريفية الخاصه به، القاهرة، المتحف الحربى، قاعة ٥٢.؛ رؤوف عباس، المرجع السابق، ص٩٣.

[1] أنور السادات، المصدر السابق، ص٣٣. ؛ أنور السادات، أسرار الثورة المصرية بواعثها الخفية أسبابها السيكولوجية، تقديم جمال عبد الناصر، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، العدد ٣١١، ١٩٦٥/٧/٢٦، ص ١٥٩.

وفى كتاب السادات "**البحث عن الذات**" الذى صدر بعد رحيل عبد الناصر وأصبح السادات وقتئذ فى السلطة، تحدث السادات عن دوره فى تشكيل التنظيم عامى (١٩٣٨ و١٩٣٩)، ويذكر أنه رأى عبد الناصر الذى جاء إلى منقباد بعد وصول السادات واجتماعاته بالضباط بستة شهور، وتحدث عن أول تنظيم سرى للضباط. وكان معهم عبد المنعم عبد الرؤوف ولم يذكر اسم جمال عبد الناصر. فى حياة عبد الناصر قال السادات إن التنظيم بدأ عام "١٩٤٨"، وبعد وفاته قال إنه هو الذى بدأ التنظيم عام "١٩٣٨". و كان يضم عبد المنعم عبد الرؤوف وعبد اللطيف بغدادى(1) وحسن إبراهيم(2) وخالد محى الدين وغيرهم

---

(1) عبد اللطيف البغدادى: (١٩١٧- ١٩٩٩) هو أحد الضباط الأحرار ولد فى ٢٠ سبتمبر "١٩١٧" بقرية شاوة مركز المنصورة مديرية الدقهلية. كان والده عمدة قرية شاوة، حصل على البكالوريا سنة "١٩٣٧". درس فى الكلية الحربية وتخرج فيها فى ٣١ سنة ديسمبر "١٩٣٨" التحق بمدرسة الطيران الحربى وتخرج فيها عام "١٩٣٩" وكان أول دفعته.عمل ضابطًا طيارا بالقوات الجوية عام "١٩٣٩"، وتدرج من رتبة طيار ثان حتى رتبة قائد جناح "عقيد. حصل على النجمة العسكرية مرتين خلال حرب فلسطين، كان البغدادى أول ضابط طيار مصرى ألقى قنابل على تل أبيب. كان قائدًا لأول تنظيم سرى فى سلاح الطيران، انضم لتنظيم الضباط الأحرار عام "١٩٥٠". كانت رتبته قائد جناح ليلة ٢٣ يوليو،عين مراقبًا عامًا لهيئة التحرير عقب ثورة ٢٣ يوليو، فى "١٩٥٣" عين وزيرًا للحربية فى عهد الرئيس محمد نجيب. ١٦ سبتمبر "١٩٥٣" عين رئيسًا لأول محكمة للثورة. بعد قيام الوحدة مع سوريا حل مجلس الأمة وعين نائبًا لرئيس الجمهورية (١٩٦٢-١٩٦٤). فى مارس "١٩٦٤" قدم استقالته واعتزل الحياة السياسية. أول من شق بعصاه طريق كورنيش النيل فى زمن قياسى. قام بكتابة مذكراته وتم نشرها عام "١٩٧٧". توفى ٨ يناير "١٩٩٩" وتقدم جنازته رئيس مصر الأسبق محمد حسنى مبارك. اللوحة التعريفية الخاصة به، القاهرة، المتحف الحربى، بقاعة ٥٢. عبد اللطيف البغدادى، مذكرات عبد اللطيف البغدادى، ج١، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، "١٩٨٤"، ص١١، ٢٥.

(2) حسن إبراهيم: هو من الضباط الأحرار وأحد أعضاء مجلس قيادة الثورة فيما بعد. تخرج فى الكلية الحربية فى نوفمبر "١٩٢٩"، ثم فى كلية الطيران فى يوليو "١٩٤٠" وشارك فى حرب فلسطين "١٩٤٨"، كان مدير مكتب رئيس أركان الجيش الملكى، كانت رتبته قائد أسراب عند قيام ثورة يوليو وكان له دور بارز فى أحداثها، إذ أنه نجح فى السيطرة على كل المطارات المصرية أثناء تحرك الجيش، وكان أحد أعضاء محكمة الثورة عام "١٩٥٤" و عُين وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية، وفى ٨ نوفمبر "١٩٥٥" عُين

ممن نجح السادات فى ضمهم إلى هذا التنظيم. لم يُكتب للسادات أن يستمر فى العمل بهذا التنظيم لاعتقاله فى صيف "١٩٤٢"، وتسلم عبد الناصر التنظيم بعد عودته من السودان أوائل "١٩٤٣". كان هذا التنظيم يهدف إلى طرد الإنجليز من مصر وتغيير الأوضاع، وعند مقابلة السادات عزيز المصرى[1] طالبًا منه

وزير الدولة لشئون الإنتاج، وفى ١٧ نوفمبر "١٩٦٤" عَينه عبد الناصر نائبًا لرئيس الجمهورية، سافر إلى ألمانيا الغربية فى عام "١٩٥٥" لطلب قرض لتمويل مشروع السد العالى عقب تخلى الولايات المتحدة الأمريكية عن تمويله. تولى منصب نائب رئيس الجمهورية عام "١٩٦٤"، كانت له ملاحظات على زيادة التأمينات وعدم توافر قيادات. اعترض على تأميم عدس وعمر أفندى، قدم استقالته فى يناير "١٩٦٦" من منصب نائب رئيس الجمهورية. استقال من جميع مناصبه فى ٢٧ يناير "١٩٧٧". اللوحة التعريفية الخاصة به، القاهرة، المتحف الحربى، بقاعة ٥٢.؛ ملحق جريدة الوقائع المصرية، العدد ١٩ مكرر، فى ١١/٧/ ٢٠١١.؛ عبد المجيد شديد، محضر النقاش السابق، ٥/٥/٢٠١٥.؛ رؤوف عباس، المرجع السابق، ص ٩٥.

[1] عزيز على المصرى: (١٨٧٩- ١٩٦٥) اختلف المؤرخون حول تاريخ مولده إذ كان فى عام (١٨٧٧أو ١٨٧٩)، والده هو زكريا أفندى من أصل جركسى، توفى والده ووالدته وقد كفلته أخته من والدته زوجة على باشا ذو الفقار محافظ القاهرة. تعلم فى المدرسة التوفيقية وكان اسمه فيها عبد العزيز زكى، وكان من عادة الأتراك أن يقولوا عزيز بدلًا من عبد العزيز. هكذا أصبح اسمه فى التاريخ المصرى عزيز على المصرى، تخرج فى المدرسة الحربية تقريبًا فى عام "١٩٠٤". أسس جمعيات سرية بهدف إنشاء كيان عربى مستقل داخل الدولة العثمانية. وكانت مقدونيا من أكثر مناطق الدولة تقدمًا وبعيدة عن قبضة الدولة العثمانية. التقى عزيز بمصطفى كمال أتاتورك الذى تولى بعد تخرجه منصبًا عسكريًا فى دمشق، واجتمع حوله عدد من الساخطين على السلطان عبد الحميد وقد اتفقوا على القيام بثورة من المسلمين والمسيحيين هدفهم إقامة دولة عثمانية ديمقراطية فى ظل دستور يكفل المساواة لجميع المواطنين. وقد انضم عزيز إلى جمعية الاتحاد والترقى، اتفقوا على أن تقوم الثورة فى يوم جلوس السلطان ٢١ أغسطس "١٩٠٨"، لكن لظروف ما بدأت الثورة فى صباح اليوم العاشر من يوليو "١٩٠٨". وقد بادرت وحدات الجيش بمقدونيا باللجوء إلى الجبال معلنة الثورة التى شارك فيها عزيز. لكن أعلن السلطان عبد الحميد عودة العمل بدستور "١٨٧٦". وعندما حدثت ثورة رجعية ضد الدستوريين قام عزيز على رأس حملة للقضاء على الثورة المضادة. بدأت الدولة العثمانية تشكك فى موقف عزيز المصرى، وتم القبض عليه فى فبراير "١٩١٤" بتهمة أن أفكاره تتناقض مع مصلحة الدولة العثمانية وأنه يبث الفكرة العربية بين المواطنين ويسعى لإنشاء دولة عربية مستقلة. وذاع خبر أنه سيتم إعدامه فثار العرب فى

خبرته أخبره أن أول درس أن يعتمدوا على أنفسهم، وأن يقوموا بتثقيف أنفسهم بالقراءة فى كل الاتجاهات والمجالات، وأن يجعلوا تنظيمهم محكمًا بحيث لا يتسرب إليه أى غريب(١).

عندما تسلم عبد الناصر القيادة لجأ إلى تكوين خلايا سرية فى الجيش، كل خلية منها لا تعرف الأخرى، شملت القوات المسلحة كلها لا سيما فى المناطق الحساسة فيها مثل إدارة الجيش(٢). اكتمل عدد ضباط الخلية الأولى سبعة فى عام "١٩٤٤"(٣).

فى الواقع أن مرحلة التمهيد للثورة والإعداد لها مرت بفترتين الأولى: بين "١٩٤٥" وحتى حرب "١٩٤٨"، وتكونت فيها اللجنة التأسيسية للتنظيم وأطلق عليها فى ذلك الوقت" ضباط الجيش"، وتكونت من سلاح الفرسان، وقامت هذه اللجنة بتوسيع نشاطها إلى الأسلحة الأخرى فى الجيش، وتشكيل خلايا فى المدفعية والمشاة والطيران والإشارة وخدمة الجيش فى القاهرة والإسكندرية. وصدر عن هذه اللجنة المنشورات باسم "ضباط الجيش". تناولت العديد من المسائل السياسية الداخلية والخارجية لتبصير الشعب والجيش بالظروف السيئة التى كانت تعيشها مصر(٤).

إستانبول وسوريا ومصر. عينه الملك فاروق رئيس أركان الجيش المصرى للمشاركة فى محاولة تحديثه بعد معاهدة "١٩٣٦" وقد اعتبره عبد الناصر والعديد من الضباط الأحرار أباهم الروحى. وقد ساعده (عبد المنعم عبد الرؤوف وكمال الدين حسين) فى المحاولة الفاشلة للاتصال بالقوات الألمانية فى أثناء الحرب العالمية الثانية بالهروب بطائرة. اعتُقل وسُجن ونُفى وحُدِّدت إقامته فى مصر من قِبل سلطات الاحتلال الإنجليزى لمرات عديدة. قام بدور مهم فى تنظيم كتائب المتطوعين فى حرب فلسطين، كما عين سفيرًا لمصر فى الاتحاد السوفيتى "١٩٥٣". توفى بمنزله فى القاهرة ٢٥ يونيو "١٩٦٥". لمعى المطيعى، المرجع السابق، ص٣٤٣-٣٤٤، ٣٤٨. لقراءة المزيد حول هرب عزيز المصرى، انظر حسن عزت، المصدر السابق، ص٣٨-٣٩.

(١) أنور السادات، المصدر السابق، ص٣٣، ٣٤، ٣٥.

(٢) نفس المصدر، ص ١٣٤.

(٣) عبد المنعم عبد الرؤوف، المصدر السابق، ص٤١، ٤٣.

(٤) جمال الدين منصور، ثورة الجيش المصرى وثائق الإعداد والتمهيد (١٩٤٥-١٩٥٢)، ط١، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، جماد آخر ١٤٢٧هـ/ يوليو ٢٠٠٦م، ص٢٢.

أما الفترة الثانية: كانت ما بين "١٩٤٨" وحتى ثورة يوليو "١٩٥٢"، في هذه الفترة عاد تنظيم ضباط الجيش إلى نشاطه بمزيد من الحماس بعد كارثة حرب فلسطين وزيادة الوعى بين الضباط[١]. وكان هناك مجموعة أخرى من الضباط قد جمعتها الرغبة فى إنقاذ البلاد من الاحتلال الإنجليزى، والبحث عن طريق لتخفيف وطأة المعاناة عن كاهل المقهورين، وإعادة بناء الجيش المصرى وتطويره. إلا أن كل هذه الأحلام لم تكن قد تبلورت بعد فى خط سياسى محدد أو خطة للعمل، وكان أفرادها حتى ذلك الوقت يتسمون بالرومانسية فى حب الوطن أكثر من الثورية الحقيقية. ولا شك أن فكرة هؤلاء الضباط الشباب حول الدور الحاسم للجيش فى مستقبل مصر، إنما كانت من وحى قراءاتهم لتاريخ العرب. لعب كل هذا دورًا فى بلورة فكرة الضباط الشباب حول الدور المتميز للجيش فى حياة البلاد، وحينما انتقل عبد الناصر فى "١٩٣٩" للعمل بالإسكندرية توطدت علاقته بعبد الحكيم عامر، وأقام السادات فى تلك الفترة علاقات مع زعيم الإخوان المسلمين حسن البنا، ومع رئيس أركان حرب الجيش المصرى الأسبق اللواء عزيز المصرى. وعندما قبل الملك فاروق إنذار السفير الإنجليزى فى ١٩٤٢/٢/٤، قام محمد نجيب بتقديم استقالته من الجيش. ونشأت مجموعات وطنية بين ضباط الجيش المصرى، لكل منها تصورها الخاص المختلف عن الأخرى والنابع من انفعالات روحية بشكل رئيس ولم يكن لأى منها خطة عمل محددة، ونشأت بين هذه المجموعات المختلفة علاقات تعاطف[٢].

وفى ٧ فبراير "١٩٤٣" عُين عبد الناصر مستشارًا فى الأكاديمية العسكرية بالعباسية؛ حيث كان يحاضر فى التكتيك والأسلحة الخفيفة، وأثناء التدريس قام باستقطاب بعض الطلبة بحذر إلى النشاط الثورى، وشكل هؤلاء النواة الأولى للمنظمة ودخل فى هذه النواة.. زملاؤه الذين تعرف عليهم فى منقباد (السادات-

---

[١] نفس المكان.

[٢] كوفتونوفيتش، ثورة الضباط الأحرار فى مصر، ت: عزة الخميسى، القاهرة، الأهالى، رقم ٣٠، ديسمبر "١٩٩٠"، ص ٦٢، ٦٤، ٦٧.

زكريا محى الدين- عبد الحكيم عامر- صلاح سالم- ثروت عكاشة). وكان الأخير على علاقة طيبة بأحد القادة الشباب لحزب الوفد وهو أحمد أبو الفتح. وأقامت هذه المجموعة علاقات مع الإخوان المسلمين عن طريق الضابطين عبد المنعم عبد الرؤوف وكمال الدين حسين، وسرعان ما التحق بهذه المجموعة عبد اللطيف البغدادى وخالد محى الدين، وكان يدرس الاقتصاد السياسى بالجامعة وعلى معرفة بالماركسية أيضًا. بيد أن الإخوان المسلمين كان لهم التأثير الأكبر على الضباط الأحرار خلال المرحلة الأولى من نشاطهم الوطنى، ولم يجمع الضباط فى هذه الفترة أى تنظيم ثورى حقيقى، بل نشأت مجموعات وطنية مبعثرة تزعم عبد الناصر إحداها. ولعبت حرب فلسطين دورًا مهمًا فى تطوير وإنضاج حركة الضباط الأحرار. فقد زعزعت حرب فلسطين إلى درجة كبيرة الثقة التى كان ما زال عبد الناصر ورفاقه يكنونها إلى الملك إلى ذلك الحين للقصر والأحزاب السياسية والقيادة العسكرية للبلاد. فقد بدا واضحًا فساد قمة المجتمع المصرى بما فى ذلك الملك وحاشيته وقيادات الأحزاب. تلك القمة التى ربطت مصيرها بالاستعمار إلى الحد الذى أنساها مصالح البلاد والشعب المصرى. كما تبدلت نظرة الضباط الوطنيين للإخوان المسلمين والتنظيمات السياسية التنفيذية الأخرى، التى اعتبرها الضباط منذ ذلك الحين أنها قوى يُمكن التحالف معها وحسب، بعد أن كانوا يعتبرونهم قوة وطنية قادرة على تغيير سير حركة التاريخ فى مصر. لم ييأس عبد الناصر ورفاقه وبعد عودته من فلسطين "١٩٤٩"، شكل أول لجنة تنفيذية للضباط الأحرار شارك فيها عبد الحكيم عامر وخالد محى الدين وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم، ويضيف البعض اسم عبد المنعم عبد الرؤوف الذى كان معروفًا أنه أقرب إلى الإخوان المسلمين والذى ترك تنظيم الضباط الأحرار نهائيًا عام "١٩٥١". ومن الضباط القريبين للجنة رغم عدم مشاركتهم فيها منذ البداية، كان زكريا محى الدين وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وأنور السادات، وانضم بعد ذلك كل من جمال سالم ويوسف صديق[1].

---

[1] كوفتونوفيتش، المرجع السابق، ص ٧٢، ٧٤-٧٥.

كان الضباط الأحرار شبابًا من ذوى الرتب الصغيرة فى الجيش، وكل منهم عضو فى خلية سرية تضم زملاء له، يسدد كل واحد منهم لمقرر المجموعة اشتراكًا شهريًا قيمته خمسة وعشرون قرشًا، وكان الالتزام بسداد هذا المبلغ الرمزى فى موعده هو إحدى علامات الانتماء إلى التنظيم وللإنفاق منه على طبع المنشورات الخاصة بالتنظيم[١]. على أية حال فقد لعب عبد الناصر دورًا رئيسًا بارزًا فى تجميع الضباط من مختلف الاتجاهات السياسية بطريقة محدودة قبل حرب فلسطين، ثم توسع فى ذلك خلال عام "١٩٤٩"، وبذلك نبت التفكير فى تكوين تنظيم من الضباط المهتمين بأمور الوطن السياسية لا سيما بعد التحقيق مع عبد الناصر[٢]. فقد استخدم العنف مع كل من حامت حوله الشبهات من جماعة الإخوان. وأثناء التحقيق مع أعضائها عثر البوليس السياسى عند الجهاز السرى للجماعة على كتاب من كتب الجيش الممنوع تداولها للأفراد المدنيين، وهو كتاب عن كيفية استخدام القنابل اليدوية، وفى أعلى الصفحة الأولى للكتاب وجد اسم عبد الناصر. واهتم رئيس الوزراء[٣] نفسه بالتحقيق حيث إن التقارير الخاصة كانت تؤكد تغلغل الإخوان وغيرهم داخل الجيش. وتم

---

[١] عبدالله إمام، ديمقراطية ثورة يوليو، ط١، دار الخيال، يناير "٢٠٠٣"، ص٧١. ؛ حسن إبراهيم، "الصامتون يتكلمون"، إعداد سامى جوهر، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، "١٩٧٥".

[٢] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص١٤٤.

[٣] كان رئيس الوزراء حينها هو إبراهيم عبد الهادى (١٩٠٠-١٩٨٤) تقلد منصب وزير الخارجية فى وزارة إسماعيل صدقى الثالثة (١٦ فبراير- ٩ ديسمبر١٩٤٦)، ثم وزيرًا للمالية فى وزارة محمود فهمى النقراشى الثانية (٩ ديسمبر ١٩٤٦- ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨). شكّل وزارته الأولى بعد مصرع محمود فهمى النقراشى على يد الإخوان المسلمين (٢٨ ديسمبر ١٩٤٨- ٢٥ يولية ١٩٤٩)، واحتفظ فيها بمنصب وزير الداخلية والمالية، وتولى الخارجية (بالنيابة) فى ٣ إبريل "١٩٤٩"، وكانت مهمة إبراهيم عبد الهادى استعادة النظام الداخلى والخارجى خصوصًا بعد حدوث الاضطرابات فى مصر، وانتهاء حرب فلسطين، ورغم ذلك فقد قتل حسن البنا زعيم الإخوان المسلمين فى فبراير "١٩٤٩"، مما حدا بإبراهيم عبد الهادى إلى اتخاذ إجراءات عنيفة ضد التنظيمات المتورطة فى العنف بالشوارع فى العامين السابقين، وقد سقطت حكومته بعد أن سحب الملك دعمه لعبد الهادى فى عام "١٩٤٩". عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج١، ص١٨-١٩.

استدعاء عبد الناصر فى ٢٥ مايو "١٩٤٩"[١] وسأله عبد الهادى هذا الكتاب لك؟ فأجاب: عبد الناصر نعم، فسأله هل لك علاقة بالإخوان؟ وأجابه أنه كان يعرف ضابطًا منهم لكنه استشهد فى حرب فلسطين، ومنذ ذلك اليوم فى نهاية شهر مايو اجتمع شمل الضباط ورأوا أنهم يحتاجون إلى خمس سنوات لتعبئة ضباط الجيش حتى يستطيعوا التخلص من النظام كله، أى أن الحركة كان مقدرًا لها أن تقوم فى عام "١٩٥٤" وليس فى عام "١٩٥٢"[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن اللجنة التأسيسية التى كانت تعمل تحت اسم "ضباط الجيش" أصدرت أول منشور باسم " الضباط الأحرار" كتبه جمال الدين منصور[٣] وقد تضمن هذا المنشور أول هجوم على الملك، وبمجرد ظهور هذا المنشور حضر البكباشى جمال عبد الناصر والتقى بالملازم جمال منصور وعانقه مبديًا إعجابه وتقديره بما جاء فى المنشور وتأثيره العظيم على ضباط الجيش[٤].

هذا وقد عبر الصاغ خالد محى الدين عن اقتناعه بسياسة تنظيم اللجنة التأسيسية الذى كان يغطى كافة الأسلحة، ويعمل بهدف تحرير الوطن وتحقيق أمانى الشعب فى الحرية والعدالة الاجتماعية وأوضح لهم أنه يمثل تنظيمًا من ذوى الرتب الكبيرة وهم يؤمنون بهذه الأهداف. وطلب منهم أن يندمج التنظيمان فى تنظيم واحد على أن يكون لكل سلاح خلية رئيسة يتفرع منها خلايا فرعية

---

(١) أشار خالد محى الدين فى مذكراته أنه تم استدعاء عبد الناصر فى يونيو "١٩٤٩"، إلا أن عبد الناصر ذكر أنه تم استدعاؤه فى ٢٥ مايو "١٩٤٩". مذكرات عبد الناصر، فى مجلة المصور، ٣/١١/ ١٩٥٢.

(٢) خالد محى الدين، المصدر السابق، ص٥٨؛ محمد عبد الفتاح أبو الفضل، تأملات فى ثورات مصر-٢٣ يوليو "١٩٥٢"، ج١، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، "١٩٩٤"، ص٥١.

(٣) جمال الدين منصور: كان برتبة رائد فى سلاح الفرسان حتى قيام الثورة فى ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، ثم انضم إلى السلك الدبلوماسى وتدرج حتى أصبح مساعدًا لوزير الخارجية، هو الذى كتب أول منشور باسم الضباط الأحرار. لمزيد من التفاصيل، انظر جمال الدين منصور، المصدر السابق.

(٤) جمال الدين منصور، المصدر السابق، ص ٢٤.

داخل كل سلاح. وتم اللقاء بين البكباشي جمال عبد الناصر من جهة، وعبد الحميد كفافي، وجمال منصور من جهة أخرى، وقد أطلعهم الأول بطريقة مباشرة على رغبته فى القيام بحركة الجيش. وتم اللقاء بين اللواء محمد نجيب والملازم جمال منصور والملازم سيد جاد للتأكد من مدى استعداد نجيب للانضمام للحركة[1].

تجدر بنا الإشارة إلى أن بجانب تنظيم الضباط الأحرار ظهرت جماعات سرية صغيرة، منها لجنة قسم الجيش وهى فرع لمنظمة حدتو. فضلًا عن انتشار الماركسيين فى الجيش وانتشرت الأفكار السياسية التى كانوا يتبنونها، وقد قام الماركسيون بنشاط كبير بين الضباط الأحرار؛ لمطالبة حدتو بالقيام بثورة ديمقراطية والقضاء على السيطرة الأجنبية؛ مما جعل برنامجها قريبًا ومفهومًا لدى الضباط الأحرار. كان الضباط الأحرار على اتصال بالإخوان المسلمين، إلا أن تأثير الجماعة كل أقل من تأثير التنظيمات الديمقراطية اليسارية[2].وقد نجحت حدتو فى إقامة تنظيم متكامل داخل القوات المسلحة، وأكدوا على احترامهم للدين لكنهم ضد استخدام الدين كستارٍ للحركات السياسية أو لتحقيق أهداف سياسية[3]. مما كان له أثر على الشعارات والأهداف المعلنة فى منشورات الضباط الأحرار، كما لم تبرز أى مشكلات بينهم؛ لأن الاتجاه السائد هو الاتجاه الوطنى المعادى للاستعمار والتمسك بالاستقلال الحقيقى. وبذلك فإن تنظيم الضباط قد ضم أصحاب الاتجاهات المختلفة مجتمعين على هدف واحد لا غير ألا وهو الاستقلال[4].

ورغم أن هناك العديد من الآراء المختلفة التى تشير إلى بداية تكوين تنظيم الضباط الأحرار، وأنه بالفعل كان هناك تنظيم يضم الضباط الذين يريدون

---

[1] جمال الدين منصور، المصدر السابق، ص ٢٤.ومعنى ذلك أن اللواء محمد نجيب كان على اتصال بالتنظيم من قبل الثورة بعام تقريبًا وليس بأيام كما يدعى البعض، وهذا ما يؤكده يوسف صديق، انظر ص ٩٠.

[2] أجار يشيف، جمال عبد الناصر، ترجمة: دار التقدم ، سامى عمارة، موسكو، الاتحاد السوفيتى، "١٩٨٣"، ص٥٦.

[3] خالد محى الدين، المصدر السابق، ص٦٦.

[4] نفس المصدر ، ص٩١.

تغيير الأوضاع فى البلاد ، فإنه لم يكن هو تنظيم الضباط الأحرار نفسه، فما سبقه من جماعات سرية للضباط كان مرحلة تحضيرية لا بد منها، وقد اندمج هؤلاء الضباط فى التنظيم الذى ترأسه عبد الناصر ليجتمعوا تحت راية واحدة وذلك إبان حرب فلسطين. غير إنه لم يكن يُعرف التنظيم بهذا الاسم من قبل فقد أطلق على الخلية الأولى لهم اسم "اللجنة التأسيسية"، وقد رأى الملازم جمال منصور أن تسمية التنظيم باسم الضباط الأحرار مناسب، وأنه يعكس ما يستميل الضباط من ذوى الأفكار الوطنية الذين ينتمون إلى الاتجاهات السياسية كافة. كما أعلن أن التنظيم يقوم على ثلاثة أسس ألا وهى:

أولًا: الصداقة يجب أن تسود بين جميع الضباط الأحرار بصورة أكثر من رابطة الدم.

ثانيًا: السرية التامة.

ثالثًا: الحب المتفانى للوطن والشعب وهو الأساس الأهم(١). كان نشاط التنظيم مقسمًا إلى خمسة أقسام، قسم الاقتصاد كان مسئولًا عن شئون التنظيم المالية، و قسم الأمن كانت مهمته قبول الضباط الجدد، وقسم الدعاية الذى يقوم بإصدار المنشورات، وقسم الكفاح الذى يقوم بجمع المعلومات. والقسم الخامس هو قسم الإرهاب لكنه ظل بلا نشاط فعلى؛ حيث أدرك عبد الناصر أن الإرهاب لن يجعلهم يبلغون الهدف الذى من أجله قام التنظيم(٢).

وكما سبق الإشارة أنه فى خريف "١٩٥٠" صدر أول منشور للضباط الأحرار، بعنوان "نداء وتحذير" فقد كانت قضية الأسلحة الفاسدة تشغل كل الأذهان بعد أن تفجرت أخبارها على صفحات الصحف. وفى حينها حذر المنشور ضباط الجيش من أن يُساقوا إلى حرب أخرى من دون استعداد ومن دون سلاح أو بأسلحة فاسدة، كما حذر الملك من التدخل لمنع استمرار التحقيق العادل فى قضية الأسلحة الفاسدة، وإلا سوف يصبح عرشه مهددًا. وتم توقيع

(١) صلاح نصر، المصدر السابق، ص١١٣.؛ جمال الدين منصور، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) أجار يشيف، المرجع السابق، ص٢٩.

المنشور باسم الضباط الأحرار. وقد كان لهذا المنشور أثر كبير فى نفوس ضباط الجيش، وكان بداية لحملة تجنيد وسط الجيش، والأهم من هذا وذاك أنه حدد للتنظيم مواقف العديد من الضباط. ثم تلا ذلك دور المنشور الثانى على الآلة وتمت طباعته، ولكن قد صدرت الأوامر لهيئة البريد باحتجاز الرسائل التى تحمل عناوين مكتوبة بالآلة الكاتبة وموجهة إلى ضباط الجيش. وتم حجب الكثير من تلك الرسائل، ولم تصل سوى لعدد محدود. كان عليهم كتابة العناوين بخط اليد، فقام الضباط اليساريون أعضاء حدتو الذين انضموا إلى الضباط الأحرار، بالتطوع للقيام بهذه المهمة الخطيرة[١].

مع تواصل صدور المنشورات، بدأت بعض الشائعات تحاول التهوين من أمرها، بأنها تصدر عن مدنيين من خارج الجيش، وأنه لا وجود لتنظيم داخل الجيش يعرف باسم الضباط الأحرار. لهذا بدأ يفكر الضباط بعد صدور المنشور الخامس فى حيلة لإقناع الضباط بأن هذه المنشورات تصدر عن زملائهم ومن بين صفوفهم.. واهتدوا لحل قد تبلور فى إصدار نشرة إخبارية كانت تحتوى على أخبار من الجيش، أخبار لا يمكن أن يطَّلع عليها سوى الضباط الأحرار، فكانوا ينشرون الخبر ويعلقون عليه[٢].

قام الضباط بنقل الرونيو[٣]مرات عدة إلى بيوت الضباط الأحرار الذين لم يكن لديهم نشاط سياسى واضح، إلى أن استقرت مرة أخرى لتتسلمها حدتو وظلت، تطبع عليه المنشورات حتى قيام الثورة. توثقت علاقة الضباط الأحرار بحدتو، واحتضنت حدتو كل الاحتياجات النفسية للضباط، سواء الكتابة على الآلة أم الطباعة أم توزيع المنشورات . وقد شهد صيف "١٩٥١" ركودًا فى

---

[١] خالد محى الدين، المصدر السابق، ص٨٣، ٨٥. ومن هؤلاء المتطوعين محمود المناسترلى، صلاح المسحراتى، أحمد قدرى، جمال علام وكان الأخير من سلاح الصيانة وتولى أيضًا توزيع الأظرف على صناديق البريد. وكانت مهمة خطيرة حيث يمكن لخبير الخطوط أن يحدد كاتبها وفق العينات المقدمة إليه. المصدر السابق، ص٨٤.

[٢] خالد محى الدين، المصدر السابق، ص٩٢.

[٣] الرونيو: وهى الآلة التى كانو يقومون بطباعة المنشورات عليها. وتوجد الآن فى قاعة ٥٢ بالمتحف الحربى.

عملية إصدار المنشورات[١]. وبالعودة إلى يوسف صديق فقد كان برتبة بكباشي (مقدم) ويعمل قائدًا ثانيًا لكتيبة مدافع الماكينة الأولى مشاة في القنطرة شرق، وذلك عندما عرض عليه وحيد رمضان الانضمام إلى الضباط الأحرار في أكتوبر "١٩٥١". في الحقيقة لم يسمع يوسف بوجود هذا التنظيم، ولم يكن يعلم عنه شيئًا؛ حيث إنه في السنوات السابقة لهذه الفترة كان بالسودان ومنقباد. وعندما سأله يوسف عن برنامجهم وأهدافهم وسياستهم، أخرج له وحيد ثلاثة منشورات من التي تم نشرها بين الضباط، ولكنها لم تصله نسخة منها[٢].

تحدث وحيد رمضان عن تجنيده ليوسف صديق قائلًا:"جندت البكباشي يوسف صديق لحركة الضباط الأحرار في أكتوبر "١٩٥١"، وسر استجابته لي يتلخص في ثقته بإخلاصي له، لأنني ذكرته بالخطاب الذى أرسلته إليه بتوقيع مخلص، أنبهه فيه للحذر من رياض مصطفى، قائد الكتيبة، التي يعمل بها يوسف في منقباد، الذى كان يكن له الحقد لدرجة أنه تعهد للأميرالاى عبد الرؤوف عابدين، قائد اللواء، بأنه سيأتيه بـ«صديق» متلبسًا بجريمة، فاستجاب لي على الفور، وكان رهاني على يوسف صديق سديدًا، لأنه فدائي مخلص ينكر ذاته، وكان أستاذى في الكلية الحربية، ودرست على يديه فنون التكتيك العسكرى، وكان أديبًا شاعرًا وفيلسوفًا ومتواضعًا وشجاعًا، يحظى بحب كل مرؤوسيه، لأنه كان وطنيًا من طراز رفيع"[٣].

في العام التالي لانضمام يوسف إلى الحركة أنجب الملك فاروق صبيًا من الملكة ناريمان، وأسماه أحمد فؤاد الثاني[٤] في ١٦ يناير "١٩٥٢"، فقام

---

[١] خالد محي الدين، نفس المصدر، ص٨٥، ٩٧.

[٢] عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق ، ص٨٦.

[٣] في جريدة المصرى اليوم، العدد٢٢٣١، ٢٣/ ٧/ ٢٠١٠.

[٤] تحقق بمولده أمنية والده بإنجاب ولد ذكر كي يرث العرش، وقام بمنح الطبيب الذى أشرف على عملية الولادة لقب الباشوية. وبعد ميلاده دوت في ليل القاهرة طلقات المدفعية إعلانًا عن مولد أول طفل ذكر للملك فاروق قبل موعد ولادته الطبيعية بشهر واحد، وأعلنه وليًا للعهد. تنازل له والده الملك فاروق عن العرش تحت ضغط الضباط الأحرار، قادة ثورة يوليو في ٢٦ يوليو "١٩٥٢"، وغادر بصحبة والده مصر إلى

الضباط الأحرار بإصدار منشور بعنوان "المناسبة السعيدة"، بهذه المناسبة أراد كبار الضباط الاحتفال بهذا الحدث العظيم بُغية التقرب للملك فصدرت التعليمات إلى ضباط الجيش للمشاركة بالمال لشراء هدية إلى الملك.وفى تلك الأثناء رفض كثير من الضباط الإسهام فى شراء الهدية، فقام صغار الضباط بإصدار منشور معارض لصرف أى أموال فى هذه المناسبة، سواء أكانت أموالا يتم جمعها من الضباط أم الأموال التى ستصرف على العرض العسكرى. وكان لهذا المنشور ردةُ فعلٍ سريعة؛ حيث تم إعادة الأموال التى سبق جمعها وإلغاء العرض العسكري[1].

رأى يوسف أن المنشورات كانت ترسم للضباط الأحرار خطًا وطنيًا يعبر بصدق عن أهداف الشعب، التى ظل يطالب بها منذ قيام الثورة العرابية وهى الحصول على حياة ديمقراطية سليمة تتوفر فيها الحرية الكاملة للشعب، وتندد بسياسة الحكم الملكى الفاسد. وبصفة خاصة أنها كانت تطابق أحلامه وتدعو إلى تحقيق الثورة المختزنة بداخله ، فوافق على الانضمام إلى الحركة؛ حينها أبلغه وحيد رمضان أنه مكلف فى حالة الموافقة على أن تُسند إليه قيادة كتيبتى (ك١ مدافع ماكينة) وأطلعه على أسماء الضباط الأحرار بالكتيبة. قام يوسف فى نفس اليوم بعقد اجتماع مع الضباط الأحرار؛ ناقش فيه أسلوب العمل. عندما سأل يوسف وحيد عن قيادة الضباط الأحرار أخبره بأنه عليه عند عودته إلى القاهرة، أن يتوجه لمقابلة البكباشى جمال عبد الناصر فى كلية أركان حرب؛ حيث كان يعمل مدرسًا بها. كان بديهيًا عند أول مقابلة بينهم أن يسأله يوسف عن الضباط الذين يعملون فى قيادة الحركة؛ لأن انضمامه إليها يحمله مسئولية،

إيطاليا على متن يخت المحروسة. وشكلت لجنة الوصاية على العرش المكونة من الأمير محمد عبد المنعم ومحمد بهى الدين باشا بركات (١٨٨٨- ١٩٧٢) والقائمقام رشاد مهنا(١٩٠٩-١٩٩٦) وذلك إلى تاريخ إعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو "١٩٥٣"، رد الرئيس المصرى محمد أنور السادات جوازات السفر المصرية له ولعائلته بعد أن نزعت عنهم الجنسية المصرية لفترة طويلة، وهكذا تمكن من زيارة مصر مرات عديدة. جريدة الأهرام، العدد ٢٣٨١٠، ١٩٥٢/١/١٧.

[1] فطين فريد، المرجع السابق، ص١٩٠.

إلا أن جمالًا لم يخبره وإنما قال له ستعرفهم فى الوقت المناسب. وأكمل حديثه معه مؤكدًا له إن احترام الرتبة العسكرية سيكون لـه اعتباره بعد نجاح الثورة. ويعنى ذلك أن الرتبة الأقدم هى التى ستتولى رئاسة العمل، فألح يوسف عليه بضرورة معرفته على الأقل للضباط الأقدم منه لمجرد الاطمئنان، فأخبره بأن أقدمهم هو اللواء محمد نجيب[1] فاطمأن يوسف لهذا الاسم الذى كان يُكنُّ له كثيرًا

---

[1] ذكر السادات فى مذكراته "أنه فى عام "١٩٥١" شعر عبد الناصر أن التنظيم قد وصل مرحلة النضج وأنه لا بد له من قيادة، وأن الكثيرين من أعضائه بدأوا يتساءلون عن قائد التنظيم أو قادته. بينما كان بمصر فى هذا الوقت خمسة أجهزة سرية هى البوليس السرى- المباحث الجنائية- المخابرات الحربية للجيش. وهى الخاصة بالإنجليز وال C.I.A الأمريكية التى دخلت مصر بعد الحرب العالمية الثانية، هذا بخلاف جهاز خاص بالملك (الحرس الحديدى). لذلك كان الحرص مطلوبًا فى تكوين الهيئة التأسيسية. فبدأ عبد الناصر فى اختيار أعضائها ممن احتك بهم شخصيًا فى حرب فلسطين، وقد فكر عبد الناصر فى أن يضع على رأس التنظيم عند القيام بتلك الحركة رتبة كبيرة. رشحوا اللواء فؤاد صادق قائد الجيش فى حرب فلسطين لكنه رفض؛ لأنه تشكك فى نجاح هذه الحركة، إذ كانت تبدو مستحيلة فى مصر لا سيما فى ظل النظام الملكى، ورغم رفضه ظل محتفظًا بالسر ولم يَبُح به لأحد ولم يُطلع أحدًا على وجود هذه الحركة. كما أنهم كان أمامهم مرشح آخر وهو الفريق عزيز المصرى الذى تولى هيئة أركان حرب عام "١٩٣٩"، لما كان يتمتع به من سمعة طيبة فضلًا عن أن عددًا كبيرًا من الضباط الأحرار كانوا يعتبرونه أباهم الروحى ، لكن عندما أخبروه بخطتهم باركهم عليها واعتذر لهم نظرًا لتقدم عمره، لكن كانت الأولوية فى الترشيح منذ البداية على اللواء محمد نجيب ويليه المرشحون الآخرون. وعندما رفض عزيز المصرى ومن ثم اللواء فاروق صادق، استقر الرأى على محمد نجيب وأخذت الاجتماعات بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ونجيب تزداد فى كل مرة وضوحًا وصراحة.. حتى جاء يوم ٢٧ ديسمبر "١٩٥١" وقرر الضباط الأحرار أن يقوموا بأول اختبار لقوتهم فى مواجهة الملك، فانتهزوا فرصة إجراء انتخابات نادى الضباط التى كانت ستتم فى هذا الوقت وقرروا التقدم لها بقائمة على رأسها اللواء محمد نجيب ومعه البكباشى زكريا محى الدين وقائد الأسراب حسن إبراهيم وآخرون من الصف الثانى فى تشكيل الضباط الأحرار. السادات، المصدر السابق، ص١٣٤-١٣٥؛ عبد الله إمام، ديمقراطية ثورة يوليو، ص٧٢؛ انظر كذلك حلمى سلام، "أنا وثوار يوليو!!"، ط٢، القاهرة، دار ثابت للنشروالتوزيع، نوفمبر ١٩٨٦، ص٢٨-٣٠.

من الاحترام والحب ؛ لما يمتاز به من صفات طيبة وسمعة حسنة بين ضباط الجيش، فضلًا عن أنه كان جاره فى السكن فى حلمية الزيتون[١][٢].

كانت فرصة لقاء يوسف بوحيد رمضان، وجمال عبد الناصر قليلة ومحدودة؛ حيث كانت الإجازة التى يحصلون عليها فى الجيش تقريبًا أربعة أيام، يقومون فيه بزيارة عائلاتهم ويقضون بعض مصالحهم. إلا أن جيرته لنجيب فى السكن أتاحت له الفرصة بزيارته فى كل مرة ينزل فيها إلى القاهرة. وقد أخبره عن انضمامه للتنظيم إلا أنه لاحظ فى كل مرة يسأله عن شىء يخص العمل مهما كان صغيرًا أو كبيرًا كان يحيله إلى جمال[٣]. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن القيادة الفعلية فى التنظيم كانت لعبد الناصر، وقد ظن يوسف أنه نظرًا لأقدمية نجيب فى الرتبة فإنه هو القائد الفعلى للتنظيم[٤].

فى خضم هذا وفى أثناء قيادة يوسف للكتيبة الأولى مدافع ماكينة، لاحظ أن بعض ضباط الكتيبة الأصاغر يجتمعون كل مساء فى موعد محدد للخروج، وكأن هناك عملًا محددًا يقومون به، وعندما تحدث إلى أحدهم علم بأن هناك خطة لنسف سفينة وإغراقها فى قناة السويس، وأن اللغم وصل بالطائرة إلى العريش بمساعدة ضباط الطيران الذين ينتمون إلى التنظيم، وأن مهمتهم تتجلى

---

(١) لعل جمال أبلغ يوسف بأن نجيب هو أقدم ضابط رغم أنه لم يكن قد انضم للحركة ليطمئنه، واختياره لنجيب كان استغلالًا لسمعته الطيبة ووطنيته، فضلًا عن أنه كان سيضمه آجلًا أو عاجلًا، إلا أن جمال كان يترك كل شىء لوقته المناسب فكان يتميز بنظرته المستقبلية الواسعة وذكائه فى ترتيب الأمور. غير أن الأحداث سوف تثبت بعد ذلك أن اللواء محمد نجيب كان على علم بوجود الضباط الأحرار منذ انتخابات نادى ضباط الجيش.

(٢) عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص٨٧. ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٢٤.

(٣) نفس المصدر، ص٢٥؛ عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٨٨.

(٤) ورواية البكباشى يوسف صديق تؤكد أن اللواء محمد نجيب كان على علم بنشاط الضباط الأحرار وأنهم فاتحوه فى انضمامه لهم، بدليل أن يوسف كلما ذهب يسأله عن شيء كان يحيله إلى جمال عبد الناصر، ولكن ربما لم يفاتحوه بأنه سيكون قائد الحركة إلا قبل انتخابات نادى ضباط الجيش. على خلاف ما ذكر أنور السادات فى كتابه، "البحث عن الذات"، ص١٣٤-١٣٥.

فى إحضـار اللغم استعدادًا لتنفيذ هذه الخطـة عند صـدور الأمر بذلك. غضـب يوسف لهذا التصرف وفوجئ بـأن ثمـة عمـلًا خطيرًا يتم تحت قيادتـه ولا يعلم عنه شيئًا، فرأى أن هذا تَخَطٍّ له، وبما أنه تقع عليه مسئولية فلا بـد أن يعلم بكل صغيرة وكبيرة. عند أول لقاء بينه وبين جمال نـاقش الأمـر معـه. فأخبره جمـال بأن عدم علمه ربما جاء نتيجة بعض الأخطـاء فى العمل، وأنـه لـم يكـن مقصـودًا حيث إن هذا العمل كان مُقررًا قبل أن يتولى يوسف قيادة الكتيبة[1].

أُتيحت الفرصة ليوسف التعرف على الضباط الأحرار الآخرين؛ ذلك عنـدما جـاء موعـد التـنقلات الدوريـة لوحـدات الجـيش، وأسـندت إليـه قيـادة الكتيبـة بـالعريش. وكانـت العـريش هـى مقر قيـادة القوات الموجودة شرق القنـاة، التـى كانت تضم كتائب اللواء مشاة وهى الكتيبة ١٣ مشاة حيث كان يمثلهـا الصـاغان صـلاح نصـر وصـلاح سـعدة، والكتيبـة ١٤ مشـاة. كمـا كـان يوجـد بالمنطقـة مطـار العـريش الذى كان يمثله جمال سالم[2]. كما أتاحت له قيادته لهذه المنطقة

---

[1] عبد العظيم رمضـان، المرجـع السـابق، ص٨٩. ؛ يوسـف صـديق، المصـدر السـابق، ص ٢٥.

[2] جمـال سـالم: (١٩١٨- ١٩٦٨) هـو جمـال الـدين مصـطفى سـالم ضـابط طيـران مصـرى وأحد الضباط الأحرار وكـان برتبـة صـاغ أثنـاء القيـام بحركـة الضـباط الأحـرار، ولـد فـى "١٩١٨" أثناء عمل والده فى السودان، وهو يكبر أخـاه صـلاح سـالم بعـامين. تخـرج فـى الكليـة الحربيـة سـنة "١٩٣٨"، وأوفدتـه الدولـة فـى بعثـات عسـكرية خـارج مصـر إلـى إنجلترا والولايـات المتحدة. كمـا شـارك فـى حـرب فلسـطين. وبعـد نجـاح حركـة الضـباط الأحـرار فـى ٢٣ يوليـو "١٩٥٢" اختيـر جمـال سـالم رئيسًـا للجنـة العليـا للإصـلاح الزراعـى التى لعبت دورًا بارزًا فى تصفية ممتلكات كبار ملاك الأراضـى الزراعيـة. هذا وقد أسـهم فـى الصـراع علـى السلطة بين الرئيس محمد نجيب وجمـال عبـد الناصـر، وانحـاز انحيـازًا مطلقًا إلى عبد الناصر، فيما عُرف فى السياسـة المصـرية بأزمـة مـارس "١٩٥٤". رأس محكمـة الثـورة التـى أصـدرت الحكـم بالإعـدام علـى عـدد مـن قيـادات جماعـة الإخـوان المسلمين. كانـت لـه آراء متطرفـة أوردهـا عـدد مـن زملائـه فـى مجلـس قيـادة الثـورة فـى مـذكراتهم، ومنهـا اقتراحـه بإعـدام جميـع ضـباط المدفعيـة الـذين اعترضـوا علـى بعـض قرارات المجلس فى يناير "١٩٥٣". كما عُين وزيرًا للمواصلات فى سبتمبر "١٩٥٤"، ورأس محكمـة الثـورة فـى ذلـك العـام، وقـد شُكلت هـذه المحكمـة لمحاكمـة قيـادات جماعـة الإخوان المسلمين، وأصدر حكمًا بالإعدام على عدد من قياداتهم البارزة، منهم عبد القادر عودة ومحمد فرغلى. هذا وقد وصـفه السـادات فى مذكراتـه "البحث عن الذات" بأنـه كان حـاد المـزاج، عصـبيًا إلـى حـد غيـر طبيعـى، لا يهـاب الـدم، وهـو مـا دفـع بـالرئيس عبـد الناصـر

التعرف على الضباط الأحرار فى رفح وغزة أبرزهم عبد الحكيم عامر، صلاح سالم[1]، السادات[2].

فى النهاية إلى الحد من اختصاصاته. أصيب بالسرطان، وتوفى فى مايو "١٩٦٨". اللوحة التعريفية له فى قاعة ٥٢، بالمتحف الحربى.؛ رؤوف عباس، المرجع السابق، ص٨٨-٨٩.

(١) صلاح سالم: (١٩٢٠- ١٩٦٢) هو أحد الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليو وكان برتبة صاغ حينها، وكان عضوًا بمجلس قيادة الثورة، ولد فى سبتمبر "١٩٢٠" فى مدينة سنكات شرق السودان، حيث كان والده موظفًا هناك ، وتعلم فى كتاتيب السودان. وهو الأخ الأصغر لجمال سالم ، عندما عاد إلى القاهرة مع والده تلقى تعليمه الابتدائى، ثم حصل على البكالوريا، وتخرج فى الكلية الحربية سنة "١٩٤٠" وهو فى الثامنة عشرة من عمره. تخرج فى كلية أركان الحرب سنة "١٩٤٨"، وشارك مع قوات الفدائيين التى كان يقودها الشهيد أحمد عبد العزيز. كان دائم ارتداء النظارات السوداء. تعرف على جمال عبد الناصر فى أثناء حصاره فى الفلوجة، وانضم إلى الضباط الأحرار، وكان عضوًا فى اللجنة التنفيذية لهذا التنظيم، وعندما قام الضباط الأحرار بحركتهم فى يوليو "١٩٥٢" كان صلاح فى العريش، وسيطر على القوات الموجودة هناك. كما عُرف عن صلاح سالم شدته وحزمه فى أى قضية تخص الثورة. عُين رئيسًا لوزارة الإرشاد القومى (الإعلام) فى الفترة من ١٨ يونيو "١٩٥٣" وحتى ٧ أكتوبر "١٩٥٨".. واشتغل بالصحافة حيث تولى الإشراف على صحيفتى الشعب والجمهورية. كما كان أول مسئول مصرى سافر إلى جنوب السودان عام "١٩٥٤" لتحقيق المصالحة الوطنية بين الشماليين والجنوبيين قبل انسحاب بريطانيا من مصر عام "١٩٥٤" ومن السودان عام "١٩٥٦". رفض السودانيون أن يكون صلاح سالم أول سفير مصرى فى السودان. وقد اشتغل بالصحافة وتولى رئاسة مجلس إدارة دار التحرير للطباعة والنشر. كما ترأس تحرير جريدة الجمهورية. كان صلاح سالم أول من توفى من أعضاء مجلس قيادة الثورة، حيث توفى فى سن صغيرة عن عمر ناهز ٤١ عامًا فى ١٨ فبراير "١٩٦٢" بمرض السرطان. وقد شيع جثمانه فى جنازة مهيبة تقدمها جمال عبد الناصر وجميع زملائه والوزراء، حيث بدأت الجنازة من جامع شركس بجوار وزارة الأوقاف إلى ميدان إبراهيم باشا. وهنا تجدر الإشارة إلى أن عبد اللطيف البغدادى حينما كان يقوم بالانتهاء من أحد أعماله الإنشائية العظيمة وأشهرها طريق الكورنيش والطريق الجديد الذى استقطع جزءًا من المقطم، وامتد فى أرض صحراوية أصبحت بعد ذلك مدينة نصر؛ قد تصادف مع موعد وفاة صلاح سالم، فأطلق اسمه على هذا الطريق الطويل شارع صلاح سالم الذى أصبح من أشهر شوارع مصر. الأهرام، العدد ٤٤٨١١، ١٤ /٨/ ٢٠٠٩، السنة ١٣٣.؛ رؤوف عباس، المرجع السابق، ص١٠٣، ١٠٥.

(٢) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٩٠. ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص ٢٦.

فى تلك الآونة بدأ تساؤل الضباط عن البرنامج الذى يرتبطون به، فأُعدت الأهداف وصدرت فى منشور. كما تم إصدار منشور فى يونيو ١٩٥٢ عرف بهدية العيد، جاء فيه أن هدية الضباط الأحرار بمناسبة العيد هى الخلاص من الفساد السائد فى البلاد. وكان ذلك آخر منشور صدر باسم الضباط الأحرار[1].

عندماعلم يوسف بأن رشاد مهنا قادم للخدمة فى الجيش ظن أن له صلة بالتنظيم؛ لما يتميز به من طبيعة ثورية فاتصل بجمال وسأله عن الوضع عند وصول مهنا إلى العريش، حيث إنه أقدم منه فى الرتبة العسكرية وأن عليه إذا كان من التنظيم أن يسلمه قيادة المنطقة كما اتفق معه جمال عند أول لقاء بينهم أن القيادة للأقدم فى الرتبة، لكن جمالًا أجابه بالنفى وحذره من أن يطلعه على سير العمل ، ومع ذلك لا يهاجمه وألّا يعاديه. وفور وصول رشاد قام بحملة دعاية نحو الإصلاح وكان يرى أن عليهم أن يبدأوا على حد تعبيره من (رباط جزمة العسكري)، إلا أن الخط السياسى حينها على حد تعبير يوسف قد كفر بسياسة الإصلاح ويصر على ضرورة التغيير. كان ليوسف رأى خاص بخصوص رشاد، فكان يرى أنه عنصر جيد ولا يجب أن يبقى بعيدًا عن التنظيم، وفكر كثيرًا فى الطريقة التى يستخدمها لإقناعه بالتخلى عن سياسة الإصلاح التى كان ينادى بها؛ ليكسبه فى صفوف الأحرار لما كان يتمتع به من صفات تجعله أهلًا للثقة والمحبة بين الضباط، إلا أن الوقت لم يساعده فقد جاء موعد التحركات الدورية السنوية لوحدات الجيش، التى كانت تقضى بأن تتحرك الكتيبة ١٣ مشاة إلى القاهرة لإعدادها، استعدادًا لذهابها إلى السودان، وكانت أى كتيبة تُكلف بهذا الواجب لا بد من إعدادها إعدادًا يجعلها رمزًا طيبًا للقوات المصرية من جميع النواحى. كما كان على كتيبة يوسف أن تتحرك هى الأخرى للخدمة بها؛ لأن أى وحدة عسكرية تتحرك من مكان لآخر لا تتحرك كلها بل تسبقها مقدمة منها لاستلام مكان الإقامة الجديد، وإعداده للإعاشة حتى إذا ما وصلت القوة الأساسية تمارس مهامها فى مكانها الجديد فى يسر، كانت طبيعة هذه المقدمة تتناسب مع هذا الواجب وقد أطلق يوسف عليها اسم (قوة

[1] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص١٤٧.

عسكرية إدارية)، فقد كان تسليحها خفيفًا ومعظم جنودها من الحرفيين وغيرها من الأعمال الفنية اللازمة لحياة الجيش، وكان القانون يجعل هذه القوة تحت قيادة قائد ثانى الكتيبة ، وهى الوظيفة التى كان يشغلها يوسف صديق. وقد كان معظم ضباط ك١٣ . م يعرفون يوسف جيدًا وقد جمعتهم صلة قديمة؛ لأنه كان أحد الضباط الذين قاموا بإنشائهاعندما تقرر ذلك[١].

أصبح يتردد اسم الضباط الأحرار همسًا وعلانية فى الجيش كما علمت القوى السياسية المختلفة وبعض الصحفيين به، حتى إن المخابرات الحربية والبوليس السياسى كانا يعلمان بوجود هذا التنظيم الجديد[٢]. لم يكن فى سياسة وزارة الوفد فى تلك الأثناء ما يثير الضباط الأحرار ضدها، ولم يكن عداء الإخوان التقليدى للوفد ذا تأثير فى اتجاهات الضباط الأحرار. رغم أن جمال كان لديه ميول للوفد حيث قضى ساعات طويلة فى منزل أحمد حمروش بالإسكندرية قبل ٢٣ يوليو، يدافع عن الوفد فى مناقشة حضرها مجموعة من الضباط الأحرار؛ لأنه لم يكن فى سياسة الوفد فى تلك الفترة ما يثير الضباط أو يجنح بهم إلى تيار المعارضة، ولم يكن للوفد شعبية فى الجيش نظرًا للظروف التاريخية التى أبعدت الوفد عن الجيش[٣].

أصبحت الساحة السياسية مليئة بالأحداث نظرًا لظهور اتجاهات ثورية جديدة فى تلك الفترة. وزادت تصريحات الحكومة الوفدية المتكررة بقيادة النحاس لإلغاء معاهدة ٣٦، حتى لا يشتعل الموقف السياسى الداخلى إلى حد جعل الحكومة لا تستطيع التراجع خوفًا من ضغط الجماهير[٤]، وحرصًا على رصيدها الوطنى الذى تستمد منه قوتها، لا سيما بعد أن صار الدكتور محمد

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٩١-٩٢. يوسف صديق، المصدر السابق، ص٢٦-٢٧.

(٢) أحمد حمروش، المرجع السابق، ص١٤٧.

(٣) نفس المرجع، ص١٤٨-١٤٩.

(4) F.O. 371/90139 F.O. to His Majesty's Representatives. 31 Aug.1951. No 235. Confidentail.

جريدة المصرى، ٢٨ /١٩٥١/٨.

صلاح الدين يهدد بأنه سوف يستقيل إذا لم تأخُذ الحكومة بنصحيته وتُعلن نقض المعاهدة ووقف المفاوضات[1]. علاوة على أن استقالة وزير الخارجية بسبب مسألة وطنية يسيء للحكومة ويثير الشعب عليها. كما قامت حكومة الوفد بتوجيه إنذار إلى الملك فى ٨ أكتوبر "١٩٥١" بأن يوقع مراسم إلغاء المعاهدة واتفاقية السودان، وإلا فإن الحكومة ستستقيل، وتُعلن أسباب استقالتها؛ وهى معارضة الملك للإجراءات الوطنية، مما أجبر الملك على الموافقة لطلب الحكومة[2]. كما لعبت نتائج الحرب العالمية الثانية ونيل العديد من الدول استقلالها التام دورًا فى الضغط على النظام لإلغاء معاهدة٣٦، وبلغت المطالب حدًا واسعًا فقامت المظاهرات وعقدت الاجتماعات للمطالبة بإلغاء المعاهدة، وقد كان هذا الأمر بداية للنضال الشعبى المسلح ضد الوجود العسكرى الأجنبى فى مصر، وقد شجعت حكومة النحاس الوفدية أعمال النضال المسلح، لكن القصر وقف ضدها. كما جرت العديد من المعارك بين الفدائيين المصريين والقوات البريطانية، التى كان أهمها سقوط الإسماعيلية ٢٥ يناير "١٩٥٢"، إذ اقتحمت قوة إنجليزية ثُكنة عسكرية للبوليس المصرى فقتلت ما لا يقل عن ٦٤ مصريًا وجرحت الكثير، مما أثار سخطًا عامًا وخرجت مظاهرات واسعة فى المدن المصرية[3].

ترجع أهمية القرار المصرى إلى أنه لن يتوقف عند نتائجه المباشرة من مساندة موقف حكومة الوفد، وإنما يستند إلى ما هو أعمق وهو ما يجعلها نقطة تحول حاسمة فى التاريخ المصرى المعاصر؛ بما أدت إليه من إشعال الكفاح المسلح الذى كان من العوامل الأساسية فى أن يقوم الجيش بحركته فى ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، وما نتج عن ذلك من القضاء على النظام الملكى وإحداث تغيرات جذرية فى البناء السياسى والاجتماعى والاقتصادى لمصر. وبذلك شاركت الجماعات السرية كافةً داخل الجيش منذ بدايتها فى الثلاثينيات وحتى قيام ثورة ٢٣ يوليو فى بناء القاعدة الثورية فى الجيش المصرى، كما أن

(1)F.O. 371/90140. Alex. To F.O. 6 Oct. 1951. No. 657. Priority. Confdentail.

(2)F.O. 371/90140. Alex. To F.O 9 Oct. 1951. No. 671. Confidential.

(٣) عبد الوهاب الكيالى، المرجع السابق، ج٣، ص٧٢٤-٧٢٥.

التنظيمات الثورية كافة من الإخوان المسلمين والشيوعيين شاركوا فى تنظيم الضباط الأحرار الذى قاده عبد الناصر، واستطاع بموجبه أن يدمج التنظيمات المختلفة باتجاهاتها السياسية ويؤلفها فى تنظيم واحد، وقام بتوجيهها لتحقيق هدف واحد. وقد أصر عبد الناصر عند انضمام تلك التنظيمات إلى تنظيم الضباط الأحرار أن تنضم بشكل فردى وليس على شكل تنظيم؛ حتى يكون له القدرة على قيادة التنظيم الذى يهدف إلى الخلاص من الملك والاستعمار محققًا العدالة الاجتماعية والديمقراطية.

وبناءً على ما سبق فإننى أرى أن يوسف صديق وجد فى تنظيم الضباط الأحرار الأمل والفرصة التى كان يبحث عنها، حيث إن خبرته التى اكتسبها من خلال محاولة انضمامه إلى الكثير من التوجهات السياسية فى رحلة بحثه عن كيان يستطيع فيه أن يترجم ثورته الداخلية ووطنيته، والقيام بعمل عظيم يخلص مصر مما تعرضت له، فمنذ أن ولد وشب على الأوضاع التى كانت تمر بها مصر من تدهور فى ظل وجود الاستعمار ومعاونة القصر على تردى الأوضاع، فظل يبحث عن طريقة يستطيع من خلالها أن يُحسن وضع البلاد ويخلصها من عناصر الفشل والفساد. وأخيرًا وبعد رحلة البحث الطويلة على طريق للثورة بين حزب الوفد ومصر الفتاة وانضمامه للإخوان فضلًا عن لقائه وتقربه للشيوعيين حتى انضمامه إلى تنظيم الضباط الأحرار.

وهنا ينبغى للباحثة أن تشير إلى أن يوسف صديق كان تفكيره ماركسيًا لذلك أُعجب ببعض أفكار الشيوعيين المتمثلة فى الاشتراكية ، فليس هذا سببًا جوهريًا يمكننا أن نعول عليه لنقول بأنه كان شيوعيًا كما وصفه الكثيرون بما تعنيه كلمة الشيوعية فى ذلك الوقت، سواء فى مذكرات بعض الضباط الأحرار أم فى بعض المقالات الصحفية، فقد كان يؤمن بالديمقراطية وأُعجب بكل من طالب بها. كما كان مؤمنًا بالله وتربى تربية دينية وذهب لزيارة بيت الله لأداء فريضة الحج مع زوجته السيدة توحيدة صبرى[1]. فضلًا عن وعيه السياسى الذى لم

---

[1] أخبرت السيدة ليلى نجلة يوسف صديق الكاتبة، بأنه ذهب لأداء فريضة الحج مع والدتها السيدة توحيدة صبرى، كما أحضرت لها صورة والدها ووالدتها بملابس الحج. محضر

يجعل انضمامه للإخوان أو الشيوعيين تأثيرًا فيه أو عليه. فكما انضم للإخوان- ولم يستمر معهم وقد ذكر سبب انفصاله عنهم- انضم كذلك للشيوعيين ولكنه لم يؤمن بكل ما جاءوا به. فالبكباشي يوسف صديق بطبيعته متطلع يحب أن يتعرف على كل ما حوله لا سيما التعرف على برامج التوجهات السياسية المختلفة أملًا في أن يجد ما يريده، فهو لم يستمر معهم سوى بضعة أشهر تعرف خلالها على برامجهم وسياستهم عن كثب. وعندما وجدها لا تناسبه انسحب وعاد أدراجه باحثًا عمًا يحقق له أهدافه العليا في تخليص بلاده من الاستعمار وأعوانه دون أن يضطر إلى أن يتنازل عن مبدأ من مبادئه أو يغير فكره .

النقاش السابق مع السيدة ليلى صديق في منزلها بالقاهرة في منطقة المهندسين يوم الأربعاء ٢٢/١٠/٢٠١٤.

الفصل الثالث

يوسف صديق ودوره فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

أولًا: الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة.

- قرار البرلمان بإلغاء المعاهدة.
- حريق القاهرة.
- انتخابات نادى الضباط.

ثانيًا: تغيير موعد الحركة أكثر من مرة.

ثالثًا: موقع يوسف صديق وقيادته لمقدمة كتيبة مدافع ماكينة.

رابعًا: تسرب موعد الحركة.

خامسًا: يوسف صديق وساعة الصفر.

سادسًا: الخلاف حول دور يوسف صديق فى اقتحام مبنى رئاسة الجيش، وروايات الضباط الأحرار.

سابعًا: الأسباب التى أدت إلى نجاح الثورة.

قامت ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" لتكون بداية لدخول مصر حِقْبَة جديدة أنهت فيها الملكية وأُعلنت فيها قيام النظام الجمهورى. وقد تختلف أسباب الثورة باختلاف مكان وزمان اندلاعها، ومهما تباينت السبل التى تتبعها الثورة لتحقيق النجاح، ومهما تعددت طبيعتها والأهداف التى تبغيها، فإن هناك أسبابًا يمكن اعتبارها المحرك الرئيس لمعظم الثورات فى العالم. وقد تتجمع هذه الأسباب لإشعال الثورة، وأحيانًا قد يكفى سببٌ واحد لاندلاعها. وأهم هذه الأسباب إفلاس الطبقات الحاكمة وانقطاع صلتها مع الشعب، والأزمات الاقتصادية والاجتماعية[1]. لذلك تناولت فى هذا الفصل أهم الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة، وسرعة الأحداث التى جعلت الضباط الأحرار يعجلون بالقيام بالحركة، فقاموا بعقد الكثير من الاجتماعات وحددوا غير موعدٍ لانطلاق حركتهم. وهناك سؤال يطرح نفسه بقوة فى هذا الصدد ألا وهو: إذا كانت هناك سرية شديدة على ما ينوون القيام به فكيف علم الملك بأمر حركة الجيش؟ ومتى؟، ومن خلال هذا الفصل سألقى الضوء على الدور الذى قام به البكباشى يوسف منصور صديق، وكيف تحولت مقدمة كتيبة مدافع ماكينة الأولى من دور التأمين إلى القيام بتنفيذ أهم جزء فى الخطة، الذى يتجلى فى اقتحام مبنى رئاسة أركان الجيش[2] فى كوبرى القبة.

---

[1] فطين أحمد فريد، ثورة ٢٣يوليو "١٩٥٢" من التنظيم السرى إلى سقوط فاروق، القاهرة، مطابع الشرطة للطباعة والنشر، "٢٠٠٢"، ص ٥٩٩.

[2] مبنى رئاسة الأركان: يتوسط هذا المبنى شارع الخليفة المأمون إلى يسار المارة من منطقة العباسية إلى حى مصر الجديدة مارًا بإدارة التجنيد، ثم قصر الزعفران ثم مصلحة الأرصاد ثم المساحة العسكرية. ويلى قيادة الأركان مساحة أرض أقيم عليها فيما بعد

ونظرًا لأن من واجب الباحث والمؤرخ أن يقوم بتوثيق الروايات وإن كانت من أفواه الذين صنعوا الأحداث، أو الذين اشتركوا فيها، إذ إن الحالة الانفعالية التى تصحب تلك المغامرات والأعمال البطولية أحيانًا ما تفقد أصحابها القدرة على المتابعة المتأنية للرواية، والتى قد يتم تثبيتها والتعامل معها على أنها حقيقة واقعة بالتكرار بالرغم من ضعفها[1]. لهذا كان عليَ أن أستوثق من صحة رواية البكباشى يوسف منصور صديق باعتباره طرفًا فى القضية، لذلك قمت بمقابلة روايته بروايات أخرى ممن شاركوا فى صنع الحركة أو كانوا على مسرح الأحداث فى تلك الليلة، وإن كان هو صاحب الحدث إلا أنه ليس الشاهد الأوحد عليه، لا سيما إن كان هناك فى روايته بعض الأشياء التى تُثير التساؤل فى تلك الليلة، فإنها لا تقلل من دوره، بل هى تؤكد على دوره العظيم، وعلى شجاعته وبطولته فى تلك الليلة كما هى عادته ودَيْدَنه. لذلك تناولت بعض الروايات التى تجيب على هذه التساؤلات، كما أن هناك بعض الاختلافات فى مذكرات يوسف صديق منصور نفسها المنشورة وغير المنشورة فيما يخص تلك الليلة بالتحديد.

فضلًا عن التعرف على من هو صاحب الفكرة الأساسية فى اقتحام البكباشى يوسف منصور صديق لمبنى قيادة الجيش؟، وما قاموا به ليلة ٢٣ يوليو

مسجد الرئيس جمال عبد الناصر، وهذا نفس المكان الذى كان يقف عليه عبد الناصر ليلة ثورة ٢٣ يوليو يتابع الأحداث. ويقابل المبنى فى الشارع الآخر سلسلة من المؤسسات العسكرية تبدأ بقشلاقات العباسية فسلاح خدمة الجيش ثم سلاح الفرسان الذى كان يفصله مساحة أرض عن الكلية الحربية. مقر رئاسة الأركان كان هو مسرح الأحداث فى ليلة ٢٣ يوليو. فهو يتألف من طابقين، حيث يوجد فى الطابق الأرضى إدارة رئاسة الجيش بأقسامها ومديرها كما تضم مكاتب نواب الأحكام، وإدارة المستخدمين العسكريين.أما الطابق العلوى فكان يضم مكتب رئاسة الأركان، ويجاوره إدارة العمليات العسكرية. ويجاور مبنى رئاسة الأركان مبنيان صغيران نسبيًا؛ يضم الأول إدارة المخابرات الحربية، والثانى يضم إدارة التدريب الحربى. وبالرغم من كل هذه الإدارات المتداخلة التى يحميها سور واحد؛ فإن خطة حركة الضباط الأحرار كانت قاصرة على إخضاع رئاسة الأركان التى لا تحتل سوى الجناح الأيمن من الطابق العلوى. وهى التى قام البكباشى يوسف منصور صديق باقتحامها والاستيلاء عليها وإلقاء القبض على رئيسها والقادة المجتمعين معه. أحمد عطية الله، ليلة ٢٣يوليو مقدماتها أسرارها أبعادها، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٣ يوليو "١٩٨٢"، ص٢٢٦.

[1] أحمد عطية الله ، المرجع السابق، ص ٢٠٣.

"١٩٥٢" ثورة أم انقلاب وذلك استدلالًا برأى قائد حركة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" اللواء محمد نجيب، فقد رأيت إجابته مختصرة ومعبرة عما قام به الضباط الأحرار فى تلك الليلة. وقامت بالإشارة إلى أهم الأسباب التى أدت إلى نجاح الثورة أو حركة الضباط الأحرار فى تلك الليلة.

أولًا- الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة:

كان هناك العديد من الأسباب التى جعلت الوضع لا يحتمل أن يقوم الضباط الأحرار بتأخير موعد القيام بحركتهم حتى عام "١٩٥٤" كما كانوا مقررين فيما بينهم، فقد تضاربت المواقف وتصاعدت الأحداث وصارت على نحو لم يكن من المتوقع حدوثه. كانت حرب فلسطين من أول الأسباب التى جعلتهم يرون أن هناك ضرورة للقيام بحركتهم، فضلًا عن التدهور الذى آلت إليه الأوضاع فى مصر، و قد شغلت القضية الفلسطينية الرأى العام فى مصر لا سيما عقب صدور قرار تقسيمها فى ٢٩ نوفمبر "١٩٤٧" من الأمم المتحدة(١). لقد كانت حرب فلسطين هى الجرح الحقيقى فى قلب رجال ثورة ٢٣ يوليو بالرغم من أن التنظيم لم يكن قد تشكل، إلا أن أغلب رجالها إن لم يكن جميعهم قد شارك فى الحرب(٢).

كانت مصر فى مطلع الخمسينيات تتفجر غضبًا ضد الاحتلال، وضد الملك وضد ما أحاط بالنظام بأكمله من فساد وظلم اجتماعى، وحاول الوفد وهو الحزب الحاكم فى تلك الفترة أن يلعب لعبة مزدوجة، وهى أن يرضى الشعب ولو بالقدر القليل، وفى الوقت ذاته من دون أن يتصادم مع الملك البته. وقد كان الأمر صعبًا فقد عجزت حكومة الوفد عن إرضاء الجماهير، فواصلت الأسعار ارتفاعها وترددت قصص فاضحة لحالات من الفساد المتفاقم، وقد شارك فيها أقطاب وفديون، والإنجليز يتعنتون، والملك يتحدى كل القيم الأخلاقية وحكومة الوفد حائرة تحاول إرضاء الملك تارة فيغضب عليها الشعب، وتارة أخرى

---

(١) أحمد حمروش، المرجع السابق، ص١٢٨.

(٢) خالد محى الدين، المصدر السابق، ص٧٣ ؛ انظر كذلك صلاح نصر، المصدر السابق، ص٦٤.

تحاول إرضاء الشعب فيغضب عليها الملك. وأخذت الصحف تهاجم القصر الملكى بشدة[١].

وفى تلك الأثناء كانت المفاوضات المصرية – الإنجليزية تتعثر دون أمل فى الوصول إلى حل، وكانت هناك صيحات وطنية تعلو للمطالبة بإلغاء معاهدة "١٩٣٦". وقد أضرب العديد من الصحفيين عن الطعام مطالبين بإلغائها، ووجهت دعوة لصيام شامل وعام لمدة يوم واحد للمناداة بذلك المطلب. وفيما كان الملك يفكر فى إقالة النحاس باشا وجه الوفد ضربة غير متوقعة وقرر إلغاء معاهدة "١٩٣٦". وبدأت على الفور عمليات فدائية ضد قوات الاحتلال فى منطقة القناة وتفجر غضب الشعب، كانت مصر تغلى، وتساقط الشهداء وقد عجزت قوات البوليس عن مواجهة الاحتلال وتساءل الناس، أين الجيش؟! وقد طلب بعض الضباط الأحرار بإحالة عدد من الضباط إلى الاستيداع ليتمكنوا من السفر إلى القنال، ولكن رُفض طلبهم. واعترض رشاد مهنا على فكرة الضباط الأحرار بأن يتوجهوا إلى رئاسة أركان حرب ليطالبوا بالسماح لهم بالسفر إلى القناة معللًا بأن حركة كهذه قد تؤدى إلى كشف العديد من الضباط الأحرار ، ومن ثم يتم اعتقالهم، مما يعرض الحركة للخطر وربما الفشل[٢].

- قرار البرلمان بإلغاء المعاهدة.

فى يوم الإثنين ٨ أكتوبر عام "١٩٥١" وقع حدثٌ مهم فى تاريخ مصر القومى، كان بداية مرحلة جديدة من مراحل كفاح الشعب فى سبيل تحقيق أهدافه، تم إعلان إلغاء معاهدة ٢٦ أغسطس "١٩٣٦". حيث اجتمع مجلس الوزراء يوم الأحد ١٤ أكتوبر "١٩٥١"، وقد قرر الاستمرار على الخطة التى أعلنها رئيس الوزراء وهى إلغاء معاهدة ٣٦. وتم إعلان هذا القرار فى مجلس النواب بجلسة ١٥ أكتوبر "١٩٥١"[٣].

---

[١] نفس المصدر، ص١٠٣-١٠٤.

[٢] نفس المكان.

[٣] عبد الرحمن الرافعى، مقدمات ثورة ٢٣يوليو سنة "١٩٥٢"، ط٣، القاهرة، دار المعارف، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧)، ص٢٥.

وقد ترتب على إلغاء المعاهدة من جانب الحكومة إلغاء جميع الإعفاءات المالية التى كانت ممنوحة للسلطات العسكرية البريطانية بمقتضى تلك المعاهدة، وهى تشمل الرسوم الجمركية على المهمات والأسلحة والعتاد ومواد التموين وما إلى ذلك.. كما امتنعت الحكومة عامة عن إدارة التسهيلات والخدمات التى كانت تؤديها للسلطات العسكرية البريطانية، فضلًا عن منعها وصول ضباط وأفراد القوات البريطانية إلى داخل البلاد، وانتهت تصاريح الإقامة للبريطانيين الذين كانت إقامتهم فى البلاد لخدمة القوات البريطانية وخدمة مصالحها. كان هذا من جانب الحكومة. أما من جانب الشعب، فقد اعتبر مركز الجنود البريطانيين بعد إلغاء المعاهدة مركز غاصبين ومحتلين لمنطقة القناة يجب محاربتهم حتى يجلوا عن البلاد، ومن هنا بدأ الكفاح فى القناة بعد إلغاء المعاهدة يتخذ طورًا جديدًا إيجابيًا. وأضرب العمال المصريون فى المعسكرات البريطانية عن العمل فيها وانسحبوا منها جميعًا[١].

كانت أول محاولة لتوحيد الجهود الوطنية فى إبريل "١٩٥١" عند تكوين "لجنة الميثاق الوطنى"، التى تكونت من ممثلى جميع الأحزاب والهيئات السياسية بهدف جمع كلمة الأمة حول حقوق الوطن. وقد أصدرت اللجنة ميثاقها الوطنى فى يوم ٢٣ سبتمبر "١٩٥١"، وقد نص على وجوب إلغاء المعاهدة، واستبعاد مبدأ التفاوض كوسيلة لتحقيق الأهداف الوطنية، واتخاذ كل الوسائل لمقاومة المستعمرين[٢]. فضلًا عن تطوع كثير من الشباب فى كفاح الإنجليز فى منطقة القناة، وألفوا من بينهم كتائب سميت كتائب الفدائيين أو كتائب التحرير، تكونت فى القاهرة وفى المدن والقرى الواقعة فى منطقة القناة أو المنطقة القريبة منها. وكان لهذه الكتائب عمل إيجابى جليل فى تنظيم حركة الكفاح وبث روح المقاومة فى نفوس الوطنيين[٣]. ضمت هذه الكتائب الكثير من شباب الأحزاب السياسية المختلفة، كالحزب الوطنى، ومصر الفتاة، والوفد

---

[١] نفس المرجع، ص٤٨ ؛ انظر كذلك محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص٥٥.

[2] F.O 371/90121. Stevenson to Eden. 6 Dec. 1951. No.416.confidential.

[٣] عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٦٠

والإخوان المسلمين والشيوعيين. بينما ذكر بعض الذين عاصروا هذه المرحلة أن الإخوان المسلمين لم يشاركوا فى معارك القنال[1].

هذا وقد قامت جماعات من تنظيم الضباط الأحرار بالمساهمة بدور كبير مع مجموعة الفدائيين بمنطقة القناة، وقام بعض الضباط الشباب بالتطوع لقيادة جماعات الفدائيين فى غارات حرب العصابات ضد المعسكرات، وبعضهم كان يقوم بتدريبهم على حرب العصابات، كما أمدوهم بالأسلحة والذخيرة التى أمكن الحصول عليها من مخازن الجيش وأعدوا الخطط لمعظم عمليات الفدائيين الهجومية، كما أعدت رئاسة تنظيم الضباط الأحرار لغمًا ضخمًا وأُطلق عليه اسم "التيتل"[2] لاستخدامه فى إغراق أى سفينة فى مجرى القناة لتعطيل الملاحة عند اللزوم[3].

على هذا النحو فقد تصاعد العمل الفدائى فى المنطقة، فقد قامت الكتائب الفدائية باغتيال كثير من العسكريين البريطانيين، وكان رد الإنجليز على ذلك بأنهم سوف يدمرون قرية "كفر عبده" القريبة من السويس بدعوى أنها تأوى الفدائيين الذين يحاولون نسف محطة المياه الموجودة بهذه القرية وهى التى تغذى المعسكرات البريطانية بالمياه. وعندما علم وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا، أمر قوات البوليس الموجودة بالسويس بالمقاومة والدفاع عن القرية وبذلك انضمت قوات البوليس للفدائيين وقاموا بالدفاع عن القرية مواجهين الإنذار البريطانى، وهناك قامت معركة غير متكافئة بين المصريين والإنجليز، وقام الإنجليز بنسف القرية وإزالتها بمن فيها ممن تبقى من أهالى القرية ورجال المقاومة[4]. وقامت معركة أخرى فى السويس يومى الخميس والجمعة ٣و٤

---

[1] كمال رفعت، حرب التحرير الوطنية بين إلغاء معاهدة "١٩٣٦" وتوقيع اتفاقية "١٩٥٤"، القاهرة، "١٩٨٦"، ص١٥-٢٢.

[2] هذا اللغم الذى تحدث عنه البكباشى يوسف منصور صديق، عندما اكتشف أن هناك بعض الجنود الذين يعملون تحت قيادته يعملون على فعل شيء ما، وعند تحقيقه فى هذا علم أنهم يعملون على تجميع لغم التيتل، انظر الفصل السابق، ص٧٧.

[3] عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص٢٨ ؛ محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص٦٠.

[4] عبد الرحمن الرافعى، مقدمات ثورة ٢٣يوليو سنة "١٩٥٢"، ص٦٠ ؛ محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص٦٣-٦٤. لقراءة المزيد عن نتائج نسف قرية كفر عبده، انظر المرجع نفسه، ص٧٦-٧٩.

يناير "١٩٥٢" بين البريطانيين والمصريين من رجال البوليس والمدنيين(١). وفى ٤ يناير "١٩٥٢" وقعت معركة فى أبى صوير بين البريطانيين والفدائيين، وفى ٩ يناير حدث اشتباك آخر بين الفدائيين المصريين وبين القوات البريطانية قُتل فيها ضابط إنجليزى(٢). وقامت القوات البريطانية بالهجوم على قرية التل الكبير بدعوى أنها تأوى بعض الفدائيين الذين يهاجمون معسكراتهم فى منطقة القناة(٣). توالت الهجمات على التل الكبير وفى ٢٦ يناير "١٩٥٢" احتلها الإنجليز بعد أن هجرها معظم سكانها وكذلك قرية أبو حماد بدعوى التفتيش على الأسلحة وتعقب الفدائيين. وكان احتلال هذه المدن والقرى نذيرًا باستمرار زحفهم حتى يصلوا إلى القاهرة(٤).

واستغلت السلطات البريطانية عمليات الفدائيين فى منطقة التل الكبير لتنفيذ مخططها والقيام بالمواجهة النهائية مع حكومة الوفد بزعامة مصطفى النحاس باشا. وفى المعركة تم أسر مائة وعشرين من رجال البوليس السياسى وأربعة رجال من ذوى الرتب الكبيرة. ورأى السفير البريطانى بالقاهرة أن يستخدم ذلك الجانب فى محاولة تصعيد الضغط السياسى والنفسى على الحكومة المصرية، باعتبار أن أسر رجال البوليس، الذين يتبعون أحد الأجهزة الأساسية التابعة لسلطة الدولة، يؤدى إلى إظهار ضعف الحكومة وفشلها، واقترح السفير على حكومته أن يُرسل احتجاجًا إلى الملك فاروق يخبره بأسر هؤلاء الضباط، وأن يقول له كيف أعطى التعليمات لهؤلاء الرجال الذين يحملون تفويض الملك لإطلاق النار على القوات البريطانية، بالرغم من عدم وجود حرب بين البلدين(٥). ووافقت الخارجية البريطانية على اقتراح السفير. وقُدم الاحتجاج إلى الملك يوم ١٩ يناير "١٩٥٢"(٦).

---

(1) F.O 371/96858. B.M.E.O to F.O .5 Jan. 1952. N13. Confidential.

(٢) هو الطالب عباس سليمان الأعصر. المرجع السابق، ص٧٨.

(٣) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٨٤-٨٥.

(4) F.O 371/9859. G.H.Q MELF to Ministry of Defence 15Jan. 1952. 605/ccl. Top secret.

؛المرجع السابق، ٧٨-٨٨.

(5) F.O 371/96859. Cairo to F.O. 19 Jan. 1952. No.93. Immediat. Confidential. Ibid.toCairo.19Jan.1952.No.127.Priarity.Confidential.

(6) F.O 371/96861. Cairo to F.O .19 Jan .1952 .1041/1/30/52 Restricted.

قامت القوات البريطانية باستخدام العنف فى تطبيق إجراءات السيطرة العسكرية على منطقة القناة، فقامت بحصار القرى الواقعة بين الإسماعيلية والتل الكبير، بدعوى التفتيش على الأسلحة التى خبأها الفدائيون فيها[١]. وكان لا بد من تدخل الحكومة المصرية لحماية مواطنيها إزاء توسع القوات البريطانية فى تطبيق هذه الإجراءات العنيفة فضلًا عن تعديها على المدنيين المصريين، وهدد وزير الداخلية قائلًا: " الحكومة لن تسمح بأى حال من الأحوال باستمرار هذا الاعتداء المجرد من الإنسانية على المدنيين العزل، وأنها لن تتوانى عن اتخاذ أشد الإجراءات لوقفه"[٢]. كما قدم النحاس باشا إنذارًا إلى الجنرال ، من خلال محافظ السويس بأنه إذا لم يوقف هذه الإجراءات التى اتخذها فى الإسماعيلية ضد المدنيين، فإن الحكومة المصرية سوف تصدر تعليماتها للسلطات المصرية المحلية بمقاومة القوات البريطانية[٣]. وقررت السلطات العسكرية البريطانية تجريد رجال البوليس المصرى من السلاح، ومبررها فى ذلك اشتراكه فى العمليات الفدائية ضد القوات البريطانية، ولأن هذا إجراء لا بد منه لا سيما عقب تهديدات الحكومة المصرية باستخدام القوة فى مقاومة أعمال القوات البريطانية ضد المدنيين المصريين[٤]. وأصدر وزير الخارجية المصرية فؤاد سراج الدين باشا[٥] تعليماته للقوات الموجودة

(1) Confidential F.O. 371/96861. Cairo to F.O. 22 Jan. 1952.No.126. Immediate.

(2) F.O. Ibid، No.127. Immediate. Confidential.

(3) F.O.371/96861. Cairo to F.O 22 Jan. 1952.No.128. Immediate. Confidential.

(4) F.O. 371/96858. G.H.Q. Melf to Ministry of Defence. 23 Jan 1952. 416/ccl.

(٥) فؤاد سراج الدين: (١٩١٠-٢٠٠٠) سياسى ورجل دولة مصرى. ولد بكفر الجرايدة فى محافظة كفر الشيخ يوم ٢ نوفمبر عام "١٩١٠". حصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا) فى مايو عام "١٩٣١".و يعد أصغر النواب سنًّا فى تاريخ الحياة النيابية المصرية، كما أنه أصغر وزير مصرى؛ حيث تولى الوزارة وهو فى الحادى والثلاثين من عمره. أعاد إحياء حزب الوفد عام "١٩٧٨" تحت اسم "حزب الوفد الجديد"، عقب عودة التعددية الحزبية فى عهد الرئيس محمد أنور السادات. وانتخبه أعضاء الحزب آنذاك رئيسًا له، وظل فى منصبه حتى وفاته .إلا أن تأسيس حزب الوفد الجديد أدى إلى حدوث توترات مع السلطة الحاكمة آنذاك، مما أدى بزعيم الحزب، إلى إعلان تجميده بعد قرابة خمسة أشهر فقط من تأسيسه. عين وزيرًا للزراعة فى ٢٦ مايو "١٩٤٢" وتولى منصب وزير الزراعة والداخلية والمواصلات، شهدت علاقة فؤاد

بالإسماعيلية بعدم التسليم ومقاومة أى اعتداء يقع على مبنى المحافظة أو على الثكنات العسكرية أو على الأهالى والصمود حتى آخر طلقة لديهم[١]. ولم يكن أمام الحكومة المصرية بديل آخر غير المقاومة، حيث إن التراجع أو الاستسلام لم يكن يعنى هزيمتها السياسية فقط، لكنه كان يعنى القضاء على وجودها[٢].

وإزاء إصرار الجانب المصرى على المقاومة وعدم الاستسلام، نفذ البريطانيون إنذارهم، وأطلقوا القنابل على الثكنات العسكرية ومبنى المحافظة، ورد البوليس المصرى على ذلك، ونشبت معركة عنيفة بين القوتين، ورغم عدم التكافؤ بين قوة الطرفين، من حيث العدد والمعدات الحربية، فقد استمرت المعركة وقد أبدى فيها جنود البوليس المصرى وضباطهم بسالة منقطعة النظير، ولم تتوقف القوات المصرية حتى نَفِدت الذخيرة، فاقتحمت الدبابات البريطانية الثكنات، وأسرت من بقى من رجال البوليس[٣]. لقد كان قائد قوات البوليس، ووكيل المحافظة وسائر رجال القوة على حق فى رفض الإنذار البريطانى، لأن تسليم الجندى سلاحه هو عمل ينطوى على المذلة والهوان، كما كان قرار وزير الداخلية على حق كذلك فى إصرارهم على الرفض. لأن استبسال هذه القوة المجيدة فى الدفاع حتى آخر طلقة فى أيديهم. لهو عمل مشرف لمصر مهما كانت التضحيات فيه أليمة، والأمم تستفيد من صفحات التضحيات أكثر مما تظن أنها تفيد من إيثار السلامة والتسليم[٤]. ورغم أن

باشا سراج الدين بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر توترًا؛ حيث اعتقل الأول عدة مرات خلال فترة حكمه، كان أولها فى عام "١٩٥٣"، كما اعتقل أيضًا فى عهد الرئيس السادات. توفى فى يوم ٩ أغسطس عام "٢٠٠٠" عن عمر يناهز التسعين عامًا. السيرة الذاتية لفؤاد سراج الدين..Fouadserageldin.bibalex.org. Date 1/9/2015 12:43 am

(١) المصرى، ٢٦ يناير "١٩٥٢". بيان وزير الداخلية فؤاد سراج الدين عن حوادث الإسماعيلية ؛

F.O. 371/96862. Cairo to F.O 26 Jan.1952. No. 86. Immediate. Confidential.

(2) Ibid. Cairo to F.O.25 Jan. 1952. No. 155.Immediate. Confidential.

(٣) وأمام هذا الصمود أحنى قائد القوات البريطانية رأسه احترامًا للجنود والضباط المصريين، وقال لضابط الاتصال المصرى:" إن رجال القوات المصرية جميعًا قد دافعوا بشرف واستسلموا بشرف، فحق عليه احترامهم جميعًا ضباطًا وجنودًا.Ibid

(٤) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٩٩.

معاهدة "١٩٣٦" كانت تخول لهم حق احتلال المدن الكبرى فى منطقة القناة، وكانت أماكن الاحتلال محددة فى مواقع بعينها، ولم يكن فى نصوص المعاهدة ما يجيز لهم مشاركة حكومة مصر فى حفظ الأمن فى المدن. ولكنهم بعد إلغاء المعاهدة استباحوا احتلال المدن المهمة وهى بورسعيد والإسماعيلية والسويس، وأخذوا يطلقون النار جزافًا على المصريين فى شوارعها. وعزلوا الجيش المصرى فى غزة وسيناء، ومنعوا اتصاله بالجيش غرب القناة، وكانوا يتربصون ببعض فصائل الجيش المصرى المنعزلة فيطلقون عليهم النار[١].

- حريق القاهرة.

تصاعد العداء ضد البريطانيين عقب الأحداث التى تمت فى الإسماعيلية والتى تركت مرارة شديدة فى نفوس المصريين. فعقب تلك الأنباء توالت الأنباء بأن يوم السبت سيكون يومًا عبوسًا، ومع ذلك لم تتخذ الحكومة، لا سيما وزارة الداخلية التدابير اللازمة للمحافظة على الأمن والنظام، بل بدا منها الإهمال والتراخى فى القيام بواجبها، وكان هذا سببًا جوهريًا فى تصاعد الأحداث ونشوب الحرائق. وكان يوم ٢٦ يناير "١٩٥٢" يومًا لم يسبق له مثيل فى تاريخ مصر، للمرة الأولى أضرمت النيران فى مصر بأيدى أبنائها، تحت مسمع الحكومة وبصرها، وبإهمالها وتهاونها، وقد كان هذا الحريق المدمر ختام الكفاح المجيد فى القناة عام "١٩٥٢"، حيث إنه جاء نذيرًا بالانتكاس وخيبة الأمل[٢].

وعلى أثر مولد الأمير أحمد فؤاد فى ١٦ يناير "١٩٥٢" وإعلان ولايته للعهد، تجددت فى أنحاء العاصمة المظاهرات العدائية ضد الملك فاروق. فإن مولد ولى العهد قد حدث فى جو ملىء بالاضطراب. فقد قام بعض طلبة المدارس الثانوية بالإضراب منذ يوم ٢٠ يناير، وقاموا بمظاهرات صاخبة هتفوا فيها ضد الملك، وقد اتخذت هذه المظاهرات طابع العنف باصطدامها

---

[١] نفس المرجع، ص٥٩.

[٢] عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص١١٧.؛ انظر كذلك عبد المحسن أبو النور، الحقيقة عن ثورة ٢٣ يوليو، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص٣٠-٣١.

برجال البوليس ونتج عن عدم انصياع الطلبة لأوامر ضباط البوليس بمنع المظاهرات، أن اعتدى الطلبة على رجال البوليس بالطوب والحجارة، وقلبوا إحدى قاطرات الترام وأشعلوا فيها النيران، مما اضطر رجال البوليس بإطلاق النار فى الهواء إرهابًا لهم. ولم يكن معروفًا على وجه التحقيق ماذا كان يقصد هؤلاء الطلبة من مظاهراتهم الصاخبة وما تخللها من التخريب والتدمير والحريق، كما لم يكن مفهومًا سبب اشتباكهم مع رجال البوليس لا سيما بعد الواجب الذى أداه رجال البوليس فى الكفاح بمنطقة القناة. مما يدل على أن الروح الوطنية لم تكن مصدر هذه المفاوضات، بل كانت تسيطر عليها روح الشغب والفوضى والإخلال بالأمن والنظام، والاستجابة إلى نداء المضللين والهدامين الذين أرادوا إشاعة الفوضى والاضطراب فى الوقت الذى كانت مصر تواجه فيه معركة من أهم معارك الكفاح الوطنى. ولم يكن هذا النوع من التظاهر والتخريب إلا تحويلًا للكفاح الوطنى ضد المستعمرين إلى صراع داخلى يوهن جبهة الجهاد الحق(١).

وكانت هذه الأحداث ثمرة تحالف الإنجليز مع الملك والعناصر المرتبطة به، وتعتبر الشرارة التى فجرت كل أنواع الغضب والسخط، التى تجمعت لدى الشعب لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، وهيأت المناخ الملائم لتنفيذ خطة مدبرة لتخريب وحرق القاهرة(٢). وفى صباح ذلك اليوم تمرد جنود بلوكات نظام الأقاليم فى ثكناتهم بالعباسية، مُعلنين سخطهم على ما أصاب زملاءهم بالإسماعيلية، وهو مقتل خمسين من رجال البوليس وإصابة نحو ثمانين فضلًا عن هدم مبنى المحافظة، مطالبين بارسالهم إلى منطقة القناة للاقتصاص لدم زملائهم. وخرجوا يحملون أسلحتهم فى مظاهرة شبه عسكرية، متجهين إلى جامعة القاهرة، حيث انضم إليهم الطلبة الذين يتبادلون وإياهم شعور السخط، وساروا جميعًا فى مظاهرة صاخبة إلى ميدان عابدين، وسار الجميع فى موكب المظاهرة متجهين إلى العاصمة، مطالبين بحمل السلاح والسفر إلى القناة لمحاربة الإنجليز(٣).

---

(١) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٩٤،٩٥.

(2) F.O. 371/96873. Steveson to Eden. 25 Feb. 1952. No. 48. Confidentail.

(٣) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص١١٩ ؛ محمد حسنين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية، ج١، القاهرة، دار المعارف، "١٩٥٣"، ص٣٦٨ ؛ أحمد أبو الفتوح، "جمال عبد الناصر"، المكتب المصرى الحديث، "١٩٩١"، ص١٠٢.

حظيت المظاهرات فى المرحلة الأولى بتأييد الحكومة وتشجيعها باعتبارها مظهرًا لاحتجاج الشعب على العدوان الإنجليزى، وأسلوبًا لإسماع العالم صوت شعب مصر، فأصدرت أمرها للبوليس بعدم التعرض لمظاهرات جنود بلوكات النظام وطلبة الجامعة(1)، فالأمر لم يلبث أن تحول من التظاهر السلمى والتعبير عن السخط بالهتافات ضد الإنجليز، إلى مرحلة التخريب والتدمير وإشعال الحرائق فى المحلات والمنشآت. وهنا تحركت الحكومة للتصدى لهذا السلوك المدمر، إلا أن الأمور قد خرجت عن السيطرة. فعندما أُخطر وزير الداخلية بأن المتظاهرين قاموا بإشعال الحرائق أصدر أوامره للبوليس بالتدخل، ولكن البوليس كان قد تضامن مع المتظاهرين، وأبدى تهاونًا فى أداء واجبه. ويشير تقرير لجنة التحقيق البريطانية عن تلك الأحداث، أن رجال البوليس كانوا يشاهدون حوادث الحريق ولا يتحركون لمقاومتهم، وأن بعضهم قد شجع المخربين، ليس بالمشاركة الفعلية فى إشعال الحرائق، وإنما بالمشاركة غير المباشرة، كقطع خراطيم مياه المطافئ، وإبداء التأييد لهم(2). وقد طلب وزير الداخلية من حيدر باشا(١٩٢٠- ١٩٦٥)(3) تدخل الجيش للسيطرة على

(1) ويبرهن على ذلك خروج وزير الشئون الاجتماعية عبد الفتاح حسن وإلقاؤه خطبة حماسية للمتظاهرين عند مبنى الرئاسة، متجاوبًا مع شعورهم الوطنى مما يوحى بتشجيع الحكومة للمتظاهرين وتعاطفها معهم. وقام رئيس الحكومة الجديد على ماهر رغبة منه فى تهدئة ثورة الطلبة وفورتهم وفى الضغط على الإنجليز، أعلن أنه سيدرب جميع الطلبة على الأعمال العسكرية، وأعلن أنه يقوم بذلك لتهيئة أكبر عدد من المصريين للكفاح ضد القوات البريطانية إذا فشلت المفاوضات فى إقناع بريطانيا بالجلاء العاجل غير المقيد. عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص١٢١. ؛ فادية سراج الدين، التحرر الوطنى القضية المصرية فى المرحلة الأخيرة، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، "١٩٩٥"، ص١٦٦.

(2) F.O. 371/96873. Steveson to Eden. 25 Feb. 1952. No. 48. Confidentail Chapter VII.

(3) محمد حيدر باشا: ولد فى ١١ فبراير "١٩٢٠"، تولى منصب وزير الحربية والبحرية منذ ١٩ نوفمبر "١٩٤٧" حتى عودة الوفد للحكم فى ١٢ يناير "١٩٥٠"، ظل محتفظًا بمنصبه فى أربع حكومات متتالية. كان خادمًا للملك وعدوًا لدودًا للوفد، اشتُهر بصرامته وفض المظاهرات السياسية. كان الملك حريصًا على أن يعين محمد حيدر باشا فى منصب رفيع خارج الوزارة لا سيما عقب عودة الوفد للحكم فى يناير "١٩٥٠"، فأنشأ منصب

الموقف، وكان حيدر يحضر مأدبة الاحتفال بمولد ولى العهد بقصر عابدين، التى أقامها الملك لكبار ضباط الجيش، فأخذ يماطل مما دعى وزير الداخلية إلى التوجه إلى قصر عابدين بنفسه للحصول من الملك على أمر بتدخل الجيش[١].

لا شك أن أول مسئول عن حريق القاهرة هو الاحتلال البريطانى، إذ إن مجرد وجوده فى البلاد يدعو إلى إثارة السخط فى نفوس الشعب[٢]. ومن تتبع سياق الأحداث فى يوم ٢٦ يناير، يتضح له أن معركة الإسماعيلية لم تكن وحدها التى تسببت فى هذا الغضب، وأن الأمر كانت له أبعاد أعمق من مجرد انفعال وطنى[٣]. ويبدو واضحًا أن عملية الحرق والتخريب كانت مخططة من قبل أحداث ٢٥ يناير[٤]، وقد اختلفت الآراء وتبادلت الاتهامات حول مدبرى الحرائق، فالبعض ذهب إلى أن الإنجليز والملك كانوا هم المدبرون والمنفذون لهذا الحريق، بوصفهم أكثر الأطراف استفادة من تغيير الوضع السياسى[٥]. وقد حاول آخرون إرجاع ما حدث إلى إهمال حكومة الوفد فى أداء واجبها، بعدم اتخاذها الاحتياطات اللازمة عقب ما حدث فى الإسماعيلية، فضلًا عن تأخرها

القائد العام للقوات المسلحة خصيصًا من أجل حيدر باشا وصدر مرسوم ملكى من الملك فى ١٩ فبراير بتعيينه. اتهم حيدر باشا عددًا من ضباط الجيش المصرى وبعض الشخصيات المهمة بارتكاب تجاوزات تتصل بصفقات شراء الأسلحة والذخائر للجيش المصرى خلال حرب فلسطين. تدهور الوضع كثيرًا الفترة الأخيرة لتدخل القصر فى إدارة شئون الجيش، قام بالسيطرة على الأوضاع فى القاهرة فى ٢٦ يناير "١٩٥٢". أصبح وزيرًا للدفاع والبحرية فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر، كان خال المشير عبد الحكيم عامر، توفى فى ٢٠ مارس "١٩٦٥". رؤوف عباس حامد، شخصيات مصرية فى عيون أمريكية، ص ٢٧-٢٨.

(١) محمد أنيس وآخرون، حريق القاهرة فى ٢٦ يناير "١٩٥٢"، بيروت، المؤسسة العربية، سبتمبر "١٩٧٢"، ص٣٤.

(٢) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص١٢٣-١٢٤.

(3) Chapter III. F.O. 371/96873. Steveson to Eden. 25 Feb. 1952. No. 48. Confident-ail.

(٤) قد ذكر التقرير البريطانى أن أحد الذين قادوا فريق الحريق والمخربين قد شُوهد معه قائمة بالأماكن المراد حرقها؛ انظر كذلك أحمد أبو الفتوح، المرجع السابق، ص٣١٤.

(٥) محمد أنيس، المرجع السابق، ص٣٤-٣٥ ؛ جمال الشرقاوى، أسرار حريق القاهرة فى الوثائق البريطانية، القاهرة، دار شهدى للنشر، "١٩٨٥"، ص٢٢.

فى استدعاء الجيش[1]. ولم يتبين قط من الوثائق أو إحدى الروايات أو شهادة شهود العيان أن فى الأمر تدبيرًا من الإنجليز أو من القصر[2]. ويتضح مما سبق أن الحريق بدأ عفويًا إلا أن استمرار الحرائق وموقف رجال البوليس السلبى تجاه تلك الأحداث قد ترك الفرصة لبعض العناصر فى أن تقوم بتدبير الأمور للاستفادة من هذه الأحداث بقدر المستطاع.

ولكن اتسعت دائرة الاتهام لتشمل مخطط حركة الجيش، ربما أن جمال عبد الناصر وغيره قد استغل هذه الحرائق بصورة أو بأخرى، فقد تحدث عبد الناصر عن هذا الحريق فى عام "١٩٦٠" فى حفل افتتاح مجلس الأمة حين قال" لقد كان حريق القاهرة أول بادرة للثورة الاجتماعية على الأوضاع الفاسدة، وحريق القاهرة هو تعبير شعبى عن سخط الشعب المصرى على ما كانت ترزح فيه مصر من إقطاع واحتكار واستبداد رأس المال". كان هذا التعبير عن حريق القاهرة مذهلًا للجميع، إذ إن الجميع كانوا يعتبرون هذا الحادث أبشع الجرائم التى ارتُكِبت ضد مصر فكيف جعله عبد الناصر أول بوادر الثورة؟![3].

وبعد قراءة الموقف تبين أن حريق القاهرة أشار بدوره بأصابع الاتهام لكل من لهم مصلحة، فنجد الإنجليز يشيرون للمصريين باستحالة جلائهم عن مصر وأنهم غير مهيئين لحكم أنفسهم، والملك فاروق حتى يخشى الشعب هيبته ويرضخون لأساليبه فى الحكم، والضباط الأحرار حيث إنهم يمكن أن يكونوا قد اشتركوا بشكل مباشر أو غير مباشرٍ؛ حيث ظن أن تكون هذه الأحداث تصب فى مصلحة نجاح حركتهم، حتى يتجاوب معهم الشعب ويعطى شرعية لحركتهم، ويتبدل من انقلاب إلى ثورة بتأييد الشعب لها، فجميع الأطراف السياسية كان لها مصلحة فى حريق القاهرة. وإذا كانت من تدبير إحدى الفئات السياسية فقد نظرت إليها الفئات الأخرى بأنها يمكن أن تستغلها فى خدمة

---

[1] محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية، ج٢، ص٣٦٨؛ عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص١٢٣.

[2] نفس المرجع، ص١٢٦-١٢٧. ؛ كوفتونوفيتش، ثورة الضباط الأحرار فى مصر، ت: عزة الخميسى، القاهرة، الأهالى، رقم ٣٠، ديسمبر "١٩٩٠"، ص ٥١.

[3] أحمد أبو الفتوح، المرجع السابق، ص٣١٤.

هدفهم. وبناءً عليه فإن يومي ٢٥ و٢٦ يناير "١٩٥٢" يُعدان بمثابة انتكاسة للانتفاضة الوطنية التى هبت لتلبى نداء إلغاء معاهدة "١٩٣٦"، فكانت بمثابة حركة على طريق الثورة، ولكنها لم تبلغ مستوى العمل الثورى؛ لأنها أعادت البلاد إلى نفس الوضع التى كانت عليه قبل إلغاء المعاهدة. ولكنها كانت بداية لمرحلة جديدة لمعاناة الشعب المصرى من المحتلين ومن الحكام المصريين وهى الحالة التى مهدت وبسرعة فائقة لثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"[١]. وكان لتلك الأحداث تأثير حاسم على السياق السياسى للأحداث فترتبت عليها نتائج بعيدة المدى، انعكست سلبًا وإيجابًا على القضية المصرية كان أهمها انتكاس الحركة الوطنية وانكسار الكفاح الشعبى، وأخطرها التعجيل بدفع الحركة الوطنية على الطريق الثورى. توالت منشورات الضباط الأحرار عقب حريق القاهرة، وكان لذلك أثر على تحركات الملك، فقد ضاعف الحراسة على نفسه، واجتمع مجلس الوزراء برئاسة النحاس باشا بمنزله اجتماعًا استثنائيًا عاجلًا تقرر فيه إعلان الأحكام العرفية فى جميع أنحاء البلاد، ووقف الدراسة فى الجامعات وجميع المعاهد والمدارس إلى أجل غير مسمى، وقام الملك بتوقيعه، وتم إعلان مصطفى النحاس حاكمًا عسكريًا[٢].

- انتخابات نادى الضباط

من خلال القراءة العميقة لهذا المشهد يتضح لنا أنه كانت تكمن فيها قوة الضباط الأحرار كتنظيم له كيانه وأيديولوجيته. فهى المحك الذى أظهر قوة تنظيم الضباط الأحرار، إذ تكتل التنظيم حول مرشحين كما ساند التنظيم اللواء محمد نجيب ليفوز برئاسة مجلس إدارة النادى، ولم يرشح من الضباط سوى

---

(١) محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق ج١، ص٦٣ ؛ كوفتونوفيتش، المرجع السابق، ص٥٨. ؛ جمال شقرة، دراسات فى تاريخ مصر المعاصر، القاهرة، الأنجلو، "٢٠١٢"، ص٧٦.؛ مذكرات خالد محى الدين، فى "جريدة الأهرام"، فى ١٢/١٦/ ١٩٩٢.

(٢) كمال الدين رفعت، حرب التحرير الوطنية: بين إلغاء معاهدة "١٩٣٦" وإلغاء اتفاقية "١٩٥٤"، القاهرة، دار الكتاب العربى، "١٩٨٦"، ص١٧٠. ؛ أحمد حمروش، المرجع السابق، ص١٨٠.؛

Vatikiotis. P.، The Egyption Army in politic، Indiana، university، dress، blooming ton، 1961، p، 46-56.

خمسة ضباط فازوا بالعضوية فى مجلس إدارة النادى. وقد اتضح من معركة انتخابات نادى الضباط أنها من الأسباب التى عجلت بالثورة، وفى ذلك يقول محمد نجيب:" إن انتخابات نادى الضباط كانت هى فعلًا الثورة، وعندما يكتب التاريخ الحقيقى لثورة ٢٣ يوليو سوف يُقرر المؤرخون أن الملكية قد انتهت فى مصر بعد انتخابات نادى الضباط"(١). كانت مصر فى هذه الفترة قد دخلت أيامًا مظلمة، وقد احترقت القاهرة وأُقيلت الوزارات الشعبية، وتوقف الكفاح المسلح فى القناة، والوزارات الجديدة لا تستطيع كسب ثقة الشعب والملك مستمر فى فعل ما يحلو له. فإذا أردنا أن نؤرخ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فتجدر بنا الإشارة إلى واقعة انتخابات نادى الضباط، فقد كانت هذه الواقعة أيضًا هى المظهر العلنى لحركة الضباط السرية. كانت انتخابات النادى تتم فى هدوء بحيث لم يهتم بها أحدٌ من الساسة الكبار، ولكن انتخابات عام ١٩٥٢ تمخضت عنها أحداث أخرى. فقد قرر اللواء نجيب وقد كان يطلق عليه القصر اسم " عرابى رقم ٢" أن يرشح نفسه رئيسًا لمجلس إدارة النادى بعد أن تقرر نقله من سلاح الحدود. وكان اللواء حسين سرى عامر مرشحًا من قِبل القصر. لكن الجمعية العمومية للضباط اجتمعت وقررت عدم جواز ترشيح اللواء حسين سرى؛ لأنه من سلاح الحدود، وهو لا يُعتبر سلاحًا لأنه يضم ضباطًا من مختلف الأسلحة. وبدأت الانتخابات واشتد وطيسُها، ومن هنا بدأت القصة. وكان الضباط يحتشدون فى النادى كل ليلة، وتدور المناقشات فيما بينهم حول الموقف السياسى العام بأبعاده واتجاهاته بعد أن تدهورت الأحوال السياسية فى مصر عقب حريق القاهرة، والواقع أن اللواء محمد نجيب كان رمزًا لشىء جديد، وكان المرشحون الآخرون قيادات تقليدية. ولعل ذلك كان مؤشرًا للأصوات التى حصل عليها المرشحون. فقد حصل اللواء محمد نجيب على مئات من الأصوات وحصل المرشحون الآخرون على نحو ٥٨ صوتًا(٢).

كان الجيش فى ذلك الوقت حاله كحال الشعب المصرى يموج غضبًا، ومع ذلك واصل الملك أفعاله فى إثارة الضباط ضده، لا سيما عقب تعيين اللواء حسين سرى عامر مديرًا لسلاح الحدود بدلًا من اللواء أركان حرب محمد نجيب

---

(١) أحمد عطية الله، المرجع السابق، ص٣٧٤-٣٧٥.

(٢) صلاح الشاهد، ذكرياتى فى عهدين، ط٢، القاهرة ، دار المعارف، "١٩٧٦"، ص٢١٧-٢١٨.؛ ذكى منصور، رحلة مع الثورة، القاهرة، دار الفكر العربى، "١٩٨٣".

الذى تم نقله إلى المشاة. فقد كانت ثقافة اللواء محمد نجيب وأخلاقه الطيبة وتاريخه فى حرب فلسطين تجعل منه موضع آمال الضباط الأحرار الذين كانوا يتطلعون إلى توثيق علاقتهم بإحدى الرُّتب الكبيرة. وقد كان عبد الحكيم عامر على علاقة وثيقة به، بحكم خدمته تحت قيادته فى حرب فلسطين حيث إنه عمل كأركان حرب لمحمد نجيب[١]. وفى اجتماع تم بين الضباط الأحرار اقترح رشاد مهنا أن يتفقوا جميعًا على إنجاح محمد نجيب ليكون رئيسًا لمجلس إدارة النادى وهو المنافس لحسين سرى مرشح القصر وبذلك يظهر الضباط تحديهم لإرادة الملك[٢].وقد رَحب الضباط الأحرار بهذه الفكرة[٣]، وكان قد تقرر فى يناير ١٩٥٢ عندما أُجريت انتخابات جديدة للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار وأُعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا لها، قرروا فيما بينهم اختيار اللواء محمد نجيب رئيسًا للحركة فى يوم تنفيذها، وبقى هذا سرًا فيما بينهم، ولم يبلغوا اللواء محمد نجيب إلا قُبيل معركة انتخابات نادى ضباط الجيش[٤].

وبناءً على ما اتفق عليه الضباط الأحرار قُبيل اجتماع الجمعية العمومية فى يوم ٢٣ ديسمبر "١٩٥١"، توجه البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر لزيارة اللواء محمد نجيب، فوجداه فى حالة سخط بسبب نقله المفاجئ إلى المشاة، وأبلغهما أنه يعتزم الاستقالة من الجيش. وأقنعاه بأن هذه الاستقالة سوف تبعث السرور فى نفس الملك، وطلبا منه الاستمرار، وأن يقوم برد الصفعة إلى الملك بترشيح نفسه لرئاسة نادى ضباط الجيش[٥].

كانت نتيجة الانتخابات مفاجئة للقصر، وحاول الملك تعديل لائحة النادى عن طريق الجمعية العمومية. بما يسمح بأن يدخل حسين سرى عامر ممثلًا

---

(١) خالد محى الدين، المصدر السابق، ص١٠٩ ؛ كوفتونوفينش، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٢) محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص ٨٩-٩٠.

(٣) خالد محى الدين، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٤) عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص١٠٠-١١٠.

(٥) خالد محى الدين، المصدر السابق، ص١٠٩. وهذا يوضح أن علاقة الضباط الأحرار باللواء محمد نجيب قد بدأت فى فترة مبكرة وعرف بوجودهم على خلاف ما يزعُم البعض، كما أن البكباشى يوسف منصور صديق، قد أشار فى مذكراته أنه عندما التحق بالضباط الأحرار ذهب إليه وأخبره ولم يبدُ اللواء نجيب متفاجئًا.

للحدود لكنها باءت بالفشل. فلما تبين للملك أن جميع المحاولات لفرض اللواء حسين سرى عامر قد فشلت، أعطى أمرًا بحل مجلس إدارة النادى وتم ذلك فى يوم ١٢ يولية وعَين مجلسًا مؤقتًا برئاسة اللواء على نجيب[١] وقد أثار ذلك الجدل بقوة. وقد قام الأميرالاى حسن حشمت قائد سلاح الفرسان وعضو مجلس إدارة النادى بتقديم استقالته مدعيًا أن القانون الجديد للنادى لا يتفق مع النظم والتقاليد العسكرية[٢]. وضع اللواء محمد نجيب تحت الرقابة تحسبًا لقيامه بأية حركة[٣]. وأصبح على الضباط الأحرار ضرورة اتخاذ موقف ردًا على فعلة الملك، فكان الموقف فيما بينهم بعد حل النادى لا يخرج عن اتخاذ إحدى الوسائل التالية:

الأولى: أن يقوموا بإرسال برقيات، احتجاجًا منهم على ما فعله الملك.

الثانية: أن يقوموا باحتلال النادى بالقوات المسلحة.

الثالثة: اعتقال كبار الضباط مما يسمح لهم بفرض شروط الضباط على الملك. إلا أن اللواء محمد نجيب قد عارض الوسيلتين الأولى والثانية، حيث إن الوسيلة الأولى ستكشف عن أسماء الضباط، أما الوسيلة الثانية فقد كانت عملًا متطرفًا ربما يؤدى إلى التصادم المسلح بين الجيش وإراقة دماء المصريين بأيدٍ مصرية[٤].

غير أنه قد وافق على الوسيلة الثالثة، وفى تلك الأثناء انتشرت منشورات الضباط الأحرار، وبدأ توزيعها على نطاق واسع. وقد طلب وزير الداخلية مقابلة اللواء محمد نجيب، ودار نقاش بينهم حول حالة التذمر التى نشبت فى الجيش، وعرض على اللواء نجيب منصب وزارة الحربية لإزالة أسباب التذمر وخلق حالة من الرضا رغم معارضة القصر لهذا الاقتراح منذ وزارة الهلالى

---

[١] على نجيب: هو اللواء على نجيب أخو اللواء محمد نجيب، وقد كان مسئولًا عن الأمن والنظام فى القاهرة، نفس المصدر، ص١١٠.

[٢] أحمد عطية الله، المرجع السابق، ص١٢٦.

[٣] عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٢١٩.

[٤] نفس المرجع ؛ انظر كذلك محمد نجيب، كلمتى للتاريخ، القاهرة، دار الكتاب النموذجى، "١٩٧٥"، ص٣٤-٣٥.

الأولى (١ مارس ١٩٥٢- ٢ يوليو ١٩٥٢). لكن اللواء محمد نجيب اعتذر هذه المرة كما شعر بأنهم يحاولون إبعاده عن الجيش. وأوضح اللواء نجيب لوزير الداخلية فى هذه المقابلة الشعور العام الذى ساد بين صفوف الجيش نتيجة تصرفات رجال السراى. وبعد أن انتهت المقابلة حرص الدكتور محمد هاشم وزير الداخلية على أن يقوم بتوصيل اللواء محمد نجيب إلى منزله فى سيارته حرصًا على حياته، حيث كان الأمر مدبرًا لاغتياله[١].

وقد رأى الضباط الأحرار من خلال خوضهم انتخابات مجلس إدارة نادى ضباط الجيش، داعمين مرشحهم اللواء محمد نجيب فضلًا عن التصدى للملك وقراراته، سيمكنهم من التعرف على قوة وتماسك الضباط المنضمين إلى تنظيمهم وليتعرفوا على مدى قدراتهم وتأثيرهم على سائر ضباط الجيش. وبالفعل فقد أكدت تلك الانتخابات التى نجح فيها معظم مرشحى تنظيم الضباط الأحرار قدرتهم وفاعليتهم، إلا أنهم للمرة الأولى قد تخلوا عن السرية التى كانوا يعملون بها، وكان نشاطهم علنيًا لتجميع الأصوات لدعم مرشحيهم، وأصبح من اليسير أن يسعى الملك وأجهزته للتعرف على من هم وراء هذا التنظيم ومن هم أفراده، ومحاولة القضاء عليهم قبل استفحال خطرهم واستبعادهم من الجيش. لذلك أصبح من الضرورى سرعة اتخاذهم القرار للقيام بحركتهم قبل أن يسبقهم ويعمل على تصفيتهم، باستخدام الحرس الحديدى كما هى عادته فى التخلص من خصومه، وبذلك تضيع عليهم فرصتهم وفرصة البلاد فى التخلص مما آلت إليه[٢].

---

[١] صلاح الشاهد، المصدر السابق، ص٢٢٠-٢٢٢ ؛ انظر كذلك محمد نجيب، المصدر السابق، ص٣٦-٣٨.

[٢] عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ج١، ص٣٠. وقد ضم مجلس إدارة نادى ضباط الجيش بعض الأعضاء الذين كُتب لهم الشهرة فيما بعد مثل رشاد مهنا، فقد أُختير سكرتيرًا للنادى وأصبح وصيًا على العرش فيما بعد، والبكباشى زكريا محى الدين، وقائد الجناح حسن إبراهيم اللذان أصبحا فيما بعد يشغلان منصب نائب رئيس الجمهورية، والصاغ جمال حماد وقد أصبح محافظًا لإحدى المحافظات، كما قام بنشر مؤلفات له ، فضلًا عن كتابة قصة فيلم "غروب وشروق" مؤرخًا للثورة كما صورها خياله. صلاح الشاهد، المصدر السابق، ص ٢١٨.

فقد قام اللواء حسين سرى عامر بكتابة مقال هاجم فيه الضباط الأحرار، وهدد بأنه سيتخلص منهم فى وقت واحد، ويُزج بهم جميعًا فى السجن، وقد اعتبر البكباشى جمال عبد الناصر أن هذا المقال بمثابة طعنة للضباط الأحرار، لذلك قرر أن يقوم برد فعل قوى ليحفظ للضباط الأحرار مكانتهم ومهابتهم، واتفق مع مجموعة من زملائه وقاموا بمحاولة لاغتياله لكنها باءت بالفشل(1).

فى تلك الأثناء أصبحت قضية نادى ضباط الجيش مادة للشائعات ، لهذا صدر قرار فى ١٦ يوليو من الرقيب العام أن " البلاد ما زالت تحت الأحكام العرفية" ولذلك منع نشر أخبار النادى فى الصحف، وكان رد الفعل على حل مجلس إدارة نادى الضباط بأن تم رفع قضيته إلى مجلس الدولة. وإذا تمعنا فى تلك الأحداث فإننا سوف نلحظ أن معركة انتخابات النادى امتدت إلى ما بعد قيام حركة الجيش وذلك فى سبتمبر "١٩٥٢" حيث طالب مجموعة من الضباط بانتخابات تكون معبرة عن التغيرات الجذرية التى مرت بها البلاد، وهو نجاح حركة ٢٣ يولية، لكن رد مجلس قيادة الثورة أنه يرى أن يتم تشكيل مجلس جديد بالتعيين، الأمر الذى أثار ثائرة الداعين إلى إجراء الانتخابات، متهمين مجلس قيادة الثورة بأنه عاد بهم إلى الوضع الذى ثاروا عليه(2). وبهذا فإن قصة نادى ضباط الجيش قد انتهت من حيث بدأت.

ثانيًا- تغيير موعد الحركة أكثر من مرة:

خضع تحديد موعد حركة الضباط الأحرار لظروف متجددة فلم يكن الضباط الأحرار وحدهم هم الذين يملكون تحديد ذلك اليوم وتلك الساعة. فكان أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار يجتمعون بين حين وآخر ليتدارسوا الموقف ويضعوا الخطط ويرسموا لتنفيذ حركتهم، كما أنهم كانوا يفكرون فى الوقت المناسب لتوجيه ضربتهم، وكانوا يحيطون اجتماعاتهم وخططهم بالسرية

---

(1) خالد محى الدين، المصدر السابق ، ص١١٠ ؛ صلاح نصر، المصدر السابق، ص٨٤ ؛ عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص٣١. وقد قام عبد الناصر بمحاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر عقب حل مجلس إدارة نادى ضباط الجيش بخمسة أيام، وقد اعترف بذلك فى كتابه فلسفة الثورة. أحمد عطية الله، المرجع السابق، ص١٢٤.

(2) نفس المرجع، ص١٢٦-١٢٧.

والكتمان الشديدين، ويقومون بتغيير أماكن اجتماعاتهم مرة بعد مرة حرصًا على السرية[1]. فقد كان الموعد المقرر للقيام بالحركة عام ١٩٥٥، حتى يكونوا قد أصبحوا مستعدين فعليًا واتخذوا التدابير اللازمة التى تضمن لهم نجاح حركتهم. لكن حريق القاهرة أصبح قوة ضاغطة تدفع بالحركة، واستقر الرأى فى البداية بأن تتم الحركة فى نوفمبر ١٩٥٢ حيث كان يقضى الدستور بضرورة اجتماع البرلمان فى هذا الشهر. فإذا حدث مخالفة دستورية أو تزييف فى الانتخابات فإن حركة الجيش حينئذ لحماية الدستور. ومضت الأحداث على هذا النحو إلا أن قرار الملك بحل مجلس إدارة نادى الضباط، كان مؤشرًا له دلالته بأن الصدام حتمى، وأن التأجيل لن يكون فى مصلحة الحركة، وقد حددت اللجنة التأسيسية أن يوم ٥ أغسطس هو موعد الحركة، وكان لديهم سببان لاختيار هذا الموعد هما[2]:

أولًا: لاستكمال حضور كتيبة مدافع ماكينة الأولى لتزيد قوة الضباط الأحرار، فكما ذكرت فى الفصل السابق مدى قوة هذه الكتيبة.

ثانيًا: حتى يكون الضباط قد استلموا مرتباتهم. لكن أصبح هناك أنباء تتردد عن اعتقالات لعدد من الضباط، وتعيين اللواء حسين سرى عامر وزيرًا للحربية، مما جعلهم يسلمُون بضرورة التعجيل بالحركة وتحسبًا من قيام الملك بأى إجراءات تجهض حركتهم. وفى الاجتماع الذى تم يوم ١٨ يوليو، حضر البكباشى يوسف منصور صديق هذا الاجتماع، حيث إنه كان يريد الاطمئنان على وجود قوات كافية، علمًا بأنه كان لدى المشاة شكوك فى أن ضباط الفرسان يُمكنهم أن يشاركوا فى عمل ثورى كهذا، ولم يبلغوا الضباط بالموعد فى هذا الاجتماع، ولكنهم طلبوا من جميع الضباط أن يقوموا بتحسين علاقتهم بالجنود وبزملائهم الضباط، وطلب منهم أن يتركوا أرقام تليفوناتهم وأماكن تواجد كل

---

[1] عبد الرحمن الرافعى، ثورة ٢٣يوليو سنة "١٩٥٢"- تاريخنا القومى فى سبع سنوات (١٩٥٢-١٩٥٩)، ط٢، دار المعارف، "١٩٨٩"، ص ٢٨. ؛ أحمد حمروش، المرجع السابق، ص١٩٣.

[2] وقد ذكر خالد محى الدين أنه قد تقرر فى اجتماع ١٧ يوليو "١٩٥٢" أن تكون الحركة فى يوم ٢، ٣ أغسطس. خالد محى الدين، المصدر السابق، ص ١٢٧ ؛ محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص٨١.

منهم حتى يمكنهم الاتصال بهم فى أى لحظة[1]. لذلك تقرر يوم ١٩ يوليو أن تتم حركتهم ليلة (٢١، ٢٢) يوليو، وكان الوقت محددًا لوضع الخطة ودراسة الاحتمالات كافة التى يمكن أن تواجههم، فضلًا عن حشد جميع الضباط الأحرار والتأكد من سلامة تقدير الموقف وضمان حركة المناطق الخارجة عن القاهرة وأهمها الإسكندرية والقناة والعريش. ولم يبقَ أمامهم سوى الاتصال بالضباط الأحرار لتحضير أنفسهم للعمل الانقلابى، وتبين تحت ضغط ضرورة السرعة أنه لا مفر من الموعد المحدد، وهو أمر شديد الصعوبة لتعذر تجهيز الترتيبات كافة ، لذا تقرر تأجيل الموعد يومًا واحدًا ليكون ليلة (٢٢- ٢٣) يوليو ١٩٥٢"[2].

وهنا قامت لجنة القيادة بوضع الخطة، وقد رسمت الخطة بخط الصاغ عبد الحكيم عامر، وتم إضافة بعض التعديلات من البكباشى جمال عبد الناصر رئيس اللجنة، كما اشترك أيضًا ثروت عكاشة وزكريا محى الدين[3]. ولكن فى

---

[1] خالد محى الدين، المصدر السابق، ص ١٢٧ ؛ محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص٨١.

[2] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص١٩٣-١٩٤؛ خالد محى الدين ،المصدر السابق"، ص١٢٤-١٢٦ وقد ذكر البكباشى يوسف منصور صديق أن موعد الحركة قد تحدد فى أن يكون فى أكتوبر أو نوفمبر.؛ عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص٩٤.

[3] زكريا محى الدين: (١٩١٨-٢٠١٢) عسكرى وسياسى مصرى. كان أحد أبرز الضباط الأحرار على الساحة السياسية فى مصر منذ قيام ثورة يوليو، التحق بالمدرسة الحربية فى ٦ أكتوبر عام "١٩٣٦"، ليتخرج فيها برتبة ملازم ثان فى ٦ فبراير "١٩٣٨". تم تعيينه فى كتيبة بنادق المشاة فى الإسكندرية. انتقل إلى منقباد فى العام "١٩٣٩" ليلتقى هناك بجمال عبد الناصر، ثم سافر إلى السودان فى العام "١٩٤٠" ليلتقى مرة أخرى بجمال عبد الناصر ويتعرف بعبد الحكيم عامر. كان أول رئيس للمخابرات العامة المصرية (١٩٥٢-١٩٥٣)، ثم عين وزيرًا للداخلية "١٩٥٣"، وعين نائب رئيس جمهورية مصر العربية "١٩٦١"، وفى عام "١٩٦٥" أصدر جمال عبد الناصر قرارًا بتعيينه رئيسًا للوزراء ونائبًا لرئيس الجمهورية. تولى منصب رئيس الجمهورية فترة يومين عندما تنحى الرئيس جمال عبد الناصر عن الحكم فى أعقاب هزيمة "١٩٦٧"، عرف بميوله يمين الوسط. عُرف عن زكريا محى الدين لدى الرأى العام المصرى بالقبضة القوية والصارمة؛ نظرًا للمهام التى أوكلت إليه كوزير للداخلية وكونه مديرًا لجهاز المخابرات العامة، وكان يتم الترويج له على أنه يميل للسياسة الليبرالية، كما كان

النهاية لا يهم بخط يد من كُتبت ولكن فى النهاية كان وراء هذه الخطة فريق لجنة القيادة بأكمله. وقد وضعت فى ٦ صفحات ويوجد نسخة منها فى لجنة الوثائق التاريخية الخاصة بتسجيل ثورة ٢٣ يوليو فى القوات المسلحة[١].

وقد بُنيت خطة الحركة على ثلاث مراحل:[٢]

المرحلة الأولى: هى العمل على السيطرة على القوات المسلحة بالاستيلاء أولًا على مبنى القيادة العسكرية بمنطقة كوبرى القبة، واعتقال بعض كبار ضباط الجيش والطيران من قيادات الأسلحة المختلفة حتى يضمنوا عدم إمكانية تحريك قوات عسكرية للتصدى للحركة.

المرحلة الثانية: تتلخص فى العمل على السيطرة على جهاز الحكومة المدنى، وذلك عن طريق تعيين وزارة مدنية تضمن ثقة الشعب فيها وولاءها أيضًا للانقلاب.

المرحلة الثالثة: تتلخص فى التخلص من الملك نفسه. وكانوا يخفون هذا الأمر حتى آخر لحظة قبل اتخاذ الخطوات التنفيذية للتخلص منه، خوفًا من أن يكون ذلك مبررًا للقوات البريطانية للتدخل، أو أن يلجأ الملك إليها طالبًا منها التدخل لحمايته.

كانت تلك هى الخطوط العريضة والأساسية لتنفيذ حركة الضباط الأحرار، وقد وضع لها جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وجمال حماد خطة تفصيلية. وأن تجتمع لجنة القيادة الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو فى منزل خالد محى الدين لاستعراضها بصورة نهائية. وحتى يعلم كل عضو بدوره ودور الوحدات التابعة له. ويقوم كل عضو بترتيب الدور المسئول عنه

رئيسًا لرابطة الصداقة المصرية- اليونانية. توفى عن عمر يناهز ال ٩٤ عامًا فى الثلاثاء الموافق١٥ مايو "٢٠١٢". رؤوف عباس، المرجع السابق، ص١٠٢.

[١] طارق حبيب، ملفات ثورة يوليو، ط١، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧)، ص٤٩. وقد اطلعت الكاتبة على النسخة الأصلية فى قاعة٥٢ بالمتحف الحربى أثناء زيارتها له يوم الثلاثاء ٢٠١٥/٩/٩.

[٢] عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص٣٣.

مع ضباطه ووحداته. وعلى ألا تصدر الأوامر النهائية والتفصيلية للبدء فى التنفيذ قبل الساعة الثامنة مساء يوم ٢٢ يوليو، ضمانًا للسرية وعدم تسرب أية معلومات للمسئولين، وحتى يكون الوقت المتبقى على بداية التنفيذ ساعات قليلة لا تسمح باتخاذ إجراءات لتحريك قوات مضادة لإحباط مهمة التنظيم إن تسرب الخبر، وكانت هناك أوامر محددة بتواجد الضباط الذين عليهم تنفيذ الخطة يوم ٢٢ يولية فى الساعة الثامنة مساءً، فى مكان محدد حتى يتم إبلاغهم بالقرار ودورهم التفصيلى. لذا قد سبق واتفق أعضاء لجنة القيادة مع جميع الضباط الأحرار على ضرورة استعدادهم وإعداد وحداتهم، ولكن دون أن يذكروا لهم أى تفاصيل عن نواياهم وأهدافهم. واقتصر الأمر على ضرورة تواجدهم بمنازلهم ويوميًا قبل الساعة الثامنة مساءً وذلك ابتداء من يوم ٢١ يولية حتى يُمكن الاتصال بهم[1]. وكانت مهمة البكباشى يوسف منصور صديق هى أن تقوم قوته مقدمة مدافع ماكينة الأولى بتأمين مبنى القيادة العامة بكوبرى القبة عقب الاستيلاء عليه، كقوة مساندة للكتيبة الثالثة عشرة مشاة.

ثالثًا- موقع يوسف صديق وقيادته لمقدمة كتيبة مدافع ماكينة:

تكونت مقدمة كتيبة مدافع الماكينة من البكباشى أ.ح يوسف منصور صديق، وهو قائد ثان مدافع الماكينة الأولى وقائد مقدمة الكتيبة ليلة ٢٣ يوليو، واليوزباشى زغلول عبد الرحمن الضبع- لم يكن ضمن الكتيبة، ولكنه انضم إليها ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، وهو الذى كلفه البكباشى جمال عبد الناصر بتبليغ ساعة الصفر وكلمة السر إلى البكباشى يوسف منصور صديق، كما ضمت الكتيبة ثلاثة ضباط آخرين قد تخرجوا حديثًا[2]. كما ذكرت سابقًا فى الفصل السابق أن مقدمة هذه الكتيبة قد وصلت إلى القاهرة فى يوم ١٣ يوليو

---

[1] عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص٣٤-٣٥.

[2] أوراق محسن عبد الخالق،"مذكراته غير المنشورة"، ص٢٧-٢٨. ؛ عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ١٠٠-١٠١. وهؤلاء الضباط الثلاثة قد ذكرهم البكباشى يوسف منصور صديق فى مذكراته، عندما تردد كثيرًا فى أن يضمهم إلى الحركة ويُشركهم في هذا العمل العظيم على حد قوله. يوسف صديق، المصدر السابق، ص ٣٩.

"١٩٥٢" تحت قيادة البكباشى يوسف صديق قادمة من العريش، حيث استقرت بمعسكرات هايكستب للخدمة بالقاهرة، وكانت تضم نحو ٦٠ فردًا مُسلحين جميعهم بتسليح خفيف، يتناسب مع الدور الذى تقوم به وهو أن تعمل بدور احتياطى عام للقوة المهاجمة عقب احتلال مبنى قيادة الجيش. وقد نشط الضباط الأحرار وأعادوا حساباتهم وقرروا توجيه ضربتهم بأسرع ما يُمكن قبل سفر الكتيبة الثالثة عشرة إلى السودان. وفى هذا الأسبوع الأخير كان البكباشى جمال عبد الناصر لا يهدأ، وكان يذهب بصفة دائمة إلى منزل البكباشى يوسف صديق ومعه الصاغ عبد الحكيم عامر، الذى كان فى إجازة قد انتهت مدتها، وكان عليه أن يعود إلى مقر عمله فى رفح، ولكن الأحداث أرغمته على البقاء، وهذا يُمثل خطورة على أى ضابط[١]

ويقول يوسف صديق، إن البكباشى عبد الناصر نظم للمرة الأولى اجتماعًا للتعارف بين الضباط الأحرار، وقد تم هذا الاجتماع فى منزل حسين الشافعى[٢]

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٩٥.

(٢) حسين الشافعى: (١٩١٨-٢٠٠٥) أحد أعضاء حركة الضباط الأحرار ، ولد حسين الشافعى فى ٨ فبراير عام ١٩١٨ فى مدينة طنطا بمصر، التحق حسين الشافعى بالكلية الحربية عام ١٩٣٦، وقد كان عبد المنعم رياض من ضمن دفعة الشافعى، أما جمال عبد الناصر فقد التحق بالكلية الحربية فى الدفعة التى تليها. وهناك تعرف الرجلان عام ١٩٣٧ خلال دراستهما فى الكلية الحربية. كما تعرف أيضًا على زكريا محى الدين وأنور السادات. سافر إلى إنجلترا لمدة ثلاثة أشهر قبيل تخرجه فى الكلية الحربية عام ١٩٣٩م، وهو نفس العام الذى اندلعت فيه الحرب العالمية الثانية، حيث التحق بسلاح الفرسان (السوارى آنذاك) وبقى فيه حتى قيام الثورة. التقى بعبد الناصر فى الإدارة العامة للجيش ودار بينهم حديث ولم يكن الشافعى على يقين أن عبد الناصر على رأس التنظيم، ولكنه تحدث إليه على أنه أحد الضباط الأحرار، أخذ عبد الناصر يسمع كلام الشافعى دون أى تعليق، ولكن فى اليوم نفسه زار الشافعى كل من ثروت عكاشة وعثمان فوزى وأبلغاه بمسئوليته عن قيادة سلاح الفرسان لحساب الثورة بمدرعاته، ودباباته، وعرباته المدرعة. أنهى انتداب الشافعى فى إدارة الجيش يوم ٢٠ أكتوبر "١٩٥١"، عاد بعدها لسلاح الفرسان وبدأ مباشرة بتجنيد الكثيرين لصالح الثورة، حيث تولى قيادة الكتيبة الأولى للمدرعات التى أطاحت بالملكية ليلة الثالث والعشرين يوليو "١٩٥٢". شغل الشافعى منصب وزير الحربية فى "١٩٥٤"، وانتقل بعدها بعام ليصبح وزيرًا للشئون الاجتماعية، وكان له أثر كبير فى إدخال نظام التأمين الاجتماعى وإطلاق برامج "معونة

وكان أول مرة يراه فيها البكباشي يوسف صديق، الذي أكد أنه كلما رأى عدد الضباط الأحرار في تزايد كان يطمئن قلبه، كما أنه تعجب في هذا الاجتماع من كثرة الأسئلة وكثرة الاحتمالات التي كان يناقشها ثروت عكاشة [1]. معللًا ذلك

الشتاء" و"قطار الرحمة" التي ساعدت الفقراء في مصر. ثم عمل وزيرًا للتخطيط، حتى تولى في "١٩٦١" وزارة شئون الأزهر. وفي هذه الأثناء، شارك في المفاوضات التي سبقت إعلان الوحدة بين مصر وسوريا في فبراير "١٩٥٨". في عام "١٩٦٣"، اختاره عبد الناصر لمنصب نائب رئيس الجمهورية، وقد كان الشافعي عضوًا في المحكمة التي حاكمت زعيم الإخوان المسلمين سيد قطب في منتصف الستينيات. في عام "١٩٦٧" تولى رئاسة محكمة الثورة، التي حاكمت الضباط الذين انضموا إلى التمرد الذي قاده وزير الحربية المصري المشير عبد الحكيم عامر بعيد هزيمة حزيران-يونيو "١٩٦٧" والذي استمر قرابة الشهرين. ظل الشافعي نائبًا لرئيس الجمهورية، لكن عبد الناصر عين في "١٩٦٩" أنور السادات نائبًا أول للرئيس. وعندما تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية عام "١٩٧٠"، أبقى على الشافعي نائبًا أول له حتى عام "١٩٧٤". توفى عن عمر يناهز ال ٨٤ عامًا. اللوحة التعريفية له، القاهرة، المتحف الحربي، قاعة ٥٢.؛ أحمد منصور، حسين الشافعي شاهد على عصر ثورة يوليو، المكتب المصري الحديث، (١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م)، ص٢٨-٣٣، ٣٥. ؛ عبد الوهاب الكيالي، المرجع السابق، ج٢، ص٥٤٣.

(1) ثروت عكاشة: (١٩٢١-٢٠١٢) من مواليد "١٩٢١" القاهرة، وتدرج في المنهج التعليمي حتى حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية من الكلية الحربية، "١٩٣٩" ثم وكيل أركان حرب "١٩٤٨"، وقد حصل على ماجستير في الصحافة عام "١٩٥١"، كان وزيرًا للثقافة ونائب رئيس الوزراء المصري سابقًا. كان ضابطًا بالقوات المسلحة كما عمل رئيسًا لتحرير مجلة التحرير (١٩٥٢ - ١٩٥٣). وعين ملحقًا عسكريًا بالسفارة المصرية في بون ثم باريس ومدريد (١٩٥٣ - ١٩٥٦). ثم سفير مصر في روما (١٩٥٧ - ١٩٥٨). وأصبح زيرًا للثقافة والإرشاد القومي (١٩٥٨ - ١٩٦٢).،ثم عين رئيسًا للمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (١٩٦٢ و١٩٦٦ -١٩٧٠)، كما عين رئيسًا لمجلس إدارة البنك الأهلي المصري (١٩٦٢ -١٩٦٦). وتولى منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة (١٩٦٦ - ١٩٦٧). ثم عين مرة أخرى وزيرًا للثقافة (١٩٦٧ - ١٩٧٠)، و نائب رئيس اللجنة الدولية لإنقاذ مدينة البندقية (١٩٦٧ - ١٩٧٧)، ومساعدًا لرئيس الجمهورية للشئون الثقافية (١٩٧٠ – ١٩٧٢). كما عمل أستاذًا زائرًا بالكوليج دو فرانس بباريس (تاريخ الفن) "١٩٧٣". انتخب رئيسًا للجنة الثقافة الاستشارية بمعهد العالم العربي بباريس ١٩٩٠- ١٩٩٣. أسهم في العديد من المشروعات الثقافية والحضارية منها إنقاذ معبد أبي سمبل ومعبد فيلة. من مؤلفاته معجم

بقوله " لقد تعلمنا فى دروسنا العسكرية أن نضع فى اعتبارنا ثلاثة احتمالات مفتوحة أمام عدونا، غير أن العدو كان كثيرًا ما يأتى من الطريق الرابع". أى من طريق لم يكن فى توقعاتهم، وهذا يؤكد ضرورة وجود قوة احتياطية لا تقل عن ربع القوة الأساسية، وقد كان ثروت عكاشة متخوفًا من الطريق الرابع. وفى تلك الفترة التى أطلق عليها البكباشى يوسف صديق الأسبوع الأخير، علم أن البكباشى جمال عبد الناصر سيذهب لمقابلة بعض الإخوان كما أنه على اتصال بالوفد. وبهذا قد تبين إلى البكباشى يوسف صديق أن عبد الناصر هو الدينامو الذى يُحرك التنظيم ويمسك بجميع الخيوط بيديه على حد قوله، وأكد يوسف صديق أنه لم يشعر بالضيق من ذلك ما دامت الأمور تسير وفقًا للبرنامج الذى حددته منشورات الضباط الأحرار[١][٢].

وفى ٢٠ يوليو قام البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر بزيارة البكباشى يوسف صديق فى منزله، ووجداه غارقًا فى دمه ؛ إذ عاوده نزيف الرئة مرة أخرى، وكانت تلك الزيارة ليخبراه بالموعد النهائى للحركة لكن عندما وجداه على تلك الحالة، أرادا أن يعفياه من الدور المقرر له القيام به ويوكلا أحد الضباط الصغار من قوته للقيام به. فالدور كان بسيطًا، وكان لا يلزم رتبة كبيرة للقيام به ألا وهو تأمين مبنى رئاسة الجيش عقب احتلالها، لكن يوسف رفض؛ لأن هذا اليوم كان يحلم به طوال حياته العسكرية. وأخبرهما أن خبرته مع مرضه تُمكنه من القيام بواجبه دون أن يضطر لدخول المستشفى، وتم الاتفاق فيما بينهم أنه إذا استدعت حالته الذهاب للمستشفى فى تلك الليلة فإن المستشفى العسكرى العام بكوبرى القبة ستكون على بعد خطوات من مبنى

المصطلحات الثقافية، الفن الإغريقى، الترجمات للمسرح المصرى القديم، ومذكرات ثروت عكاشة، مذكراتى فى السياسة والفن، ط٢، القاهرة، دار الشروق الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ص ١٦، ٣٨، ١٥١، ٢٤٣.

(١) عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص٩٦-٩٧.

(٢) من خلال دراستى لشخصية البكباشى يوسف صديق فيُمكننى القول، إنه كان يعلم جيدًا أن عمل المجموعة أفضل من عمل الفرد، فقد كانت لديه كل المقومات التى تؤهله ليكون قائدًا ولكنه لم يعترض على الدور الذى وكل إليه ليلة الحركة بالرغم من بساطته، ولم يعتبرها إهانة أو أنه يُمكنه أن يقوم هو بدور الاستيلاء، فكل ما كان يُشغله أن تتم الحركة وأن يتم ما طمح إليه طوال حياته العسكرية وهى التخلص من النظام الملكى الفاسد.

القيادة العامة. فى الحقيقة كان مرض يوسف يستدعى الراحة التامة دون كلام أو حركة، وأن يقوم بأخذ العلاج المقرر لحالته بجانب حقنة لوقف النزيف[1].

انتهى اجتماع لجنة القيادة الأخير فى تمام الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو "١٩٥٢"، وتقرر عدم الاتصال بين الضباط تليفونيًا، وأن تعد كل مجموعة نفسها للتحرك، واتفق الجميع أن تكون كلمة السر "نصر" وفى نهاية الاجتماع سأل عبد الناصر خالد محى الدين أين سيكون فى المساء قبل ساعة الصفر، فأخبره أنه سيذهب هو وحسين الشافعى إلى منزل ثروت عكاشة، فأجاب جمال بأنه قد يمر عليهم. فى هذه الأثناء كان جمال عبد الناصر منشغلًا بعدد من القضايا المهمة، فقد اتصل بالإخوان المسلمين، فقام هو وكمال الدين حسين بالاتصال باثنين من أهم أعضاء جماعة الإخوان المسلمين وأبلغهما بموعد تحرك الجيش واتفقا معهما على أن يُسهم بعض الإخوان فى مساندة الحركة بعد انتصارها فى الصباح، ومساندتها كذلك فى حالة تحرك القوات البريطانية ضدها. ويقول خالد محى الدين:" وقبل التحرك أبلغنى جمال عبد الناصر أنه أبلغ الإخوان باستعدادنا للتحرك، فسألته هل ردهم إيجابى؟ فهز رأسه بالموافقة، ولكنه أضاف: إنهم متعبون جدًا وعلينا أن نعيد الحسابات بالنسبة إليهم، ففهمت من كلامه أنهم واجهوه بمطالب كثيرة ولكن الظروف الحرجة أملت على عبد الناصر عدم مجابهتهم"[2].

وحضر أحمد حمروش ليقابل جمال عبد الناصر عصر ٢٢ يوليو، وأبلغه جمال بأن" الضباط الأحرار " سيتحركون الليلة، وطلب منه الاتصال بالضباط الأحرار فى الإسكندرية بهدف تأمين المنطقة هناك. فكانت لجنة القيادة تستشعر خطرًا من وجود الملك بالإسكندرية ومعه قوات من الحرس الملكى، وخشيت

---

[1] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٩٩-١٠٠. وقد أكد أحمد حمروش أنه عندما ذهب إلى البكباشى يوسف صديق فى منزله وجده ينزف من رئته، كما وصفت ابنته أنه فى ذلك اليوم كانوا يحملون له الأوعية من شدة النزف. ؛ انظر كذلك أحمد حمروش، المرجع السابق، ص ١٩٦.

[2] خالد محى الدين، والآن أتكلم، ص١٣٦-١٣٧ ؛ محمد أبو الفضل، المرجع السابق، ص٧٧.

اللجنة من أن يجمع حوله قوات أخرى لتدعمه كما فعل الخديو توفيق إبان الثورة العرابية. وهنا يجب أن نسأل: لماذا اختار عبد الناصر أحمد حمروش تحديدًا دون غيره؟ فالإجابة الأكثر منطقية أنه أراد أن يُبلغ "حدتو" بموعد الحركة كما أبلغ الإخوان، ليضمن إمكانية مساندتها له. وبالفعل أسرع حمروش إلى القاضي أحمد فؤاد، وأسرع الاثنان لمقابلة خالد محى الدين، ثم توجه حمروش ليبلغ النبأ إلى الرفيق بدر سكرتير عام "حدتو". وهكذا أتم عبد الناصر تحصين الحركة سياسيًا[١]. وتجدر الإشارة أن جمال عبد الناصر لا يعلم أن يوسف صديق قد انتمى لحدتو من قبل. وفى الأسبوع الأخير -قبل قيام الحركة- صحب جمال عبد الناصر وبرفقته عبد الحكيم عامر البكباشي يوسف صديق إلى زيارة مفاجئة لصديق زعم عبد الناصر أن يوسف صديق يعرفه. وذهبوا إلى منزل أحمد فؤاد القاضي فقال له يوسف صديق إنه لا يعرف صديقا بهذا الاسم، فنظر له عبد الناصر نظرة توضح أنه لا يصدقه، فقال له :" أحمد فؤاد القاضي ألا تعرفه - فأكد له عدم معرفته به فقال لكنه يعرفك فرد يوسف عليه:" ربما أذكر إذا رأيته". وعند دخولهم إلى منزل أحمد فؤاد تصادف وجود صديق شيوعي كان ليوسف معرفة وثيقة به، فقد كان كمال عبد الحليم المحامي الذى كان يتزعم "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني"، وأكد أحمد فؤاد أن يوسف صديق لم يكن له سابق معرفة به، فزال ما كان لدى عبد الناصر من شك فى أن يوسف صديق يخفي الحقيقة بدافع السرية. وفى هذا اليوم علم يوسف صديق أن عبد الناصر سيذهب هو وعبد الحكيم عامر لمقابلة بعض رجال الإخوان المسلمين، وعلم أيضًا أنه كان على اتصال بالوفد[٢].

---

[١] خالد محى الدين، المصدر السابق، ص١٣٨. ؛ أحمد حمروش، المرجع السابق، ج١، ص١٩٥- ١٩٦. ويذكر أحمد حمروش أنه ذهب إلى القاضي أحمد فؤاد وأبلغه بحديثه مع عبد الناصر وأنه لم يكن يعلم شيئًا عن موعد الحركة، واتجه الاثنان لخالد محى الدين، وذهب إلى البكباشي يوسف صديق فيقول:" وكان زميلًا أيضًا فى حدتو وفوجئت بالدماء تنزف من صدره، وقد أخذ حقنة فى الرابعة مساءً لإيقاف النزيف وهو فى حالة معنوية عالية يهيئ نفسه لواجب الليلة، وغادرت القاهرة بعد أن أبلغت سيد سليمان رفاعي أو "بدر" سكرتير حدتو بموعد الحركة المفاجئة، فوصلت الإسكندرية مع منتصف الليل". نفس المكان.

[٢] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٩٨. وقد أكد البكباشي يوسف صديق أنه فعلا لم يكن يعرف أحمد فؤاد القاضي وأنه أول مرة يراه فيها كانت فى تلك الزيارة.

رابعًا- تسرب موعد الحركة:

تعرضت حركة الجيش لأكبر خطر يمكن أن تصادفه وكاد أن يقضى عليها قبل أن تبدأ. كانت اللحظات تَمُر سريعًا على خلاف ما خطط له الضباط الأحرار. فقد عَلم الملك بأمر الحركة هذا، وقد أكد خالد محى الدين أن الخبر لم يتسرب من أحدٍ ممن تم إخبارهم بساعة الصفر، إذن كيف تسرب موعد الحركة؟! وهنا تبدو الحقيقة بأن الخبر تسرب من مصدرين وليس من مصدر واحد، أولهما أن أحد الضباط الأحرار ذهب مسرعًا إلى زملائه فى سلاح المدفعية ليبلغهم أنه ذاهب فى المساء إلى بيته ليرتدى الزى العسكرى، فشكت والدته فى الأمر لا سيما أنها تعلم أنه ليس لديه خدمة فى تلك الليلة، فأسرعت بإبلاغ أخيه وكان لواءً جويًا[1] متقاعدًا وإنها تشك أن أخاه مُقدمٌ على فعلٍ مع جماعة ما، وقام أخوه بالاتصال بحيدر باشا فى الإسكندرية ليبلغه باعتقاده أن

---

[1] العقيد طيار صالح محمود صالح الذى كان محالًا إلى الاستيداع منذ يناير "١٩٥١"، وكان مُنتظرًا إحالته إلى التقاعد فلم يشأ صالح أن يضيع الفرصة الذهبية التى هيأها له القدر للعودة إلى الخدمة العاملة، وعلى وجه السرعة طلب من الحرس الملكى المنوب إبلاغ السلطات والمسئولين فى الإسكندرية وعلى رأسهم الملك لتدارك الموقف واتخاذ الإجراءات المناسبة مع التأكيد عليه بضرورة ذكر اسمه باعتباره أخلص الضباط لصاحب العرش. على أمل ان يُجنى الثمار عندما يتم القضاء على أولئك المتمردين ولكن آماله لم تَلبث أن تبددت فى الصباح بمجرد أن استمع إلى البيان الأول للحركة من الراديو، وسرعان ما تغير ولاؤه من الملك إلى قائد الحركة الجديد اللواء محمد نجيب فذهب إليه مُسرعًا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة طالبًا لقاءه بعد أن أعد فى ذهنه ما سيقوله من الظلم الذى تعرض له بسبب وطنيته وإصراره على اتباع الحق حتى أحالوه إلى الاستيداع ظلمًا. ولكن المفاجأة كانت أليمة فما كاد يذكُر اسمه ويوضح مطلبه حتى وجد نفسه مقبوضًا عليه رهن الاعتقال. ويرجع الفضل فى انكشاف أمره وفقًا لما رواه البغدادى فى مذكراته، يرجع إلى عامل التليفون بمطار مصر الجديدة الذى اتصل به صالح مساء اليوم السابق، فقد استمع كما هى عادة معظم عمال التليفونات إلى الحديث الذى دار بينه وبين ياور الملك، وبلغ عامل التليفونات مضمون الحديث صباح يوم ٢٣ يوليو إلى عبد اللطيف البغدادى، وقد أثبت الواقعة إلى العقيد حسن جميعى قائد الحرس الملكى بالقاهرة ليلة الحركة، وما يستدعى النظر أنه لا يؤرخ لحركة الجيش إلا وتُذكر واقعة اتصال صالح محمود صالح بالسراى للإبلاغ عنها أى أنه قد دخل التاريخ ولكنه من أضيق أبوابه، ودون فى السجلات ولكنه فى أتعس فصوله وصفحاته. جمال حماد، ٢٢يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر، القاهرة، دار الهلال، مايو١٩٨٣، ص ١٩٩-٢٠٠.؛ عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص٣٧.

بعض الجنود ربما مقدمون على فعلٍ ما الليلة. علم ضباط المدفعية بهذا النبأ الصاعق فى تمام الساعة السابعة مساءً، ولم يكن هناك مجال لتغيير شيء فقد سبق أن تقرر عدم إجراء اتصالات تليفونية بأى شخص، وكان الجميع قد تفرقوا استعدادًا لتحريك قواتهم، وكل ما استطاعوا فعله أن يردوا الضابط إلى بيته لعل هذا يطمئن والدته، وتنتقل هذه الطمأنينة إلى أخيه ويبلغ حيدر باشا[١]. لكن الشك الذى وصل إلى حيدر باشا لم يكن هناك سبيل لانتزاعه، لا سيما عقب وصول معلومة أخرى من مصدر آخر قد عززت لديه الشك حتى أوشك أن يصبح يقينًا.. فقد كان هناك ضابط فى سلاح الفرسان حاول أن يكسب فى هذا الوقت الحرج ضابطًا آخر فأبلغه بأن الجيش سيتحرك الليلة، فأسرع الضابط ليُبلغ حكمدار بوليس العاصمة الذى نقلها بدوره إلى القصر والقيادة بالإسكندرية. وعلم القصر بذلك فى تمام الساعة التاسعة مساءً[٢][٣].

---

[١] خالد محى الدين، المصدر السابق، ص١٤٣-١٤٤.

[٢] أحمد عطية الله، المرجع السابق ؛ جمال حماد، المرجع السابق، ص ١٩٨-١٩٩، ٢٠١؛ خالد محى الدين، المصدر السابق، ص ١٤٤. وقد ذكر خالد محى الدين أن الملازم هو ممدوح أحمد شوقى ولكن جاء الاسم فى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٣٦ لسنة ١٩٧٢ بمنح معاشات استثنائية للضباط الأحرار فى كشف المجموعة (١) رقم مسلسل ٧٢ جاء اسم ملازم أول ممدوح شوقى أحمد. وهو الذى قام بإبلاغ اليوزباشى فؤاد كرارة الذى قام بدوره بإبلاغ حكمدار القاهرة.

[٣] عندما علم رئيس بوليس القصور نبأ الحركة فى قرابة الساعة التاسعة مساء، قام بالاتصال بالأميرالاى أحمد كامل رئيس بوليس القصور الملكية بقصر المنتزة، الذى وعد بأنه سيبُلغ الملك ووزيرى الداخلية والحربية وسيطلب من الوزير الاتصال به شخصيًا. وقد تسرب خبر الحركة من مصدرين مختلفين؛ إلا أن وقت تبليغهما للسلطات جاء فى وقت واحد تقريبًا وهو الساعة التاسعة والنصف مساءً. ومن الدهشة أن الخطين المتوازيين قد التقيا فى النهاية عند شخص واحد ولم يكن هذا الشخص رئيس الوزراء أو رئيس الديوان الملكى كما كان مفترضًا، بل عند محمد حسن السليمانى شماشرجى الملك وأمينه الخاص وحلقة الاتصال الوحيدة به. الذى تردد كثيرًا فى إبلاغ الملك عندما حضره أول اتصال من القائمقام صالح محمود صالح، خشية إفساد الحفل الساهر الذى أُقيم احتفالا بأداء اليمين الدستورية لوزارة نجيب الهلالى أمام الملك وقد كان الملك ينتظر على يديها عودة الاستقرار والهدوء. وقد كان الحفل مقتصرًا على أفراد الأسرة المالكة. لكن بلاغ الأميرالاى أحمد كامل رئيس بوليس القصور الملكية نقلًا عن حكمدار القاهرة، قرر أن يدخل إلى الملك ويخبره وانزعج الملك من الخبر الذى أخبره به خادمه ولكنه سرعان ما تمالك أعصابه وهز كتفيه وأطلق ضحكته قائلًا:" مش معقول الكلام ده ..

قام الملك بإصدار تعليماته إلى الفريق حسين فريد[1] باتخاذ الإجراءات اللازمة، فقام الفريق حسين بعقد اجتماع فى الساعة العاشرة مساءً بمبنى القيادة العامة للجيش بكوبرى القبة، ولم يتم دعوة اللواء محمد نجيب مدير المشاة لهذا الاجتماع؛ حيث إن السراى كانت تعتقد بأنه يقف خلف عملية التمرد هذه، لكن تم دعوة شقيقه اللواء على نجيب وعلم اللواء محمد نجيب من شقيقه بموعد الاجتماع والهدف منه[2]. وفى العاشرة مساءً بدأ القادة يتوافدون على قيادة الجيش؛ حيث أبلغهم الفريق حسين بأن هناك أخبارًا عن وجود تمرد يتزعمه مجموعة من الضباط الأصاغر والمطلوب التصدى لأى حركة داخل الجيش بسرعة، ثم فض الفريق حسين الاجتماع لإعطاء الفرصة للقادة لاتخاذ الإجراءات اللازمة على أن يلتقوا فى تمام الساعة الحادية عشرة بسراى عابدين لحضور اجتماع مشترك يحضره قادة الجيش والبوليس[3].وكان عدم دعوة اللواء محمد نجيب لها فائدتان للضباط الأحرار وهما[4]:

الجيش فى جيبى.. على كل حال اتصلوا بحيدر وحسين فريد يشوفوا الحكاية إيه ويبلغونى. فطين أحمد فريد، "ثورة ٢٣يوليو "١٩٥٢" من التنظيم السرى إلى سقوط فاروق، ص٢٢٩،٢٣١. مما يؤكد على اهتمام الملك بما يدور فى البلاد، ولثقته التامة بأن رجاله مسيطرون على الجيش.

(1) حسين فريد: ولد فى "١٨٩٨"، تخرج برتبة ملازم من المدرسة الحربية عام "١٩١٧"، ثم عين مدرسًا بها وظل هناك عدة سنوات ومعظم الضباط المصريين فى تلك الفترة الذين أصبحوا برتبة قائمقام (عقيد) أو برتبة الأميرالاى (العميد) كانوا من بين تلاميذه، ثم أصبح أركان حرب المدرسة الحربية عقب ترقيته إلى رتبة البكباشى (المقدم). عين قائدًا للحرس الملكى ثم عين مساعدًا لرئيس أركان الجيش فى عام "١٩٤٩". ثم تولى منصب رئاسة أركان حرب الجيش خلفًا للمهدى باشا عقب إحالته إلى التقاعد فى ١٤ مارس ١٩٥٢ إلى أن قام البكباشى يوسف صديق باعتقاله ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢". وقد اشتُهر حسين سرى بالأمانه والحرص والانضباط. رؤوف عباس، المرجع السابق، ص٣٥-٣٦.

(2) فطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص ٣٣١-٣٣٢. يذكر أحمد عطية الله أنه لم تتم دعوة اللواء نجيب إلى الاجتماع لأنه كان مدرجًا فى كشف المرضى ليلتها، و يذكر اللواء محمد نجيب أن أخاه اللواء شرطة على نجيب لم يكن يعلم شيئًا عن الحركة وأنه لم يخبره رغم ثقته به، لأنه خشى أن يتعارض ذلك مع واجبه باعتباره قائدًا لحامية القاهرة والمسئول عن الأمن والنظام بها. ؛ أحمد عطية الله، المرجع السابق، ص١٩٤ محمد نجيب، كلمتى للتاريخ، ص٤١.

(3) صلاح نصر، المصدر السابق، ص٩١؛ فطين أحمد فريد، المصدر السابق، ص ٣٣٨.

(4) خالد محى الدين، المصدر السابق، ص١٤٥.

الأولى: إن هذا توافق مع خطتهم لإبقائه فى المنزل دون أية شبهات تحيط به حتى تنجح حركتهم فيتم استدعاؤه لتولى القيادة.

الثانية: كى يتمكن من حرية الاتصال والإبلاغ عما وصل إليه من شقيقه من معلومات.

قام الفريق بالتوجه إلى قصر عابدين ظنًا منه أن الضباط سيقومون بمظاهرة عسكرية هناك، لتقديم إنذار للملك عن مطالب خاصة بالجيش، ولم يأتِ على خاطره بأنها حركة انقلابية شاملة للإطاحة بالنظام كاملًا[1]. وقد مر فى الطريق على مبنى البوليس الحربى بميدان باب الحديد(رمسيس حاليًا) وطلب من الضابط المنوب إعداد كل ما لديه من جنود واللحاق به على وجه السرعة إلى ميدان عابدين، وصل الفريق حسين فى تمام الساعة الحادية عشرة مساءً إلى هناك، وهناك التقى بقادة الجيش الذين سبقوه إلى هناك وكان على رأس اللواءات المجتمعين اللواء على نجيب، وأخبرهم الفريق حسين بأن لديه أخبارًا بأن هناك بعض الضباط سيقومون بحركة انقلاب هذه الليلة. فأجاب اللواء على نجيب بأنه لم يرَ أىَّ شيء غير طبيعى خلال الطريق من العباسية إلى عابدين، ومع ذلك سيذهب فى الحال للمرور على جميع القشلاقات باعتباره قائد قسم القاهرة[2] [3].

---

[1] قيام الفريق حسين فريد بتركيز اهتمامه على ميدان عابدين قد يكون عائدًا إلى خطأ البلاغ الذى تلقاه من الأميرالاى أحمد كامل من الإسكندرية والذى ربما تضمن أن هدف الحركة هو الزحف إلى ميدان عابدين، أو ربما يكون عائدًا إلى تصور شخصى خاطئ من الفريق حسين جعل فكره يتأثر بمظاهرة أحمد عرابى منذ سبعين عامًا عندما زحف على رأس الجيش إلى ميدان عابدين، وأيًا ما كانت الدوافع فقد كان بلا شك تفكيرًا خاطئًا. إذ ما الذى يدعو الضباط إلى التجمع فى ساحة قصر عابدين إذا كان القصر خاليًا والملك يحتفل فى الإسكندرية بتنصيب وزارة الهلالى؟!.

[2] جمال حماد، المرجع السابق، ص ٢١٠ ؛ فطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص٢٤٢.

[3] بدأ على الفور اللواء على نجيب بجولة فى المعسكرات بدءًا بمعسكر العباسية ثم دخل معسكر الفرسان بكوبرى القبة فوجد نشاطًا غير عادى ووجد الملازم أول توفيق عبده إسماعيل وكان عائدًا بمفرده من ميس الضباط المعروف بالميس الأخضر بعد أن أيقظ بعض زملائه من الضباط الأحرار لينضموا إلى وحداتهم بعد أن أزفَت ساعة التحرك. وسأل اللواء نجيب الملازم عن سبب وجوده فأجابه بأن البكباشى توفيق عابد أركان

طال الانتظار وضاع الوقت حينها أدرك الفريق حسين أن فكرة المظاهرة العسكرية ليست ضمن مخطط الضباط المتمردين، فطلب من القادة أن يسرعوا بالتوجه إلى معسكراتهم لتفقد أحوال الوحدات وإخطاره بما يحدث على الفور. عاد حسين فريد إلى مكتبه فى مبنى رئاسة الأركان بكوبرى القبة بعد أن أضاع الكثير من الوقت، منذ ذهابه إلى قصر عابدين وإعداد القوات التى ستواجه التمرد إذ إنه فقد من الوقت ما لا يقل عن ساعة ونصف. وكان قد أجرى اتصالات بقادة التشكيلات المقاتلة بسرعة التوجه إلى قياداتهم ومنهم اللواء عبد الرحمن مكى قائد الفرقة الثانية[1].

لكن هذه الاتصالات المتأخرة لم تؤدِ لأية نتائج لوقف الحركة، فالعجلة كانت قد دارت فعلًا كما قال جمال عبد الناصر وفى أثناء عودته إلى كوبرى القبة كان الضباط الأحرار قد بدأوا يتحركون لاتخاذ مواقعهم والتدابير اللازمة استعدادًا للبدء بالحركة فى الميعاد المحدد لها. فقد كان هناك صراع خفى مع الزمن، فالقادة لا يعلمون ما الذى يحدث فى وحداتهم والضباط الأحرار معظمهم لا يعلمون بأن موعد الحركة قد تسرب للملك، ولا يعلم أحد لماذا هذا الاجتماع المفاجئ؟[2].

كان اللواء عبد الرحمن مكى فى إجازة لمدة ثلاثة أيام بتصديق من الفريق حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش، لعقد قران ابنته فى منزله بمنطقة سفير. فقام الفريق حسين بالاتصال به فى تمام الساعة الحادية عشرة تقريبًا يأمره بقطع إجازته والتوجه فورًا لمقر قيادته، ومنع أى تحركات ومحاولة السيطرة الكاملة على قواته، حيث إن هناك حركة تمرد فى الجيش ضد الملك،

حرب قسم القاهرة أبلغه تليفونيًا أن حالة الطوارئ قد أعلنت. واطمأن اللواء نجيب بعد أن رأى بنفسه استعداد وحدات سلاح الفرسان التى خال أنها نتيجة لإعلان حالة الطوارئ ولم يخطر بباله حقيقة الأمر وهو أنهم يستعدون للقيام بالانقلاب، فانصرف مسرعًا من سلاح الفرسان ومضى يتم جولته فى معسكرات المدفعية بألماظة حيث وقع فى الأسر. فطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص ٣٤٣.

(١) نفس المرجع، ص ٢٤٣.

(٢) أحمد حمروش، المرجع السابق، ص ١٩٨.

فقام على الفور بارتداء ملابسه العسكرية ليتجه إلى مقر الهايكستب[1]. وفى هذا الوقت قد علم الضابط العظيم النوبتجى فى الهايكستب بأن هناك حركة غير عادية، وقد سأل عن سبب حضور البكباشى يوسف صديق فى التاسعة مساءً وسبب حضور هؤلاء الضباط معه. فأجابه يوسف صديق أن البلد فى حالة طوارئ، فتعجب البكباشى لأنه ضابط عظيم المحطة النوبتجى فكيف يكون هناك حالة طوارئ ولا يعلم!، فبادر بالاتصال باللواء مكى قائد الفرقة قبل مغادرته المنزل وأخبره بما قاله البكباشى يوسف صديق، فأعطاه تعليمات بألا يفعل شيئًا ويُرسل له السيارة حتى يحضر فورًا[2]. بينما كان اللواء مكى فى طريقه إلى الهايكستب بدأ يوسف صديق بالتحرك فور وصول أنباء له بأن اللواء مكى فى الطريق إلى الهايكستب، ويشاء القدر أنه لم يصل قبل تحركهم حتى لا تصبح له الكلمة العليا ويقوم بإصدار الأوامر للقوة بأن تعود أدراجها، وفى هذه الحالة كانت الحركة ستفشل تمامًا، حيث إن قوة يوسف صديق هى القوة الوحيدة التى بدأت بالاستعداد للتحرك مبكرًا عن باقى الوحدات. وقبل وصول اللواء مكى إلى بوابة معسكر الهايكستب قام يوسف صديق باعتراض سيارة اللواء وقام باعتقاله. وحتى هذه اللحظة لم يكن يعلم البكباشى يوسف صديق بأن أمر الحركة قد انكشف للملك.

فعندما أدرك الفريق حسين فريد من عدم وصول المظاهرة العسكرية إلى ميدان عابدين، وأصدر تعليماته إلى القادة بالتوجه إلى مراكز قياداتهم داخل المعسكرات، كانت الأمور قد تغيرت، وكان الضباط الأحرار قد أُتيحت لهم الفرصة للدخول إلى المعسكرات والسيطرة على وحداتهم وأصبحوا قوة لا يُمكن التغلُّب عليها؛ بسبب تأخير الفريق حسين فريد فى إصدار تلك التعليمات مبكرًا[3].

---

(1) نقلًا عن مقابلة تمت بين الدكتور فطين أحمد فريد، مع محمد عبد الرحمن مكى نجل اللواء عبد الرحمن مكى الذى يعمل بالسياحة، وقد تمت المقابلة فى منزل والده عبد الرحمن مكى. أحمد فطين فريد، المرجع السابق، ص٣٤٣.

(2) حسين حمودة، أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين، ط١، القاهرة، الزهراء للإعلام العربى، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥)، ص٨٦.

(3) فطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص٣٤٤. وشاء القدر أن يقوم قادة الانقلاب فى سلاح الفرسان حسين الشافعى، وثروت عكاشة وخالد محى الدين بالذهاب إلى وحداتهم

فقد استطاع اللواء نجيب فى الاتصال بعبد الحكيم عامر ليبلغه بالمعلومات التى حصل عليها، وكان نجيب صاحب فكرة الإسراع باعتقال القادة المجتمعين بكوبرى القبة فى أثناء خروجهم لشل سيطرتهم وإبطال أى خطة تعمل على فشل حركة الضباط الأحرار. كان الوقت متأخرًا ليغير الضباط الأحرار خطتهم فضلًا عن أن إيقاف الحركة غير وارد على الإطلاق مهما كانت الأخطار. حيث إنه كان سيتم محاكمة جميع ضباط وقادة التنظيم، فاستمرار المضى قدما فى الخطة هو الفرصة الوحيدة لتحقيق ما خططوا إليه. لكن كيف يُمكن اللحاق بهؤلاء القادة الذين التقوا فى العاشرة مساءً بكوبرى القبة، ومن المؤكد أنهم تلقوا جميعهم تعليمات عاجلة بالإسراع إلى معسكراتهم للسيطرة عليها قبل تحرك المتمردين(١).

تُرى ماذا فعل الصاغ عبد الحيكم عامر عقب علمه بتسرب موعد الحركة؟. عندما علم بخبر تسرب الحركة من اللواء نجيب أسرع على الفور إلى البكباشى جمال عبد الناصر، وفى نفس التوقيت كان قد توجه اليوزباشى سعد حسن توفيق(٢) إلى منزل عبد الناصر ليبلغه بما لديه من أخبار بأن الفريق حسين حضر إلى رئاسة الأركان فى قرابة الساعة التاسعة والنصف، وبدأ يستدعى قادة الجيش والطيران، وكانت إدارة المخابرات بالدور الأرضى فى مبنى الرئاسة فترك اليوزباشى رئاسة الجيش قرابة الساعه العاشرة مساءً وتوجه إلى

والمشاركة فى الانقلاب مبكرين عن الموعد بساعتين أو أكثر، كما كان من حسن الحظ أن خدمة الطوارئ بين وحدات القاهرة فى تلك الليلة كانت على عاتق سلاح الفرسان، وكانت أورطة من الدبابات ومائة عسكرى من مشاة اللواء المدرع معينين فى هذه الخدمة والذين أحيطوا علمًا بالتحرك، فكان ذلك سببًا للإفلات من هذه المصيدة. نفس المكان.

(١) نفس المكان. ؛ انظر كذلك أحمد عطية الله، المرجع السابق ؛ جمال حماد، المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢) هو أحد الضباط الأحرار، وكان نوبتجيًا بإدارة المخابرات الحربية التى كان يعمل بها يوم ٢٢ يوليو "١٩٥٢"، وكان من أعضاء الخلية الرئيسة فى الإخوان المسلمين والتى كانت قد تكونت عام "١٩٤٣" من عبد المنعم عبد الرؤوف وحسين محمد أحمد حمودة وجمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وخالد محى الدين وصلاح خليفة والصاغ محمود لبيب. ولم يقُم بالاتصال حيث إن هناك أوامرَ مشددةً على عدم إجراء أى اتصالات تليفونية حفاظًا على السرية؛ حسين محمد أحمد حمودة، المصدر السابق، ص٨٥.

منزل عبد الناصر. خرج عبد الحيكم عامر وعبد الناصر فى عربة الأخير يراقبان حركة القوات أملًا فى أن يلتقطا أى خيط من قوات الحركة ليحركها إلى مبنى رئاسة الأركان بكوبرى القبة واعتقال الضباط الكبار قبل إفسادهم لخطة الانقلاب. كان الاثنان غير مرتبطين بوحدات فى القاهرة، فقد كان عبد الحيكم عامر فى إجازة وكان يخدم فى رفح، وكان عبد الناصر مدرسًا بكلية أركان حرب. وكان معظم ضباط اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار غير مرتبطين بوحدات متحركة فى هذه الليلة عدا خالد محى الدين، وكمال الدين حسين الذى تحرك بالرغم من كونه مدرسًا فى كلية أركان الحرب[1]. لم ييأس جمال عبد الناصر عندما تلقى هذه الأنباء غير المتوقعة والقادرة على إنهاء ما عزموا عليه قبل أن يتم[2].

خامسًا- يوسف صديق وساعة الصفر:

آنذاك صدرت التعليمات من قيادة الضباط الأحرار بتواجد البكباشى يوسف صديق وضباطه فى تمام الساعة الثامنة مساءً بمقر الوحدة بالهايكستب يوم ٢٢ يوليو، حتى يصل إليها مندوب قيادة التنظيم ليخبره بالأوامر النهائية الخاصة بالتأكيد على ساعة الصفر وكلمة السر. فى صباح ذلك اليوم كان يُفكر يوسف فى مُبرر يجمع به الضباط للعودة إلى الهايكستب حتى لحظة القيام بالعمل، وقد كانت سرية العمل تقتضى حصر المعرفة فى الضباط المعنيين فقط حتى آخر لحظة ممكنة، ضمانًا لعدم تسرب المعلومات. بينما كان البكباشى يوسف صديق منهمكًا فى التفكير دخل إليه اليوزباشى عبد المجيد شديد[3]، ومعه ثلاثة ضباط

---

(1) خالد محى الدين، المصدر السابق ، ص١٤٥ ؛ انظر كذلك أحمد حمروش، المرجع السابق، ص ١٩٧-١٩٨. كان صلاح سالم فى رفح وأنور السادات كان قد وصل للقاهرة فى نفس اليوم، وعبد اللطيف البغدادى وجمال سالم وحسن إبراهيم كانوا ضباط طيران وكان تحركهم يأتى فى الصباح حتى يستطيعوا التحرك بالطائرات. نفس المكان.

(2) هذه الواقعة بالتفاصيل فى رواية جمال عبد الناصر عن ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢".

(3) عبد المجيد شديد: (٣١ مايو ١٩٢٨-) ولد فى ٣١ مايو "١٩٢٨"، بمحافظة الفيوم، انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار فى أواخر عام "١٩٤٨" أوائل عام "١٩٤٩"، عمل أركان حرب لقوات مقدمة الكتيبة الأولى مشاة التى تحركت بقيادة البكباشى يوسف

تخرجوا حديثًا فى الكلية الحربية، لينضموا إلى القوة لحين وصول القوة الأساسية وتوزيعهم، مما جعل البكباشى يوسف يُفكر أيضًا فى أمر هؤلاء، هل سيشركهم فى العمل أم يقوم بمنحهم إجازة لحين وصول القوة الأساسية يوم ٢٦يوليو؟. وتردد كثيرًا ولكنه فى النهاية قرر أن يُشركهم فى العمل ليفخر كل منهم أمام أولاده وأحفاده فيما بعد أنه فى أول يوم خدمته قام بالاشتراك فى هذا العمل العظيم، وإذ لقدر الله فشلت حركتهم سيجدون مُبررهم لأن فى هذه الحالة سيتحمل هو المسئولية[1].

ولكن تبقى هنا المشكلة الأساسية وهى كيف يجمع ضباطه فى المساء وما مُبرره فى العودة إلى الهايكستب؟ وهنا ظل حائرًا ولم يهتدِ إلى مُبرر مقنع؛ وإذ به يُفكر تدخل القدر؛ فدخل إليه اليوزباشى عبد المجيد شديد، ومعه تقرير يتضمن أن الضابط المُكلف بالخدمة فى الليلة السابقة قد تخلف عن أداء واجبه، فاستغل البكباشى يوسف صديق هذا الخطأ وأمر أن يتم جمع ضباط الكتيبة ومعهم الثلاثة الجدد، وعند اكتمال عددهم أمامه وجه حديثه إلى الضابط الذى أخطأ قائلًا:" يؤسفنى أننى علمت بما كان من استهتارك فى أداء واجبك، ومبيتك بعيدًا عن مكان خدمتك ولكى ألقى على الجميع درسًا فى الواجب، فقد قررت أن نعود جميعًا فى المساء لقضاء الليل فى المعسكر، وكان هناك بعض الضباط يتلقون التدريب تم الاتصال بهم وإخبارهم بالحضور للمبيت فى المعسكر ،وبالفعل قد تجمعوا فى تمام الساعة السادسة مساءً فى المكان الذى حدده لهم قائدهم ليتحركوا سويًا إلى المعسكر. عندما وصل البكباشى يوسف صديق مبكرًا بخمس عشرة دقيقة عنهم، توجه إلى أقرب صيدلية وطلب من

منصور صديق. ثم عمل سكرتير عام مجلس الوزراء عام "١٩٦٢"، وتولى منصب محافظ محافظة الدقهلية "١٩٧٠"، وكان عضوًا بتنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى عام "١٩٧١"، تم إحالته إلى المعاش بناء على طلبه عام "١٩٧٤". محضر نقاش مع اللواء عبد المجيد شديد، فى منزله بمنطقة جاردن سيتى، القاهرة، ٢٠١٥/٥/٥، العاشرة صباحًا.

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٩٩-١٠٠. ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣١.

الصيدلى حقنة لوقف النزيف، فأشار عليه بضرورة التوجه لأقرب عيادة ليعطيها له المتخصص، وذهب البكباشى يوسف صديق إلى إحدى العيادات القريبة وقام التومرجى بحقنه[1].

وبعد أن ذهبوا إلى المعسكر وصلهم مندوب القيادة اليوزباشى عبد الرحمن، حضر ومعه بطيخة كبيرة وفى أثناء انشغال الضباط فى تقطيع البطيخة، انفرد المندوب بقائد مقدمة الكتيبة البكباشى يوسف صديق ليخبره بساعة الصفر "منتصف الليل" وكلمة السر" نصر" ويؤكد عليه المهمة الموكلة للقوة[2]. ويؤكد اليوزباشى عبد المجيد شديد أن ساعة الصفر كانت الساعة الثانية عشرة مساء يوم ٢٢ يوليو أى منتصف ليلة ٢٢ يوليو، وأنه قد سبق وتم الاتفاق عليها فى أثناء زيارة البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر إلى البكباشى يوسف صديق فى منزله، فأبلغاه أن ساعة الصفر هى منتصف ليلة ٢٢ وأنهم سوف يرسلون إليه المندوب ليؤكد عليهم ساعة الصفر. فضلًا عن أن اليوزباشى زغلول قد أكد نفس الميعاد وهو منتصف الليل وليس الساعة الواحدة من صباح يوم ٢٣ يوليو[3].

ظل اليوزباشى زغلول مع القوة فى الهايكستب، قام يوسف صديق بتوزيع الضباط على القوة التى قسمها إلى ثلاث فصائل، وأمر بتجهيز اللورى وقام بإلقاء خطبة صغيرة يستثير بها حماستهم ليخبرهم للمرة الأولى بالعمل المُكلفين

---

(1) محضر النقاش السابق مع اللواء عبد المجيد شديد ٢٠١٥/٥/٥.؛ عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١٠١-١٠٢. يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣٢. ؛ محضر النقاش السابق مع اللواء عبد المجيد شديد ٢٠١٥/٥/٥.

(2) نفس المصدر، ص٣٣.؛ محضر النقاش السابق. وقد ذكر البكباشى يوسف صديق: أن هذه هى الرسالة التى حملها زغلول إليه أو التى شاء الله أن أسمعها منه على هذا النحو. كما أنه عقب نجاح حركتهم قابل اليوزباشى زغلول كثيرًا وكلما سأله عن حقيقة الأمر التى أبلغها له كان يبتسم ولا يُجيبه. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١٠٣. يوسف صديق، نفس المصدر ، ص٣٣.

(3) نقلًا عن مقابلة تمت بين الدكتور فطين أحمد فريد واليوزباشى عبد المجيد شديد بمكتب الأخير بجاردن سيتى، يوم الأحد ٢٠٠٢/٣/٢٢، فطين فريد ، المرجع السابق، ص٢٦٢.؛ وهذا ما أكده اللواء عبد المجيد شديد للباحثة، محضر النقاش السابق، ٢٠١٥/٥/٥.

به، وأخبرهم أن كلا منهم سيفخر طوال حياته بالمساهمة فى هذا العمل الخطير والعظيم لصالح الوطن. وأمر الفصائل بالصعود على اللوارى وعند انتصاف الليل تمامًا كانت القوة جاهزة للتحرك وكان معهم اليوزباشى زغلول عبد الرحمن[١].

قبل تحرُك مقدمة الكتيبة الأولى مشاة من المعسكر بثوانٍ حصلت مفاجأة كبيرة، فقد أخبر عبد القادر مهنا البكباشى يوسف صديق أن اللواء عبد الرحمن مكى فى طريقه إلى الهايكستب، وهو قائد الفرقة المعسكرة فى الهايكستب وهم جميعًا تحت قيادته، هو قائد الفرقة فى جيش الملك وليس فى التنظيم. وكان لا يعلم أحد منهم سبب مجيئه، وعندما طلب البكباشى يوسف صديق تفسير ذلك أجاب عبد القادر أن القائد اتصل تليفونيًا وطلب سيارته على وجه السرعة، وكان ذلك منذ نصف ساعة ومنزل اللواء بمنطقة مصر الجديدة أى أنه على وشك الوصول. وهنا تحتم على يوسف صديق ضرورة التحرك حتى لا يأتى القائد إلى المعسكر، وتصبح له الكلمة العليا والأمر النافذ عليهم جميعًا، وأعطى يوسف صديق أمرًا للسائق بأنه فى حالة التقائهم بسيارة اللواء مكى فى طريقهم يقوم بتوجيه النور إليه ويعترض طريقها بأى طريقة، وفى حالة وقوف السيارة يوجهون أسلحتهم نحوها ولا يقوم أحد بضرب النار إلا بأوامر منه[٢].

تحرك طابور مدافع ماكينة منتصف الليل، وقد تقدمت سيارة البكباشى يوسف صديق، وبرفقته ضابطان ويتبعه ثلاثة من اللوارى تحمل الفصائل الثلاث مع ضباطهم، وفى مؤخرة الطابور سيارة بها اليوزباشى زغلول عبد الرحمن وعبد المجيد شديد.. وما كادت مقدمة الطابور تجتاز بوابة المعسكر حتى شاهدوا سيارة اللواء مكى قادمة بأقصى سرعة، وما كاد يرى الطابور حتى أخذ يُنادى "وقف عندك أنت وهو". وقام سائق سيارة البكباشى يوسف

---

[١] إذ كانت ساعة الصفر هى الواحدة صباحًا وقد سمع البكباشى الرسالة من اليوزباشى زغلول عبد الرحمن خطأ أنها فى منتصف الليل، فلماذا لم يعترض على تحركهم مبكرًا عن ساعة الصفر بساعة كاملة؟! فإذا كان هناك خطأ فقد كان بإمكانه تصحيحه.

[٢] عبد العظيم رمضان، نفس المرجع، ص١٠٤-١٠٥. يوسف صديق، نفس المصدر، ص٣٣.

صديق بتنفيذ ما أُمر به[1]، وقام بفتح النور المبهر ونزل الضابطان المرافقان ليوسف بتوجيه سلاحيهما نحو اللواء مكى، وعندما رأى البكباشي يوسف صديق وكان يعرفه جيدًا فصاح بصوت يمتزج فيه الرهبة بالدهشة " مين يوسف"! واستسلم قائد الفرقة بعد أن رأى الأسلحة موجهة إليه، طالبًا من يوسف صديق أن يؤمن له حياته فوعده بذلك ما دام يُطيع الأوامر. دخلت سيارة اللواء مكى ضمن طابور القوة خلف سيارة يوسف صديق الجيب، وكانت أوامر البكباشي يوسف صديق لقوته بإطلاق النار على سيارة اللواء مكى إذا حاولت الخروج عن الطابور. واستأنفوا السير نحو مبنى قيادة الجيش وقد سهى على يوسف صديق أن يقوم بنزع علم القيادة وكان لذلك فائدته[2].

وهذه الواقعة أثارت فى نفس يوسف الكثير من التساؤلات، بيد أنه لم يشترك فى وضع الخطة العامة؛ حيث إن لجنة القيادة العليا التى كان على رأسها زكريا محى الدين هى من قامت بوضعها، وأن السرية كان تحتم على ألا يعلم الضابط سوى المهة المُكلف بها فى الخطة، وإعطاؤه كلمة السر تعنى أنه سيجتاز قوات الحصار المفترض وجودها على كل المناطق العسكرية، لعدم السماح لغير الضباط الأحرار بالمرور. إذن؛ كيف تمكن اللواء مكى أن يَمُر دون أن يعترضه أحد من الضباط الأحرار لفترة تزيد عن خمس أو ست دقائق بعد ساعة الصفر؟!، وكيف سُمح له بالمرور؟ أم أنه يعلم كلمة السر! ربما مر قبل أن تأخذ هذه القوات أماكنها. لكن لماذا حَضر؟ فحضوره فى منتصف الليل أمر غير مألوف ويدعو إلى التساؤل[3].

---

[1] يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣٣؛ محضر النقاش السابق، مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥. يوجد رسم كروكى بخط يد البكباشي يوسف صديق يصف فيه كيف التقى سيارة اللواء مكى واعترض طريقه، وهى صورة من النسخة الأصلية قد اطلعت الكاتبة عليها وقامت بتصويرها، محضر النقاش السابق، للسيدة ليلى يوسف صديق بمنزلها. ملحق رقم (١٠) رسم كروكى بخط يوسف صديق لمكان لقائه بعربة اللواء مكى. من مذكراته التى حصلت عليها الكاتبة من السيدة ليلى نجلته.

[2] يوسف منصور صديق، المصدر السابق، ص٣٥ ؛ اللواء عبد المجيد شديد، محضر النقاش السابق ؛ انظر كذلك جمال حماد، المرجع السابق، ص٢٢٢-٢٢٣.

[3] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق ، ص١٠٧. ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣٥- ٣٦؛ محضر النقاش السابق، مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥.

كلما قطع يوسف مسافة على الطريق الصحراوى الذى يربط بين المعسكر ومصر الجديدة دون أن يعترضه أحد من قوات الحصار التى تمنع تَسلُل ضباط من غير الأحرار، وبدأ الأمر يزداد غموضًا لكن ما جعله يطمئن أن أسر اللواء مكى قد أعطى جنوده الثقة به كقائد. انتهى الطريق الصحراوى دون ظهور أى شيء يُشير إلى أن الخطة فى موضع التنفيذ، فإذا كانت قد بدأت فلا بد من وجود أى قوات فى مكان ما على هذا الطريق. فكما فهم يوسف من جمال عبد الناصر أنه سيلتقى فى طريقه بقوات أخرى تقتحم مبنى قيادة الجيش وتُسيطر عليها، ويقوم هو بتدعيمها والتأمين لها، وكانت الكتيبتان ١٣ ، ١٧ مشاة هما المكلفتان بالاقتحام، لكن إلى أن وصل مشارف مصر الجديدة لم يجد مظهرًا واحدًا من مظاهر تنفيذ حركتهم، فلم يكن فى خاطره سوى أحد احتمالين ؛ إما أن يكون التأخير فى التنفيذ، أو الخطة لم توضع فى موضع التنفيذ لسببٍ ما[1].

عندما وصلت السرية إلى مصر الجديدة توقف سيرهم، ولاحظ يوسف صديق وجود إحدى سيارات كبار الضباط، فكانت سيارة الأميرالاى عبد الرؤوف عابدين قائد ثان الفرقة، الذى قام بدوره عندما وجد سير طابور السيارات وتوجه إلى اللورى الذى يسير خلف سيارة اللواء مكى، فسأل أحد الضباط بجوار سائق اللورى ليسأله أين تذهب؟ فأجابه "الضابط طوارئ يا فندم" وأشار إلى سيارة اللواء مكى. فذهب إليه الأميرالاى وألقى عليه التحية وحاول أن يعود إلى سيارته مرة أخرى. لكن اللواء مكى قام بفتح باب السيارة إلى الأميرالاى وطلب منه الجلوس بجانبه[2]. بذلك أصبح يوسف على يقين أن هناك شيئًا يحدث لا يعلمه، فكر يوسف أن يستدعى اليوزباشى زغلول عبد الرحمن من آخر الطابور ليسأله عن مكان جمال عبد الناصر إلا أن هذا سيأخذ وقتًا طويلا، وكافة الدلائل تُشير إلى قيمة الوقت كما أنه تردد لفعل ذلك فيبدو أمام الأسيرين أنه فى موقف ضعف، مما يجعلهما يستردان سلطتهما على الجنود. ولم يجد أمامه سوى أن يُكمل طريقه إلى مبنى قيادة الجيش " كوبرى

---

[1] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١٠٨. ؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣٦.

[2] نفس المصدر، ص ٣٦-٣٧ ؛ أحمد عطية الله، المرجع السابق، ص ١٩٩؛ جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٢٣.

القبة" وإذا لم يجد أنه قد تم السيطرة عليها، يقوم باقتحامها بقوته الصغيرة فهي لا يوجد بها أكثر من سبعة جنود ويحمل كل منهم من ٥ طلقات إلى ١٠ على أكثر تقدير، مما يُمكنه من السيطرة عليها[١].

ويستطرد يوسف فى مذكراته تحت عنوان اللقاء الثالث: مع أننى كنت أسير فى يُسر وبساطة من نصر إلى نصر لا أدرى لماذا أحسست بعد هذا اللقاء الثانى- يقصد أسره الأميرالاى عابدين- بحاجتى المُلحة للاتصال بقيادة الضباط الأحرار لعلها تُجلى بعض الغموض الذى ساوره. تُرى أين أنت يا جمال الآن، سرت، وكان لا بد أن أسير. فكان عليه أن يُسرع فلا يعلم ما الذى ينتظره ورغم علمه بالطريق إلى كوبرى القبة؛ حيث مبنى القيادة العامة الذى يعلمه جيدًا بحكم عمله العسكرى، أمر الضابط أن يُغير اتجاهه إلى اليمين قبل المكان الصحيح وقد عارضه السائق؛ لأنه يعلم الطريق ربما أكثر من قائده، فنهره يوسف بلهجة القائد فى المعركة الذى لا يُريد مُناقشة ولا يتحمل ترددًا فصدع للأمر، وما أن سار فى الشارع الذى انحرف إليه حتى تبين للبكباشى يوسف صديق أنه على خطأ وأن السائق كان على حق[٢].

ولم يكد يحاول أن يصحح وضعه على الطريق حتى أخبره الضابط المُراقب للخلف أن القوة قد توقفت عن السير. فترجل من السيارة مُسرعًا إلى الخلف فقد توقفوا بدون أمر منه وأحاطوا برجُلين ودارت بينهم مناقشة حادة، علا صوتها فى سكون الليل وما أن اقترب يوسف إلا دارت رأسه وتعجب كثيرًا حتى ظن أن ذلك لم يكُن حقيقيًا وأن ما يراه حلم، ولكن الحقيقة تكاد تكون أعجب من الخيال على حد قوله. ويستطرد يوسف فى مذكراته: يا إلهى قد تمنيت منذ لحظات أن أتصل بقيادة الثوار- لعلها تُجلى بعض الغموض الذى كنت أسير فيه على غير هُدى، وها هى السماء تستجيب لأمنيتى فتحققها على أعجب صورة- لا شك أن هذا اللقاء قد تم على صورة لا يقدر على الإتيان بمثلها إلا قوة من السماء، فقد كان الرجُلان هما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر. وقد قام

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ١٠٩.؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣٧.

(٢) يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣٧-٣٨.

أحد ضباطه باعتقال جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لولا تدخل البكباشى يوسف صديق ما جعلهما يفرجان عنهما[1][2].

ويستطرد يوسف فى مذكراته: حقًّا إن الله يُصيب برحمته من يشاء. وقد كنت فى تلك الليلة على طريق الله وقد استجاب الله لدعائى. فما كاد يتمنى أن يرى جمال عبد الناصر إلا ووجده فى طريقه ومعه عبد الحكيم عامر، وبعد أن خلصهما من رجاله انفرد بهما حتى لا يكون الحديث فى دائرة الأسيرين. فى تلك اللحظة علم يوسف من جمال عبد الناصر أن أمر الحركة قد انكشف للملك فى الإسكندرية، وقد تم الاتصال بالقيادة فى القاهرة وهى مجتمعة الآن فى مقرها بكوبرى القبة لاتخاذ إجراءات عاجلة. فأخبره أنه قد قرر أنه سيقوم بالاقتحام عندما بدا له أن الأمر لم يُنفذ. قام يوسف بتعديل خطته مع عبد الناصر وبدلًا من أن تكون قوة يوسف هى القوة الاحتياطية لسرية الكتيبة الثالثة عشرة أصبحت هى القوة الأساسية المُكَلفة بواجب اقتحام مبنى رئاسة الجيش[3][4].

سادسًا- الخلاف حول دور يوسف صديق فى اقتحام مبنى رئاسة الجيش، و روايات الضباط الأحرار:

لكى نقف على حقيقة كيفية اقتحام مبنى الرئاسة، لا بد من تناول روايات القادة والضباط الذين شاركوا وتواجدوا فى مسرح الأحداث تلك الليلة وأسهموا

---

(1) نفس المصدر، ص ٣٨؛ محضر النقاش السابق، مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥.

(2) الملازم محمد أحمد على غنيم هو من قام باعتقالهما، ولم يذكر البكباشى يوسف صديق أن عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا يرتديان الملابس المدنية. لمعى المطيعى، هؤلاء هم رجال يوليو، القاهرة، مكتبة مدبولى، "١٩٨٩"، ص ٧٩.

(3) يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠؛ محضر النقاش السابق، مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥.

(4) جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٢٤، ٢٢٨-٢٢٩؛ أحمد عطية الله، المرجع السابق، ص٢٠٠. هذا وقد تمت مقابلة بين أحمد عطية الله والبكباشى يوسف صديق فى منزل الأخير عام "١٩٧٣"، وضح يوسف صديق أن جمال وعبد الحكيم عامر كانا يرتديان قمصانًا بيضاء، وأن قصة الملابس المدنية قد تضاربت فيها الأقوال. كما نفى اللواء عبد المجيد شديد أمر الملابس المدنية هذا أثناء حديثه مع الكاتبة. محضر النقاش السابق، مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥.

بشكل أو بآخر في اقتحام مبنى رئاسة الجيش. قد تضاربت الروايات وما زال هناك بعض الغموض الذى يُحيط ببعض النقاط وسيظل بعض من هذا الغموض لعدم صدق بعض الروايات أو لقيام بعض الأشخاص بنسب أعمال بطولية لم يقوموا بها أو للانتقاص من الأعمال البطولية للبعض الآخر. وسنحاول أن نصل إلى الحقيقة من خلال الكتابة التاريخية لما حدث فى تلك الليلة.

- رواية البكباشى يوسف منصور صديق.

عقب لقاء البكباشى يوسف منصور بجمال عبد الناصر يستطرد قائلًا: علمت من جمال عبد الناصر أن أمر الحركة قد انكشف للملك فاروق الذى كان يصطاف فى الإسكندرية، وأنه قد تم الاتصال بالقيادة فى القاهرة، وأن هذه القيادة مجتمعة فى مقرها لكى تتخذ إجراء مضادًا، وأخبرته أننى كنت قد قررت احتلال القيادة، وأننى سأقوم بذلك فورًا- وكان قد حضر مع زميله فى عربته الخاصة - سيارة جمال- وأسرعت إلى عربتى فى مقدمة القوة وذهبا هما ليستقلا سيارتهما وسبقانى فى أرض المعركة. وتحت عنوان المعركة فى مذكراته يستطرد: المسافة بين شارع السلطان حيث كنت وبين مقر القيادة العامة فى كوبرى القبة لا تزيد عن ٢ كم أو ٣ على أكثر تقدير.. تقطعها القوة فى عربتها فى دقائق. وكان يجب علىَّ فى هذه الدقائق أن أضع خطتى لاحتلال القيادة وأقوم بالتنفيذ على وجه السرعة، حيث إن كل دقيقة بل كل ثانية أصبحت لها قيمة كبيرة[١]. والجديد الذى قد طرأ على خطتى السابقة هو أننى سوف أذهب لاحتلال القيادة على غرة، وأننى قد أتعرض لمقاومة الحرس، وربما من الضباط المجتمعين ولو أن هؤلاء لا يحملون غير الطبنجة فى الغالب. وأرض المعركة أعرفها جيدًا وبالتفاصيل مما ساعدنى على رسم الخطة بدقة وغاية السرعة. فمقر القيادة يقع بين الكوبرى الذى يمر فوق المترو والمواجه للمستشفى العسكرى العام- وكوبرى السيوفى الذى يمر فوق النفق على مسافة لا تزيد عن الكيلو متر جهة العباسية. ونفق المترو فى هذه المنطقة عميق وميل أجناحه يكاد يكون عموديًا- لا يُمكن اجتيازه بأى قوات[٢].

---

[١] عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص١١٢.

[٢] يوسف صديق، المصدر السابق، ص٣٩.

- الخطة التى أعدها البكباشى يوسف صديق.

قام بتقسيم فرقته إلى ثلاث فصائل[1]:

الفصيلة الأولى: تقوم بالالتفاف حول مبنى القيادة من الخلف وتقفل الطريق عند باب السوارى لمنع تدخل أى قوات، والقبض على أى ضابط من غير الأحرار.

الفصيلة الثالثة: تبقى كما هى فى مكانها لقطع الطريق أمام الكوبرى عند نقطة التجمع، لمنع أى قوات آتية من اتجاه مصر الجديدة أو كوبرى القبة، والقبض على أى رتبة من غير الضباط الأحرار.

أما الفصيلة الثانية: تقوم بمهاجمة القيادة تحت قيادته. وبذلك لم يحتفظ بقوة احتياطية كما هو مطلوب فى مثل هذه العمليات العسكرية. وجعل اليوزباشى عبد المجيد شديد يُشرف على الفصيلتين الأولى والثالثة، وقد قام بوضع هذه الخطة على أن تتحاشى الفصيلة الأولى التعرض لحرس القيادة الذى قد يشغلها عن القيام بواجبها[2]. ووقف عند نقطة إصدار الأوامر، لكن لم ينتظر الجنود أوامرى بالنزول من العربات فقد قفزوا من اللوارى واصطفوا بجانبها وعلى رأسهم ضباطهم، وبذلك أفسدت عليه الفصيلة الأولى الحكمة التى كنت قد دبرتها لوصولها إلى مكانها باللورى.فى أثناء نزول الجنود من عرباتهم ظهر الأميرالاى أحمد سيف اليزل خليفة، فكان ثالث المعتقلين وترك سائقه حارسًا عليه وكان لديه أوامر بإطلاق النار فى حالة محاولة هروبه[3].وفى الحال أصدرت إليها الأمر بالتوجه بالخطوة السريعة إلى مكانها متخذة الجانب الأيسر من الطريق لعدم التعرض لحرس القيادة وأنها لا تشتبك معه وتُسرع إلى مكانها[4][5].

---

[1] نفس المصدر، ص٤١؛ عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١١٤. انظر الملحق رقم (١١) كروكى بخط يوسف صديق لأرض المعركة من مذكراته غير المنشورة.

[2] يوسف صديق، المصدر السابق، ص٤١؛ عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١١٤.

[3] سعد كامل، المقال السابق، ١٩٨٨/٧/٣١.

[4] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ١١٢، ١١٤. وهذه الرواية قد أكدها اليوزباشى عبد المجيد شديد فى مقابلة فى مكتبه بجاردن سيتى مع الدكتور فطين أحمد فريد، الأحد، ٢٤ مارس "٢٠٠٢". فطين فريد، المرجع السابق، ص٣٥٦. كما أكدها للباحثة، محضر النقاش السابق، ٢٠١٥/٥/٥.

[5] ويوجد رسم كروكى بخط يد البكباشى يوسف منصور صديق للخطة التى قام بوضعها لاقتحام مبنى قيادة الجيش. يوسف صديق، المصدر السابق، ص٤٠.

وعندما كان يصدر أوامره للفصائل، لاحظ أن البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر كانا يقفان عند النقطة (أ) وعندما وصل مع الفصيلة الأولى ظن أنها اشتبكت مع الحرس، وكانت قد وصلت إلى النقطة (ب) أى تجاوزت باب القيادة. وفوجئ بحرس القيادة يطلق نيرانه عليهم، فاشتبكت معه الفصيلة الثانية ولم تطُل فترة تبادل إطلاق النار أكثر من دقيقتين على أكثر تقدير على حد قول يوسف صديق، وقد نَفِدَت بعدها ذخيرة الحرس كما توقع البكباشى يوسف صديق، واستسلم بعدها الحرس[1]. ولم يشتبك ضباط الاجتماع معه، وكانوا فى الدور العلوى من مبنى القيادة، وأسفر الاشتباك عن مقتل رجلين من قوة البكباشى يوسف صديق وآخرين من الحرس، قام بالتفتيش فى الدور الأرضى من المبنى وتأكد أنه خالٍ، وقام بوضع حراسة على الأماكن الحساسة فيه ثم صعد مُسرعًا إلى الدور العلوى حيث الاجتماع. وقد كانت قوته أصبحت ١٠ جنود، لكنه لم يتوقع مقاومة كبيرة من ضباط الاجتماع. ويستطرد يوسف: ولكن الله كان معنا ففى هذه اللحظة التى شعرت فيها بضعف قوتى فوجئت بالصاغ حسن أحمد الدسوقى على رأس قوة تتكون من ٢٠ جنديًا. قدم نفسه إلى البكباشى يوسف صديق وأخبره أن البكباشى زكريا محى الدين قد أرسله لتعزيز قوته[2].

وأكد البكباشى يوسف صديق أنه كان له معرفة بالصاغ حسن الدسوقى[3]، حيث جمعتهم الخدمة من قبل ووصفه بالشجاعة والإخلاص وحسن التصرف،

---

(1) المصدر السابق، ص٤٠. وقد أكد هذه الرواية كذلك عبد المجيد شديد، محضر النقاش السابق.

(2) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١١٥-١١٦.؛ وقد أكد هذه الرواية الصاغ حسن احمد الدسوقى فى مقابلة تمت فى منزله بالمنيل للدكتور فطين أحمد فريد، السبت ٢ مارس "٢٠٠٢". فطين فريد، المرجع السابق، ص٣٥٦.

(3) حسن الدسوقى: انضم للضباط الأحرار فى أواخر عام "١٩٥١"، كانت أول معرفته بالبكباشى يوسف صديق عام "١٩٣٩"، حيث كان يدرس له مادة التاريخ العسكرى، وكان صديقًا مقربًا للبكباشى يوسف منصور صديق، وذهبت قواته عقب اقتحام قوات البكباشى يوسف صديق لمبنى قيادة الجيش وصعد معه الطابق العلوى ، وعقب إلقاء القبض على الفريق حسين فريد كان الصاغ حسن الدسوقى يجلس مع البكباشى يوسف صديق. عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ١٩٥، ٢٠٤.

لذلك حمد الله على هذا العون الذى جاءه فى الوقت المناسب. بذلك أصبحت قوة يوسف صديق لا بأس بها. وفى أثناء صعوده على الدرج للدور العلوى اعترضه جاويش[1] وحاول منعه من الصعود، واضطُر يوسف لإن يطلق رصاصة على قدمه حتى يسمح له بالمرور، فالوقت كان ينفد[2].واستأنف صعوده وكان برفقته الصاغ حسن الدسوقى وجنوده، وعندما وصل مكتب القائد وجد الباب موصدًا وحاول فتحه لكنه شعر بأن هناك مقاومة، فقام الصاغ الدسوقى بإطلاق الرصاص على الباب بدون أمر من البكباشى يوسف صديق، وتبين لهم أن سبب المقاومة كان كرسيًا تم وضعه خلف الباب. ووجدوا الغرفة مظلمة ولكن بعد إطلاق الرصاص وجدوا أربعة مناديل بيضاء تطل من وراء "برافان". وخرج الضباط من وراء البرافان وكان على رأسهم الفريق حسين فريد[3].

وصف البكباشى يوسف صديق موقف الفريق حسين فريد لحظة اعتقاله قائلًا:" كان الفريق حسين فريد رَابِطَ الجأش ثابتًا وكان يبدو طبيعيًا لا أثر للخوف على وجهه، لقد كان أشجع مَن قابلته فى تلك الليلة من رجال الجيش خارج التنظيم". وقد قابل الفريق حسين فريد مرتين خلال حياته العسكرية، الأولى عندما كان طالبًا بالمدرسة الحربية وكان أستاذه فيها، والثانية عندما كان يعمل ضابطًا مدرسًا بالكلية الحربية كان رئيسه فى العمل. لذلك وجب عليه أن يوجه له التحية فهو أهلٌ لها على حد قول يوسف صديق. ويستطرد يوسف صديق: رافقت أستاذى إلى باب القيادة وقمت بإلقاء التحية له ثم سلمته

---

(1) جاويش: تركية فى الأصل وينطقه الأتراك جاوُش بضم الواو، أما العامة فى مصر تنطقه شاويش، وكان قديمًا كالحاجب عند الحكام، ثم خُصص فى النظام الحديث بمن فوق الأنباشى (وكيل العريف). أحمد تيمور، المرجع السابق، ص٥٥.

(2) ويذكر يوسف صديق فى مذكراته أنه لم يندم على فعل شيء فى تلك الليلة سوى على إطلاقة الرصاص على قدم الجاويش، حيث كان ينفذ أوامر قيادته بكل إخلاص وهذه شجاعة منه، وحزن كثيرًا عندما علم أنه توفى فهو أراد إصابته ليفسح له الطريق ليس أن يقتله. فقد مات لفقده الكثير من الدماء نتيجة هذه الإصابة. وهو الأنباشى" عطية السيد دراج" من نهطاى بمحافظة الغربية. وكانت خدمته هى حرس مبنى الرئاسة.عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(3) نفس المرجع، ص ١١٧؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص ٤٢.

لليوزباشى عبد المجيد شديد ومعه الضباط الآخرون ليتم وضعهم فى المعتقل. ووجد البكباشى يوسف صديق على باب القيادة القائمقام أحمد شوقى فى ملابسه الرسمية ومعه كتيبة متطوعين للعمل معهم[1].

بذلك انتهى الاجتماع، ورغم وجود ما يقُرب من ٢٠ جنديًا تحت قيادة الصاغ حسن الدسوقى، فإنه فى حاجة لمزيد من الجنود لرد أى اشتباك محتمل، هذا بعد أن علم أن جناحى الخطة الفصيلتين الأولى والثالثة قد قاما باعتقال عدد كبير من ضباط الجيش وضباط الشرطة الذين كانوا فى طريقهم إلى العمل لإجهاض الحركة. ويستطرد يوسف على ذكر الخطة: "رغم أننى مذاكر كويس وأعرف أن الخطة- أى خطة- مهما كانت بسيطة يجب أن يكون لها احتياطى" ليقابل أى احتمال مفاجئ من الطريق الرابع كما تقول الكتب العسكرية، وبالرغم من أننى تذكرت ثروت عكاشة فى غير مناسبة فى تلك الليلة بسبب كثرة تساؤلاته واستيضاحاته فى ليلة التعارف التى تمت فى منزل السيد حسين الشافعى تجنبًا للوقوع أمام خطر" الطريق الرابع"على الرغم من ذلك كله فإننى لم أجعل لهذه الخطة احتياطيًا. ولم يكن ذلك بجهل بفائدة الاحتياطى وإنما لفقر فى القوة وما فرضته الظروف[2].

قام البكباشى يوسف صديق باستخدام الأسرى الذين تم اعتقالهم من قبل قواته، وأمر باطلاق سراحهم وتوزيع السلاح عليهم مرة أخرى، وهذا بعد أن قام جاويش من الشرطة العسكرية بالحديث إلى يوسف صديق فى غضب واحتجاج طالبًا منه أن يفهم ماذا يحدث، ومن ثم يشاركونه فى العمل وتم توزيع مهام الحراسة عليهم. فكان يوسف يشعر أن قوته فى حاجة إلى المزيد. فى هذه اللحظة جاء إليه رسول من الفصيلة الأولى ليخبره بأن ضابطًا برتبة صاغ ومعه قوة يطلب مقابلته فورًا، فسمح له بالدخول وأخبره الصاغ أنه صدرت إليه

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١١٧؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٤٣. هذا وقد ذكر يوسف صديق أنه كان لا يعلم من قبل أن القائمقام أحمد شوقى من الضباط الأحرار. انظر ملحق رقم (١٢) صفحة رقم ٤٣ من مذكرات يوسف صديق غير المنشورة ؛ محضر النقاش السابق، مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥.

(٢) المرجع السابق، ص١١٨. يوسف صديق، المصدر السابق، فى الطرف المقابل للصفحة رقم ٤٣.

أوامر تليفونية من أركان حرب القيادة العامة بأن يحضر على رأس قوة من خمسين جنديًا مسلحين بالبنادق، وأنه سيتلقى الأوامر عند ذهابه إلى مبنى القيادة[1][2]. فقام البكباشي يوسف صديق بتوزيعهم على مهام الحراسة، وبذلك زادت قوته[3]

شعر يوسف صديق بالإجهاد؛ لأنه كان ينزف في تلك الليلة، وقد أوقفت الحقنة النزيف، وجعلته يَشعُر بالراحة بعض الشيء لكنه كان يتصبب عرقًا من جسده وملابسه، فشعر بحاجته للراحة حتى لا يؤثر ذلك على النزيف الذى يُهدد رئته. فاتكأ على الدرج الحجرى الذى يتصدر مبنى القيادة فى مواجهته، وجلس بجانبه الصاغ حسن الدسوقى، وقد ذكر يوسف فى مذكراته أنه للمرة الأولى يعلم من الدسوقى أنه قد تحرك ساعة مبكرًا. ويستطرد يوسف قائلًا: لقد كان الضابط زغلول الذى أبلغنى بساعة الصفر يرافقنى، ويعلم تمامًا أن التقدم فى الوقت خطر كالتأخير تمامًا لا سيما إذا كان بوقت طويل. ومع ذلك فإنه حضرنى وأنا أجمع ضباطى قبل انتصاف الليل وأُصدر إليهم أوامرى، ثم رآنى وأنا استولى على اللوارى وأضع جنودى فيها عقب خطبتى فيهم وإطلاعهم على العمل ولم يحرك ساكنًا. ولم يعترض على هذا التبكير[4].

كُل هذا جعله يعتقد أنه يتصرف وفقًا للخطة الموضوعة، وأنه يتحرك فى الموعد المحدد. هذا وقد ختم البكباشي يوسف صديق مذكراته قائلًا:" أفقت من

---

(1) يوسف صديق، المصدر السابق، ص٤٤. والصاغ الذى حضر على رأس هذه القوة هو الصاغ الدسوقى إبراهيم ابن شقيق أم كلثوم، وكان ضابطًا نوبتجيًا فى سلاح المهمات ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢". فطين أحمد فريد، مرجع سابق، ص ٣٥٨.

(2) هذه القوة من المفترض أنها جاءت لتتلقى التعليمات لمواجهة حركة الضباط الأحرار، ولكن الصاغ كان لا يعلم شيئًا ومن أعطى له الأوامر لم يبلغه بشيء إلا الحضور وعند حضوره سيتلقى التعليمات. وقد سخّر الله كل الجنود فى تلك الليلة ليكونوا تحت قيادة البكباشي يوسف صديق الذى كان فى حاجة إلى قوات تدعمه. لذلك تحدث عن قوات الدعم هذه فى مذكراته تحت عنوان "السماء تُمطر جنودًا" .

(3) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١١٨-١١٩. يوسف صديق، المصدر السابق، ص٤٤؛ محضر النقاش السابق، مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥.

(4) نفس المرجع، ص١٢٢؛ المصدر السابق، ص٤٤-٤٥. انظر الملحق رقم (١٣) صفحة رقم ٤٥ من مذكرات يوسف صديق غير المنشورة ؛ محضر النقاش السابق.

جولتي في أحداث تلك الليلة على أزير محركات الدبابات التي كانت تعني تحرك القوات الأخرى، ولم أسمع في حياتي صوتًا أجمل وأحلى من صوت أزير المحركات العالية مع ما فيه من نشاز مزعج- وقمت ومعي حسن الدسوقي لنجلس في مكتب القيادة، ولم تمض دقائق حتى جاء حارس من الشرطة العسكرية ليخبرني بوجود ضابطين على الباب يريدانني وأن أحدهما هو البكباشي جمال عبد الناصر وأذنت لهما بالدخول- وكان في هذه المرة يرتديان الملابس العسكرية، وهكذا انتهت هذه الليلة المجيدة الخالدة (ليلة عمري)"[1].

يُلاحظ وجود اختلاف في مذكرات يوسف صديق المنشورة وغير المنشورة فيما يَخُص مسألة الملابس المدنية للبكباشي جمال والصاغ عبد الحكيم؛ حيث ذكر يوسف صديق في نسخ أخرى أشياء لم يذكرها في مذكراته المنشورة، وقد أكدتها مصادر عسكرية ومدنية من التي أرخت أحداث ليلة ٢٣يوليو، ولكنها غير موجودة في مذكرات البكباشي يوسف صديق التي كتبها عام "١٩٦٢". فقد ذكر الأستاذ لمعي المطيعي في كتابه "**هؤلاء هم رجال يوليو**" ص٧٨ ، ٧٩، أن مذكرات يوسف صديق قد خلت من ذكر الملابس المدنية. إلا أن مذكرات يوسف منصور صديق التي حققها الأستاذ عبد العظيم رمضان في ص١١١ قد أشار فيها إلى الملابس المدنية. هذا وقد قمت بالاطلاع على النسخة الأصلية التي كُتبت بخط يد البكباشي يوسف منصور صديق والموجودة لدى ابنته السيدة ليلى يوسف، تم الإشارة فيها إلى الملابس المدنية في آخر سطرين في الصفحة رقم ٣٨ وأول سطرين في الصفحة رقم ٣٩ حيث قال" وجدت بعض رجالي يحيطون برجلين يرتديان ملابس مدنية (قمصان بيضاء وبنطلونات) وتجري بينهم مشادة كلامية حامية فلما اقتربت لأتبين الوجوه في الظلام- رأيت عجبًا... فقد كان الرجلان جمال وعبد الحكيم")[2].. هذا وقد أكد الدكتور فطين أحمد فريد في كتابه" **ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" من التنظيم السري إلى سقوط فاروق**" ص٣٥٩، أنه اطلع على النسخة التي حصل عليها

---

[1] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١٢٢؛ يوسف صديق، المصدر السابق، ص٤٦. انظر ملحق رقم (١٤) الصفحة الأخيرة من مذكرات يوسف صديق غير المنشورة.

[2] انظر ملحق رقم (١٥) الجزء الأخير من الصفحة رقم ٣٨، والصفحة ٣٩ من مذكرات يوسف صديق غير المنشورة.

الأستاذ لمعي المطيعي لمذكرات يوسف صديق، وأكد أنها نفس النسخة التي اطلع عليها في لجنة الوثائق التاريخية لتأريخ ثورة ٢٣ يوليو بالقوات المسلحة. واصفًا إياها أنها نسخة مكتوبة على الآلة الكاتبة. وأنه لم يتم فيها الإشارة إلى مسألة الملابس المدنية. ولأن النسخة التي اطلعتُ عليها وحَصُلت على نسخة منها كانت بخط يد كاتبها ألا وهو يوسف صديق، فهذه النسخة هي الأقوى في أن يُنسب ما ذُكر بها إلى يوسف صديق، و أرى أن النسخة المكتوبة بالآلة الكاتبة ربما تم تحريفها فيما يَخص مسألة الملابس المدنية.

ويقول الأستاذ لمعي المطيعي:" كانت تلك رواية يوسف صديق عما قام به رجاله وما قام به الملازم أول محمد غنيم عندما اعتقل " جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر" وبهذه المناسبة أين الملازم أول محمد غنيم الآن لعل الأيام قد صنعت به خيرًا لعله يتحدث ويروى لنا هذه القصة"[1]. إذا كان يوسف صديق لم يُشر في أوراقه التي حصل على نسخة منها الأستاذ لمعي المطيعي وقام بتحقيقها ونشرها إلى مسألة الملابس المدنية، فلِمَ يتساءل الكاتب عن الملازم محمد غنيم ليروى الحقيقة؟

أما بالنسبة إلى ما ذكره يوسف صديق في مذكراته عن ليلة ٢٣ يوليو في مجلة آخر ساعة، ما يؤكد أن عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا يرتديان الملابس العسكرية وإن لم يُشِر إلى الملابس المدنية إطلاقًا، فقال في ذلك:" لم يكن الرجلان غير جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كان رجالي قد أمروا بالقبض عليهما.. حسب تعليمات عبد الناصر نفسه بالقبض على كل الرتب الكبيرة"[2]. فقد كان رد نجله اللواء حسين يوسف صديق " أن البكباشي يوسف منصور والده قد روى له قصة الملابس المدنية، وقد أكد له أن عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا يرتديان الملابس المدنية، وأن والده تلافى ذكر موضوع الملابس المدنية حتى يتم نشر المذكرات؛ لأن جمال كان في ذلك الوقت رئيسًا للجمهورية"[3]. كما أكدت لي السيدة سهير يوسف صديق إلى هذا الكلام وقالت

---

(١) لمعي المطيعي، المرجع السابق، ص٧٩.

(٢) مجلة"آخر ساعة"، العدد٤-٦١، ٢١ يوليو "١٩٦٥"؛ انظر كذلك مقابلة تمت بين الدكتور فطين أحمد فريد واللواء شرطة حسين يوسف صديق بمنزله بمصر الجديدة، السبت ٩ مارس "٢٠٠٢". فطين فريد، المرجع السابق، ص٣٦٠.

(٣) فطين فريد، المرجع السابق، ص٣٦٠.

إن هناك الكثير فسروا مسألة الملابس المدنية تفسيرًا خاطئًا بأنهما يتهربان من المسئولية، ولكن هذا غير صحيح ، ولكنهما ارتدياها حتى يتحركا بسهولة ويسر ولكى يحاولا إبلاغ باقى القوات قبل تحركهم بأن الملك على علم بالحركة، وأن القادة مجتمعون فى مبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة لاتخاذ إجراء مضاد لإجهاض حركة الجيش، وأن عبد الناصر لا يستطيع أن يُخلى مسئوليته فهو الشخص الوحيد الذى يعلم جميع الضباط الأحرار، وهو المحرك الأساسى والفعلى لهم[١]. كما ذكرت السيدة تحية زوجة جمال عبد الناصر أنه ليلة الثورة فى تمام الساعه الحادية عشرة عاد إلى المنزل، وقام بارتداء الملابس العسكرية وظننت أنه تم اعتقاله لارتدائه الملابس الرسمية حيث كان فى انتظاره ضابط[٢].

والسؤال هنا يطرح نفسه لماذا قام ضباط يوسف صديق بالقبض عليهما إذا كانا يرتديان ملابس مدنية؟!، فالتعليمات التى كانت لديهم أن يقبضوا على الضباط برتبة بكباشى فما فوق وليس على المدنيين.

فقد ذكر حسن عزت[٣]، أن يوسف صديق روى له" أنه فى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، عندما وصلت قواته إلى ميدان الإسماعيلية بمصر الجديدة، فى طريقها إلى مقر القيادة لاقتحامه. اضطر إلى التوقف عشر دقائق، حتى تحين ساعة الصفر وفجأة سمع ضجة، وحضر جنوده يمسكون بتلابيب شابين بالملابس المدنية، ذكرا أنهما كانا يتجسسان على الجنود ويسألانهم عن وحداتهم، وذهل يوسف صديق؛ لأن الشابين كانا جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر[٤].

---

(١) محضر النقاش السابق، مع السيدة سهير صديق ٢٠١٢/٥/١٠.

(٢) تحية جمال عبد الناصر، ذكريات معه، ط١، القاهرة، دار الشروق، "٢٠١١"، ص٦٥.

(٣) حسن عزت: ولد فى مدينة الأبيض بالسودان في "١٩١٩"، أكمل دراسته الثانوية فى مصر والتحق بكلية الهندسة، ثم تركها والتحق بالكلية الحربية تخرج فيها فى "١٩٣٨"، ثم تخرج فى كلية الطيران العالى، فى "١٩٤٣" أتم دراسة هندسة الطيران بالقوات الجوية وعين نائبًا لقائد سلاح الطيران، وتم إلقاء القبض عليه وعلى أنور السادات وفصلا من الجيش وحوكما بتهمة الخيانة العظمى، وأودعا فى المعتقل، عمل كبير مهندسى شركة السويس للملاحة البحرية، حاول حث السادات على رفع رسوم قناة السويس إلى ٥ مليارات دولار. اختلف مع السادات وعاد إلى أوروبا فى "١٩٧٤" للعمل كمستشار بحرى لبعض الشركات العربية والعالمية. لقراءة المزيد عنه وعن علاقاته بالضباط الأحرار، انظر حسن عزت، المصدر السابق.

(٤) تحية جمال عبد الناصر، المصدر السابق، ص٦٥. اللواء عبد المجيد شديد، محضر النقاش السابق، ٢٠١٥/٥/٥.

- رواية الصاغ جمال حماد[1].

هذا وقد ذكر أن ما كاد يوسف يصل إلى منطقة كوبرى القبة فلاحظ وجود سيارات مدرعة، ظن أنها قوة مُعادية، وكاد أن يحدث اشتباك بين القوتين لولا أن قائد هذه القوة ذكر كلمة السر "نصر" واتضح أنه من سلاح الفرسان المُخصص لمعاونة المشاة فى اقتحام مبنى رئاسة الجيش. كما أكد أن الملازم محمد متولى غنيم وهو الضابط الذى قام بإلقاء القبض على عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، عند اقترابهما من طابور كتيبة مدافع الماكينة الأولى ليلة ٢٣ يوليو، أن سبب ذلك إنما يعود إلى رؤيته له مرتديًا ملابسه العسكرية برتبة البكباشى، وكانت الأوامر الصادرة إليه من قائده يوسف صديق بالقبض على كل ضابط برتبة بكباشى فما فوق لحين أن يتضح هويته، ونظرًا لعدم معرفة الملازم بعبد الناصر فقام بتنفيذ التعليمات وألقى القبض عليه بينما طلب من الصاغ عبد الحكيم عامر الذى كان برفقته الابتعاد عن الطابور[2].

---

(١) جمال حماد:(١٩٢١-) هو اللواء أركان حرب جمال حماد من مواليد "١٩٢١" م مصرى، تخرج فى الكلية الحربية فى منتصف أبريل عام "١٩٣٩" حيث بدأ خدمته العسكرية فى السودان ثم انتقل لمنطقة القناة ثم إلى الإسكندرية فى أثناء الحرب العالمية الثانية، عمل مدرسًا لمادة التكتيك العسكرى والأسلحة فى مدرسة المشاة والكلية الحربية فى مصر بين عامى (١٩٤٢و ١٩٤٦)، انضم إلى حركة الضباط الأحرار عام "١٩٥٠" وشارك فى الإعداد لثورة يوليو عام "١٩٥٢" فى مصر وكتب بيان الثورة الأول. عُين مديرًا لمكتب القائد العام للثورة اللواء محمد نجيب ثم كلف بعد ذلك بالانتقال للعمل ملحقًا عسكريًا لمصر بين عامى (١٩٥٢ و١٩٥٧) فى كل من سوريا ولبنان والأردن والعراق. عُين محافظًا لكفر الشيخ ثم محافظًا للمنوفية وذلك بين عامى (١٩٦٥و ١٩٦٨). وضع اسمه على رأس قائمة الضباط الأحرار حينما صدر قرار جمهورى عام "١٩٧٢". أصدر كتبًا عدة عن ثورة يوليو وأسرارها حتى لقب بمؤرخ الثورة. توجد نسخة البيان الذى خطه بيده فى قاعة ٥٢ بالمتحف الحربى، وقد اطلعت عليها الكاتبة. زيارة سابقة للمتحف الحربى ٢٠١٥/٩/٩.

(٢) جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٢٦. لعل ذلك كان سبب الصوت العالى والمشادة الكلامية التى حدثت وبناء عليها ترجل يوسف صديق من سيارته ليرى سبب هذا الجدال، فوجد عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى قبضة رجاله، وربما كان الذى يرتدى قميصًا أبيض هو الصاغ عبد الحكيم عامر فهو فى تلك الأثناء كان فى إجازة مدنية وكان برفقة عبد الناصر ليلتها. انظر عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١١١.

يأتى رد اللواء جمال حماد قائلًا: لو ناقشنا هذه المسألة بموضوعية لأدركنا استحالة تصديق هذا الادعاء بأن عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا فى طريقهما إلى ألماظة للحصول من كمال الدين حسين على قوة المدفعية التى يمكن تحريكها على وجه السرعة لاقتحام مكتب رئيس هيئة أركان حرب بمبنى الرئاسة بكوبرى القبة، والقبض على القادة المجتمعين هناك قبل أن يقوموا باتخاذ الإجراءات المضادة للحركة. فهل كان عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يتصوران إمكان السماح لهما بدخول منطقة ألماظة المكتظة بمعسكرات الجيش، وبها العديد من بوابات التفتيش من خلال رجال البوليس الحربى وهما يركبان سيارة عبد الناصر الملاكى ويرتديان الملابس المدنية؟ وإذا افترضنا أنهما ارتديا الملابس العسكرية، فالفترة الزمنية التى تقع بين لقائهما قوة يوسف صديق فى مصر الجديدة ولقائهما بمجموعة الضباط الأحرار عند بوابة مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة بعد انتهاء عملية الاقتحام لم تتجاوز نصف الساعة، وقد شاهدهما جميع الضباط المتواجدين ليلتها ومنهم كاتب هذه السطور فى أثناء نزول الفريق حسين فريد من مكتبه فى طريقه إلى المعتقل بالكلية الحربية بالملابس العسكرية، فكيف تمكنا فى هذا الوقت القصير من الذهاب لارتداء الملابس العسكرية؟!(1).

وأن هذا الزعم تدحضه شهادة ثلاثة من ضباط قوة مدافع الماكينة الذين اشتركوا مع يوسف صديق فى تلك الليلة والذين حضروا واقعة لقاء عبد الناصر وعبد الحكيم بقوتهم فى مصر الجديدة، وهؤلاء الضباط هم اليوزباشية زغلول عبد الرحمن، وعبد المجيد شديد، والملازم محمد متولى غنيم، فقد شهدوا بأن عبد الناصر وعامر كانا يرتديان الملابس العسكرية ، وقد أدلوا بشهاداتهم بعد وفاة عبد الناصر وعامر بسنوات، وأكد الملازم محمد متولى غنيم، أن عبد الناصر لو كان يرتدى ملابس مدنية لما تعرف على رتبته ولما ألقى القبض عليه(2).

---

(1) جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٢٤؛ انظر كذلك عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص١٣٣؛ انظر كذلك جمال حماد ، الأهرام، ١٩٩٠/٧/٢٣، ص٧.

(2) هذا ما أكده اللواء عبد المجيد شديد للباحثة، محضر النقاش السابق، ٢٠١/٥/٥.

ويَذكُر اللواء جمال حماد أن يوسف صديق اعترف فى حديث لـه فى مجلة المصـور فى العدد ٢٦٥٠ الصـادر فى ٢٥ يوليو "١٩٧٥" بـأن عبد الناصـر وعامر حينما التقيا بقوته ليلة ٢٣ يوليو كانا يرتديان الملابس العسكرية[١]. إلا أنه فى ذلك التاريخ كان يوسف صديق قد توفى، فقد وافته المنية فى ٣١ مـارس "١٩٧٥". أى قبل صدور هذا العدد.

وتبقى ليوسف صديق فى قصيدته الشهيرة "فرعون" التى أكد فيها ارتداء عبد الناصر وعامر الملابس المدنية فى الأبيات من الثامن حتى العاشر يقول[٢]:

فقـد كنت مختفيًا فـى ثـياب   تباعـد عنـك مثار الظنون

ولـما وقعت وعبـد الحكيم   بـأسر رجالى ومـا يعلمـون

فأنقذت روحيكما من هلاك   ورحت بنفسى ألاقى المنون.

- رواية اليوزباشى محسن عبد الخالق[٣]:

هذا وقد ذكر أن وحداتـه كانـت أول الوحـدات التـى تحركـت عقب استيلاء يوسف صديق على مبنى قيادة الجيش، كما أنه قد شاهد عبد الناصـر بملابسـه

---

(١) جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٢) يوسف صديق،"ضعوا الأقلام"، ص٤٧-٥١. كتبها أثناء فترة اعتقاله بالسجن الحربى فى يونيه "١٩٥٤". هنا اتهام صريح من يوسف صديق لجمال عبد الناصر بأنه كان يقصد التخفى للتهرب من المسئولية، وحتى إن كان عبد الناصر يرتدى الملابس المدنية فهو لا يمكنـه أن يتهرب منهـا فجميـع الضـباط الأحـرار لا يعرفـون غيـره فهـو المـنظم لتنظـيم الضباط الأحرار، وعبد الناصر يعلم جيدًا بأنه لا مفر لـه من التهرب من المسئولية. واتهـام يوسـف صـديق لجمـال عبـد الناصـر بأنـه قصـد التهـرب مـن المسـئولية يرجـع لخصومته مع عبد الناصر حيث إنه كتب هذه القصيدة عقب اعتقاله.

(٣) محسن عبد الخالق: هو أحد الضباط الأحرار وكان فى سلاح المدفعية برتبة يوزباشى وقد شارك فى الانقلاب ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، وقد حصل على نجمة فؤاد الأول "١٩٤٨"، وقد كانت هناك صلة صداقة وثيقة بينه وبين عبد الناصر وقد اختلف مع عبد الناصر حول قضية الديمقراطية، ورغم صداقته مع عبد الناصر فقام عبد الناصر باعتقاله فى أحداث ١٩٥٤، وحكم عليه ب ١٥ سنة سَجْنًا، وقد أشرف على إعداد قائمة الضباط الأحرار بعد تولى السادات الحكم ثم أصبح سفيرًا ووزيرًا مفوضًا فى بريطانيا واليابان حيث كان وقتها سفير مصر فى طوكيو منذ عام "١٩٧٣" حتى أوائل عام "١٩٧٩". توفى ٢١ فبراير "٢٠١٤". محمـود فوزى،"الضـباط الأحـرار يتحـدثون"، القـاهرة، مكتبـة مـدبولى، "١٩٥٠"، ص ١٥٧ ،١٥٩، ١٦٠-١٦١ ؛ الأهرام ، العدد ٤٦٧٣٦، ٢٠١٢/١١/٢١.

الرسمية ولا يظن أنه كان يضع الملابس العسكرية فى السيارة، ولربما من روى هذه القصة قد رآهم فى الساعة التاسعة مساءً أو العاشرة بالملابس المدنية وذلك قبل ساعة الصفر[1].

- رواية البكباشى جمال عبد الناصر.

قام عبد الناصر بذكر هذه الواقعة بالتفاصيل فى خطابه بمناسبة العيد العاشر للثورة، أنه عندما تسرب موعد الحركة إلى السلطات العليا لم يعلم عبد الناصر بذلك إلا قبل منتصف الليل، فيؤكد أنه عندما ذهب إليه أحد الضباط الأحرار الذين كانوا فى المخابرات فى منزله وأخبره بأن أمر الحركة قد انكشف، وأن الملك فى الإسكندرية علم بالأمر، وقام بالاتصال بقائد الجيش وطلب منه عقد مؤتمر لكبار الضباط فى كوبرى القبة. وبهذا كان يتحتم عليهم إلغاء كل شيء. لكن الضباط قد وصلوا إلى وحداتهم، وكان لا بد أن تستمر العملية حتى النهاية، فالعجلة قد دارت ولن يستطيع أحد أن يوقفها على حد قول عبد الناصر، فقام عبد الناصر بالتفكير سريعًا فى ضرورة تعديل الخطة وانتهاز فرصة تجمع القادة بكوبرى القبة، والقيام باقتحام المبنى واعتقالهم دون انتظار ساعة الصفر. أسرع عبد الناصر إلى منزل عبد الحكيم عامر بالعباسية، واتجه تفكيره أن أقرب المعسكرات هو معسكر الكتيبة ١٣م بالعباسية ، التى خصص لها الدور الأكبر فى تحركات المشاة بالخطة لكنهما لم يتمكنا من دخول المعسكر فقد شاهدا قوة من البوليس الحربى تحتل البوابة الرئيسة، مما جعلهما يعدلان عن هذه الفكرة خشية وقوعهما فى الأسر. وفكر عبد الناصر أن يتجه إلى كمال الدين حسين فى ألماظة ليحصلا منه على قوات من المدفعية لتنفيذ فكرة الهجوم على مبنى رئاسة الجيش[2][3].

---

(1) طارق حبيب، المرجع السابق، ص ٤٩.؛ محسن عبد الخالق، مذكراته غير المنشورة.

(2) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الرابع فبراير "١٩٦٢" إلى يونية "١٩٦٤"، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات، "١٩٦٤"، ص ١٨٩.

(3) كان يُمكنهم أن يذهبا إلى سلاح الفرسان فكان فى طريقهما بين مصر الجديدة وألماظة ولم تكن تبعد عن العباسية سوى كيلومترين، وكانت بوابة سلاح الفرسان تواجه مبنى رئاسة الجيش مباشرة حيث مكتب الفريق حسين فريد وكان القادة مجتمعين به، وكان جميع الضباط داخل ثكناتهم على أتم استعداد للتحرك فى ساعة الصفر. لكنهما لم يفكرا بهذا

لكن شاءت الأقدار أن يغفل عبد الناصر وعامر عن الذهاب إلى سلاح الفرسان، وأن يواصلا السير فى اتجاه مصر الجديدة وبدلًا من أن يقابلا كمال الدين حسين كما كان هدفهما، التقيا صدفة وفى ظروف عجيبة بطابور طويل من العربات، وأيقن عبد الناصر أن هذا الطابور من القوات التى أمر الفريق حسين فريد بتحريكها لضرب حركتهم، حيث إن ساعة الصفر التى مقدر أن تتحرك فيها قوات الضباط الأحرار لم تحن بعد وأمامها ما يقرب من نصف ساعة، كما أن على رأس الطابور يوجد سيارة تحمل علم القيادة وداخلها قائدان يرتديان الكابات الحمراء، فاقترب عبد الناصر وزميله خطوات من الطابور لاستطلاع حقيقة الأمر، فوجدا أنهما قد أسرا من قبل مجموعة من الضباط المجهولين والبنادق مشهرة فى وجهيهما، وأدركا حينها أنهما قد وقعا فى كمين محكم أعدته لهما القوات الموالية للملك، وأن الحركة فشلت، ولكن الحقيقة لم تلبث أن انكشفت لهما فقد لمحا البكباشى يوسف منصور صديق يترجل من سيارته الجيب فى أول الطابور ليخرجهما من هذه الورطة، وأخبرهما أن هذا الطابور طابور قواته من كتيبة مدافع الماكينة الأولى القادم من الهايكستب، وأن القائدين هما قائد الفرقة الثانية وقائدها الثانى وقد أسرتهما قواته أثناء التحرك[1].

واكتشف يوسف صديق للمرة الأولى أنه قد بُلغ ساعة الصفر خطأ، وأنه تحرك مُبكرًا ساعة عن الموعد وأبلغه عبد الناصر بنبأ تسرب سر الحركة إلى الملك وأعوانه، وأن الفريق حسين فريد مجتمع بكبار القادة فى مبنى رئاسة الجيش الآن. وتم الاتفاق بين عبد الناصر ويوسف صديق على أن يواصل الطابور تحركه، وتقوم قوات يوسف صديق بالاقتحام واعتقال جميع القادة المتواجدين بمكتب الفريق[2][3].

الحل مما يدل على مقدار ما أصاب تفكيرهما من اضطراب نتيجة إدراكهما لخطورة الموقف الذى تتعرض له الحركة، لا سيما عقب انكشاف أمرها للملك وكاد أن يقضى على حركتهم قبل أن تتم. جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٠٢-٢٠٤.

(١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر، المصدر السابق؛ انظر كذلك جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٠٥-٢٠٤؛ اللواء عبد المجيد شديد، محضر النقاش السابق، ٢٠١٥/٥/٥.

(٢) نفس المصدر، ص٢٠٤.

(٣) وهذه الرواية تؤكد ما ذكره البكباشى يوسف صديق فى مذكراته، ولكن هناك اختلافًا حول متى علم البكباشى يوسف منصور صديق بأنه تحرك مبكرًا عن ساعة الصفر،

- رواية الصاغ حسن الدسوقى.

أكد الصاغ حسن الدسوقى رواية البكباشى يوسف منصور صديق ليلة ثورة ٢٣ يوليو، كما ذكر أن زكريا محى الدين قد كلفه باصطحاب قوة من الكتيبة ١٣ مكونة من ٢٠ عسكريًا تحت قيادة عمر محمود على، وعند شارع الخليفة المأمون قد قابل عبد الحكيم عامر وكان يرتدى ملابسه العسكرية وقال له" أسرع عزز قوة يوسف صديق"، وفى لحظتها سمعوا صوت تبادل طلقات رصاص. ويقول الدسوقى:" أذكر أنه كان هو وزغلول عبد الرحمن ومعهما الذين قبض عليهم يوسف صديق فى طريقه لاحتلال القيادة[١]. ويستطرد الدسوقى: وهنا أحب أن أؤكد أن قوات الكتيبة ١٣ التى كانت معى هى أول قوة وصلت عقب اقتحام يوسف صديق لقيادة الجيش، وأن انضمام أى قوات أخرى كان عقب استيلائهم تمامًا على القيادة[٢].

والسؤال الذى يؤطر هذا النقاش يطرح نفسه على القارئ كيف تكون قوة حراسة المجمع العسكرى الذى يضم رئاسة الأركان وإدارة الجيش وإدارة

يقول فى مذكراته المنشورة، إنه علم ذلك عقب اقتحام مبنى رئاسة الجيش عندما سأل حسن الدسوقى عن سبب تأخر القوات، فأخبره أنهم لم يتأخروا وأن ساعة الصفر هى الواحدة صباحًا، ولكن عبد الناصر يذكر أنه أخبره عندما وقع أسيرًا فى أيدى رجال يوسف صديق. وإذا تتبعنا المنطق والعقل فى المقارنه بين الروايتين نجد أنه من الطبيعى أنه عندما كان حائرًا لا يعلم سبب عدم وجود القوات حتى الآن فى الأماكن المفترض وجودهم بها، وكيف تمكن اللواء مكى من الحضور ولم يعترضه أحد الضباط الأحرار، وكان يريد أن يسأل عبد المجيد شديد أين جمال حتى يسأله، فمن الطبيعى أنه عندما وجده أمامه وبين يديه بمشيئة الله أن يسأله عن كل ما دار فى خاطره منذ لحظة تحركه بقواته حتى رآه ومن الطبيعى أن يسأله سبب تحركه الآن فقد كانت قوات يوسف صديق هى القوة الوحيدة المتواجدة فى الشارع من قوات الضباط الأحرار.

(١) يوسف صديق، المصدر السابق، ص٤٣ ؛ لمعى المطيعى، هؤلاء هم رجال يوليو، ص٦٥.

(٢) مجلة أكتوبر، العدد ٩٨٠، ١٩٩٥/٨/٦، ص ٤٢ ؛ مقابلة تمت بين الدكتور فطين أحمد فريد والصاغ حسن الدسوقى بمنزل الأخير، بالمنيل، السبت ٢ /٢٠٠٢/٣. فطين فريد، المرجع السابق، ص٣٧٢.

العمليات وإدارة المخابرات وغيرها مسئولة من سبعة أفراد فقط لا سيما فى تلك الليلة التى ترددت فيها على المبنى قيادات الأسلحة للاجتماع برئيس الأركان[1]؟ ومن ثم كيف استسلم مائة وعشرون من أفراد البوليس الحربى لقوة تمثل ثلث قوتهم بمجرد إطلاق بعض الأعيرة النارية ؟ حتى عقب انضمام السرية التى عززت قوة البكباشى يوسف صديق، وكانت تتألف كذلك من عشرين آخرين، وكيف تُترك البوابة الحديدية للقيادة مفتوحة فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل[2]؟ كل هذه الأسئلة نجد تفسيرًا لها حين نقابلها بالرواية الآتية، بالإضافة إلى قراءة الأسباب التى أدت إلى نجاح الثورة.

- رواية الصاغ صلاح السيد.

كانت رواية الصاغ صلاح السيد على أركان حرب إدارة الجيش التى كانت تحتل الطابق الأرضى من المبنى: وصلت القوة المتحركة (سرية يوسف صديق) ودخلت شارع الخليفة المأمون ومرت أمام مبنى رئاسة الجيش ثم انحرفت يمينًا فى الشارع الجانبى الذى يصل إلى كوبرى السيوفى بين رئاسة الجيش والمنطقة العسكرية، وأُنزلت القوات فى هذا الشارع وشكلت تشكيل الهجوم على المبنى من الباب الخلفى الخشبى تحاشيًا البوابة الحديدية الرئيسة، وكانت القوة الداخلية للرئاسة تتألف من ١٥٠ صفًا عسكريًا، وكان الضابط العظيم فى تلك الليلة هو البكباشى حسن سرى قد أصدر إلى أقدم الرتب وهو الجاويش مصطفى العدلى أن يتخذ مواقعه للدفاع فأخذ نحو ٦٠ من أفراد القوة واحتل أسطح الغرف الخلفية للمبنى التى يُمكن منها الإشراف على الشارع وتكون بمثابة مواقع حاكمة[3].

---

[1] الحراسة التى تتألف فى سبعة أفراد من الجنود هو العدد الذى توقع وجوده البكباشى يوسف صديق، عندما قرر أنه عند ذهابه إلى مبنى القيادة يقوم باحتلالها إذا وجدها لم تُحتل، وهذا قبل أن يقابل جمال عبد الناصر ويعلم منه أن أمر الحركة قد انكشف وأن القادة مجتمعون هناك لاتخاذ إجراءات مضادة، لكن هذا لم يُغيرمن الأمر شيئًا سوى أن يوسف حاول أن يجعل قوته لا تتعرض للاشتباك مع حرس البوابة الرئيسة، فضلًا عن أن خطته كانت تستهدف الدخول من الباب الخلفى.

[2] أحمد عطية الله، المرجع السابق، ص٢٠٤.

[3] أحمد عطية، المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢٠٥.

وكانت المسافة بين أول كوبرى السيوفى والبوابة الخشبية نحو ٣٠٠م، لهذا لم تصل القوة المهاجمة إلى البوابة الخشبية عندما بدأ تبادل إطلاق النار، وكانت القوة المهاجمة هى من بدأت مما دعا القوات المحاصرة للرد عليها، وعقب مرور ربع ساعة من الاشتباك أصيب أحد أفراد القوة المهاجمة، فتوقف إطلاق الرصاص ؛ إذ كانت لإصابته تأثير شديد على القوة المهاجمة، وفى تلك الأثناء ظهر محمد شوقى حكمدار خدمات رئاسة الجيش فى تلك الليلة، وأمر بوقف إطلاق النار دون الرجوع فى ذلك إلى الضابط العظيم، على أثر ذلك تمكنت القوة المهاجمة من الاندفاع واقتحام الباب الخشبى والدخول إلى فناء القيادة[1].

ويستطرد صلاح السيد: على الفور اندفع البكباشى يوسف صديق ومعه حسن الدسوقى ومحمود عباس إلى السلم الخلفى وارتقوه إلى الدور العلوى صوب مكتب الفريق حسين فريد، وعقب تفتيش الدور تأكد لهم أنه لا يوجد به سوى الفريق حسين فريد ومعه حسن سرى والقائمقام عبد العزيز فتحى فى الغرفة المجاورة، وفى أثناء صعودهم اعترض طريقهم الأنباشى عطية السيد فأصابه البكباشى يوسف صديق إصابة قاتلة. ويذكر صلاح السيد أن اقتحام القيادة ما كان ليتم لولا تدخل الصول شوقى، الذى أمر قوات الرئاسة والتى كانت تقدر بـ ٦٠ فردًا فى أعلى المبنى[2] بوقف ضرب النار دون الرجوع لقائده.

- رواية الصاغ صلاح محمد نصر.

وتمضى رواية قائد الكتيبة الثالثة عشرة فيذكر أنه انتهى إلى مبنى القيادة، الذى سبق وأن استولى عليه البكباشى يوسف صديق فيقول:" كادت تشتبك قوات الثورة مع بعضها ، إذ تحرك البكباشى يوسف صديق بقواته من الهايكستب ووصل قبل الموعد المتفق عليه، وقابل عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فتحركا معه إلى مبنى رئاسة الجيش، وكان اليوزباشى عمر محمود على من الكتيبة الثالثة عشرة قد وصل فى موعده فوجد قوات يوسف صديق تقف

(١) نفس المرجع، ص٢٠٥.
(٢) نفس المرجع، ص٢٠٥-٢٠٦.

عند بوابة مبنى رئاسة الجيش، وظن أنها قوات معادية، فأمر جنوده بتعمير بنادقهم والاستعداد لإطلاق النار. وأنقذ الموقف ظهور عبد الحكيم عامر الذى يعرف عمر محمود. فانضمت القوتان لاقتحام المبنى[1].

- رواية الصاغ خالد محى الدين.

يقول خالد محى الدين:" يوسف صديق على أبواب مقر قيادة الجيش، فقد اقتحم بقوة الدور الأرضى وقام بتفتيشه ولم يكن به أحد، وأرادوا الصعود للطابق الثانى فاعترضه جندى برتبة جاويش وحاول منعهم من الصعود، حذره يوسف فلم يستسلم فأخرج مسدسه وأطلق طلقة على ساقه، وصعد هو وجنوده محاولًا فتح باب رئيس الأركان لكن الباب كان مغلقًا، وكان البعض من الداخل يحاول منعهم من فتحه، أمر يوسف جنوده بإطلاق رصاصهم على الباب، واقتحموا الغرفة ليجدوا حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش واللواء حمدى هيبة وضابطًا آخر. جلس يوسف صديق على مقعد رئيس أركان حرب الجيش، وبدأ يصدر من هناك الأوامر. لعل جلسته هذه كانت تعنى الكثير، صحيح أنها لم تكن تعنى أننا قد نجحنا فعلًا، وإنما كانت تعنى على الأقل أن أخطر مركز للسلطة قد سقط فى أيدينا، لم يعد فى القاهرة مركز آخر يستطيع أن يعطى أوامر مضادة لحركتنا". ويستطرد خالد محى الدين: وبهذا يمكن القول إن يوسف صديق حقق عملًا تاريخيًا مهمًا، أسهم بشكل كبير ومباشر فى إنجاح حركتنا.. وقد كانت شجاعته الحاسمة والآسرة فى آن معًا عاملًا من عوامل نجاحنا[2]. لولا هذه الساعة التى بكرها البكباشى يوسف صديق لتمكن قادة الأسلحة من التوجه إلى مراكز الأسلحة وإفساد الحركة، ذلك لأن الجنود كانوا سيقومون بتنفيذ أوامر قائد السلاح، ويمتنعون عن تنفيذ أوامر مرؤوسيهم من الشباب[3].

---

(1) صلاح نصر، المصدر السابق، ص٨٩ ؛ محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ج١، ص٩٠-٨٩.

(2) خالد محى الدين، المصدر السابق، ص١٥٠-١٥١.

(3) أحمد أبو الفتوح، المرجع السابق، ص١٢١.

ويستطرد خالد محى الدين: فإن أى محاولة للتقليل من دور يوسف صديق، فإنها محاولة محكوم عليها بالفشل. تتعدد الروايات وتختلف التفاصيل ولكن الحقيقة الباقية أن يوسف صديق هو الذى اقتحم مبنى قيادة الجيش، وقبض على الفريق حسين رئيس الأركان وجلس على مكتبه. وهذه الحقيقة لم يكذبها أحد طوال حياة يوسف صديق، فقد تختلف التفاصيل حولها أما الحقيقة فهى واضحة وصريحة[١].

- رواية الصاغ أنور السادات.

كانت أكثر الروايات غرابة وبعدًا عن الحقيقة؛ حيث إنه ذكر دور عبد الحكيم عامر فى اقتحام مبنى قيادة الجيش، تحت عنوان البطل الصامت فى مذكراته التى نشرها بكتاب قصة الثورة كاملة، وما ذكره لا يحتاج إلى عناء كبير لإثبات مدى بعده عن الحقيقة، إذ يكفى إغفاله لاسم يوسف صديق وطمس معالم دوره طمسًا تامًا رغم ما يعلمه الجميع من أنه هو قائد عملية الاقتحام وبطلها دون منازع. وذكر أن عبد المجيد شديد هو الذى جاء على رأس القوة من تلقاء نفسه وقبل موعد الحركة بساعة، والذى يلفت الانتباه أنه ينسب إلى عبد الحكيم عامر بطولة ليست من حقه إذ كيف يرضى أن يكتب أنه هو قائد المعركة، وأنه هو الذى اقتحم مبنى القيادة واعتقل حسين فريد والقادة الذين معه. فى الوقت الذى كان فيه عبد الحكيم عامر يعلم أنه لم يشترك فى الاقتحام إطلاقًا، حيث إنه كان يقف مع عبد الناصر يراقبان الموقف من موقع مجاور لمبنى رئاسة الجيش. كما أن عبد الحكيم عامر لم يكن يحمل مسدسًا فى تلك الليلة، فقد كان مسدسه فى مخزن السلاح برئاسة الفرقة الأولى برفح التى كان يعمل بها، وكان فى القاهرة وقتئذٍ فى إجازة ميدان[٢].

---

[١] جريدة الأهالى، ١٩٩٩/٧/٢٧، ص٧.

[٢] جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٣٢-٢٣٣؛ انظر كذلك محمد أنور السادات، قصة الثورة كاملة، ٧٣-٧٤. كما أن عبد المجيد شديد نفسه أكد صحة ما ذكره البكباشى يوسف صديق عن أحداث تلك الليلة. محضر النقاش السابق، ٢٠١٥/٥/٥.

- **رواية اليوزباشى عبد المجيد شديد.**

كان واحدًا ممن اشتركوا فى أحداث ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، وكان مع البكباشى يوسف صديق فى مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة، وقد كان أركان حرب هذه المقدمة يقول:" الحقيقة إن يوسف صديق كان يعانى نزيفًا حادًا، عندما التقيته فى مصر الجديدة بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو "١٩٥٢"، لنتوجه معًا إلى المعسكر لنخرج بقواتنا لنقوم بدورنا فى أحداث الثورة، فذهبت معه إلى صيدلية فى ميدان سفير وقام الصيدلى بحقنه، فتحسنت حالته، وتمكن من القيام بدوره التاريخى فى ثورة ٢٣ يوليو. وفيما يتصل بساعة الصفر وهو ما يقتضى التوضيح حيث يمس خطة الثورة وقادتها وبعض ضباطها، وقد أبلغنا زغلول عبد الرحمن أن ساعة الصفر هى منتصف الليل فتحركنا فى الموعد تمامًا، ومعنا زغلول عبد الرحمن، وعندما التقينا جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر عند الكوربة فى مصر الجديدة علمنا أن ساعة الصفر هى الواحدة صباحًا؛ أى بعد ساعة من تحركنا، وتبين للجميع أن هذا الخطأ فى التوقيت قد أنقذ الثورة إذ إن الأمر قد انكشف للسراى وأن اللواء حسين فريد، رئيس هيئة أركان حرب الجيش، يعقد اجتماعًا لقادة الجيش فى مكتبه بكوبرى القبة، وتم الاتفاق على أن تقوم قواتنا برئاسة يوسف صديق بالهجوم على رئاسة الجيش والاستيلاء عليها واعتقال القيادات التى تحضر الاجتماع"[1].

- **رواية اللواء محمد نجيب.**

يقول اللواء محمد نجيب فى مذكراته:" لم تمضِ دقائق حتى علا رنين التليفون واستبدت بى الإثارة، فقد خامرنى يقين بأن اللحظة الحاسمة التى كنت أترقبها قد حانت وأمسكت التليفون.. فقد طرق سمعى صوت الصاغ جمال حماد وهو يهنئنى بنجاح المرحلة الأولى للخطة، وإتمام احتلال القيادة العامة للقوات المسلحة. كان الصاغ جمال حماد أركان حرب بسلاح المشاة وأحد الضباط الأحرار المسئولين عن تنفيذ خطة الثورة.. أبلغنى جمال حماد وقتئذ أنه

---

[1] مجلة الوادى، ١/١٠/ ١٩٨٢، ص٩. ردًا على العدد الصادر فى أغسطس "١٩٨٢" الذى نُشر فيه تحقيق صحفى للأستاذ حمدى لطفى عن أحداث ليلة ثورة ٢٣ يوليو.

سيرسل لى ثلاث عربات لإحضارى من المنزل ولكنى أخبرته بأنه لا داع لذلك فإننى سأركب فورًا عربتى الأوبل الصغيرة التى يقودها سائقى الخاص توفيرًا للوقت. وصلت كوبرى القبة وهناك تلقانى بعض ضباط الثورة وانتقلت من عربتى إلى عربة جيب دخلت بها مركز قيادة الجيش. ولم أجد حسين فريد فى مكتبه وإنما وجدت ضباط الثورة ينصتون وقوفًا للبكباشى يوسف صديق الذى كانت قواته القادمة من الهايكستب فى ضواحى القاهرة البعيدة- هى أول قوات تحتل القيادة وتعتقل اللواء حسين فريد وتنقله إلى معسكر الاعتقال فى الكلية الحربية المواجهة لها. وكانت لحظات عامرة بالحب والثقة، كل ضابط يهنئ زميله ويقبله والبشر يملأ الوجوه رغم ليلة طويلة بلا نوم[1]."

ويستطرد يوسف صديق فى مذكراته: هكذا رأيت أن الله سبحانه وتعالى قد تولى تصحيح تدبير الأحرار وتدبيرى، وكان تدبيره وحده هو الذى يتم وأننا لم نكن سوى أدوات تتحرك لتنفيذ هذا، تدبير مدبر الأمر العزيز الحكيم. كما أنه اعترف أن كل النجاح الذى صادفه الضباط الأحرار تلك الليلة إنما جاء نتيجة خطأ، قد وقعوا فيه[2]:

الخطأ الأول: خروج ساعة قبل الموعد المحدد، فالخطة العسكرية توضع متماسكة ومتكاملة، وخروج قوة قبل الموعد يعرضها لأخطاء جسيمة مثله مثل التأخير تمامًا.

الخطأ الثانى: هو نزول الجنود بحماس من اللوارى عند نقطة إصدار الأوامر، بما فيهم الفصيلة الأولى وفقًا للخطة التى وضعها يوسف، فقد أراد أن تصل الفصيلة الأولى باللورى خلف مبنى القيادة لتجنب الاشتباك مع حرس القيادة، فنزولهم دون أمر منى خطأ، حيث إن كل شىء فى الجندية بالأوامر. كما يقر أن طبيعة الأمر تقول بأن الخطأ يصل إلى الفشل، إلا أن أحداث تلك الليلة أوضحت أن الخطأ لم يوصلنا إلا إلى النجاح، بل إنه كان الحل الوحيد الذى بُنى عليه النجاح.ويستطرد قائلًا:" هكذا كان الله وحده هو الذى دبر وقدر فى هذه الليلة التى لا أغالى حين أسميها(ليلة عمرى)، وكيف لا تكون ليلة

---

[1] محمد نجيب، "كلمتى للتاريخ"، ص٤٢-٤٣.

[2] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١٢٢-١٢٣.

عمرى ليلة قضيتها مع الله وكنت فى طاعته ورضاه؟"[١]. كانت هذه الكلمات هى ختام مذكرات أوراق البكباشى يوسف صديق، ولم يكتب كلمة أخرى سوى أحداث تلك الليلة، ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢". فقد تقلبت بهم الأقدار فتحولت قوته من قوة مشاركة فقط إلى أن تكون هى القوة الأساسية التى تعتمد عليها الثورة، وأصبحت الكتيبة الثالثة عشرة هى المساندة لقوة مقدمة كتيبة مدافع ماكينة[٢].

عقب الاستيلاء على مبنى قيادة الجيش، بدأ تنفيذ الخطة المرسومة، وقام رجال الجيش بسد الطريق بين العباسية من أول شارع الخليفة المأمون حتى شارع منشية البكرى، ومعهم الدبابات والمصفحات والمدافع، وقاموا بحصار هذه المنطقة، وكان الضباط الأحرار فى طريق مصر الجديدة يتحققون من الشخصيات التى تريد المرور، ولم يسمحوا بالمرور لأحد من المدنيين، أما الضباط فكان يتم اعتقال من لم يكن مواليًا لحركتهم. وأرسلت قيادة الثورة عدة قوات إلى أماكن مختلفة للاستيلاء عليها، فحاصرت إحداها سلاح الحدود، وحاصرت قوة أخرى المطارات، واحتلت سرايا من الجيش حديقة الأزبكية والمرافق العامة بالمدينة مثل محطة مصر، ومصلحة التلغرافات والتليفونات، والكبارى المهمة عند مداخل العاصمة. وسارت فصائل أخرى إلى بعض الميادين العامة فى العاصمة فعسكرت فيها، وبذلك سيطر الضباط الأحرار على العاصمة فى مختلف نواحيها[٣].

جلس المجتمعون من ضباط الحركة فى غرفة رئيس الأركان السابق، يستمعون إلى البيان الأول، وكان اللواء نجيب يجلس على مكتب الفريق وحوله عدد من الضباط الأحرار منهم البكباشى يوسف منصور صديق وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر[٤]، غير أن صوت المذيع العسكرى كان متعثرًا ولم

---

[١] نفس المرجع، ص ١٢٢-١٢٣.

[٢] لمعى المطيعى، المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.

[٣] عبد الرحمن الرافعى، ثورة ٢٣يوليو سنة "١٩٥٢"- تاريخنا القومى فى سبع سنوات (١٩٥٢-١٩٥٩)، ص٣٠. ملحق رقم (١٦) يوسف صديق بجانب اللواء محمد نجيب أثناء إصداره للأوامر من خلال التليفون.

[٤] هناك صورة تذكارية أثناء جلوسهم فى مكتب الفريق حسين فريق. ملحق رقم(١٧) صورة تجمع مجلس قيادة الثورة ويوسف صديق بمكتب رئيس أركان الجيش حسين فريد صباح يوم ٢٣ يولية "١٩٥٢".

يترك أثرًا مقبولًا على آذان المستمعين، فطلب اللواء محمد نجيب أن يتولى قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى أو البكباشى أنور السادات إعادة إذاعة البيان بلغة رصينة[1]. وتم إذاعة البيان الأول للثورة بصوت البكباشى أنور السادات بلسان القائد العام للقوات المسلحة فى تمام الساعة السابعة والنصف من صباح يوم الأربعاء ٢٣ يوليو[2]. وكان لهذا البيان الذى أصدرته حركة الجيش أعظم الأثر فى نفوس الشعب المصرى، ومن أقبل على الاستماع لهذا البيان الذى أذيع مرات عديدة، وكأنه يستمع إلى تغريدة جميلة لا يمل ولا يكل من سماعها[3].

وقد استمعت أسرة البكباشى يوسف منصور صديق لهذا البيان، وكانوا لا يعلمون بأمر الانقلاب الذى شارك فيه والدهم، بل كان السبب فى نجاحه ليس بالمشاركة فقط. وفى ليلة ٢٣ يوليو ذهب يوسف صديق إلى منزله بحلمية الزيتون للاطمئنان على أسرته ويعطى زوجته بعض النقود، ولاحظت زوجته أنه كان فى حالة انفعال شديد، فسألته ماذا بك هل أنت ذاهب لفتح عكا؟ وكان قد نزل على السلم فعاد إليها وسألها بتعجب عما قالته؟ فهى لم تكن تعلم شيئًا عن الأمر فأعادت ما قالت فأجابها نعم سأفتحها ثم تركها وانصرف. وفى صباح اليوم التالى طلبت زوجة اللواء محمد نجيب من زوجة البكباشى يوسف صديق أن تذهب لزيارتها؛ حيث كانت تجمعهما صداقة وجيرة، فعندما ذهبت سألتها زوجة محمد نجيب عن يوسف صديق، فأخبرتها أنه فى المعسكر فأخبرتها بأمر الانقلاب العسكرى والبيان الذى أذيع فى الراديو، فلم تكن زوجة يوسف صديق تعلم عنه شيئًا وعادت إلى المنزل مسرعة، وأخذوا فى الاستماع إلى البيان وأخبار حركة الجيش[4].

---

[1] طارق حبيب، المرجع السابق، ص٦١-٦٢. لقراءة المزيد حول تسلسل الأحداث بين الإسكندرية والقاهرة منذ لحظة استيلاء الضباط الأحرار على مبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة فى يوم الأربعاء ٢٣ يوليو حتى يوم السبت ٢٦ يوليو "١٩٥٢"، انظر أحمد عطية، "ليلة ٢٣ يوليو"، ص٢٢٨-٢٩٤.

[2] عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص٣٢.

[3] كمال خالد، مصر زعامة وشعبًا إلى أين؟، القاهرة، دار الاعتصام، "١٩٩١"، ص٢١٣.

[4] محضر النقاش السابق مع السيدة سهير صديق بشاليه المعمورة بالإسكندرية، ٢٠١٢/٨/١٢، الساعة ١٠ صباحًا ؛ انظر كذلك محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٤٤؛ انظر كذلك صوت الأمة، عدد٤٥٠، ٢٠٠٩/٧/٢٥، ص٩.

كان هناك عشرات الاحتمالات، دون مبالغة أن نقول إن قادة الحركة كانوا قد أعدوا لكل شيء عدته، لهذا كله لنا أن نقرر بكل ثقة بأن هناك عوامل أخرى بعضها سلبي وبعضها من خلق الظروف، وتلك الظروف كان لها الدور الأكبر في تأكيد هذا النجاح عقب مرور مائة ساعة، إذ كان استيلاء سرية على مقر رئاسة أركان الحرب له الأثر البالغ. في خلال مائة ساعة تغير الحال ما بين استيلاء سرية تتألف من ستين رجلًا على مقر الرئاسة في القاهرة، وبين تَحرُك اليخت الملكي المحروسة حاملًا الملك فاروق إلى منفاه الاختياري، وحينئذٍ كان البيان الذي أُذيعَ في صباح يوم ٢٣ يوليو قد فاجأ الأسماع عقب اختراق حاجز الرقابة الذي فرضته الأحكام العرفية وفرضها قانون أبناء القصر.

بدأ تحرك القوات للإسكندرية وقد تألفت من : القائمقام أحمد شوقي قائد الكتيبة ١٣ مشاة التي أدت دورًا بارزًا ليلة الحركة ليقود المشاة، والبكباشي يوسف منصور صديق قائدًا لمدافع الماكينة، والبكباشي حسين الشافعي قائدًا للمدرعات، والبكباشي عبد المنعم أمين(١٩٣٢ـ ١٩٧٨)[1] قائدًا للمدفعية.

---

(1) عبد المنعم أمين: ولد بمحافظة الشرقية والتحق بالكلية الحربية عام "١٩٣٢"، اتسم بالشجاعة والذكاء وحب الفقراء والعطف عليهم، وقد شغل منصب مدير مدرسة المدفعية، قام كمال الدين حسين بضمه إلى الضباط الأحرار "١٩٥٠". كانت رتبته قائد أسراب أثناء قيام الثورة، تولى قيادة سلاح الفرسان وكان رئيس الحدود. تم ضمه إلى عضوية مجلس قيادة الثورة نظرًا للدور الذي لعبه في توطيد العلاقات المصرية الأمريكية في تاريخها المعاصر مرتين: الأولى باتصاله المباشر بعد قيام الثورة بالسفير الأمريكي، بل كانت المباحثات تتم في منزله وأبلغهم أن هدف هذه الثورة تنظيم مصر من الداخل وليست حربًا ضد إنجلترا، أما المرة الثانية كانت في بداية حكم السادات حيث فتح الباب على مصراعيه للسادات لتوطيد علاقته بالأمريكان في وقت كانت العلاقة بينهما على غير ما يرام. تطوع عبد المنعم أمين لرئاسة محاكمات كفر الدوار في الأيام الأولى للثورة في أعقاب مظاهرات عمال مصانع الغزل والنسيج في كفر الدوار التي انتهت بإعدام زعيمي العمال خميس والبقري. وقدم استقالته من مجلس قيادة الثورة في فبراير "١٩٥٣" كما عُين محافظًا لأسوان، كان من المرشحين لتولي رئاسة الجمهورية، توفي عام "١٩٧٨". اللوحة التعريفية الخاصة به، القاهرة، المتحف الحربي، بقاعة ٥٢؛ طارق حبيب، "المرجع السابق، "١٩٩٧"، ص٧٣ـ٧٤، ٧٩ـ٨٠.

وسافر اللواء محمد نجيب ومعه البكباشى يوسف صديق وجمال سالم[1] وأنور السادات وحسين الشافعى وزكريا محى الدين بالطائرة إلى الإسكندرية[2].

كان الجميع يظن أن المفاجأة قد بلغت ذروتها، وأن الصراع فى نظر البعض هو صراع الأجيال فى الجيش، وأن النجاح والفشل لا يتعدى حدود القوات المسلحة، لا سيما وأن مسرح الأحداث كان بعيدًا عن القصر الصيفى للدولة ملكًا وحكومة، لهذا فإن المائة ساعة مع ما كانت تخفيه من شحنات متفجرة مرت فى الظاهر لينة حتى كانت المفاجأة الختامية فى يوم ٢٦ يوليو[3].

والسؤال هنا من هو صاحب فكرة تقدم البكباشى يوسف صديق لاقتحام مبنى رئاسة الجيش؟، يبدو التناقض واضحًا إذا ما عقدنا مقارنة بين ما ذكره البكباشى يوسف منصور صديق فى مذكراته، وبين ما ذكره الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبته يوم٢٣يوليو "١٩٦٢". فكل منهما قال إنه صاحب الفكرة. والحقيقة أن الاثنين صادقان فيما ذكراه، فعبد الناصر كما ذكرت سابقًا أنه كان فى طريقه إلى ألماظة بُغية الحصول على قوة لاقتحام مبنى رئاسة الجيش بكوبرى القبة، واعتقال القادة المجتمعين، وفى الوقت نفسه كان يوسف صديق متجهًا على رأس قوته إلى كوبرى القبة لتعزيز سرية الكتيبة ١٣ التى عُهد إليها بمهمة الاقتحام والاستيلاء على المبنى، أى أن هدفه المُكلف به الوصول إلى مبنى رئاسة الجيش، وقرر إذا لم يتم اقتحام المبنى من قبل الكتيبة ١٣ مشاة التى قُدر لها القيام بالدور سيقوم هو بالاقتحام[4].

ويلاحظ أن حركة يوليو اتخذت صورة الانقلاب العسكرى من حيث الإعداد السرى وتنفيذ خطتها على يد فئة من العسكريين، معتمدة على عنصر المفاجأة

---

[1] كان قد عاد من العريش يوم ٢٤ يوليو. خالد محى الدين، المصدر السابق، ص١٦٢.

[2] محمد نجيب، المصدر السابق، ص٤٧. انظر ملحق رقم (١٨) صورة تجمع القائمقام أحمد شوقى والبكباشى يوسف صديق قائدى الكتيبتين (الكتيبة ال١٣، ومقدمة مدافع ماكينة الأولى)

[3] أحمد عطية الله، المرجع السابق، ص٢٠٦، ٢٢٥.يقصد سرية مقدمة مدافع الماكينة الأولى بقيادة البكباشى يوسف منصور صديق.

[4] جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٢٧.

إلا أن نجاحها فى مرحلتها المبكرة ما بين الاستيلاء على رئاسة الأركان فى ليلة ٢٣ يوليو وخروج الملك فى مساء يوم ٢٦ يوليو، وتأييد الشعب لها واستقبال الجماهير فى الشارع لقائد الحركة وللمواكب العسكرية التى كانت موجودة فى شوارع مصر تحولت من الطابع الانقلابى إلى مرحلة الثورة[١].

وقد تحدث اللواء محمد نجيب قائد حركة الجيش ليحسم الأمر هل ما قاموا به ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" يعد ثورة أم انقلابًا ؟!، إن من يؤيد حركة الجيش ويتحمس لها يقول ثورة وكأنه يكرمهم، ومن يعارض حركتهم ويرفض ما فعله الضباط الأحرار يقول إنَّ هذا انقلاب، وكأنه يحط من قدرهم، وفى الحالتين لا يجوز أن نأخذ بمثل هذه الانفعالات العاطفية، وبعيدًا عن التعريفات والمصطلحات الأكاديمية حول الثورة والانقلاب، فقد وصف رأيه قائلًا:" إن تحركنا ليلة ٢٣ يوليو والاستيلاء على مبنى القيادة كان- فى عرفنا جميعًا- انقلابًا، وكان هذا اللفظ هو المستخدم بيننا، ولم يكن الأمر ليفزعنا؛ لأنه يعبر عن أمر واقع، وكان لفظ الانقلاب هو المستخدم فى المفاوضات والاتصالات الأولى بينى وبين رجال الحكومة ورئيسها للعودة إلى الثكنات. ثم عندما أردنا أن نخاطب الشعب وأن نكسبه فى صفوفنا، أو على الأقل نجعله لا يقف ضدنا، استخدمنا لفظ الحركة، وهو لفظ مهذب وناعم لكلمة انقلاب، كما أنه فى الوقت نفسه لفظ مائع ومطاط ليس له مثيل أو معنى واضح فى قواميس المصطلحات السياسية. وعندما شعرنا أن الجماهير تؤيدنا وتهتف بحياتنا، أضفنا لكلمة الحركة صفة المباركة، وبدأنا فى البيانات والخطب والتصريحات الصحفية نقول :" حركة الجيش المباركة". وبدأت الجماهير تخرج تعبر عن فرحتها بالحركة، ووصلت إلينا برقيات التأييد وإلى الصحف والإذاعة، فشعر البعض أن عنصر الجماهير الذى ينقص لتصبح ثورة قد توافر الآن[٢].

هذا وقد اختار اللواء محمد نجيب أن يطلق على ما قاموا به ليلة ٢٣ يوليو كلمة" الانقلورة" فقد أخذ أول ثلاثة أحرف من كلمة الانقلاب وآخر ثلاثة

---

[١] أحمد عطية الله، المرجع السابق ص٣٧٤-٣٧٥.

[٢] محمد نجيب، المصدر السابق، ص١٤٥-١٤٦.

أحرف من كلمة الثورة. كانت هذه هى فلسفة محمد نجيب لتعريف ما حدث ليلة ٢٣يوليو "١٩٥٢"[١][٢].

سابعًا- الأسباب التى أدت إلى نجاح الثورة:

بجانب الأخطاء التى تمت ليلة ٢٣ يوليو وأدت بدورها فى النهاية إلى نجاح الثورة، فإنه كان هناك عامل أساسى عقب مشيئة الله ؛ ألا وهو الفريق حسين فريد، نعم فقد كان من العوامل الأساسية التى أدت لنجاح الثورة. لم يعلم الفريق حسين بأى نبأ قبل التاسعة والنصف مساءً، وقد استقبل هذا النبأ الخطير وهو فى منزله. فقام بالاتصال بحكمدار العاصمة للاستفسار منه عن حقيقة حركة الجيش، لكن اللواء لم يطلعه على شيء جديد فالمعلومات التى لديه قاصرة على أن هناك حركة، لكن الأهداف والنيات غير واضحة[٣].

فلم يكن أمامه أكثر من ساعتين من الزمن قبل أن تبدأ أى وحدة من الضباط الأحرار فى التحرك من معسكرات القاهرة، وقد كانت الأغلبية العظمى من الضباط الأحرار لا يزالون فى منازلهم فى انتظار الوقت المناسب للتحرك وفقًا للتعليمات التى لديهم. فكان عليهم التواجد فى معسكراتهم فى منتصف الليل للتحرك فى الساعة الواحدة صباحًا. وكان على الفريق حسين القيام باتخاذ إجراءات سريعة وفعالة لضمان سيطرته على الموقف فكان من المفترض أن يركز اهتمامه على أمرين[٤]:

---

(١) نقلًا عن مقابلة تمت بين اللواء محمد نجيب والدكتور فطين أحمد فريد، فى معتقل الأول بقصر زينب الوكيل بالمرج، ١٥ ديسمبر "١٩٧٩"، فطين فريد، المرجع السابق، ص٦٠٣.

(٢) ومن هذا المنطلق يمكن للباحثة أن تذهب بالقول: إن أى عمل يقوم الشعب أو الأغلبية العظمى منه بتأييده أو بالمطالبة بفعله، طالبًا بذلك إجراء إصلاحات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وينتج عنه تغيير فى السلطة أو القرارات التى تتخذها السلطة، والتى بدورها ينتج عنها تغيرات جذرية يُطلق عليها ثورة.

(٣) جمال حماد، المصدر السابق، ص٢٠٩.

(٤) نفس المصدر، ص٢٠١٠.

الأول: سرعة السيطرة على الوحدات داخل المعسكرات وذلك لن يتأتى إلا بإعلان حالة الطوارئ فى الجيش وإصدار التعليمات الفورية إلى قادة الأسلحة والوحدات بالتوجه فورًا إلى قياداتهم للسيطرة على الوحدات.

الثانى: التحكم فى بوابات ومنافذ الدخول إلى المعسكرات بتعزيز قوة البوليس الحربى التى تتولى حراستها وإصدار الأوامر باعتقال جميع الضباط الذين يحاولون دخول المعسكرات بدون تصريح معتمد من قادتهم.

وبناءً على ما سبق فقد كان عليه أن يتخذ التدابير اللازمة بسرعة، فليس من الحكمة أن تصل إليه أنباء عن حركة تمرد داخل الجيش ثم يبقى مبنى رئاسة الجيش الذى كان عليه أن يواجه التمرد فى حراسة يتولى قيادتها حكمدار. كان عليه طلب نجدة قوية من أقرب معسكر له وهو العباسية. فإذا كان الفريق حسين فريد قد اتخذ أيًا من هذه الإجراءات أو إجراءات مماثلة تتفق معها فى الهدف لتغير وجه التاريخ وفشلت الحركة، ووقع معظم الضباط الأحرار فى الأسر عند البوابات الرئيسة للمعسكرات وهم وقتئذٍ فى أضعف أحوالهم متفرقين وبعيدين عن جنودهم. وقتئذٍ فقد كان البكباشى يوسف صديق سيواجه بقوته الصغيرة ضعيفة التسليح سرية مشاة كاملة التسليح مما كان سيعرض قوته لخطر الإبادة أو التسليم ، هذا فى حال افتراضنا بأنه قد نجح فى الأساس بالتحرك بقوته من معسكر الهايكستب بعد اتخاذ مثل هذه الإجراءات التى ذكرتها سابقًا. لكن لحسن حظ الضباط الأحرار وحسن حظ مصر أن الفريق حسين فريد رغم ما كان يتميز به من الانضباط وما يتحلى به من نبل الأخلاق؛ فإنه كان يفتقد أهم صفات القيادة التى كانت ستؤهله لمواجهة هذا الموقف الخطير الذى واجه الملك تلك الليلة، ألا وهى سعة الأفق والسرعة فى التفكير واتخاذ القرار[1]. ويُمكن أن نحصر أهم الأسباب التى أدت إلى نجاح الثورة فى النقاط التالية:

- الدور الذى قام به سعد حسن توفيق الضابط النوبتجى بالمخابرات فى ليلة ٢٣ يوليو.
- تحرك قوات البكباشى يوسف منصور صديق مبكرًا واقتحامه لمبنى قيادة الجيش.

---

[1] جمال حماد، المصدر السابق، ص٢١١.

- الدور الذى قام به اللواء محمد نجيب فى تلك الليلة فضلًا عن رئاسته للحركة.
- فساد النظام الملكى وضعفه مما ساعد على سقوطه.
- تباطؤ الفريق حسين فريد فى اتخاذ الإجراءات اللازمة.
- موقف الولايات المتحدة الأمريكية[١].

وفقًا لمذكرات البكباشى يوسف صديق وطبقًا لكل الروايات عن عملية اقتحام مبنى رئاسة الجيش، وإن كان ثمة اختلاف فى تلك الروايات فى بعض التفاصيل، فعند مقارنتها ببعضها يتضح الدور العظيم الذى قام به البكباشى يوسف منصور صديق، فى ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، والذى أشاد به الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه أثناء الاحتفال بالعيد العاشر لثورة ٢٣ يوليو عام "١٩٦٢"، ومنذ نجاح الحركة وحتى وقتنا هذا نجد أن الجميع قد اتفقوا على أن يوسف صديق كان على رأس فصيلة مدافع ماكينة المكونة من عشرين جنديًا، وأنه هو من ألقى القبض على الفريق حسين فريد ومعه ثلاثة آخرون من الضباط. وقد ورد فى دراسة لهيئة البحوث العسكرية بوزارة الدفاع فى الدراسة التى أجرتها عن ليلة ثورة ٢٣ يوليو .. " من المؤكد أن البكباشى يوسف صديق هو الذى نفذ عملية الاقتحام والسيطرة على مقر القيادة العامة، بينما كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يقفان بالقرب من القيادة فى أثناء الاستيلاء عليها، أما أنور السادات فكان مع زوجته فى السينما، وتشاجر مشاجرة مفتعلة، وحرر محضرًا بالواقعة حتى إذا فشلت الحركة نجح فى الخروج من هذا المأزق"[٢].

---

[١] قام الملك فاروق فى صباح ٢٣ يوليه "١٩٥٢"، بإرسال رسول خاص هو "إيلى" عامل اللاسلكى بالقصر إلى المستر جفرسون كافرى Jefferson Caffrey سفير الولايات المتحدة فى مصر الموجود بالإسكندرية يدعوه لمقابلته، وبالفعل ذهب السفير لمقابلة الملك وانتهت المقابلة على أنه سيبلغ حكومته ويتصل بالملك ليبلغه بما حدث؟، ولكن من دون جدوى. وبالفعل لم تتدخل الولايات المتحدة وتخلت عن الملك. وفى حينها قام الملك بالاتصال تليفونيًا بالإنجليز. إلا أن الجانبين البريطانى والأمريكى اتفقا على عدم التدخل لصالح الملك فاروق واعتبار ما حدث مسألة داخلية. عبد الرحمن الرافعى، "ثورة ٢٣ يوليه"، ص٣٧ ؛ انظر كذلك محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص٧٨ ؛ رؤوف عباس، " ثورة يوليو فى الوثائق البريطانية"، الأهرام، ١٩٨٦/٢/٣.

[٢] وزارة الدفاع هيئة البحوث العسكرية، "الجيش المصرى من ثورة يوليو ٥٢ إلى ثورة اليمن ٦٢"، ج١، مركز الدراسات الإستراتيجية للقوات المسلحة، القسم الثانى، ص٤٧.

وختام القول فى هذا الفصل يتضح من كل ما سبق أن الظروف والأحداث التى مرت بها البلاد منذ إلغاء معاهدة ١٩٣٦، مرورًا بالعمليات الفدائية التى تمت فى منطقة القناة، والتى ترتب عليها قيام مظاهرة احتجاجًا على ما يتم فى منطقة القناة واستشهاد العديد من المصريين نتيجة ما قامت به القوات البريطانية من تعاملات عسكرية عنيفة تجمع بين الطلبة وبين الضباط إلى أن تدخلت فيها العناصر المخربة وتحولت من مظاهرة سلمية إلى عمل مخرب مأساوى، لما نتج عنه من نشوب الحرائق فى العاصمة، وقد أطلق على ذلك اليوم يوم (حريق القاهرة) فضلًا عن تحدى الملك للجيش ومحاولته فرض سيطرته الكاملة وتغيير لوائح القانون التى تحكم انتخابات مجلس إدارة نادى ضباط الجيش، وكان هذا آخر صدام مع الجيش ولما فيه من تحدٍ لإرادة ضباط الجيش الشرفاء. كل ذلك عجل بقيام الحركة التى كان تقرر لها أن تنفذ فى عام "١٩٥٥" أى بعد ثلاث سنوات من عام "١٩٥٢". لا سيما عقب مقابلة أحمد هاشم للواء محمد نجيب فى منزله، وأخبره أنهم يعلمون ١٢ اسمًا من أسماء الضباط الأحرار، وأن الملك سوف يتخذ كل الإجراءات للتخلص من الضباط الأحرار وإجراء حركة اعتقالات شاملة للقيادات التى تشكل تهديدًا على نظام الملك. فقرر الضباط الأحرار ألّا يتركوا الوقت ينفد منهم ويقوم الملك باتخاذ الإجراءات التى تجهض حركتهم، لذلك قاموا باتخاذ التدابير اللازمة وعقد الاجتماعات ليتدارسوا فيها إمكانية القيام بالحركة فى أسرع وقت ممكن مع اتخاذ الإجراءات كافة لتأمين حركتهم.

وقد قاموا بوضع الخطة فى وقتٍ قصير ووزعوا الأدوار التى تتناسب مع قوة كل ضابط من الضباط الأحرار، وكان دور البكباشى يوسف منصور صديق دورًا ثانويًا، ورغم ذلك فإنه عندما زاره عبد الناصر وعبد الحكيم عامر قررا إلغاء دوره، لسوء حالته الصحية التى كان عليها ونزيف رئته لكنه رفض أن يتخلى عن حلم حياته، وهو القيام بعمل ثورى كان يتربى فى داخله منذ الصغر، وكبر معه وكان سبب التحاقه الكلية الحربية ليثأر من الذين تسببوا فى موت والده وعذاب خاله، فتناسى آلامه وتعهد لهم بأنه يستطيع أن يقوم

بدوره فهو دور بسيط، لكنه كان بالنسبة إليه عملًا عظيمًا أن يشارك فى مثل هذا العمل. وتتقلب الأقدار ويتحول دور كتيبته من مهمة التأمين إلى مهمة الاقتحام، وهى أصعب وأهم مهمة فى الخطة؛ حيث إن هدف الخطة هو الاستيلاء على مبنى رئاسة أركان الجيش، لما فى ذلك من عنصر نجاح لحركتهم فمن هذا المكان يكونون قد أحكموا السيطرة على القوات المسلحة.

ورغم النزيف الذى عاوده ليلتها وكان يتطلب الراحة التامة وعدم الإجهاد، فقد تخلى عن راحته، ولم يفكر فى الخطر الذى يهدد حياته، وقرر أن يستمر حتى النهاية، وقد وفقه الله فيما أسند إليه، فكل ما حدث فى تلك الليلة المباركة كان بتوفيق من الله بجانب شجاعة وبطولة يوسف صديق وإصراره. كما تبين لنا مشاركة الفريق حسين فريد رئيس أركان حرب بجيش الملك فى نجاح الحركة وذلك بسبب بطئه الشديد فى اتخاذه الإجراءات اللازمة. وبالرغم من وجود الاختلافات فى الروايات التى تناولتها فى هذا الفصل فإنها جميعًا تُشير وتؤكد إلى أهمية الدور الذى قام به يوسف صديق.

وفى يوم ٢٧ يوليو "١٩٥٢" انتهى دور الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار، وصار اسمها مجلس قيادة الثورة ، ونظرًا إلى أنهم قاموا بالحركة باسم اللواء محمد نجيب، فلا بد من ضمه بل وانتخابه رئيسًا للمجلس. بذلك أصبح عدد أعضاء مجلس قيادة الثورة عشرة أعضاء هم: (مقدم أ.ح جمال عبد الناصر- مقدم طيار جمال سالم- مقدم طيار عبد اللطيف البغدادى- مقدم أنور السادات- رائد أ.ح عبد الحكيم عامر- رائد أ.ح كمال الدين حسين- رائد طيار حسن إبراهيم- رائد خالد محى الدين- اللواء أ.ح محمد نجيب) هذا وقد تم فى يوم ١٥ أغسطس "١٩٥٢" بضم يوسف منصور صديق، ومعه ثلاثة آخرون إلى مجلس قيادة الثورة، نظرًا للأدوار المهمة التى قاموا بها ليلة ٢٣ يوليو، وكان هؤلاء (المقدم أ.ح يوسف منصور صديق من سلاح المشاة، المقدم عبد المنعم أمين من سلاح المدفعية، المقدم أ.ح زكريا محى الدين من سلاح المشاة ، المقدم حسين الشافعى من سلاح الفرسان) وبذلك أصبح عدد أعضاء مجلس قيادة الثورة ١٤[1].

---

[1] رسالة من اللواء جمال الدين حماد إلى العميد محمد عبد الرحمن منتصر مدير إدارة المتاحف العسكرية، ١٩٩٥/٨/٣٠. ؛ انظر سهير صديق، المرجع السابق.

وبذلك دخل يوسف صديق التاريخ بعد أن لعب دورًا مهمًا بما قام به فى ليلة ٢٣ يوليو. وبهذا فقد دخل يوسف - أيضًا - مرحلة سياسية جديدة من حياته، تجعل القارئ يتساءل هل انحصرت مكافأة يوسف صديق بانضمامه لمجلس قيادة الثورة؟ وهل سيلتزم الضباط الأحرار بالمبادئ التى اتفقوا عليها وقاموا بنشرها فى منشوراتهم؟ وهل سيوافق يوسف صديق على قرارات مجلس قيادة الثورة؟ هذا ما سأتناوله فى الفصل الرابع- بمشيئة الله تعالى.

الفصل الرابع

خلاف يوسف صديق مع مجلس قيادة الثورة

أولًا: صعود الضباط الأحرار للسلطة.

ثانيًا: التباين الأيديولوجى وانفجار الخلافات داخل مجلس قيادة الثورة.

ثالثًا: خلاف يوسف صديق مع مجلس قيادة الثورة يناير ١٩٥٣.

- الدعوة لانعقاد البرلمان.
- التمسك بالدستور والدفاع عن الديمقراطية.
- قانون تنظيم الأحزاب.
- إعدام العاملين خميس والبقرى.
- اعتقال ضباط المدفعية.

رابعًا: استقالة يوسف صديق من مجلس قيادة الثورة.

خامسًا: دور يوسف صديق فى أزمة مارس.

- رسالة البكباشى يوسف صديق إلى الرئيس محمد نجيب.

كما تم الإشارة فى الفصل الثالث كيف نجح الضباط الأحرار فى الانقلاب على النظام وطردوا الملك فاروق يوم ٢٦ يوليو "١٩٥٢"، وأخذوا السلطة كاملة فى أيديهم. وكان عليهم فى هذه المرحلة من تاريخ ثورة يوليو أن يواجهوا مشاكل عديدة منها علاج الأزمة الاقتصادية والاجتماعية الخانقة، وإيجاد حل للقضية الوطنية، كما كان عليهم أن يحددوا موقفهم من العسكريين المتصارعين، فضلًا عن الأحزاب والقوى السياسية الداخلية المعارضة لهم، وقد استقرت هذه المهام بالفعل السنتين الأوليين من تاريخ ثورة ٢٣ يوليو أى من "١٩٥٢" إلى "١٩٥٤"[(١)].

أولًا- صعود الضباط الأحرار للسلطة:

فقد حدث ما كان يخشاه الملك فاروق، وهو قيام ثورة، ولكنها جاءت من فصيل لم يكن يعتقد لحظة أنه سيقوم بمثل هذا العمل، فالملك كان يضمن ولاء الجيش له، وعندما علم أثناء احتفاله بالوزارة الجديدة فى الإسكندرية بأنه يتم تدبير انقلاب ضده من الجيش لم يُصدق. فكان الملك عندما يحدثه أحد عن احتمال قيام ثورة كان هذا يعنى أن الشيوعيين هم من يدبرون لها. فقد كان الخطر الوحيد الذى يخشاه هو الخطر الشيوعى. فإذا قرأ فى صحيفة مقالة أو نبذة توضح بأن هناك طرفًا خفيًا أو أن هناك موضوعًا منسوبًا إليه حكم على الفور بأن القلم الذى كتبها هو قلم شيوعى، وأن الدعاية الشيوعية هى التى

(١) جمال شقرة، المرجع السابق، ص ٧٧.

حركتها. وإذا وصلت إليه أنباء تُفيد بأن الطلبة نظموا مظاهرة، وأن هتافاتهم عدائية له، فكان يرى بأنه لا منظم للمظاهرة سوى الخلايا الشيوعية، وكان يعلم بأن هناك بين صفوف الجيش من هم دعاة للشيوعية. كان يرى يد الشيوعية في كل شيء لا ينال إعجابه[1].

حرص الضباط الأحرار على تأمين المرحلة الأولى من الانقلاب أو الحركة فقاموا بإبلاغ السفير الأمريكي عن طريق الملحق الجوي الأمريكي؛ بأن الجيش المصري قد تحرك لأمور داخلية وبغرض مطالبة السلطات المصرية ببعض المطالب الخاصة به، كما أن الحركة كانت حريصة على صون مصالح الأجانب وحماية أرواحهم. وعلى حذر في الوقت نفسه من أي تدخل للقوات البريطانية، كما حَرصوا على كسب ثقة المنظمات والهيئات الشعبية التي ستشترك معهم في التصدي لأي تدخل بريطاني. كل ذلك كان لتجنب الصدام مع القوات البريطانية ومحاولة تجميدها، وكانت تلك هي الرسالة التي أراد الضباط الأحرار أن يقوم السفير الأمريكي بإبلاغها إلى السفير البريطاني[2].

كان الضباط الأحرار يأملون في إحباط التدخل البريطاني من خلال طمأنة جيفرسون كافري- السفير الأمريكي بالقاهرة-، فقد كان واحدًا من الدبلوماسيين الأجانب القلائل، الذين كان يعتقد أنه يمكنهم الثقة بالضباط الأحرار على حد قول اللواء محمد نجيب. فكما اعتمد الملك في الشهور الأخيرة كملك على الولايات

---

(1) كريم ثابت، عشر سنوات مع فاروق (١٩٤٢-١٩٥٢)، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠، ص ٣٨٥.

(2) عبد الرحمن الرافعي، ثورة ٢٣ يوليو، ص ١٥-١٧؛ عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص ٨٤ ؛ جيفري أرونسن، "واشنطن تخرج من الظل - السياسة الأمريكية تجاه مصر (١٩٤٦-١٩٥٦)، تحقيق محمد سيد أحمد، ترجمة: سامي الرزاز، القاهرة، دار البيان للنشر والتوزيع مؤسسة الأبحاث العربية، "١٩٨٧"، ص ٩١ ؛ صلاح نصر، المصدر السابق، ص ٩٣.؛ لقراءة المزيد حول موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الثورة، انظر مايلز كوبلند، لعبة الأمم، ت: مروان خير، بيروت، "١٩٧٠"، ص٧٠-٩٤.؛ تحليل أ.د جمال شقرة ، الحركة السياسية في مصر (١٩٥٤-١٩٦١)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، "١٩٩٣"، ص١٢-١٥.

المتحدة لكبح جماح إيدن، كذلك فعل الضباط الأحرار في الساعات الأولى من الانقلاب[١].

وبناء على المعلومات الواردة من السفارة الأمريكية بالقاهرة التي أفادت بأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تنظر إلى الانقلاب العسكري على أنه أمر داخلي، نتج بصورة أساسية عن الأوضاع السياسية للجيش فضلًا عن دسائس القصر، ومن المعتقد في واشنطن أن هناك إمكانية لأن يكون قائد الانقلاب اللواء محمد نجيب بك يحظى بقبول دولي لإقامة علاقات وطيدة بالشرق الأوسط عبر مصر،وذلك إذا ما كان بمقدور جيشه الجديد أن يطمئن من أجل الحصول على أسلحة وذخائر أكثر وأفضل[٢]. وقد أبلغ السفير الأمريكي اللواء نجيب أن وزير الخارجية الأمريكي- يعتبر الانقلاب أمرًا داخليًا، وإن كان يريد أن يُعامل الملك فاروق باحترام[٣]. وقد كانت وزارة الخارجية الأمريكية أقل ميلًا من الصحافة بأن تتخذ موقفًا ثابتًا نظرًا للارتباك الواضح الذي واكب الانقلاب، فكانت تشعر مع ذلك بالتشجيع. فالأهداف الثلاثة التي أعلنها الضباط الأحرار في البيان الأول عقب نجاح الانقلاب ألا وهي:

- تطهير العناصر الفاسدة داخل الجيش.
- إعادة الحياة الدستورية للبلاد على الفور.
- القضاء على الفساد في الحياة الوطنية، لم تكن تتعارض بأي حال من الأحوال مع الآمال الأمريكية القديمة في الإصلاح[٤]. بدا لهم أن التغيير مشجع على نحو طفيف، كشيء أشبه بالتأثير الذي تركته ثورة أكتوبر الروسية "١٩١٧" على الولايات المتحدة[٥]، إلا أن رأي الاتحاد السوفيتي لم يكن كذلك. فقد رأى الكرملين الانقلاب على أنه من صنع ضباط رجعيين

---

(١) أرونسن، جيفري، المرجع السابق، ص٩١ ؛

Mohamed Naguib، "Egypt's Destiny"، London: victor Gollancy، 1955، p118;.

(2) New yourk Times، 24 July 1952، p3.

(٣) جيفري أرونسن، المرجع السابق، ص٩١.

(4) New York Times، 28 July 1952، p 14 and bId 24 July 1952. p2.

(5) Dean، Acheson. *"Present at the creation"*، New yourk، 1969، p566.

مـرتبطين بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة[١]. ومـا إن أدركـت الصـحافة تلـك الآراء، ازدادت الطمأنينـة، وقـاموا بتشـجيع اللـواء نجيـب باعتبـاره جـورج واشنطن النيل[٢].

قام ممثل الحكومة البريطانية بإرسال إنذار إلى قيادة الجيش المصرى يهدد بتدخل القوات الإنجليزيـة برًا وبحرًا لحمايـة الأرواح والممتلكات الأجنبيـة فـى مصـر. وقـام مجلس قيـادة الثـورة بإرسـال دوريـات بقيـادة عناصـر مـن الضـباط الأحرار تجوب القاهرة لمنع مظاهرات التأييد من التوسع خوفًا من وقوع شـغب بينهم وبين الجماهير التى خرجت تؤيد الثورة[٣]. لكن قيـام اللـواء نجيـب بإذاعـة أول بيـان بصـوتـه، والتصـريحات واللقـاءات الصـحفية التـى توالـت علـى لسـان القائد العام تدور جميعهـا حـول محاولـة التأكيد بـأن الحركـة قد استقرت بتأييد الشـعب لهـا، وأكـد لبريطانيـا بـأن الجـيش سـيكون مسئولًا عـن حمايـة أرواح الأجانـب وممتلكـاتهم[٤]. فقد بـدأت رحلـة صـعودهم للسلطة، وبـديهى أنـه كـان أمامهم طريقان إما أن يكتفوا بطرد الملك والإبقـاء علـى النظـام القديم وفـى هذه الحالة ستكون حركتهم مجرد انقلاب وينتظرون انقلابًا آخر يُطيح بهم، أو أن يقوموا بعملية تغيير جذرى، وفى هذه الحالة تتحول حركتهم إلى ثورة[٥]

وأصبحت مسألة تشكيل وزارة جديدة هـى القضـية الملحة، وانحصـر تفكير قادة الحركة فى أن يتولى الوزارة رئيس ليست له ارتباطات حزبيـة. وبـرز اسـم على ماهر الذى قبل أن يتولى تشكيل وزارة جديدة بمبـادئ الدستور والتطهير التـى أقرتهـا القيـادة الجديـدة. وقد أبلـغ الملك بهذا الأمـر وفـى اليـوم التـالى كلفـه

---

(1) Chareles، B. Mclane، "Soviet-Middle East Relations"، London، 1973، Vol. I p30.

(2) Smith، Gaddis، Deam Acheson."*The American Scretaries of stute*، Vol. XVI"، New yourk، 1972، p352.

(٣) محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع سابق، ص٨٤.

(٤) فطين فريد، المرجع السابق، ص٤٥٨.

(٥) لقراءة المزيد حول انخراط الضباط فى العمل السياسى فى دول العالم الثالث ومنها مصـر انظر جاك ووديس، الجيش والسياسة، ت: عبد الحميد عبد الله، بيروت، مؤسسـة الأبحـاث العربية، "١٩٨٢"، ص٤٣.؛ ميرسكى، الجيش والمجتمع والسياسـة فـى البلدان الناميـة، ت: دار التقدم، موسكو، "١٩٨٧"، ص ١٥٨.

الملك بتشكيل الوزارة، وقام اللواء محمد نجيب وآخرون من ضباط القيادة بزيارة على ماهر بمنزله، وحاول على ماهر أن يعلم موقف الحركة من الملك، فطمأنه اللواء نجيب بأنه استجابة الملك لمطالب الضباط يُنهى كل شىء بسلام [1].

وفى يوم الخميس يوم ٢٤ يولية بدا وكأن الحياة عادت إلى طبيعتها قبل الحركة، ونشرت الجرائد أن القاهرة يسودها الهدوء، وانصرف الجميع إلى أعمالهم، لكن فى الحقيقة أن القيادة العامة بكوبرى القبة لم تهدأ فأصبحت المسئولية كبيرة عقب نجاح حركتهم، وعليهم أن يقوموا بخطوات سليمة لضمان تأمين نجاح حركتهم[2]. وبتكليف الملك لعلى ماهر بتشكيل الوزارة نزولًا على طلب قيادة حركة الجيش، كان ذلك التنازل الثانى للملك خضوعًا لإرادة الجيش والشعب[3]. وبذلك مرت المرحلة الثانية من الثورة التى كان الهدف منها هو تغطية الهدف من المرحلة التالية ألا وهو التخلص من الملك. فقد قرر مجلس قيادة الحركة فى اجتماعهم يوم ٢٤ يوليه عزل الملك، ولكنهم قرروا ألا يُعلموا على ماهر بهذه الحقيقة، وقاموا باتخاذ الاستعدادات كافة للقيام بعزل الملك، وسافر اللواء نجيب و يوسف صديق وجمال سالم وأنور السادات وحسين الشافعى وزكريا محى الدين إلى الإسكندرية فى سرية تامة، وفى هدوء تم حصار القصرين الملكيين بالمنتزه ورأس التين، وقامت الطائرات الحربية بعملية استكشاف فوق البحر لمنع الملك من الهرب مستخدمًا يخته الخاص المحروسة[4]. واتصل على ماهر متسائلًا حول وصول عدد من القوات إلى الإسكندرية، فقيل له إنها بغرض تعزيز القوات المصرية وللمحافظة على

---

(1) أحمد عطية الله، المرجع سابق، ص ٢٣١، ٢٣٤؛ أحمد بهاء الدين، المرجع السابق، ص٨-٩ ؛ محمد أبو الفضل، المرجع السابق، ج١، ص٨٨ ؛ فطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص٤٤١.؛ "نص خطاب المشير عبد الحكيم عامر يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٩"، خطاب المشير عبد الحكيم عامر، المجلد الأول، ص ١٤٦- ١٥٣.

(2) جريدة الأهرام، ٢٥ /١٩٥٢/٧، ص١- ٢؛ عبد الرحمن الرافعى، المرجع السابق، ص١٥-١٧.

(3) محمد أبو الفضل، المرجع السابق، ص٨٨ ؛ عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص٥٧.

(4) محمد نجيب، المصدر السابق، ص٤٧، محمد نجيب، كنت رئيسًا لمصر، ص١٢١.

أرواح وممتلكات الأجانب بالإسكندرية خشية حدوث فتنة. وتعمد اللواء نجيب أن يطمئن على ماهر بأن كل شيء يمضي بطريقة طبيعية. واجتمع مجلس القيادة بمنطقة مصطفى كامل ليناقشوا مصير الملك عقب عزله، هل يقومون بالقبض عليه ويتم محاكمته؟ أم يتم إعدامه؟ أم يكتفون بعزله فقط؟ كان جمال سالم أكثر الموجودين حماسة لمحاكمة الملك وإعدامه مستندًا في ذلك إلى الضحايا الذين سقطوا نتيجة لأخطائه التي ارتكبها، وقد تأثر بهذا الرأى عبد المنعم أمين وزكريا محى الدين، بينما وقف اللواء نجيب، يوسف صديق، وحسين الشافعى ضد هذا الرأي[1].

هكذا انقسم الرأى إلى مجموعتين متساويتين.. وامتد النقاش إلى ما بعد منتصف الليل لكن دون الوصول إلى قرار موحد. ونظرًا لأنهم يشكلون نصف أعضاء مجلس القيادة فمثل هذا القرار الخطير يجب أن يأخذ رأى الجميع، وكان عليهم أن يعرضوا هذا الأمر على باقى أعضاء المجلس، فذهب جمال سالم ليعرض الأمر على جمال عبد الناصر، عبد الحكيم عامر، خالد محى الدين، عبد اللطيف البغدادى، كمال حسين. واتفق باقى أعضاء المجلس مع رأى اللواء نجيب ويوسف صديق وحسين الشافعى، هو أن يُترك حيًا تاركين الحكم عليه للتاريخ[2]. كان جمال عبد الناصر درس الاحتمالات كافة وكان سابقًا لكل أعضاء المجلس إلا أنه كان ينتظر الوقت المناسب وتطور الأحداث، وفى يوم ٢٦ يوليه قدم اللواء نجيب إلى على ماهر إنذار الجيش للملك بضرورة توقيع الملك لوثيقة التنازل عن العرش قبل الثانية عشرة ظهرًا ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة مساءً. وبعد مناقشات دارت بين الملك وعلى ماهر قبل الملك الإنذار ومغادرة البلاد فى الموعد المحدد لكنه اشترط:

- أن وثيقة التنازل عن العرش التى سيوقعها تكتب على ورق لائق وصيغة تحفظ كرامته كملك تنازل عن العرش.
- أن يسافر بحرًا على الباخرة المحروسة.

---

[1] محمد نجيب، كلمتى للتاريخ، ص ٤٨.
[2] نفس المصدر، ص ٤٩.

- أن يصطحب معه زوجته وسائر أولاده.
- أن يقوم رئيس الحكومة وقائد القوات المسلحة بوداعه.
- أن يقوم الأسطول المصرى بحراسة الباخرة التى يستقلها. وتم كل ذلك وغادر الملك بعد أن عزف له السلام الملكى وأطلقت ٢١ طلقة، وقام الحرس بأداء التحية العسكرية. وبذلك انتهى وداع الملك.. وفى تمام الساعة السادسة والنصف أذيع البيان التاريخى بخلع الملك فاروق مسجلًا بصوت محمد نجيب. هكذا انقضت تسعون ساعة منذ اقتحام مبنى قيادة الأركان على يد البكباشى يوسف منصور صديق ليلة ٢٣ يوليو حتى خروج الملك ٢٦ يوليو، وبهذا بدأت صفحة جديدة فى تاريخ مصر[١].

وكان لا بد من تشكيل مجلس مؤقت للوصاية فتألف من الأمير محمد عبد المنعم رئيسًا، وعضوية بهى الدين بركات والقائمقام رشاد مهنا[٢]، الذى عين وزيرًا للمواصلات بصفة شكلية لكنه يستحق عضوية المجلس دستوريًا، وكان لتعيين رشاد مهنا فى منصب كبير خارج الجيش فاتحة لتعيين الكثير من اللواءات وكبار الضباط، وهذا جعل الضباط يطمحون فى الحصول على المناصب المدنية ذات الدخل الكبير.. على أية حال عندما نجح الضباط الأحرار فى السيطرة على العاصمة وخلع الملك، عقدت الهيئة التأسيسية اجتماعها الأول مساء يوم ٢٧ يوليو "١٩٥٢"، وقد أعيد فى هذا الاجتماع انتخاب جمال عبد الناصر بالإجماع رئيسًا للجنة القيادة، وتقرر بعد نجاح الحركة بثلاثة أسابيع ضم محمد نجيب، وزكريا محى الدين، ويوسف منصور صديق، وعبد المنعم أمين، حسين الشافعى لعضوية هذه اللجنة، ذلك لأدوارهم البارزة ليلة ٢٣ يوليو ليصبح عدد لجنة القيادة أربعة عشر عضوًا[٣].

---

[١] محمد نجيب، المصدر السابق، ص٥٢، ٥٣. ؛ محمد نجيب، كنت رئيسًا لمصر، ص ١٢٥.؛ أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٢٣١. انظر الملحق رقم (١٩)، وثيقة تنازل الملك فاروق عن العرش.

[٢] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص ٢٣٤.

[٣] جمال معوض شقرة، الحركة السياسية فى مصر من ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" إلى أزمة مارس "١٩٥٤"، ص ٥٠٨.

وإذا كان خالد محى الدين وعدد آخر من الضباط الأحرار قد برروا ضم هؤلاء إلى لجنة القيادة لأدوارهم البارزة ليلة ٢٣ يوليو، فإن أنور السادات ينفرد برواية مفادها أن السبب الحقيقى وراء ضم هؤلاء الأعضاء كان شبح الصراعات التى بدأت تظهر عقب نجاح الحركة مباشرة، وأن ضم الأعضاء الجُدد سيساعد فى تحقيق التوازن داخل لجنة القيادة ويُقلل من حدة الصراعات. لكن رواية السادات بها الكثير من المبالغة، لأنه لا أحد من الضباط الأحرار الذين كتبوا مذكراتهم لم يذكروا وقوع أى صراعات داخل مجلس القيادة فى هذه الفترة المبكرة[1]. فإن هذه الفترة وما فرضته من نشاط وتحركات واسعة النطاق سواء بالداخل أم بالخارج منعت وقوع مثل هذه التصادمات أو على الأقل إنها لم تظهر بينهم. فالأيام الأولى التى تلت نجاح الحركة لم تسمح لهم بوجود وقت كافٍ للتأمل أو التفكير العميق[2].

وكان جمال سالم يرى أن عليهم اختزال عدد أعضاء المجلس إلى خمسة أعضاء فقط. وتكليف باقى الأعضاء بالعودة إلى مواقعهم فى الجيش.. فقد أدت هذه الزيادة إلى اجتذاب عدد كبير من الضباط للمجلس، فأصبح له مندوبون من الضباط فى مختلف الوزارات، مما خلق فى كثير من الأحوال ازدواجية وحساسية، فضلًا عن رغبة عدد من الضباط فى الخروج من إطار النظام العسكرى والانطلاق بملابسهم الرسمية إلى مواقع العمل المدنية، واشتهر اصطلاح "مندوب القيادة"، الذى كان يتحرك به هؤلاء الضباط ليصدروا تعليماتهم وتوجيهاتهم فى مواقف كثيرة متعددة. فبدأ الانضباط العسكرى يفقد طابعه القديم، وأخذت اتصالات الضباط تمتد خارج حدود الجيش، ولم يعد الأمر قاصرًا على الضباط الأحرار وحدهم، وإنما أُتيحت الفرصة لعدد آخر من الضباط. لم يكن من اليسير على مجلس القيادة فى مرحلته الأولى وخلال دوامة الاجتماعات والاتصالات أن يصدر تعليمات تمنع الضباط من الاندفاع إلى هذا المجال الجديد. هكذا نمت الازدواجية وظهرت الحساسية بين الوزارة ومجلس

---

(1) جمال شقرة، المرجع السابق، ص٥٠٩ ؛ أنور السادات، البحث عن الذات، ص١٣٤.

(2) محمد نجيب، المصدر السابق، ص٤٣.

القيادة[1]. وهنا قرر جمال عبد الناصر أن يتولى رفاقه مناصب مديرى مكاتب الوزراء المدنيين حتى يتعودوا على التعامل باللوائح والقوانين المدنية، التى قد تختلف جذريًا عن الأسلوب العسكرى. فحدث أن ضاق أحد الوزراء ذرعًا بتدخل مندوب القيادة البكباشى يوسف صديق فى شئون وزارته تدخلًا لم يقف عند حد المشورة أو النصح، ورأى الوزير أن هذا تجاهل لوجوده كوزير دستورى، وذهب إلى عبد الناصر ليعرض عليه تلك المسألة. وعندما عرض الأمر على جمال عبد الناصر فأخبره أنه معه كل الحق فى أن يضيق صدره، ولكن إذا نظر إلى المسألة على أنها مشاركة فى السعى نحو الصالح العام، ودافع عن يوسف صديق وأخبر الوزير أنه يحاول أن يساعده فى القضاء على الفساد، الذى تفشى فى كل قطاع من قطاعات مصر. وأخبره أن الثورة لم تنجح بالتطور الدستورى، لكنها نجحت بالدبابة والسلاح وليس بالمنطق والعقل والقانون، كما أخبره عن الدور العظيم الذى قام به البكباشى يوسف صديق ليلة ٢٣ يوليو، عندما تولى أخطر جزء فى تنفيذ خطة الثورة، وهو الهجوم على مركز قيادة الجيش، رغم أن صدره كان ينزف إلا أنه لم يتخل عن مسئوليته رغم معاناته الشديدة قائلًا له:" لولاه ما نجحت الثورة ولما كنا جميعًا فى مواقعنا، فهو لا يقصد أكثر من أن يكون سيفك ويدك تهوى به على رأس أخطبوط الفساد"[2].

وقد ذكر حمروش أنه عندما وزعت المسئوليات على بعض الضباط الأحرار فى مجلس قيادة الثورة، عقب وزارة محمد نجيب الأولى ووزارة على ماهر فى ٩ سبتمبر فيما يمثل حكومة الظل، كانت وزارة الأوقاف من نصيب يوسف صديق إلا أنه لم يتصرف كمسئول يتمتع بالسلطة والنفوذ إنما عاش بطبيعته البسيطة الناقدة للخطأ الرافضة للخضوع[3]. ولم يبقَ البكباشى يوسف

---

[1] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٢٣٥- ٢٣٦.

[2] فتحى رضوان، ضياء الدين بيبرس، أسرار حكومة يوليو، القاهرة، مكتبة مدبولى، د.ت، ص ١٦٧-١٦٨.

[3] أحمد حمروش، روزاليوسف، العدد ٣٤٣٦، ١١/١٧ /١٩٧٥، ص٣٠.

صديق فـى مباشرة عملـه كمنـدوب للقيادة، فسرعان مـا وقـع صـدام بـين عبـد الناصر وصديق فترك هذا المنصب[1].

وقد شهدت الشهور الأولى بعد طرد الملك إجراءات عديدة استهدفت تحقيق شيء من الاستقرار والعدالة الاجتماعية، وعمد مجلس قيادة الثورة فى أعقاب صدور فتوى مجلس الدولة بعدم شرعية عودة البرلمان الوفدى المنحل فى ٢ أغسطس "١٩٥٢"، إلى تدعيم سلطته خصوصًا بعد المعارك التى شهدتها الصحف بين أنصار عودة البرلمان وأنصار الشرعية السياسية، فبدأ عملية تطهير وهدم كان لها أثر كبير فى مستقبل الحركة السياسية المصرية، وتواكبت عمليات الهدم والتدمير مع محاولات الإحلال والتجديد اقتصاديًا واجتماعيًا وسياسيًا، والملاحظ أن عملية إقرار القانون وبناء النظام السياسى الجديد، وتشريح الجسد السياسى الداخلى، قد اكتسبت نتيجة للظروف الموضوعية كل اهتمام الضباط فى هذه الفترة، ففى العاشر من ديسمبر "١٩٥٢" أعلن الضباط سقوط دستور "١٩٢٣"، وشكلت لجنة مهمتها وضع "دستور جديد" فى ١٣ يناير "١٩٥٣"، وبعد خمسة أيام، أى فى ١٨ يناير "١٩٥٣"، عدل المرسوم بقانون رقم ٢٧٧٧ لسنة "١٩٥٣"، فى شأن التدابير المتخذة لحماية"حركة الجيش" والنظام القائم عليها، لتصبح مدة سريان هذه التدابير سنة من تاريخ ١٨ يناير "١٩٥٣"، بعد أن كان ستة أشهر من تاريخ صدور المرسوم الأول فى ١٣ نوفمبر "١٩٥٣"، وصدر الإعلان الدستورى بتحديد سلطات الدولة وقواعد الحكم، وبتنظيم الحقوق والواجبات خلال فترة الانتقال، لقد اعتبر هذا الإعلان أول وثيقة رسمية ذكرت اسم مجلس قيادة الثورة، وأضفت عليه الشرعية الدستورية، وحددت اختصاصاته، ليصبح هذا المجلس - خلال فترة الانتقال- أعلى سلطة فى مصر، والملاحظ أنه كان كذلك قبل صدور هذا

---

[1] فتحى رضوان، المرجع السابق، ص ١٦٨. والبعض قد استغل وظيفة مندوبى القيادة أسوأ استخدام، وكان ازدواج المسئولية من أكبر الأخطاء التى وقع فيها الضباط الأحرار، وزادت هذه الظاهرة عقب تشكيل هيئة التحرير، والتى كانت أول تجربة تنظيمية للحركة فى صفوف الجماهير.

قبل صدور هذا الإعلان، وفى ١٨ يونية "١٩٥٣" أعلن الضباط الأحرار إلغاء النظام الملكى وسقوط أسرة محمد على وتحويل مصر إلى النظام الجمهورى[1].

ولقد سهل نجاح الضباط فى هذه المهمة المصرية ما كان لهم من يد عليا فى إدارة الصراع، حيث نجحوا من اللحظة الأولى فى السيطرة على سلطة إصدار القرار، وطهروا جهاز الدولة القديم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ساعدهم القبول الذى لاقته المبادئ الستة العامة التى طرحوها والتى كانت بمثابة نقطة التقاء التفت حولها كل القوى الوطنية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار رغم الخلافات الأيديولوجية العميقة[2]. هكذا صعد الضباط للسلطة.

على أية حال كان القضاء على الاستعمار والإقطاع والاحتكار الرأسمالى، مقدمًا فى مبادئ الثورة على بناء أسس المجتمع الجديد، ونجح ثوار يوليو وعلى رأسهم عبد الناصر، فقد نجحوا فى الاستيلاء على سلطة الدولة، وتحكموا بعد أن طردوا الملك فاروق مباشرة فى مفاتيح القوة فى المجتمع المصرى، بدءًا بالمؤسسة العسكرية ومرورًا بالمخابرات وأجهزة الأمن السياسى، عسكرية أكانت أم مدنية، وانتهاء بالنقابات والجامعات ووسائل الإعلام والأجهزة الإدارية، بالإضافة إلى التنظيم السياسى[3].

ثانيًا- التباين الأيديولوجى وانفجار الخلافات داخل مجلس قيادة الثورة:

ساعات محدودة فى ظلام ليلة حولت الضباط الأحرار من شبان يلتهب الغضب فى صدورهم إلى مسئولين عن سياسة مصر دون أن يستعدوا لذلك بدراسة عميقة أو تخطيط واضح المعالم، فقد كان الوقت الذى تحركوا فيه يصارعهم لحظة بلحظة، ولم يتسن لهم التفكير والتأمل، لا سيما أنهم لم يكونوا قد اجتمعوا على وحدة أو فكر أو منهج أو برنامج سياسى تفصيلى. فقد كان انتصار الحركة مفاجئًا لأكثرهم تفاؤلًا. فقد تهاوت قلاع الملك وسقط أعوانه من

(١) جمال شقرة، دراسات فى تاريخ مصر المعاصر، ص ٧٧-٧٩.
(٢) نفس المرجع، ص٧٩-٨٠.
(٣) المرجع السابق، ص٨٠.

كبار الضباط دون مقاومة، واشتعل الحماس بين رجال الجيش مع شروق شمس ٢٣ يوليو. واحتشد الجميع لتأييد الحركة. وكاد يتلاشى الخط المميز بين الضباط الأحرار الذين تحملوا مسئولية الإعداد والتنظيم والتنفيذ، وبين زملائهم الذين لم تتح لهم فرصة الانضمام لتنظيم الضباط الأحرار[١].

بمرور الوقت فقد كان لا مفر من حدوث بعض الانقسامات داخل المجلس، نظرًا لعدم التوافق والانسجام داخل مجلس قيادة الثورة، نظرًا لعدم وجود أيديولوجية محددة واضحة من قبل، فضلًا عن الأطماع الذاتية التى تمخضت عن تعيين بعض الضباط فى مناصب مجلس قيادة الثورة أو فى مناصب حكومية أخرى. فقد كان الجميع يلتف قبل ٢٣ يوليو حول فكرة واحدة ألا وهى تحرير مصر، لكن ما إن تسلم تنظيم الضباط الأحرار مقاليد إدارة البلاد حتى واجهته المشكلات وبدأت الصراعات[٢]. فكان التنظيم مكونًا من مجموعة من الضباط الوطنيين متباينى الفكر والثقافة والاتجاه حتى فى المزاج الشخصى، بل إن كثيرًا منهم لم يمر بتجربة سياسية، وكان انضمامه للتنظيم بدافع الوطنية المصرية المجردة، والتصميم على طرد المستعمر البريطانى من مصر، فالمبادئ الستة هى عبارة عن نتاج أفكار جميع الحركات الأيديولوجية والحزبية فى الثلاثينيات والأربعينيات وربما قبل- وهى مبادئ عامة وشتات مفهومى، وبالطبع كان هذا التباين وراء انفجار الخلافات بينهم وبسرعة لافتة للنظر؛ حيث اتضح التباين قبل ٢٣ يوليو، فالضباط الذين شكلوا مجلس القيادة ثم تحول إلى مجلس قيادة الثورة، نجد أن مجموعة منهم انتمت إلى اليسار، وأخرى إلى اليمين، فقد انضم إلى جماعة الإخوان عام "١٩٤٤" أى قبل تنظيم الضباط الأحرار كل من جمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين، عبد اللطيف البغدادى، وحسن إبراهيم، وخالد محى الدين، ولكن سرعان ما انفضت هذه المجموعة عن الإخوان بعد حرب فلسطين[٣]

---

[١] فطين فريد، المرجع السابق، ص ٤٢٣.

[٢] صلاح نصر، المصدر السابق، ص١١٧.

[٣] نفس المكان ؛ فطين فريد، المرجع السابق، ص٦٢٥. ؛ جمال شقرة، الحركة السياسية فى مصر من ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" إلى أزمة مارس "١٩٥٤"، ص ٥٠٩.

وقد تحول خالد محى الدين من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار حينما ترك جماعة الإخوان وانضم إلى تنظيم حدتو الشيوعى، كما كان عبد الناصر على اتصال بهذا التنظيم حتى قيام الثورة. وكانت وجهة نظر عبد الناصر فى اتصالاته بهذه التنظيمات أن يتم له التعرف على أسلوب عملها ويقف على أسرارها. وكان عبد المنعم عبد الرؤوف شديد الولاء لجماعة الإخوان المسلمين، وكان يسعى لاحتواء حركة الضباط الأحرار داخل جماعة الإخوان[1]. كما كان يوسف صديق مؤيدًا لأفكار الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، فقد انضم إليها قبل انضمامه إلى الضباط الأحرار، لكنه تركهم لانقسامهم على أنفسهم وتفرق السبل بهم حتى بات الخلاص على أيديهم بعيد الاحتمال على حد قول يوسف[2]. ويستطرد صلاح نصر رأيه فى يوسف: الواقع أن يوسف صديق رجلٌ وطنى، مع أنه كان ماركسيًا واضحًا، فقد كان يميل إلى تسليم السلطة لحزب الأغلبية (الوفد)، فقد كانت ماركسيته تتعلق بالشئون السياسية والاقتصادية ولا تتعلق بالدين، فقد كان مسلمًا حقيقيًا. جريئًا فى آرائه، متحمسًا لأفكاره، شجاعًا فى مواجهة الموقف، فقد كان يوسف صديق واضحًا مع نفسه ومع زملائه فلم يُخف ماركسيته، ولم يحاول أن يسلك أسلوب المناورات، لذا كان من أوائل الذين صُنفوا من أعضاء المجلس. وقد شعر عبد الناصر خطر ازدواج الولاء داخل التنظيم منذ فترة الإعداد للثورة، لذا فقد أصر على استقلال التنظيم، ومع ذلك فإن المناقشات الدورية التى كانت تجرب فى خلايا الضباط الأحرار تبدو فيها وبوضوح هذه الاتجاهات السياسية المتباينة[3].

ثالثًا- خلاف يوسف صديق مع مجلس قيادة الثورة يناير ١٩٥٣:

إن ظهور الاختلاف بين يوسف صديق وأغلب زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة كان أمرًا محتمًا، فقد كان يؤمن يوسف صديق بالحرية

---

(1) فقد استمر ولاؤه لهذه الجماعة حتى بعد نجاح الحركة وقد تمت محاكمته فى قضية الإخوان عام "١٩٥٤"، وحُكم عليه بالإعدام، لكنه استطاع الهروب إلى الخارج. نفس المرجع، ص٦٧٥.

(2) عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، ص٨٦.

(3) صلاح نصر، المصدر السابق، ص١١٧ ؛ فطين فريد، المرجع السابق، ص ٦٣٤ ؛ محضر النقاش السابق مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥.

والديمقراطية والاشتراكية أسلوبًا للحكم، فى حين أن أغلب أعضاء مجلس قيادة الثورة يختلفون معه، كما كان يوسف صديق أقدم من يحملون رتبة بكباشى بينهم وأكبرهم سنًا بعد محمد نجيب، لذلك بدا لهم أن وجود يوسف صديق معهم فى مجلس القيادة، سيكون عقبة أمام طموح البعض. فقد تجسد الخلاف فى مواقف عديدة، لكنها جميعها تنطلق من تمسك البكباشى يوسف صديق بالديمقراطية أسلوبًا ونظامًا لحكم البلاد، مع ما يتضمنه ذلك من تمسك بالدستور والقانون واحترام الحريات وحقوق الإنسان، وحرية الصحافة، وتكوين النقابات، فضلًا عن رفضه تصفية الأحزاب على غير أساس ديمقراطى، ومطالبته بالإفراج عن المعتقلين السياسيين، والالتزام بمبدأ الحياد بين المعسكرين الغربى والشرقى وما يلى يوضح ذلك[1]..

- الدعوة لانعقاد البرلمان.

عقب عزل الملك فاروق ومغادرته للبلاد، كان على مجلس قيادة الثورة اتخاذ قرار بالخطوة التالية التى ستحدد نظام الحكم فى مصر، فكان هناك اتجاهان:

الاتجاه الأول: دعوة مجلس النواب المنحل (مجلس حزب الوفد) للانعقاد والمصادقة على قرار التنازل عن العرش، وعلى تشكيل مجلس الوصاية على العرش.

الاتجاه الثانى: كان يرى عدم دستورية ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الأول، حيث إن الدستور الملكى لا يتضمن إمكانية تنازل الملك عن العرش، لكنه يتضمن ذلك فى حالة المرض والوفاة. كما أن دعوة مجلس النواب الوفدى للانعقاد سيترتب عليه بالضرورة عودة حكومة الوفد. وهذا أمر مرفوض لدى أصحاب الاتجاه الأول لا سيما مستشارى الثورة. واستقر الرأى داخل مجلس

---

[1] علية توفيق، المصدر السابق، ص٨٢-٨٣. وكان كلما خرج من اجتماع مجلس قيادة الثورة قال إن هؤلاء سيتسببون فى ضياع البلاد؛ نظرًا لمحاولة سيطرتهم على البلاد من خلال تقييد الحريات اعتقادًا منهم بأن ذلك هو الأصوب ؛ محضر النقاش السابق، مع اللواء عبد المجيد شديد.

القيادة على استفتاء قسم الرأى بمجلس الدولة لإبداء الرأى فى التصرف الدستورى السليم. هذا وقد أفتى قسم الرأى بأغلبية تسعة أصوات مقابل صوت بعدم دستورية دعوة البرلمان المنحل للانعقاد. فكان الصوت المعارض يرى أن طرد الملك إلى خارج البلاد مساوٍ تمامًا لوفاته. أما باقى المستشارين فذهبوا إلى أن هذا وضع جديد يُمكن على أساسه اعتبار مجلس الوزراء هو السلطة التشريعية، ومن ثمَّ فهو الذى يُعين مجلس الوصاية نيابة عن مجلس النواب (أى نيابة عن شعب مصر). وكان رأى البكباشى يوسف صديق من المؤيدين لدعوة مجلس النواب الوفدى للانعقاد، ورأى أن هذا مقتضى الدستور، فطرد الملك يتساوى مع حالة وفاته، كما أن اعتبار مجلس الوزراء هو السلطة التشريعية يتعارض مع مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث (التنفيذية، والتشريعية، و القضائية)... وأن ذلك المبدأ الى يُعتبر حجر الزاوية فى الدولة القانونية الديمقراطية[1].

وقد وافق جمال عبد الناصر فى أول الأمر على دعوة مجلس النواب الوفدى للانعقاد، لإقرار تنازل الملك عن العرش وتعيين مجلس وصاية على العرش، على أن يُحل المجلس بعد ذلك، ويتم انتخاب مجلس جديد مستقبلًا. ثم وجد أن ما ذهب إليه قسم الرأى بمجلس الدولة يُحقق أهدافه بصورة أفضل، فلن يضطر إلى حل مجلس النواب ثم دعوة الناخبين لانتخاب مجلس جديد خلال ستين يومًا وفقًا لأحكام الدستور، فتراجع عن رأيه وأيد ما ذهب إليه رأى الأغلبية بمجلس الدولة. واستشعر البكباشى يوسف صديق اتجاهات مجلس قيادة الثورة ونياتهم لفرض الدكتاتورية، فتصدى لهم انحيازًا للشعب فكان يرى أن الشعب من حقه أن يُحدد مصيره. كان ذلك بداية الخلاف بينه وبين مجلس قيادة الثورة[2]. بهذا يتبين أن الموقف داخل مجلس القيادة لم يكن هادئًا. فكانت بعض قرارات

---

(1) كان الصوت المعارض هو الدكتور وحيد رأفت وكيل مجلس الدولة. وكان الدكتور عبد الرازق السنهورى (١٨٧٥-١٩٧١) هو رئيس مجلس الدولة حينذاك وسليمان حافظ (١٨٩٦- ١٩٦٨)هو نائب رئيس مجلس الدولة. علية توفيق، المصدر السابق، ص ٨٥.

(2) علية توفيق، المصدر السابق، ص٨٢-٨٣ ؛ سليمان حافظ، ذكرياتى عن الثورة، ط١، القاهرة، دار الشروق، ٢٠١٠، ص ٧٨.

المجلس تلقى معارضة شديدة من جانب البكباشى يوسف صديق الذى انبرى لمعارضة قانون الأحزاب، واعتقال السياسيين ومحاولة ضرب حزب الوفد على غير أساس ديمقراطى.. وقد وقف إلى جانبه فى المراحل الأولى البكباشى جمال عبد الناصر، والصاغ عبد الحكيم عامر، وخالد محى الدين. واعتكف جمال عبد الناصر فى منزله، وأعلن أنه لن يشارك فى اجتماعات المجلس إذا كان الأعضاء سوف يتنكرون للديمقراطية[1].

وانعكس صدى الضجة العنيفة التى أثارها الوفد على مجلس قيادة الثورة، فقام خلاف شديد بينى وبين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ويوسف صديق، أصر فيه سليمان حافظ [2] على تنفيذ قانون الأحزاب تنفيذًا تتم فيه الصرامة، وكان محمد نجيب وجمال سالم وصلاح سالم وكذلك أنور السادات إلى جانب رأى سليمان حافظ. وقال جمال عبد الناصر فى هذه الفترة مازحًا إنه لا بد من عمل انقلاب آخر من أجل الديمقراطية[3]. لكن وحدة جمال عبد الناصر ويوسف صديق لم تستمر طويلًا، فقد تراجع عبد الناصر عن موقفه أمام إلحاح وتفسيرات سليمان حافظ.

- التمسك بالدستور والدفاع عن الديمقراطية.

أخذ الحديث عن الدستور والديمقراطية يتلاشى، فعندما قامت الثورة أدرك يوسف صديق أنه لا بد من أن يكون للثورة منبر إعلامى يُخاطب الجماهير، من خلال إصدار مجلة توضح أفكار ومبادئ الثورة واتجاهاتها فى شتى الأمور.

---

(1) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ١٥٠ ؛ أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٣١٢.

(2) سليمان حافظ (١٨٩٦-١٩٦٨) كان محاميًا وسياسيًا مصريًا. وكان حافظ من بين أربعة مدنيين انضموا إلى مجلس قيادة الثورة فى بداية عهدها، كما كان ضمن اللجنة الثلاثية التى كتبت وثيقة تنازل الملك فاروق عن العرش، رسالة تطالب بتنازل الملك فاروق عن الحكم، ذلك فى أعقاب ثورة ٢٣ يوليو عام "١٩٥٢". فى أوائل سنة "١٩٥٣" بعد الثورة، تم اختيار حافظ من قِبل مجلس قيادة الثورة للعمل كنائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية فى حكومة رئيس الوزراء محمد نجيب. سليمان حافظ، المصدر السابق، ص ٢٢، ٢٤-٢٥، ٢٧-٢٨. لقراءة المزيد عنه، انظر نفس المصدر. ؛ رؤوف عباس، شخصيات مصرية فى عيون أمريكية، ص ١١٠-١١١.

(3) أحمد حمروش، المرجع السابق، ٢٧٣. هكذا كان سليمان حافظ بما ورد على لسانه محركًا ضد الأحزاب والدستور. نفس المكان.

فقام يوسف صديق بعرض هذه الفكرة على مجلس القيادة، وتعيين أحمد حمروش رئيس تحرير لهذه المجلة. فوافق المجلس وكلف يوسف صديق بالإشراف على المجلة وأُطلق عليها اسم "مجلة التحرير"، وقد ضم مجلس تحريرها عددًا من الشخصيات المعروفة(1). وقام يوسف صديق بكتابة عدد من مقالاتها قبل أن يتخذ قراره بالاستقالة من مجلس قيادة الثورة. وخرج عدد من مجلة التحرير على غلافه صورة لجندى يحمل سلاحه وخلفه قبة البرلمان، وقد كُتب على الغلاف عبارة "نحن نحمى الدستور". ثار مجلس القيادة على مجلة التحرير، وشعروا بأن البكباشى يوسف صديق يُعرقل مساعيهم فى الانفراد بالسلطة، فأعفوا حمروش من رئاسة تحرير المجلة، وعُين ثروت عكاشة بدلًا منه، كما سحبوا إشراف يوسف صديق على المجلة. وصدرت التعليمات بنزع هذه اللافتة التى أصدرتها مجلة التحرير التى لُصقت على جدران المبانى فى أنحاء مصر، كما نشرتها جريدة المصرى فى صفحتها الأولى ١٤ سبتمبر "١٩٥٢"، لكنها نُزعت فى منتصف نوفمبر ونزع الدستور نفسه فى ١٠ ديسمبر "١٩٥٢" (2) (3).

---

(1) خالد محى الدين، المصدر السابق، ص٢١٠ ؛ محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٨١.

(2) علية توفيق، المصدر السابق، ص٨٦ ؛ أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٢٧٣.

(3) هكذا سقط دستور "١٩٢٣" الذى كان مليئًا بالثغرات، ومع ذلك لم يحتمل النظام الملكى تطبيقه فعصف به غير مرة. وكان الدستور يخدم الطبقة الإقطاعية والبرجوازية الكبيرة.. إذ اشترطت المادة ٧٨ منه أن يدفع المرشح للبرلمان تأمينًا وقدره ١٥٠ جنيهًا وكان هذا المبلغ فى ذلك الوقت لا يسهل أن تحصل عليه الطبقة البرجوازية الصغيرة أو الطبقة العاملة والفلاحون. كما أنه أعطى حقوقًا وامتيازات واسعة للملكية. وصدر مرسوم فى ١٨ يناير "١٩٥٣" لحماية التدابير التى يتخذها القائد العام للقوات المسلحة بقصد حماية الحركة والنظام القائم باعتبارها من أعمال السيادة. وتم تشكيل لجنة تكونت من بعض المستشارين كممثلين عن الوزراء وعضوية بعض أعضاء مجلس القيادة وعرفت باسم "لجنة اتصال" وكان عمل هذه اللجنة للفصل بين مجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة عند حدوث خلاف بينهما. وكانت تجتمع هذه اللجنة سرًا فى ثكنات قصر النيل وظلت تعمل حتى سقط دستور "١٩٢٣"، واستعيض عنها بمؤتمر يُعقد بحضور كل من أعضاء مجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة ويجتمع مرة كل أسبوعين ويكون بمثابة برلمان. أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٢٧٤ ؛ محمد نجيب، كلمتى للتاريخ، ص٩٤.

- قانون تنظيم الأحزاب.

تقدم المستشار سليمان حافظ بمشروع قانون تنظيم الأحزاب السياسية، عارضه فيه الدكتور عبد الرازق السنهورى(١٨٩٥-١٩١٧)[1] من جهة المبدأ مستندًا إلى أن الدستور يمنع تنظيم الأحزاب على اعتبار أنها نوع من الجمعيات، لكن أوضح له الأول أن الأحزاب قد فسدت مما يُفسد المعنى الحقيقى للديمقراطية البرلمانية، واضطر السنهورى أمام إصرار حافظ إلى إقرار مبدأ المشروع، واستقر الرأى بأن يكون هناك رقابة قضائية لحماية الأحزاب من تسلط الحكومة ولحماية الحكومة من سلطتها[2]. هكذا صدر قانون تنظيم الأحزاب الذى ينص أحد أحكامه الوقتية على اعتبار الأحزاب منحلة منذ صدوره على أن يعاد تأسيسها من جديد وفقًا لأحكامه. فى الحقيقة أن القانون لم يكن بهدف تصفية الأحزاب السياسية بصفة عامة، إنما كان بهدف تصفية حزب الوفد بصفة خاصة، باعتباره الحزب الوحيد ذا التأثير الشعبى الواسع، وصاحب الأغلبية الساحقة فى البرلمان الأخير[3]. وبذلك لا يكون هناك وجود لقوى معارضة لسياسة الحكام الجدد ويستطيعون الانفراد بالسلطة. نتيجة لذلك شن

---

[1] عبد الرازق السنهورى: هو أحد أعلام الفقه والقانون فى الوطن العربى ولد فى ١١ أغسطس "١٨٩٥" بالإسكندرية وحصل على الشهادة الثانوية عام "١٩١٣"، ثم التحق بمدرسة الحقوق بالقاهرة حيث حصل على الليسانس عام "١٩١٧" ، وتأثر بفكر ثورة "١٩١٩"م، وكان وكيلًا للنائب العام عام "١٩٢٠" ثم سافر إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه والعودة سنة "١٩٢٦" ليعمل مدرسًا للقانون المدنى بالكلية، ثم انتخب عميدًا لها عام "١٩٣٦". عيّن سنة "١٩٤٩" رئيسًا لمجلس الدولة المصرى ، وأحدث أكبر تطوير تنظيمى وإدارى للمجلس فى تاريخه ، وأصدر أول مجلة له ، وتحول المجلس فى عهده إلى واحة للحريات ، واستمر فيه إلى ما بعد ثورة يوليو سنة "١٩٥٢". حدث صدام بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر سنة "١٩٥٤"م أقيل بسببه من مجلس الدولة ، فاعتزل الحياة العامة حتى وفاته فى عام "١٩٧١"م. استطاع أثناء عزلته (من ١٩٥٤م – ١٩٧٠م) إنجاز عدد من المؤلفات القانونية المهمة ، كما وضع المقدمات الدستورية والقانونية لكل من مصر وليبيا والسودان والكويت والإمارات العربية المتحدة. رؤوف عباس، المرجع السابق، ص١٤٦.

[2] سليمان حافظ، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥.

[3] محمد نجيب، المصدر السابق، ص٧٧-٧٨.

حزب الوفد حملة فى صحفه على هذا الاتجاه عامة وعلى سليمان حافظ خاصة، ودارت مناقشات حادة داخل مجلس القيادة وكان يساند سليمان حافظ فى رأيه صلاح سالم، وجمال سالم، ويقف فى موقف المعارضة منه عبد الناصر وعامر وصديق ومحى الدين ونجيب، لكن هذه المعارضة لم تمنع سليمان حافظ من الاعتراض على تعيين النحاس فى الرئاسة الشرفية لهيئة الوفد. لكن نبرة المعارضين قد خفتت ربما لأن مقاومة الأحزاب لم تكن صلبة. لكن يوسف صديق وخالد محى الدين ظلا معارضين لقانون الأحزاب، وقد ظهرت آراء جديدة تنادى بالتخلص نهائيًا من الأحزاب[١].

وفى ١٦ يناير "١٩٥٣" أقدم الضباط على خطوة مهمة وذلك بإصدار المرسوم رقم ٣٧ لسنة ٥٣، بشأن حل الأحزاب السياسية وهو المرسوم الذى نص إلى جانب حل الأحزاب السياسية، على حظر تكوين أحزاب سياسية جديدة[٢].

- إعدام العاملين خميس والبقري.

قام عمال شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع فى كفر الدوار بمظاهرة احتجاج، استمرت يومى ١٢و١٣ أغسطس للمطالبة ببعض الحقوق العمالية. وتصدى لهم البوليس ووقع اشتباك أدى إلى اشتعال الحرائق، والاستنجاد بقوات الجيش وانتهى الأمر بمصرع ثلاثة جنود وثلاثة عمال وجرح ٢٨. وتصرف مجلس قيادة الثورة إزاء هذا الموقف تصرف حكومة عسكرية، وليس تصرفًا سياسيًا، ظنًا منهم أن هذه المظاهرات هى بداية أعمال ضد الجيش، لذلك قرر الضرب بشدة على أيدى قيادات العمال عقابًا وإرهابًا لغيرهم، فتشكل مجلس عسكرى تطبيقًا لقانون الطوارئ وسلطات الحاكم العسكرى العام، وعُقدت

---

(١) محمد نجيب، المصدر السابق، ص٧٨، ٧٩، ٨٨.؛ عبد الحكيم عامر، خطب وتصريحات عبد الحكيم عامر من ٢٣ يوليو "١٩٥٥"- ١٨ أكتوبر "١٩٦٥"، القاهرة، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة، "١٩٦٥"، ص ١٣٦- ١٥٣.

(٢) الحكومة المصرية، التشريعات الصادرة خلال الستة شهور الأولى لعهد التحرير ٢٣ يوليو "١٩٥٢"- ٢٣ يناير "١٩٥٣"، القاهرة، المطبعة الأميرية، "١٩٥٣".؛
vatikiotis، OP CIt، p 74-75

المحكمة فى المكان الذى تم فيه المظاهرة[١]. كانت المحكمة سافرة العدوان على حقوق المتهمين، فتجاهلت الحقوق الإنسانية لهم فى توكيل محامين للدفاع عنهم، وقام رئيس المحكمة بتكليف الصحفى موسى صبرى الذى كان يمثل جريدة الأخبار، باعتباره حاصلًا على شهادة الحقوق للدفاع عن المتهمين محمد مصطفى خميس، ومحمد حسن البقرى. كما ترافع مصطفى خميس عن نفسه مدة نصف ساعة، إلا أنه صدر الحكم بالإعدام على المتهمين، والحكم بالسجن على باقى المتهمين، وكان من بينهم صبى فى الثامنة عشرة من عمره. وأثار أسلوب المحاكمة مشاعر الجماهير فى مصر، كما وضع حدتو التنظيم الشيوعى الممثل للقوى العاملة فى وضع شديد الحرج، فبالرغم من أن خميس والبقرى لم يكونا أعضاء فى التنظيم؛ إلا أن الدفاع عنهما اعتبر واجبًا مقدسًا على كل تنظيم أو شخص شيوعي[٢].

لكى يُنفذ حكم الإعدام كان لا بد أن يُصادق عليه مجلس قيادة الثورة بالإجماع وفقًا لقانون الأحكام العسكرية، لكن لم تتم الموافقة بالإجماع؛ حيث اعترض على الحكم ثلاثة أعضاء (يوسف صديق- جمال عبد الناصر- خالد محى الدين)، أما اللواء محمد نجيب فقد كان مترددًا فى التصديق على الحكم واستدعى مصطفى خميس فى مكتبه لمحاولة مساعدته إذا قدم إليه معلومات مفيدة، لكنه لم يحصل منه على معلومات حيث إنه لم يتهم أحدًا ولم يرتكب جرمًا يستحق عليه الإعدام. فقد أثارت محاكمة كفر الدوار عاصفة شديدة من النقد على المستوى العالمى، فإن تصرفات المجلس العسكرى وأسلوبه كانت محل إدانة كل القوى والمنظمات العالمية فى مختلف أنحاء العالم، وأدى هذا الموقف إلى وضع حدتو فى موقف صعب؛ حيث إنها تؤيد الثورة منذ أن كانت تنظيمًا للضباط الأحرار، فهى بذلك تؤيد النظام الذى يقوم بإعدام العمال المفترض أن تقوم بالدفاع عن مصالحهم[٣].

---

[١] علية توفيق، المصدر السابق، ص٨٧.

[٢] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص ٢٨٩.

[٣] نفس المرجع، ص٢٩٠ ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص٨٨.

- **اعتقال ضباط المدفعية.**

كان تشكيل مجلس القيادة من أولى الأمور التي أثارت نفوس الكثير من الضباط الأحرار، وظلت ظاهرة الاستياء كامنة في نفوس كثير من الضباط الأحرار الذين كانوا يرون أن تشكيل المجلس السليم ينبغي أن يقوم عن طريق الانتخابات مع مراعاة التوزيع النسبي لأسلحة الجيش. وعلى هذا قامت مجموعة من ضباط المدفعية بطرح هذا الاقتراح على مجلس قيادة الثورة. وقد أحدث هذا الأمر خلافًا داخل مجلس القيادة، حيث شعر بعض الأعضاء بخطورة هذا الاقتراح على مراكزهم، لا سيما أن بعض هؤلاء الضباط الذين قدموا الاقتراح كانوا يتمتعون بشخصية قوية ولهم شعبية كبيرة في أسلحتهم. قام مجلس القيادة بعقد اجتماع عاجل لبحث هذا الأمر. وكان يوسف صديق من المؤيدين لهذا الاقتراح وهو أن يتم تمثيل الجيش في مجلس القيادة عن طريق الانتخاب، وعندما سأله أحد زملائه في المجلس هل تضمن أن تنجح في الانتخابات؟ فأجابه بأنه ليس من المهم أن ينجح ويفوز بعضوية المجلس، وأن الاطمئنان هو الأهم[1]. فتبين لهم أن ثمة انقلابًا على وشك الوقوع برئاسة رشاد مهنا، لذا قرر مجلس القيادة الضرب على أيدي هؤلاء الضباط كي لا يستفحل الأمر، ويُحدث فتنة في صفوف الجيش. وفي ١٥يناير ١٩٥٣ صدر قرار باعتقال هؤلاء الضباط مَقدمي الاقتراح وعلى رأسهم رشاد مهنا وقلة من ضباط المشاة، وتم إيداعهم سجن الأجانب واحتجاجًا على ذلك اعتصم زملاء هؤلاء الضباط في ميس المدفعية إعلانًا لاعتراضهم على قرار الاعتقال[2]. كما اعترض يوسف صديق وبشدة على قرار اعتقال ضباط المدفعية، وانبرى عنهم

---

[1] يقصد الاطمئنان إلى أنها إرادة الجيش وأنهم اختاروا من يعبر عنهم وعن آرائهم، وهذا يدل على نكرانه لذاته، وأنه لم يطمع في السلطة ولا يبحث عن مصلحة شخصية، كما أنه كان يعلم جيدًا أن موقفه هذا سوف يجعله غير مرحب به، وأن آراءه هذه سوف تُثير غضب أغلب أعضاء مجلس قيادة الثورة ومع ذلك فإنه قد قال رأيه بوضوح ولم يهتم إلى شيء سوى أن يُعبر عما يؤمن به. جمال حماد، مجلة أكتوبر، "كيف تخلص مجلس الثورة من يوسف صديق وعبد المنعم أمين"، العدد ٨٢٥، ١٩٩٢/٨/١٦.

[2] صلاح نصر، المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠. ؛ محمد نجيب، المصدر السابق، ص٨٦.

بأنهم جاءوا بحسن نية إلى المجلس، وأنهم قد تناقشوا مع أعضاء قيادة الثورة صراحة وفى وضوح ، مطالبين بتمثيل كل قيادات الجيش عن طريق الانتخاب الحر لجميع الوحدات العسكرية لاختيار ممثليهم، متحدثين مع زميلهم السابق فى المدفعية كمال الدين حسين بذلك. كما كان يوسف صديق من أشد الداعين لانتخاب ممثل الوحدات العسكرية[١].

كان هناك تصدع فى مجلس قيادة الثورة وزاد بقرار اعتقال ضباط المدفعية، فكان أغلب أعضاء المجلس فى جانب ومحمد نجيب فى جانب آخر، بينما يوسف صديق وخالد محى الدين قد اتخذا جانبًا ماركسيًا، ولم يخفيا اتجاههما، بل كانا صريحين مع أعضاء المجلس ومع أنفسهما. وكانت إستراتيجية الاثنين الماركسية هى تنمية العوامل الإيجابية فى الحركة، والعمل على إذابة التناقضات. إلا أن قرار اعتقال الضباط كان حدًا فاصلًا بالنسبة إلى يوسف صديق، كما امتدت الاعتقالات إلى السياسيين فضلًا عن مصادرة الجرائد والمجلات اليسارية. وكان الحياد مرفوضًا فى تلك الفترة من قِبل البكباشى يوسف صديق، وقد أظهرت حركة الجيش معارضتها للفكر الماركسى، لا سيما عندما خطب البكباشى يوسف صديق فى بنى سويف وقال إن حركة الجيش لا شرقية ولا غربية[٢]، وكانت هذه الخطبة تم تسجيلها لإذاعتها، إلا أن مجلس القيادة منع إذاعة هذا التسجيل، حيث إن تصريح البكباشى يوسف صديق قد أثار غضب السفارة الأمريكية. وصرح البكباشى جمال عبد الناصر للسفير الأمريكى بأن قول يوسف لا يُعبر عن رأى المجلس وإنما هذا نابع من وجهة نظره الشخصية، كما أصدر تعليمات للصحافة بعدم نشر صور للبكباشى يوسف صديق. مما أدى لزيادة الخلاف بين صديق وعبد الناصر. وبدأت

---

(١) إبراهيم سطوحى، انشقاق الثوار: صراع ضباط ثورة ٢٣ يوليو، القاهرة، الزهراء للإعلام العربى، "١٩٩٠"، ص٢٥.

(٢) حيث ذهب يوسف صديق فى جولة إلى الأقاليم بصحبة الوزيرين: وزير الإرشاد القومى (فتحى رضوان) ، ووزير الشئون البلدية (عبد العزيز على) ، وقد ذهب عبد الناصر ليوسف صديق ليسأله عما فعله فى بنى سويف وأدى لإثارة غضب السفارة الأمريكية. خالد محى الدين، المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣.

التناقضات تنمو بين مجلس القيادة ويوسف صديق يومًا بعد يوم، وبالرغم من أن خالد محى الدين ينتمى إلى نفس فكر يوسف صديق إلا أن أسلوب الأول يختلف عن أسلوب الأخير، فقد كان يوسف صديق أكثر صراحة وانفعالًا، أما محى الدين كان أكثر هدوءًا ومرونة[1].

أصبح مجلس قيادة الثورة مثل السمك يأكل بعضه فلم يقف الأمر عند اعتقال رشاد مهنا وضباط المدفعية، إلا أنه وصل إلى أعضاء المجلس فقد بدأت همسات بعض أعضاء مجلس القيادة تلاحق البكباشى يوسف صديق، كما قام البكباشى جمال عبد الناصر بتحذير اللواء نجيب من صديق بوصفه ماركسيًا يريد أن ينحرف بالثورة لتفكيره على حد قول اللواء نجيب. إلا أن اللواء نجيب لم يتخذ موقفًا واضحًا فقد كان يحترم يوسف صديق كونه متواضعًا، وواضحًا، كما كان يداعبه ويقول له: "أهلا بالرفيق يوسف ستالين" [2][3].

اعترض البكباشى يوسف صديق على قرارات مجلس قيادة الثورة، بداية من حل الأحزاب ومصادرة الصحف وإعدام العاملين خميس والبقرى إلى أن جاء يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ الذى اعتبر حدًا فاصلًا عندما صدر قرار اعتقال ضباط

---

(١) أحمد حمروش ، المرجع السابق، ص٢٩٢-٢٩٣ ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص٩١-٩٨ ؛ خالد محى الدين، المصدر السابق، ص٢١٣ ؛ مجلة روزاليوسف، "مذكرات يوسف صديق"، العدد ١٣٤٦، ٢٩ /١٩٥٤/٣، ص٨.

(٢) ستالين: هو جوزيف فيساريو نوفيتش دجو غاشيفيلى ستالين (١٨٧٩- ١٩٥٣) Joseph Stalin، هو القائد الثانى للاتحاد السوفيتى ورئيس الوزراء (١٩٤١-١٩٥٣) ، تسمّى بالاسم "ستالين" وتعنى "الرجل الفولاذى، فبعد نجاح ثورة أكتوبر "١٩١٧" و تأسيس الحزب، انضم ستالين للحزب وجاءته الفرصة لاكتساب مكانة بارزة داخل الحزب الشيوعى، وفى العام "١٩٢٢"، تقلّد ستالين منصب الأمين العام للحزب الشيوعى. عرف بقسوته وقوته وأنه قام بنقل الاتحاد السوفيتى من مجتمع زراعى إلى مجتمع صناعى؛ مما مكن الاتحاد السوفيتى من الانتصار على دول المحور فى الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى. توفى فى مارس "١٩٥٣".عبد الفتاح أبو عيشة، المرجع السابق، ١٥١-١٥٣.

(٣) محمد نجيب، المصدر السابق، ص٨٤-٨٥. ؛ إبراهيم سطوحى، المرجع السابق، ص٢٦.

المدفعية. فأعلن أن ضميره لا يسمح له بالبقاء فى عضوية مجلس قام باعتقال زملاء شرفاء يعبرون عن رأيهم، واعتبر هذه المسألة نقطة تحول فى تاريخ وتقاليد الجيش المصرى، إذ أودع الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية فى سجن الأجانب، وهذا الإجراء يضرب بتقاليد الجيش المصرى عرض الحائط[1]. قائلًا" إن ضميرى لا يمكن أن يستريح وأنا عضو فى مجلس القيادة الذى يصدر قرارات تخالف قناعاتى ومعتقداتى، ولا يكفى دفاعهم عن موقفهم بحجة أن القرارات تصدر بالأغلبية، لأن مجلس القيادة فى رأيى لا يمثل الشعب ولا الجيش أيضًا"[2]. لكن لم يتم إعلان نبأ استقالة البكباشى يوسف صديق، خوفًا من ردود الأفعال على الساحة السياسية عند علمهم بتقديم أحد أعضاء مجلس القيادة استقالته فى هذه الفترة المبكرة، وأبقوا الأمر سرًا[3]. إلا أن المجلس حرص على جعل السفارة الأمريكية على علم بالتطورات، حيث تم إبلاغ كامفرى بأنه تم إلغاء الدستور وخلع البكباشى يوسف منصور صديق[4]. ولكن يوسف صديق لم يتم خلعه ولم يجبره على تقديم استقالته سوى قرارات المجلس التى لا تتناسب مع مبادئه، ولا تتفق مع المبادئ الستة للضباط الأحرار التى تم الاتفاق عليها لا سيما الديمقراطية، فضلًا لرؤيته أن قرارات مجلس القيادة التى تصدر بالأغلبية لا تمثل الشعب، كما أنها لا تمثل الجيش أيضًا[5]. فقدم استقالته مخاطبًا فيها اللواء نجيب فى ١٦ يناير "١٩٥٣" قائلًا:" لا أقبل أن أهدمك على أيديهم لما بينى وبينك من حب صادق، ولا أقبل أن أهدم مصر على يديك لما بينى وبينها من عهد قديم. لذلك أرجو قبول استقالتى"[6].

---

(١) أحمد حمروش، المرجع السابق ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص٩٨ ؛ مجلة روزاليوسف، مذكرات يوسف صديق،١٩٥٤/٣/٢٩. ؛ إبراهيم سطوحى، المرجع السابق، ص٢٥.

(٢) نفس المرجع، ص٢٥.

(٣) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١٥٣.

(٤) جول جوردون، حقيقة ثورة يوليو، ت: عادل عبد الصبور، الدار العالمية للكتب والنشر، د.ت، ص١٩٢.

(٥) إنها لا تمثل الجيش بدليل ما طالب به ضباط المدفعية، وهو أن تكون عضوية المجلس بالانتخاب.

(٦) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص١٥٢، ١٥٣ ؛ محمد نجيب، المرجع السابق، ص٨٥ ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص٩٢ ؛ صلاح نصر، المصدر السابق، ص ١٤١.

بيد أن حركة الضباط الأحرار لم تجنح إلى التعاون مع الأحزاب، أو محاولة احتوائها حتى صدر قانون حل الأحزاب فى ١٧ يناير ١٩٥٣، إلا أنها ظلت تحتفظ بعلاقات طيبة مع الإخوان وتم استثناؤهم حتى لا يتم حلهم، باعتبارهم جماعة وليس تنظيمًا حزبيًا. والجماعة لم تكن تهتم كثيرًا لقضية حل الأحزاب حيث كانوا يخططون لاحتواء الحركة . وفى الواقع أن حركة الجيش منذ لحظتها الأولى فى ليلة ٢٣ يوليو لم تكن تتحرك بإستراتيجية متكاملة يُمكن منها التنبؤ بالاتجاه الإستراتيجى لها، فمن إصرار على إذاعة بيان بتحديد موعد الانتخابات فى فبراير "١٩٥٣"، إلى تراجع كامل عن الانتخابات وتأجيلها لأجل غير مسمى، ومن حرصها على إعلان التمسك بالدستور إلى إلغائه، ومن بيان يظهر بقبول مبدأ وجود الأحزاب إلى مرسوم يحل الأحزاب، ومن الحديث عن الحريات والتمسك بها إلى القيام بحركة الاعتقالات وفرض الرقابة على الصحف[1]. اعتقد مجلس قيادة الثورة أنه قادر على سدِّ الفراغ السياسى عقب قرار حل الأحزاب، بتكوين هيئة التحرير التى أعلن عنها فى ٢٣ يناير "١٩٥٣" بمناسبة مرور سنة على نجاح الحركة، ولم يفكروا فى إشراك الشعب فى مسئولية الحكم، إنما قرروا أن ينفردوا وحدهم بهذه المسئولية معتمدين على مظاهر التأييد المحيطة بهم، دون السعى إلى خلق نظام يكفُل المشاركة والرقابة الشعبية واستمرار الروح الثورية. ولم تستطع هيئة التحرير التى أعلن عنها اللواء نجيب أن تضم بين صفوفها أحدًا من الذين مارسوا العمل السياسى من قبل عدا قلة محدودة، فى الوقت الذى ضمت فيه جدران السجون قادة الأحزاب السياسية، والتنظيمات الشيوعية، ولم يكن مطلق السراح سوى جماعة الإخوان المسلمين. بذلك أثبتت حركة الجيش بأنها نبتت من الطبقة الوسطى (البرجوازية الصغيرة) وأنها عملت على خدمة طبقتها وترسيخ قواعدها[2]. لقد نفى عبد

---

[1] أحمد حمروش، المرجع السابق، ص ٢٧٦-٢٧٧.

[2] بقدر ما استغلت الطبقة الإقطاعية الطبقة الوسطى فى خدمتها، بقدر ما بدأت الطبقة الوسطى تستغل مظاهر التأييد من الطبقة العاملة والفلاحين فى ترسيخ قواعدها، فقد أعادت الرقابة على الصحف وفتحت المعتقلات وتعددت عمليات الفصل بلا محاكمة. أحمد حمروش، المرجع السابق، ص٢٧٩. لقراءة المزيد عن هيئة التحرير باعتبارها

الناصر فى كتبه وتصريحاته الصفة الحزبية عن هيئة التحرير، فهى لم تكن حزبًا ثوريًا بل كانت محاولة لإعادة تصنيف القوى الوطنية، وقال إنها " أداة لتنظيم قوى الشعب وإعادة بناء مجتمعه على أسس صالحة..." (١).

كان البكباشى جمال عبد الناصر يستشعر خطر آراء البكباشى يوسف صديق، فهو الوحيد الذى ظل متمسكًا بآرائه ولم يستطع زملاؤه التأثير عليه، فقد كان كل من اللواء نجيب والبكباشى عبد الناصر والصاغ عبد الحكيم عامر تارة يعارضون وتارة يرضخون لرأى الأغلبية، فقد أغرتهم السلطة. وربما كانت هناك نية مبيتة لعبد الناصر للتخلص من يوسف، وربما كان يعلم أنه سيضيق ذرعًا بالقرارات التى سيتم اتخاذها فى مجلس القيادة، وما يُدلل على ذلك أنه عقب قيام الثورة قام رئيس دار الهلال بإقناع البكباشى جمال عبد الناصر فى التقاط صورة تضم أعضاء مجلس قيادة الثورة، ويتم توزيعها بمثابة هدية مع مجلة المصور، وتم إعداد الصورة وطباعتها وقبل توزيع العدد بيوم أمر البكباشى جمال عبد الناصر بإلغاء فكرة توزيع الصورة كهدية، وطلب منه الحضور، وعندما توجه رئيس التحرير إلى عبد الناصر لمعرفة سبب إلغاء فكرة توزيع الصورة، أخبره أنه لا يريد الشعب أن يرى أعضاء مجلس قيادة الثورة كاملًا ثم بعد فترة يجدون أنه تخلف منهم اثنان. وعندما سأله من هما أخبره يوسف صديق وعبد المنعم أمين(٢)(٣).

أولى التنظيمات السياسية للثورة والتنظيمات السياسية الأخرى، انظر سامى شرف، سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر- شهادة سامى شرف"، ط١، القاهرة، مكتبة مدبولى، "٢٠٠٦"، ص ١١٤- ٢٠٧.

(١) مجموعة خطب وتصريحات عبد الناصر من ٢٣ يوليو "١٩٥٢" إلى يناير "١٩٥٨"، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، "١٩٥٨"، ص١-٢٣٧. ؛ صلاح نصر، ثورة يوليو بين المسير والمصير، ص١٢١.؛

Ansari، H. ، *Egypt the stalled society*، New Yourk، 1986، p83.

(٢) رشاد كامل، الصحافة والثورة ذكريات ومذكرات، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، "٢٠٠٢"، ص ١٧٠-١٨١ ؛ حلمى سلام، مجلة صباح الخير، العدد ١٤٩٢، ١٩٨٤/٨/٩.

(٣) أخبرت السيدة سهير صديق الكاتبة بأنها استطاعت الحصول على الصورة التى تم مصادرتها من عدد المصور فى فبراير "١٩٥٣"، وقد علمت بعد مرور سنوات بالحديث

حرص جمال عبد الناصر مؤسس التنظيم على ربط الجيش به شخصيًا، عن طريق عبد الحكيم عامر، وبتكوين خلايا جديدة كان هدفها تأمين الثورة وكشف أعدائها داخل الأفرع المختلفة للقوات المسلحة، ومن ناحية أخرى فإنه كان ينظم اجتماعات للضباط الأحرار للاستماع إلى آرائهم، وكانت هذه الاجتماعات تستهدف- أساسًا- دراسة توجهاتهم، وإمكانياتهم وحجم المشاكل التى يمكن أن يتسببوا فيها، وبغرض إحكام السيطرة على الخيوط التى تحركهم حتى لا يتعرض النظام لموجات متتابعة من الانقلابات العسكرية، يذكر صلاح نصر أنه كنتيجة لهذه الأزمة، اندفع عبد الناصر نحو الجيش ليزيد من سيطرته عليه، بتشكيل تنظيم سرى، تكونت خلاياه بالفعل تحت رئاسته شخصيًا، ثم أصبح عبد الحكيم عامر مسئولًا عنه، إلى أن آل الإشراف عليه إلى صلاح نصر بعد ذلك، ولقد أعد هذا التنظيم وحدات كاملة لتكون تابعة تبعية مطلقة لمجلس قيادة الثورة، وهى الوحدات التى ستلعب دورًا مهمًا وحاسمًا خلال أزمة مارس "١٩٥٤"[1].

على أية حال ألقت أزمة يناير "١٩٥٣" بظلالها على مجلس قيادة الثورة، إذ كان من أبرز نتائجها تعرض هذا المجلس - الذى كان يحكم مصر- لهزات عنيفة أفقدته تماسكه ومسخت التوازن الذى حرص عليه أعضاؤه طوال فترة العمل السرى قبل ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، فخلال هذه الأزمة أُطلقت الشائعات ضد عضو مجلس قيادة الثورة عبد المنعم أمين وزوجته وتخلص منه مجلس قيادة الثورة، لكن عبد المنعم أمين لم يُستبعد بسبب هذه الشائعات، بل نتيجة لأسباب أخرى كثيرة، منها اختلاف المنشأ الاجتماعى والفكرى، ومنها انضمامه إلى تنظيم الضباط الأحرار قبل ساعة الصفر بأربع وعشرين ساعة فقط، ومنها علاقته برشاد مهنا. انتهز مجلس قيادة الثورة فرصة محاولة الانقلاب الفاشلة

الذى تم بين الكاتب حلمى سلام والبكباشى جمال عبد الناصر بشأن الصورة التى تم التقاطها لأعضاء مجلس قيادة الثورة، من خلال المقال الصحفى الذى نُشر فى مجلة صباح الخير عام "١٩٨٤". محضر النقاش السابق مع السيدة سهير صديق، بمنطقة المعمورة، الإسكندرية، ١٠/٥/ ٢٠١٢. ملحق رقم (٢٠) الصورة التى تجمع أعضاء مجلس قيادة الثورة، والتى كانت ستوزع هدية مع العدد عقب نجاح ثورة ٢٣ يولية.

[1] جمال شقرة، دراسات فى تاريخ مصر المعاصر، ص ١٠٦- ١٠٧.؛ صلاح نصر، المصدر السابق، ص ١٤٢.

ليتخلص ليس فقط من عبد المنعم أمين، الذى كان يقف على يمين المجلس، بل أيضًا من يوسف صديق الذى كان يقف على أقصى يساره [١].

رابعًا- استقالة يوسف صديق من مجلس قيادة الثورة:

بالرغم من أن خلافه مع مجلس قيادة الثورة يرجع إلى الأيام الأولى منذ انضمامه إليه، إلا أن أزمة يناير "١٩٥٣" وضعت حدًا لاستمرار عضويته، حيث وافق على ما طرحه ضباط المدفعية، وطالب أن يكون مجلس قيادة الثورة بالانتخاب، وعندما أُعتقل هؤلاء قدم هو استقالته محتجًا على ما أسماه بالممارسات الدكتاتورية لمجلس قيادة الثورة[٢]. وكانت استقالته فى يناير "١٩٥٣" أول استقالة من مجلس قيادة الثورة ، حيث قدمها إلى اللواء نجيب بحكم أنه رئيس مجلس القيادة، وهذا ما تم ذكره سابقًا، وذكر اللواء نجيب أنه فوجئ عقب اعتقال ضباط المدفعية بيوسف صديق يقدم استقالته ويُصر عليها رغم محاولات اللواء نجيب المتكررة للعدول عنها إلا أن إجابة يوسف على ذلك إنه لا يمكن أن يرتبط بمجموعة لا يوافق على سياستها[٣]. ويذكر كمال الدين حسين:" كانت أول استقالة من مجلس قيادة الثورة تقدم بها يوسف صديق. حقيقة إنه دخل مجلس القيادة ليلة الثورة فقط عندما نجح بقواته فى مهاجمة مقر القيادة فى كوبرى القبة، إلا أنه فى فبراير "١٩٥٣" قدم استقالته، وعندما حاولنا إقناعه بالعدول عنها قال: أنتم تتحدثون فى كلام لا أفهمه"[٤]. وعندما أبقوا الأمر سرًا ولم يعلنوا عن استقالته، وقد أكد على استقالته أثناء وجوده فى أسوان، وكان هناك تأكيد آخر على استقالته من مجلس القيادة واستقالته من الجيش عمومًا عندما أرسل برقية مفتوحة إلى اللواء نجيب عقب عودته سرًا من منفاه فى سويسرا. حيث قال:" وصلت إلى بلدتى **وأطلب تسوية حالتى - وقبول استقالتى". وكانت هذه البرقية فى أغسطس "١٩٥٣"، كانت هذه سابقة**

---

[١] نفس المرجع، ص١٠٧.

[٢] نفس المرجع، ص١٠٧- ١٠٨.

[٣] محمد نجيب، المصدر السابق، ص٨٦.

[٤] سامى جوهر، "الصامتون يتكلمون"، القاهرة، ط٢، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر، "١٩٧٥"، ص١٥.

أولى فى أن يتم إرسال استقالة إلى رئيس الدولة فى برقية مفتوحة من مكتب تلغراف[1][2]. وقد تناول الفصل الخامس إبعاد يوسف منذ تقديم استقالته عن مسرح الأحداث السياسية بداية من سفره إلى أسوان وحتى اعتقاله فى أبريل "١٩٥٤" عقب مناداته بتكوين جبهة وطنية، مطالبًا الجيش بالعودة إلى ثكناته.

خامسًا- دور يوسف صديق فى أزمة مارس:

لم تكن أزمة مارس مجرد صراع على السلطة بين أنصار اللواء نجيب وأنصار البكباشى عبد الناصر، أو صراع بين المعسكرين على اغتنام السلطة فى البلاد بل كانت الأمور أكثر عمقًا من ذلك لمن يريد قراءة التاريخ وأحداثه متجردًا من الأهواء والمصالح الشخصية[3]. لكنها ظهرت على أنها صراع بين إرادتين واحدة تُطالب بالديمقراطية والحياة النيابية السليمة تطبيقًا للمبدأ السادس لثورة يوليو. وهو المبدأ الأهم الذى تم إقصاؤه وتأجيله من قبل أعضاء مجلس قيادة الثورة. وكان البكباشى يوسف صديق من أكثر المؤيدين لهذا المبدأ، وطالب به كثيرًا وكان سببًا فى تقديم استقالته عندما لاحظ إقصاء هذا المبدأ وبعض المبادئ الأخرى منها عودة الجيش إلى ثكناته، أما الإرادة الأخرى كانت تُصر على تطبيق الحكم الانفرادى وإلغاء الأحزاب وفرض الرقابة على الصحف وتقييد الحريات فى البلاد[4]. وكان اللواء نجيب يوافق على تلك القرارات فى البداية، إلا أنه قام بتغيير موقفه فى محاولة فى ظاهرها أنه يناصر

---

[1] وكان (عبد المجيد شديد، وحيد رمضان، محمد السقا) برفقة يوسف فى أسوان. محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ١٧٨ ؛ عبد المجيد شديد، محضر النقاش السابق، ٢٠١٥/٥/٥.

[2] قام يوسف بإرسال البرقية من مكتب تلغراف مدينة الواسطى، فعقب عودته من منفاه فى سويسرا ذهب إلى لبنان سرًا ومنها إلى مصر ليقيم فى بلدته مركز الواسطى، وهذا ما ستتناوله الكاتبة بالحديث لاحقًا فى المكان المخصص لها. ومن يتمعن النظر فى تاريخ استقالة يوسف من مجلس قيادة الثورة يستطيع أن يُحدد أسبابها.

[3] عبد العظيم رمضان، الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر منذ قيام ثورة يوليو "١٩٥٢" إلى نهاية أزمة مارس "١٩٥٤"، ط٢، القاهرة، مكتبة مدبولى، "١٩٨٩"، ص٤٣.

[4] محمد ثروت، الأوراق السرية لمحمد نجيب، ط٢، القاهرة، دار الجمهورية للصحافة، "٢٠٠٧"، ص ١٣٨.

مبدأ الديمقراطية، وفى باطنها هى دفاع عن السلطات التى حصل عليها. وحقيقة الصراع كان بين اللواء نجيب وجمال عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة.

فقد ظهرت الخلافات فى مجلس قيادة الثورة نتج عنها أن لجأ الشيوعيون والإخوان المسلمون والوفديون إلى استغلال الرئيس محمد نجيب، كل منهم يدبر ويخطط للاستفادة من محمد نجيب فى التخلص من مجلس قيادة الثورة، وذلك تمهيدًا للاستيلاء على السلطة والتخلص من محمد نجيب نفسه، إلا أن الرئيس نجيب لم يكتشف النوايا الحقيقية لهذه الجهات الثلاث[١].

ويعتبر صدام اللواء نجيب بمجلس قيادة الثورة بمثابة أعنف ضربة وجهت لمجلس قيادة الثورة، بل هدد هذا الصدام الذى استغرق شهرى فبراير ومارس مصر بحرب أهلية مروعة. كما سبق الإشارة أن اللواء نجيب كان قائدًا عامًا للثورة رشحه عبد الحكيم عامر لهذه المهمة الوطنية ووافق أعضاء الهيئة التأسيسية للتنظيم بالإجماع على هذا الاختيار، وكان البكباشى عبد الناصر مؤسس تنظيم الضباط الأحرار ومفجر ثورة يوليو، وعقب نجاح حركة الضباط الأحرار لم يعلم الشعب سوى الرجل الذى وقع على البيان الأول للثورة، وعلى الإنذار الموجه للملك بالتنازل عن العرش، واكتسب اللواء نجيب فى فترة قياسية شعبية عارمة، وتناولت صحف العالم أخباره، على أنه مفجر الثورة ورئيسها الفعلى وصاحب الكلمة النافذة داخل مجلس قيادتها[٢]. فقد كان المصريون يستيقظون كل صباح على صورته تملأ الصفحات الأولى من جرائدهم ويطالعون باهتمام كلماته وأحاديثه، فترسخت فى أذهانهم صورة له، بأنه الرجل المحبوب الودود المجامل الذى يود أن يرضى - الجميع - الضباط والمدنيين، الفلاحين والإقطاعيين، العمال وأرباب الأعمال، السياسيين القدامى والمتطلعين إلى الحكم، المصريين والسودانيين. لذلك كان الجميع يصفق له أينما ذهب وأينما ظهر، وأصبحت هذه الشخصية التى وصفها بعض الصحفيين

---

[١] أحمد طعيمة، شاهد حق صراع السلطة، قليوب، مطابع الأهرام التجارية، "١٩٩٩"، ص ٧٦.

[٢] جمال شقرة، المرجع السابق، ص ١٠٨. نفس المؤلف، الحركة السياسية فى مصر، ص ٥١٢-٥١٣.

الأجانب بالدكتاتور الضاحك، رمزًا محبوبًا بشوشًا لحركة ٢٣ يوليو وللوحدة بين شقى الوادى مصر والسودان[١].

وأخذت شعبية اللواء نجيب تتزايد، وتناسى ضباط مجلس القيادة أنفسهم والضباط الأحرار المقربون منهم حقيقة أنهم لجأوا إليه كونه رتبة كبيرة كى يعطى للحركة احترامها[٢]، وكثرت خطب ضباط القيادة أمام الجماهير باللواء محمد نجيب وتشيد بقدراته وقيادته الحكيمة ووطنيته الصادقة، ويرددون أن اللواء نجيب هو قائد الثورة، وأنهم جنوده الأوفياء ووصفه أنور السادات على رأس أعظم عشرة رجال فى العالم فى الاستفتاء الذى أجرته مجلة المصور فى مايو "١٩٥٣" [٣].كما كانت الصحافة الغربية ترى فى أفكار اللواء نجيب وثقافته ما يدفعه لإلحاق مصر بركب الأمم المتقدمة[٤]، ولم يتخلف عبد الناصر عن تأييده وإظهار إعجابه بقيادته[٥]. كان عبد الناصر رئيس تنظيم الضباط الأحرار لكنه آثر عدم الكشف عن شخصيته[٦].

ولكى نقف على بداية المشكلة يجب الإشارة إلى أن أسباب تلك الأزمة ترجع إلى الأيام الأولى للثورة، عندما وجد الضباط الأحرار أنه لا بد من وجود وجه أبوى يطلون به على الجماهير، فلجأوا إلى اللواء نجيب وأشادوا بأنه قائد الثورة، هكذا رأت الجماهير أول ما رأت من الثورة وجهها الطيب الأبوى الطيب، لكن الطيبة لا تصنع ثورة والأبوة عاطفة تعود إلى الغريزة وليس العقل. لم يكن نجيب قائدًا للثورة، ومع ذلك لقب بقائد الثورة! وأصبح رئيسًا

---

[١] المرجع السابق، ص٥١٣. ؛ صلاح الشاهد، المصدر السابق، ص٢٤١.

[٢] سامى جوهر، المرجع السابق، ص١٤ ؛ المصور، عدد٤١٩، ٨ /١٩٥٣/٥.

[٣] حسين مؤنس، "سمعة مصر من التراب إلى السحاب"، مجلة المصور، العدد ١٤٦٤، ٣١ /١٩٥٢/٩. وفى هذا المقال توجد وثائق توضح كيف كان اللواء نجيب يتصدر صحف وأغلفة المجلات الأوروبية.

[٤] لمزيد من التفاصيل، انظر جيفرى أرونسن،"واشنطن تخرج من الظل" ت محمد سيد أحمد، القاهرة، مؤسسة الأبحاث العربية ودار البيان، "١٩٨٧".

[٥] محمد ثروت، المرجع السابق ، ص٤٥.

[٦] جمال سليم، "الصامتون فى الميزان"، القاهرة، مكتبة مدبولى، "١٩٧٦"، ص٢٧. ؛ جمال شقرة، دراسات فى تاريخ مصر المعاصر، ص١٠٨.

للجمهورية بالتعيين. كانت السياسة تصنع باسمه والتغيير عليه خاتمه وبصمته. وفى لحظة شعر اللواء نجيب أنه صاحب كل هذا وأن له حقوقًا أكثر من حقوق أعضاء مجلس القيادة، وأقنعه أصحاب المصالح أنه يمكنه الاحتفاظ بالسلطة التى آلت إليه، وكان هؤلاء يريدون أن يسرق نجيب الثورة وتنتكس على يديه وتعود الأحزاب، ويعود الإقطاع ورأس المال يحكم مع الاستعمار، ويصبح الاستقلال مجرد كلمة وصورة، وكأن الثورة ليست إلا تغيير أسماء. وكان يقف وراء الأبواب رجال ينتظرون ليعلنوا موافقتهم وتأييدهم، وعلى استعداد لتقديم المساعدة لتحقيق هذا الهدف، وهو أن تتحول الثورة إلى صالحهم وتسقط فى أيديهم. وكان الاستعمار الإنجليزى والنفوذ الأمريكى الذى قد بدأ يطرق أبواب المنطقة على استعداد لتأييد هذا[١].

وبصرف النظر عن الاختلافات الأيديولوجية الواضحة بين أصحاب هذه الوجوه فقد كانوا يريدون ضرب الثورة التى يمثلها مجلس قيادة الثورة[٢]. لكن اللواء نجيب لم يكن يريد ضرب الثورة، إلا أنه أراد أن ينفرد بالسلطة لذلك نادى بشعار يجعل الجميع يؤيده ألا وهو الديمقراطية، لأنه إذا كان يريد ضرب الثورة فلماذا اشترك فيها ووافق على أن تُعلن باسمه؟!. فقد تولى اللواء نجيب أخطر ثلاثة مناصب فى الدولة ألا وهى رئاسة مجلس قيادة الثورة، رئاسة الوزارة، القيادة العامة للقوات المسلحة[٣]. وبذلك يتضح أن قصة الصراع بين اللواء نجيب والبكباشى عبد الناصر لم تنشأ من فراغ وإنما كانت لها بذور دفينة أخذت فى النمو قبل أن ينقضى عام على بداية الثورة[٤]. وبدأ عبد الناصر تحت تأثير النوازع البشرية يشعر بالغيرة، فقد تركزت كل الأضواء على اللواء نجيب باعتباره الرجل الذى قاد الثورة وطرد الملك، وأنقذ الشعب المصرى من عهد الظلم والطغيان وأصبح أمل البلاد فى تحريرها من الاستعمار البريطانى الجاثم على صدورها منذ سبعين عامًا. ولم يكن عبد الناصر برتبته الصغيرة

---

[١] جمال سليم، المرجع السابق، ص ١٥-١٨، ٢٧.

[٢] نفس المرجع، ص٢٧.

[٣] محمد سعيد الحسن، "عبد الناصر والسودان"، لندن، دار ميدلاين، "١٩٩٢"، ص٦١.

[٤] جمال حماد، مجلة أكتوبر، العدد ٦٧٣، ١٧ /١٩٨٩/٩.

وشخصيته المجهولة لدى معظم أفراد الشعب والجيش بقادر على أن يدخل فى منافسة متكافئة مع اللواء نجيب بشعبيته الضخمة بين الجماهير ومكانته المرموقة داخل مصر وخارجها لا سيما فى السودان(١).

كانت أوضح صفات اللواء نجيب المرونة، وحسن النية، وطيبة تصل لدرجة السذاجة على حد وصف فتحى رضوان(٢). مما أكسبه شعبية جارفة، لكن هذه الصفات هى ذاتها كانت سببًا واضحًا فى فشله وصراعه مع مجلس قيادة الثورة، وإبعاده نهائيًا فى فبراير "١٩٥٤" عن مسرح الحياة السياسية. كانت التناقضات واضحة بين نجيب وضباط مجلس قيادة الثورة، منذ رفض نجيب تسمية ما حدث ليلة ٢٣ يوليو بأنه ثورة، كما أنه أصدر أوامره بصفته مسئولًا عن الرقابة، بعدم استخدام كلمة ثورة والاستعاضة عنها بكلمة الحركة المباركة، وكان عبد الناصر فى غاية الضيق من استخدام هذا اللفظ. كما أصدر أوامره بصفته صاحب السلطة الشرعية العليا فى البلاد، بإيقاف تدخل الضباط فى الوزارات والمصالح الحكومية، الذين أطلق عليهم اسم(مندوبو القيادة)، وكان هؤلاء يحظون بتأييد البكباشى جمال عبد الناصر وضباط مجلس قيادة الثورة، لذلك فإن صدام اللواء نجيب بهؤلاء معناه الصدام بينه وبين مجلس القيادة(٣).
لذلك بدأ عبد الناصر والموالون له يخططون لإزاحة نجيب عن السلطة، بعد أن استنفد أغراضه منه وهو إنجاح الثورة وتولى مسئولية قيادتها وتوطيد دعائمها فى المرحلة الأولى، وهى أخطر مرحلة من مراحل إنجاح الثورة.ومن ثمَّ بدأ فى تنفيذ مجموعة من الخطوات بهدف تقليص صلاحياته ومضايقته ببعض الأمور، وكانت بداية ذلك المخطط فى أوائل مايو "١٩٥٣" فى أثناء إجراءات المفاوضات الرسمية بين مصر وبريطانيا، وكان السبب فى ثورة اللواء نجيب على عبد الناصر هو تصرفات أعضاء الوفد المصرى فى المفاوضات الرسمية

---

(١) محمد ثروت، المرجع السابق، ص٤٤-٤٥.
(٢) فتحى رضوان، الأهالى، عدد ٤٢، ٢٨ /١٩٨٢/٥.
(٣) شهادة محمد رياض، مجلة الأهالى، عدد ٢٥٦٨، ١١ /١٩٨٤/١ ؛ حمروش، المرجع السابق، ص٤٠١-٤٠٢.

التى كانت تجرى مع بريطانيا من أجل تحقيق جلاء القوات البريطانية عن مصر[1][2].

وسعى جمال عبد الناصر إلى إعلان الجمهورية لكى يصبح اللواء نجيب رئيسًا رمزيًا لها، وأن يعين صديقه الصاغ عبد الحكيم عامر قائدًا عامًا للقوات المسلحة، وقد اعترض اللواء نجيب ترقية عبد الحكيم عامر لهذا إلى رتبة اللواء وتعيينه فى هذا المنصب[3]، حتى لا يخلق نقمة عامة فى الجيش التى قد تكون صامتة ومطوية فى الصدور، لكنها ستكون قابلة للانفجار فى أى وقت[4].

فضلًا عن اعتراضه على إعلان النظام الجمهورى، ليس لأنه مؤيد للنظام الملكى، ولكن لرؤيته بأن تحويل نظام البلاد السياسى يجب أن ينص عليه الدستور، وأن يكون ذلك موضع استفتاء شعبى عام[5]. فقد شعر البكباشى جمال عبد الناصر بخطر شعبية اللواء نجيب، حيث علم عن طريق الأجهزة التابعة له باتصالات سرية بين اللواء نجيب والقوى السياسية المختلفة، من وفديين

---

(1) محمد ثروت، المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦. كان الوفد المصرى برئاسة اللواء نجيب وعضوية كل من عبد الناصر، عبد اللطيف بالغدادى، عبد الحكيم عامر، صلاح سالم، محمود فوزى وزير الخارجية. المرجع السابق، ص٤٥.

(2) فقد تكررت ظاهرة خلال الجلسات، وهى قيام أعضاء الوفد المصرى بكتابة أوراق صغيرة ويتم تمريرها إلى عبد الناصر، الذى كان يقرؤها ويشير إلى مرسلها بإيماءة رأس خفيفة. وكان هذا التصرف يعنى تجاهل أعضاء الوفد المصرى لرئيسهم أمام الوفد البريطانى، ومثل هذه التصرفات لا تضعف شخصية اللواء نجيب ولكن تضعف من شخصية مصر، وتدل على وجود خلافات، ومن مصلحة الإنجليز تعميق هذه الخلافات. وإن كان هذا التصرف قد قبله اللواء نجيب فى حدود مجلس قيادة الثورة أو خارجه فإنه لا يمكن أن يقبله على مائدة المفاوضات مع العدو. محمد نجيب،"كلمتى للتاريخ"، ص١٥٢.

(3) عندما تم إعلان قرار تعيين الصاغ عبد الحكيم عامر قائدًا عامًا للجيش، تقدم قائد سلاح الطيران اللواء (حسام محمود) باستقالته من القوات الجوية ورفض أن يستمر فى منصبه، حيث كان عبد الحكيم صاغًا ثم رقى إلى رتبة اللواء وسيرأسه، وقبل اللواء نجيب استقالته وعين بدلًا منه الطيار (محمد صدقى محمود). محمد ثروت، المرجع السابق، ص٤٨.

(4) لكن كان لا يُمكن لأعضاء مجلس قيادة الثورة أن يوكلوا أمر الجيش لشخص من خارج المؤسسة العسكرية وليس من أعضاء مجلس القيادة فيتحكم فى رقابهم. عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص٥٧.

(5) محمد ثروت، المرجع السابق؛ محمد نجيب، المصدر السابق، ص٩٦.

وإخوان وشيوعيين لا سيما عقب تشكيل الجبهة الوطنية التى ضمت تلك التيارات السابقة، وكان يدعمها البكباشى يوسف صديق عقب عودته من المنفى من سويسرا، فقد برز يوسف صديق كمدافع عن التوجه الديمقراطى داخل مجلس القيادة، على أثر ذلك فقد خرج مبكرًا من المجلس فى يناير ١٩٥٣، وتم تحديد إقامته وإجباره على السفر إلى سويسرا(١).

عند الحديث عن أزمة مارس تجدر الإشارة إلى زيارة العاهل السعودى الملك سعود لمصر فى ٢٠ مارس "١٩٥٤"، فقد جاءت زيارة جلالته فى وقت تمر فيه الحركة الوطنية المصرية بمرحلة فى غاية الدقة والخطورة، شاركت فيها كل القوى الوطنية المصرية باتجاهاتها المختلفة آنذاك، حيث كان مجلس قيادة الثورة "ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢" قد قرر عودة الحياة النيابية فى مصر وحل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ يوليو التالى. وكان هذا يعنى عودة الأحزاب السياسية القديمة فى مصر لممارسة نشاطها، رغم ما بدا فى تلك الممارسات قبل قيام الثورة من سلبيات، ورغم أن البلاد كانت تواجه آنذاك الاحتلال البريطانى الغاشم والجاثم على صدرها فى منطقة قناة السويس بكل ما يترتب على ذلك من كفاح وطنى سياسى وفدائى عسكرى، مع ما يتطلبه هذا الكفاح من وحدة وطنية وعمل ثورى ونضالى جاد. فقد حدث خلاف فى وجهات النظر بين الرئيس محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة فى بعض الأمور المتعلقة بتحقيق ذلك ومن أجل تفادى أية نتائج سلبية، لا سيما وأن وحدات الجيش المختلفة وبعض القوى الوطنية والعمالية وغيرها عبرت عن رفضها لهذه القرارات حفاظًا على سلامة الوطن، وحرصًا على عدم رجوع الأوضاع التى سبق أن عاناها الشعب المصرى قبل قيام الثورة، مما كان ينذر بحدوث كارثة وطنية لا تحمد عقباها(٢). فقد بدأت حرب القرارات بين اللواء محمد نجيب وبين مجلس قيادة الثورة، عندما شعر كل منهم أنه يسير فى طريق غير الذى يسير فيه الآخر، فقد رفع اللواء نجيب شعار الديمقراطية وأيدته القوى التى تريد ذلك حقًا، وبعض

---

(١) نفس المرجع، ص٥٥.

(٢) فاروق عثمان أباظة، "زيارة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود لمصر وأثرها فى دعم العلاقات السعودية- المصرية "١٥ رجب ١٣٧٣هـ/ ٢٠ مارس ١٩٥٤"، بحث مقدم لندوة علمية بدار الملك عبد العزيز، الرياض، "٢٠١٥"، ص٦٥.

من القوى الانتهازية، فى حين كان مجلس الثورة يرفع شعار الثورة حتى يتحقق تحرير البلاد[1]

ففى ١٧ يناير "١٩٥٣" أعلن القائد العام للقوات المسلحة محمد نجيب حل الأحزاب، وتحددت فترة انتقالية مدة ثلاث سنوات تنتهى فى ١٦ يناير ١٩٥٦، وفى ١٠ فبراير "١٩٥٣" أعلن اللواء نجيب النظام الدستورى المؤقت ويقضى بأن يتولى أعمال السيادة العليا وله حق اتخاذ التدابير لحماية الثورة وحق تعيين الوزراء أو عزلهم. وفى ١٨ يونيو أعلنت الجمهورية وعين اللواء نجيب أول رئيس لجمهورية مصر العربية، وأصبح مجلس قيادة الثورة يضم (محمد نجيب، جمال عبد الناصر، صلاح سالم، عبد الحكيم عامر، أنور السادات، زكريا محى الدين، حسن إبراهيم، كمال الدين حسين، حسين الشافعى، عبد اللطيف البغدادى، خالد محى الدين)، وفى ٢٥ فبراير أذاع مجلس قيادة الثورة بيانًا باستقالة اللواء محمد نجيب. وكان هذا البيان فى جوهره يحمل معنى التناقض الصريح بين الرئيس محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة، ويكشف للجميع للمرة الأولى بأن ثمة صراعًا فى القمة. وطبقًا لرواية كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة إذ قال" إنهم قد اتفقوا فى بداية الثورة وبعد أن فشلت محاولات المجلس فى أن تقوم كل الأحزاب بتطهير نفسها، أن يتولى المجلس الحكم فى فترة الانتقال التى تم تحديدها، ولكن اضطرتهم الظروف أن يتم تمديد الفترة لسنة أخرى، وقد تفاجأ المجلس بأن الرئيس محمد نجيب يجرى اتصالاته مع رجال الأحزاب السابقين، ويعقد اجتماعات مع الشيوعيين والإخوان المسلمين، والوفديين والسعديين، وأن الرئيس محمد نجيب فى ذلك الوقت كان يعمل لحماية نفسه برجال الأحزاب، وشعر المجلس أنه يريد الاستئثار بالسلطة فقرر المجلس إبعاده، بموافقة الأغلبية وتعيين عبد الناصر رئيسًا لمجلس الوزراء. وقد ساعد خالد محى الدين فى إقامة الجسر بين الرئيس محمد نجيب والقوى السياسية السابق ذكرها، وقدم الرئيس نجيب استقالته فى فبراير "١٩٥٤" محاولة منه للضغط على المجلس[2].

---

(١) جمال سليم، المرجع السابق، ص٢٥.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٧، ٢٩، ٣٦-٣٧.

هكذا بدأ الصراع بين اللواء نجيب كممثل للديمقراطية ينادى بعودة الأحزاب التى شارك فى قرار حلها من قبل والحياة النيابية، وبين الدكتاتورية التى يمثلها مجلس قيادة الثورة باعتباره يرفض عودة الأحزاب ويضرب الإقطاع ومعاديًا للقوى السياسية القديمة. على أثر ذلك حدثت ردود فعل فى الجيش وفى المدن الرئيسة، لكنها كانت ردة فعل محدودة، إلا أن سلاح الفرسان كان شيئًا آخر، حيث كانت الأفكار الديمقراطية تجد مجالًا للنمو فى سلاح الفرسان، لوجود خالد محى الدين ضابط مخابرات السلاح ، وثروت عكاشة أركان حرب السلاح[1]. ولكن التفسير الأمثل لسرعة رد الفعل وقوته فى سلاح الفرسان هو أن السلاح فى ذلك الوقت كان يضم أولاد الذوات الذين ترجع أصولهم الطبقية إلى الإقطاعيين والرأسماليين، الذين كانوا يمثلون زعامات الأحزاب القديمة التى وجهت الثورة إليها بعض ضرباتها. ولما كان الرئيس نجيب بدأ التواصل مع الأحزاب القديمة فهو الأمل أمامهم فى عودة الامتيازات القديمة تحت أى شعار، فخرج سلاح الفرسان مطالبين بعودة الرئيس محمد نجيب والحياة الديمقراطية فى فبراير ١٩٥٤ [2]. ولخطورة الأزمة التى لم يكن يخفى على العاهل السعودى النتائج السلبية التى ستترتب عليها، بذل جهدًا لجمع الشمل وتأليف القلوب، وتقريب وجهات النظر حتى تمر الأزمة التى يتعرض لها الشعب المصرى، واجتمع العاهل السعودى بالبكباشى جمال عبد الناصر نائب الرئيس وبالرئيس محمد نجيب فى قصر الطاهرة بالقاهرة للتوسط بينهما فى الخلاف القائم بين مجلس القيادة والرئيس[3].وقد استجاب الرئيس نجيب لنصيحة الوسطاء بأن يوجه بيانًا للأمة يخبرهم فيه أن استقالته لا تعنى العداء لمجلس قيادة الثورة، وكان هذا بمثابة تهدئة للنفوس وهذا البيان قبل قرار عودته لمنصبه، هذا وقد أصر البكباشى جمال عبد الناصر على عدم تقديم الرئيس محمد نجيب استقالته، ونظرًا لإلحاح الجميع ومنعًا لوقوع حرب أهلية فى مصر قبل الرئيس البقاء فى منصبه. وغادر الملك سعود مصر بعد أن قضى فيها تسعة أيام، وعقب مغادرة طائرة العاهل السعودى سقط الرئيس محمد نجيب مريضًا فى

---

[1] أحمد حمروش، المرجع السابق، ٣٢٨. ؛ انظر كذلك أحمد طعيمة، المصدر السابق، ص٧٥.

[2] جمال سليم، المرجع السابق، ص٤٠.

[3] جريدة الأهرام، العدد ٢٤٦٠٠، ٢٨ /١٩٥٤/٣، ص٨.

المطـار[1]. وهـدأت الأوضـاع وزادت الرقابـة علـى الصـحف، وقامـت حركـة اعتقالات لكثير من السياسيين والضباط[2].

وتستمد أزمة مارس أهميتها وخطورتها من كونها آخر جولة فى الصراع الذى خاضـه الضـباط ضـد جميـع القـوى التـى عارضـت قيـام النظـام السياسـى الجديد، وقد صور البعض ما حدث فى مارس "١٩٥٤" على أنه مشروع فاشل قامت به قوى الثورة المضادة مستغلة موقف اللواء محمد نجيب، بينما رأى فريق آخر أن مصر لم تشهد أزمة حقيقية؛ لأن أحد أطراف اللعبة السياسية كان يمسك بكل الخيوط، ويعرف على وجه الدقة كيف يحرك العرائس على المسرح السياسى، وكيف ستكون النهاية. فالأمر بالفعل كان خطيرًا جدًا، ومجلس قيادة الثورة تعرض بالفعل لواحدة من أخطر وأعنف أزماته. وقد أحكم عبد الناصر مناورته ونفذ خطة من ثلاث مراحل، بدءًا بقرارات ٥ مارس ومرورًا بقرارات ٢٥ مارس، وانتهاء بتحريك الضباط والعمال والجماهير المؤدية للثورة فى ٢٧- ٣٠ مارس "١٩٥٤". والمتتبع للاقتراحات التى نوقشت فى اجتماعات مجلس قيادة الثورة بعد انقضاء المظاهرات يوم ٣١ مارس وحتى ١٥ إبريل "١٩٥٤"، والمتتبع للقرارات التى صدرت فى هذه الفترة يدرك بسهولة أن المجلس كان يسترد قوته ويثبت أقدامه التى خلخلتها الأزمة، وأنه كان يُكمل سيطرته على مفاتيح القوة تلك المحاولة التى بدأها منذ ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، فضلًا عن شروعه فى تدعيم الشرعية التى حصل عليها. أما اللواء محمد نجيب فمنذ اعتكافه الأخير فى مارس "١٩٥٤"، فقد ظل مبعدًا عن أضواء الحكم والسياسة، وعن أية سلطات حقيقية إلى أن كانت محاولة اغتيال عبد الناصر فى المنشية ٢٦ أكتوبر "١٩٥٤"، وما تردد أثناء محاكمة أعضاء جماعة الإخوان المسلمين عن الاتصالات التى جرت بينه وبين قيادات الجماعة، فتم إعفاؤه من منصبه وتحددت إقامته يوم ١٤ نوفمبر "١٩٥٤" ، قام عبد الحكيم عامر ومعه حسن إبراهيم بإبلاغ الرئيس اللواء محمد نجيب، أن المجلس قد أعفاه من منصب رئيس الجمهورية، وأخبره عبد الحكيم أن إقامته فى المرج لن تزيد عن بضعة أيام. واستمرت إقامته ١٨ عامًا. ولم يتم معاملة اللواء نجيب معاملة تليق به

---

[1] المقال السابق، العدد ٢٤٦٠١، ٢٩ /١٩٥٤/٣، ص ٦ ؛ جمال سليم، المرجع السابق، ص ٤٥.

[2] محمد نجيب، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

وبالمنصب الذى تولاه وهو أول رئيس لجمهورية مصر، ولم يُراع سنّه ولا بالمخاطرة التى قبلها عندما قبل أن تُعلن حركة الجيش باسمه ٢٣ يوليو "١٩٥٢"[1].

خلال أزمة مارس وفى ذروة الصراع تمثل دور يوسف صديق فى أمرين الأول: فقد تبنى موقف الجبهة الوطنية التى كانت تعارض قرارات مجلس قيادة الثورة، وتزعمت الدعوة إلى اختيار السبيل الديمقراطى، ونادت بعودة الجيش إلى ثكناته وإنهاء الوصاية على الشعب، والدعوة إلى تكوين حكومة ائتلافية تتولى إجراء الانتخابات الحرة، وهذه الحكومة تضم القوى السياسية المتواجدة على الساحة السياسية فى ذلك الوقت ألا وهى(الوفد- الإخوان المسلمون - الاشتراكيون- الشيوعيون). أما الثانى: فهو خطابه السياسى الذى أرسله إلى الرئيس اللواء محمد نجيب فى ذلك الوقت وجاهر فيه برأيه الذى كان يعبر عن برنامج الجبهة الوطنية، وتم نشره فى جريدة المصرى فضلًا عن حديثه إلى مجلة روزاليوسف والذى أعلن فيه عن رأيه وحدد موقفه[2]. كان يوسف صديق دائمًا قريبًا من فكرة الجبهة الوطنية الديمقراطية، فكان يرى ضرورة التقريب بين القوى السياسية المختلفة الموجودة آنذاك، وربطها ببرنامج يملأ الفراغ المتمخض عن انهيار النظام الملكى القديم، وتكون أساسًا لقيام سلطة وطنية تتولى تيسير أمور البلاد لصالح الشعب، وعلى هذا كان يدافع عن الحل الديمقراطى لقضية السلطة من وجهة نظره، لذلك طالب بعودة البرلمان المنحل فى عهد الملك فاروق وممارسة دوره كممثل ديمقراطى للشعب، وكان ذلك ضد الاتجاه الآخر فى مجلس قيادة الثورة فرفض أغلبية أعضاء المجلس هذا الحل، وساندهم فى ذلك مجلس الدولة الدكتور السنهورى وسليمان حافظ، فعاد البكباشى يوسف صديق مطالبًا بتشكيل جمعية تأسيسية بالانتخاب الحر المباشر تتولى وضع دستور جديد للبلاد وتقوم بمهمة البرلمان، لكن قوبل هذا الاقتراح بالرفض. وظل يوسف صديق عقب تقديم استقالته من المجلس مطالبًا بما يؤمن به ويراه حلًا للأوضاع السياسية فى البلاد. لكن على أى أساس ستنتخب الجمعية التأسيسية أو البرلمان، ولا أحد يعلم ما هى الهيئة التى ستتولى شئون

---

(1) جمال شقرة، المرجع السابق، ص١٠٨- ١١٢. لقراءة المزيد من التفاصيل عن تحديد إقامة اللواء محمد نجيب، انظر محمد نجيب، كلمتى للتاريخ، كنت رئيسًا لمصر.

(2) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ١٠٨.

الحكم فى الفترة السابقة لاجتماع الجمعية التأسيسية، أو أى هيئة سوف تجرى الانتخابات، وهل ستعود الأحزاب المنحلة قبل الانتخابات أم بعدها ؟، وما البديل عن مجلس قيادة الثورة؟ لا سيما وأن مباحثات الجلاء متوقفة، والاحتلال البريطانى متواجد فى منطقة القناة، وخصوم الثورة واقفون لها بالمرصاد؛ أى المتضررون من نجاح حركة الجيش[1].

فقام يوسف صديق بتشكيل لجنة تحضيرية كانت تضم عددًا من الضباط وبعض المدنيين، تعمل على تشكيل الجبهة الوطنية من خلال اتصالها بالقوى السياسية المختلفة، واستمر هذا النشاط حتى حدوث أزمة مارس ، وقد أبدى الرئيس محمد نجيب موافقته على فكرة الجبهة الوطنية ومبادئها ونشاطها. وبدأ يظهر الاتجاه المطالب بعودة الجيش إلى ثكناته وتشكيل حكومة ائتلافية تقوم على برنامج الجبهة الوطنية الديمقراطية، وقد تم نشر اقتراح البكباشى يوسف صديق فى جريدة المصرى وهو قيام حكومة ائتلافية من الوفد والإخوان المسلمين والاشتراكيين والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رأفت[2] وكيل

---

[1] نفس المرجع، ص ١٠٨، محمد نجيب، كلمتى للتاريخ ؛ خالد محى الدين، المصدر السابق.؛ عبد الرحمن الرافعى، ثورة ٢٣ يوليو من (١٩٥٢-١٩٥٩)، القاهرة، مكتبة النهضة، "١٩٥٩"، ص ١٢٣.

[2] وحيد رأفت: (١٩٠٦-١٩٨٧) هو وحيد فكرى رأفت حصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الأول (القاهرة) ، عام "١٩٢٦"، كما حصل على دبلومات القانون العام والقانون الدولى الخاص والاقتصاد الدولى. دبلوم معهد الدراسات الدولية العليا من باريس و دكتوراه فى القانون من جامعة باريس "١٩٣٠". فى عام "١٩٣٥" عُين مدرسًا بكلية الحقوق فى جامعة فؤاد الأول المختلطة حتى عام "١٩٤٦". فى عام "١٩٤٠" عُين قاضيًا بمحكمة الإسكندرية، كما عُين مستشارًا بمجلس الدولة بالقاهرة عند إنشائه ثم عُين فى قسم الرأى كمستشار لوزارتى الخارجية والعدل حتى عام "١٩٥٢". كان الوحيد الذى يرى أن خلع الملك مساوٍ لحالة وفاته. كان له رأى بشأن حرية الصحافة بأنها يجب أن يكون لها حدود، وأن الديمقراطية قادرة على التعايش فى كل الظروف. تم اختياره من قبل الحكومة المصرية لتمثيلها فى هيئة التحكيم المصرية السعودية لفض النزاع بين سوريا ولبنان حول المشكلات الحدودية والقانونية التى نشبت بين البلدين فى ذلك الوقت، كما شارك بصفة سرية فى دراسة إلغاء معاهدة "١٩٣٦" المبرمة بين مصر وبريطانيا، وهذا الإلغاء الذى أعلنه النحاس فى ٨ أكتوبر "١٩٥١"، استقال فى سبتمبر "١٩٥٢" وتفرغ للمحاماة ،كان عضوًا فى هيئة التحكيم بين مصر وإسرائيل حول

مجلس الدولة لإجراء انتخابات البرلمان الجديد، رأى الرئيس محمد نجيب أن هذا حل مناسب يضمن تحقيق الديمقراطية[1].

- رسالة البكباشي يوسف صديق إلى الرئيس محمد نجيب.

كان البكباشى يوسف صديق تحت تحديد الإقامة فى منزله بحلمية الزيتون، حين قام بإرسال الرسالة إلى الرئيس محمد نجيب؛ حيث استعرض فى رسالته الوضع الراهن الذى تمر به البلاد، وقد تم نشر جزء من هذه الرسالة فى جريدة المصرى يوم ٢٤ مارس "١٩٥٤"، وكانت تلك هى المرة الأولى التى يطرح فيها علنًا اشتراك الشيوعيين فى الحكم ضمن جبهة وطنية ديمقراطية[2]، وكان لاقتراحه هذا تأثيرٌ كبيرٌ بين طبقة المثقفين، وتبنت نقابة الصحفيين الاقتراح وضمنته توصياتها، كما كان له رد فعل داخل الجامعات المصرية حيث اجتمعت هيئات التدريس بجامعتى الإسكندرية والقاهرة، وأصدرت بيانًا طالبت فيه بإلغاء الأحكام العرفية وكل ما اتخذ من تدابير وإجراءات استثنائية فى الحال، وحل المجلس وتركيز السلطة لحين اجتماع الجمعية التأسيسية فى يد وزارة مدنية تتحمل المسئولية أمام الشعب بالاشتراك مع رئيس الجمهورية[3]، بالرغم من أن البكباشى يوسف صديق ينتمى إلى الجيش، إلا أنه لم يتردد فى مطالبته بعودة الجيش إلى ثكناته قبل أن يقدم استقالته من مجلس قيادة الثورة، وإن كان موقفه هذا سيسلبه مزايا العهد الجديد الذى أصبح من صانعيه، فلم يتردد فى القول فى رسالته التى أرسلها إلى الرئيس حينذاك واصفًا مناخ تلك

نزاعها على الحدود الشرقية لا سيما فى منطقة طابا، وأسهم فى إعداد مذكرة الدفاع المصرية عن طابا. لمعى المطيعى، موسوعة هذا الرجل من مصر، ص٦٤٤-٦٤٨.

[1] محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ١١٠-١١ ؛ أمين عبد المؤمن، جريدة المصرى، "رسالة من القائمقام يوسف صديق للرئيس محمد نجيب"، العدد٥٨٦٤، ٢٤ /١٩٥٤/٣، ص١ ؛ صلاح نصر، المصدر السابق، ص٢٦٠ ؛ محمد نجيب، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

[2] أمين عبد المؤمن، المقال السابق ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص ١١٦.

[3] صلاح نصر، المرجع السابق، ص ٢٦٠؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص١١٧.؛ جريدة المصرى، العدد ٥٨٦٨، ٢٨ /١٩٥٤/٣.

الفترة:" ضللنا طريقنا فلا يكون هناك تصحيح للوضع سوى أن نعود إلى حيث أشكل الأمر فنصحح طريقنا..."[1]. قام البكباشي يوسف صديق بتسليم الرسالة بنفسه إلى الرئيس محمد نجيب، وتبادلا أطراف الحديث مدة ساعة وبعض الساعة، شعر خلال هذه المقابلة بالعبء الذى يقع على كاهل الرئيس نظرًا للظروف المختلفة المحيطة بالبلاد[2]. وعلى ضوء هذا كان البكباشي يوسف صديق يرى أن علاج الموقف ينحصر في:

- دعوة البرلمان المنحل ليتولى حقوقه الشرعية.
- تأليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة كافة فى ذلك الوقت. تقوم بالإشراف على انتخابات البرلمان حتى يختار الشعب الحاكم، ويعود الجيش إلى ثكناته ليستعد للقيام بواجبه فى تحقيق أهداف الشعب فى الاستعداد لمعركة التحرير[3].

وقد أشارت الصحف لاقتراح يوسف صديق فى اليوم التالى لنشره، بأنه اقتراح لشخص غير مسئول، وخرجت بعض الصحف تشكك فى اتجاهاته واتهمته بأنه كان يدبر لانقلاب عسكرى وأنه يريد أن يرسم سياسة البلاد؛ لذلك تم إبعاده إلى أسوان [4]. وكان رد يوسف صديق على تلك الاتهامات فى أحد الحوارات الصحفية: أن الذى يرسم سياسة البلاد دائمًا لنفسه وبنفسه هو الشعب وليس يوسف صديق أو مجلس قيادة الثورة، وأن اقتراحه الذى يهاجمه البعض لم يكن سوى رأى رجلٍ اشترك فى مسئولية الوضع الجديد للبلاد ومن حقه الغيرة على وطنه، ويحب وطنه كما يحبها أى مخلص لوطنه ويريد أن تسير السفينة إلى شاطئ السلام، دون أن تضيع جهودهم وتُفنى قواهم فى الخصام والقتال ويُترك العدو يسعد بهذا. أما بالنسبة إلى اتهامه بأن له ميولًا حمراء، فكان رده أن هذه الميول تُلصق دائمًا بكل حر، فقد ألصقت بالصاغ خالد محى الدين، كما أنها وجهت فى وقت من الأوقات إلى البكباشي جمال عبد الناصر نفسه، كما أنها وجهت للثورة كلها فى يوم ما. وختم قائلًا:" مهما وجهوا إلينا من

---

(1) المقال السابق، العدد ٥٨٦٤، ١٩٥٤/٣/٢٤.

(2) جريدة المصرى، المقال السابق، العدد ٥٨٦٦، ٣/٢٦ /١٩٥٤.

(3) جريدة الأهرام، ٢٢ /١٩٩٩/١١.

(4) مصطفى أمين، "سلاطة"، جريدة الأخبار، ٣/٢٥ /١٩٥٤.

تهم فنحن سائرون فى طريقنا نضحك ملء أشداقنا من هذه الاتهامات"[1]. كما أوضح أن اتهامه بأنه أراد القيام بانقلاب عسكرى، أنه عندما وجد بعض الضباط الأحرار قد تذمروا حين بدأوا يشعرون بأن المجلس لا يطبق السياسة المتفق عليها، وكان على رأسهم اليوزباشي محسن عبد الخالق، رأى أنهم على حق فذهب به تفكيره بأن يقوم بجمع هؤلاء الضباط والقيام بمجرد مظاهرة عسكرية لإطلاع مجلس الثورة على صورة حية لشعور هؤلاء الضباط، فضلًا عن أنه كان يردد أن الانقلاب العسكرى العنيف أو استخدام العنف لا بد أن يكون على العدو الخارجي والتهديد بالثورة لا بد أن يكون على العدو الخارجى فحسب، لأن المستفيد الوحيد من تقاتل المصريين هو العدو[2].

وتابع حديثه الصحفى:" لا تظن أنه ما دامت إقامتى محددة فنشاطى السياسى ينتهى، هذا محال فأنا كما قلت لك مسئول أمام التاريخ، وما دام قد أبيح للعسكريين الانشغال بالسياسة فسيبقى نضالى السياسى مستمرًا حتى يتمكن الشعب من حقوقه وسيادته، وقبل هذا وقبل أن يعود العسكريون جميعًا إلى ثكناتهم ونصبح كما كنا رجال حرب ضد العدو فحسب لا يمكن أن يتوقف نشاطى السياسى[3].

وأنهى حديثه الصحفى موجهًا سؤالًا لمندوب المجلة: هل تريد أن تعلم ما هو أجمل؟ فأجاب الصحفى : نعم اكتب" كن واثقًا أن الجيش قد أصبح من الوعى بحيث لا يمكن استخدامه ضد الشعب أو لمصلحة فرد أو أفراد وأنه سيكون دائمًا وأبدًا جيش الشعب وفى خدمة الشعب فحسب[4]. لكن كيف وصلت الرسالة إلى الصحافة وتم نشرها إذا كان يوسف محدد الإقامة؟! استطاع محرر جريدة

---

[1] جريدة المصرى، المقال السابق،٢٨ /١٩٥٤/٣. ويدل حديثه على شجاعته ووطنيته حين تحدث بصيغة الجمع ويقصد بها هنا مجلس قيادة الثورة الذى وجهت إليه الاتهامات.

[2] مجلة روزاليوسف، العدد ١٣٤٦-٣٥، ٢٩/ ٣/ ١٩٥٤، ص٨.

[3] مجلة روزاليوسف، المقال السابق، ص٧. وهذا دليل على إيمانه بحرية الشعب وحقه فى تقرير مصيره، وشجاعته حيث إنه أعلن ذلك وهو تحت تحديد الإقامة ولم يخش شيئًا ، بل إنه تم نشر هذا المقال أثناء وقوع الأحداث نفسها، فلم يقم بعمل اعتبار لأحد إلا لمبادئه التى آمن بها وخرج من أجلها ليلة ٢٣ يوليو.

[4] مجلة روزاليوسف، العدد ١٣٤٦-٣٥، ٢٩/ ٣/ ١٩٥٤، ص٨. ملحق رقم(٢١) حوار يوسف صديق إلى روزاليوسف "أنا الذى قبضت على رئيس أركان حرب الجيش".

المصرى الذى كان على اتصال باللجنة التحضيرية الوطنية، أن يتسلل ليلًا من فتحة الحديقة بمساعدة الابنة الكبرى ليوسف صديق السيدة سهير لمقابلة والدها، ويحصل منه على الرسالة التى خطها بيده ١٧ مارس ١٩٥٤ إلى اللواء محمد نجيب وقام بنشرها[١].

وقد هاجم الصحفى مصطفى أمين فى جريدة الأخبار اقتراح يوسف صديق، واصفًا هذا الاقتراح بأنه (سلاطة روسية) متسائلًا عن رأى الرئيس نجيب فى هذا الاقتراح[٢]. وقد ترك اقتراح يوسف صديق فى نفس الرئيس نجيب صدى طيبًا، ورأى أنه يعيد الحياة للأحزاب فيضمن بذلك الديمقراطية ويحقق تشكيل جبهة وطنية لا توجد خارج إطارها قوى سياسية ذات بال، كما أنه صرح فى الصحافة أنه لن يتراجع عما استهدفه من عودة الحياة النيابية، وأن الذين يتخوفون من عودتها أن ثورة الجيش كانت لإعادة الحياة النيابية خالصة من الشوائب، كما أنه لا ينوى تكوين حزب[٣]. فمبدأ يوسف صديق هو مبدأ كل مصرى وطنى حر مستقل يؤمن بوطنه وبربه، وأن وحدة مصر هى السلاح الأول الذى تتحقق به جميع أهدافها، وكان يرى أن بضاعة الاتهامات أصبحت بائرة عند الشعب، فقد أصبح الشعب المصرى كامل الوعى يميز الغثَّ من الثمين[٤]. ونظرًا لأن أحداث أزمة مارس هى أكبر أزمة واجهت البلاد عقب نجاح ثورة يوليو وكادت أن تؤدى إلى نشوب حرب أهلية، فتناولت دور خالد محى الدين؛ كونه ماركسيًا مثل يوسف صديق.

عقب استقالة يوسف صديق يناير "١٩٥٣" من مجلس قيادة الثورة، ظل خالد محى الدين وحده معارضًا ينادى بعودة الأحزاب والحياة النيابية، لكن صوته لم يفعل شيئًا أمام طوفان الأحداث وعلى الرغم من تقديمه لاستقالته فإنها لم تُقبل[٥]، وقد كان مضمون استقالة خالد من عضوية المجلس هو أن موقفه من

---

(١) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص١١٧-١١٨ ؛ محضر النقاش السابق مع السيدة سهير يوسف صديق. ؛ انظر كذلك عبد المحسن أبو النور، المصدر السابق، ص٥٨-٦٠.

(٢) مصطفى أمين، المقال السابق.

(٣) محمد نجيب، كلمتى للتاريخ، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٤) جريدة المصرى، المقال السابق العدد ٥٨٦٦، ١٩٥٤/٣/٢٦

(٥) محمد توفيق الأزهرى، المرجع سابق، ص١٢٧.

الحياة النيابية كان قد وضح للرأى العام، بعد تصريحاته المختلفة على صفحات الجرائد، وبعد إلغاء قرارات ٢٥ مارس، وأنه يرى أن الأمر سيصبح محرجًا إذا استمر فى عضوية المجلس، على أنه سيظل خادمًا للوطن وموضع ثقة المجلس(١). فإذا نظر القارئ لدور يوسف صديق وخالد محى الدين خلال أزمة مارس ١٩٥٤، يجد الاختلاف واضحًا بين معارضة كليهما للأمر تبعًا لاختلاف شخصياتهم وإن كانا يشتركان فى المرجعية ذاتها وهى (الماركسية)، فلا شك أن خالد محى الدين كان معارضًا لسلطة وقرارات مجلس الثورة، لكن يوسف كان مقاومًا لها.

عندما قامت المظاهرات تطالب بعودة الجيش إلى ثكناته، بدأت المواجهة المحتملة بين مجلس قيادة الثورة والقوى السياسية الموجودة كافة، ووجد المجلس - لا سيما عبد الناصر العديدَ من القوى تقف ضد آرائه، ووجد أن القوى الوطنية بدأت تلتف حول الرئيس نجيب الذى يتمتع بتأييد شعبى جارف. وفى قمة الأزمة وأثناء جلوس أعضاء مجلس قيادة الثورة لبحث المشكلة، كل منهم يقترح حلًا وكان عبد الناصر لا يتكلم حتى وصله مظروفٌ بداخله استقالة الرئيس محمد نجيب، ويعلم عبد الناصر جيدًا أن هذه الاستقالة سوف تؤدى إلى حدوث ثورة نظرًا لحب الناس للرئيس نجيب. فرأى البعض أن أفضل الحلول هى الآتى: إما إقالته وإعلان ذلك للناس وأسبابه، وإما أن يترك رئاسة الوزراء لجمال عبد الناصر. وقد وافق الأعضاء على الحل الأخير بالأغلبية، لكن جمال سالم وحسين الشافعى اعترضا ، فتركهم عبد الناصر يناقشون الأمر وقد حدثت خلافات كثيرة بين أعضاء مجلس قيادة الثورة أثناء نقاشهم لحل لتلك الأزمة(٢). إلا أن عبد الناصر كان واثقًا أنه سيتم ما خطط له منذ البداية وما يأمله بأن يكون فى مكانه الطبيعى وهو أن يصبح رئيسًا للجمهورية، فأخذ يتصرف بهدوء للخروج من تلك الأزمة للحفاظ أولًا على مصلحة مصر، وثانيًا لإبعاد الرئيس نجيب بطريقة لا تُثير الفتن فى البلاد، فقد كان الرئيس نجيب هو المنافس الوحيد له على السلطة، داخل مجلس قيادة الثورة. كان عبد الناصر رجلًا حكيمًا لا يخطو خطوة إلا وقد درسها جيدًا، ويتصرف فى الوقت المناسب.

---

(١) عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢) البغدادى، المصدر السابق، ص٩١-١١١ ؛ سامى جوهر، المرجع السابق، ص١٨.

وبالإشارة إلى نقطة أخرى فلا يمكن إغفال إضراب عمال النقل المشترك، الذى كان له دور فى إنهاء أزمة مارس وبقاء مجلس الثورة، حيث ورد فى رواية لصاوى أحمد صاوى رئيس اتحاد نقابات النقل المشترك، الذى قام بتنفيذ اعتصام ٢٦-٢٩ مارس من أجل بقاء مجلس قيادة الثورة، أن يوسف صديق قام باستدعائه مرتين: الأولى فى اللواء السابع مشاة يوم ١٠ مارس "١٩٥٤"، حيث كان هناك احتجاج داخل اللواء، وكانت المقابلة الثانية يوم ١٧ مارس "١٩٥٤" وكانت فى منزل يوسف صديق، وقد طلب إليه فيها الاستعداد لعمل إضراب مؤيد لمحمد نجيب، وأنه قام بتجهيز كل شىء بين طلبة الجامعات وغيرهم من الطوائف. ووعده بصرف عشرة آلاف جنيه تعويضًا للعمال عما يتحملونه من أضرار مادية بسبب الإضراب، وعلى أن يتم فيما بعد تأليف حزب للعمال. إلا أن أحمد صاوى فكر مليًا فى الأمر، وقرر إبلاغ الصاغ أحمد طعيمة (١٩٢٢-   )[١] والصاغ إبراهيم الطحاوى بالمقابلة وما دار فيها[٢]. لكن يوسف صديق قام بتكذيب هذه الرواية بعد نشرها فى كتاب عبد العظيم رمضان"الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر"، فى طبعته الأولى عام "١٩٧٥". وقد كانت الأدلة التى ساقها يوسف صديق هى كالتالى وتم نشرها فى جريدة المصرى كالآتى:

أولًا: أنه فى مارس "١٩٥٤" لم يكن قائدًا للواء السابع مشاة، حيث إنه كان قد استقال من مجلس قيادة الثورة فى يناير "١٩٥٣" ثم تم إبعاده إلى الخارج، وقد انتهت صلته بالجيش ولم يكن وقتها ضابطًا بالقوات المسلحة.

ثانيًا: أنه فى خلال تلك الفترة كان محدد الإقامة فى منزله، يحيط به الحرس من كل مكان، وقد استمر ذلك حتى عودته إلى مصر، بالرغم من قرار الإبعاد فى أغسطس "١٩٥٤"، حتى دخوله السجن الحربى فى أبريل "١٩٥٤".

---

[١] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٢٠٠- ٢٠٢، ٢١١- ٢١٢.

[٢] من مواليد ٩ مايو "١٩٢٢"، تخرج فى الكلية الحربية "١٩٤٠"، انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار، تخرج فى كلية أركان حرب "١٩٥٠"، ثم عين مدرسًا بها، شغل منصب وزير الأوقاف (١٩٥٩-١٩٦١)، ثم سفيرًا لمصر بالأرجنتين من (١٩٦٣-١٩٦٤)، وأخيرًا وزيرًا برئاسة الجمهورية حتى تم إحالته إلى المعاش عام "١٩٧٤". أحمد طعيمة، المصدر السابق، ص١٥٤، ١٩٩، الغلاف.

ثالثًا: أنه لا يذكر مطلقًا أنه التقى بهذا العامل صاوى أحمد صاوى، ولم يتعرف به.

رابعًا: أن ما ورد فى حديث صاوى اختلاق غير صحيح، لا سيما محاولة التجريح التى وردت بأنه كان فى قدرته تعويض العمال بمبلغ عشرة آلاف جنيه[1].

وكان تحليل الدكتور عبد العظيم رمضان فيما رواه يوسف صديق فى كتابه التالى الذى قام بنشره عام "١٩٧٦" الآتى:

أنه لاحظ فى رواية يوسف صديق شعور الاستياء الذى يتخللها لما نسبه إليه صاوى أحمد صاوى، واعتباره محاولة للإساءة والتجريح. مع أن هذا الدور لو صح القيام به ليس فيه ما يدعو إلى الاستياء، فقد كان يوسف صديق فى ذلك الحين يقف تحت علم الديمقراطية الذى يستظل بها غالبية المصريين، ويستظل به مجلس قيادة الثورة كما تمثل فى قرارات ٢٥ مارس، وتستظل به القوى التقدمية فى مصر، وإذا كان هذا الدور ينسب إلى يوسف بأنه يهدف إلى تحريك إضرابات مؤيدة لعودة الحياة الديمقراطية، فإن نقابة المحامين على سبيل المثال قد أعلنت على صفحات الصحف اعتزامها الإضراب يوم الأحد ٢٨ مارس. ومن ثمَّ فلا يرى فيما نسبه صاوى إلى يوسف صديق فى هذه الأزمة أى محاولة للتجريح[2].

أما مسألة العشرة آلاف جنيه، فقد أسيء فهم رواية صاوى فى هذا الصدد، فهو لم يذكر أن يوسف صديق سوف يصرف له هذا المبلغ من ماله الخاص، حيث إن الكلام المنسوب إلى يوسف صديق طبقًا لرواية الصاوى ينصب على المستقبل بعد نجاح الثورة، وفعل (يصرف) مبنى للمجهول، ويفهم أنه المقصود بها أن الحكومة التى ستخلف الثورة هى التى ستقوم بتعويض العمال ماديًا بالمال وأدبيًا بالسماح لهم بأن يؤلفوا حزبًا للعمال. وقام عبد العظيم رمضان بمناقشة الأدلة التى ساقها يوسف صديق فى نفى رواية صاوى، أولًا: أن شهادته فى يوم ١٠ مارس "١٩٥٤" لم يكن لها صلة باللواء السابع مشاة،

---

[1] أحمد حمروش، "يوسف صديق المفترى عليه"، روزاليوسف، ١٩٧٥/٣/٢٤.

[2] عبد العظيم رمضان، عبد الناصر وأزمة مارس، القاهرة، مكتبة مدبولى، "١٩٧٦"، ص١٩٨.

ويترتب على ذلك كذب رواية صاوى بأنه استدعاه فى هذا اليوم، وربما يكون صاوى قد أخطأ فى تاريخ الواقعة بسبب مرور وقت طويل بين وقوعها وروايتها، ولكن هذا لا يترتب عليه إطلاقًا تكذيب الواقعة ذاتها، ومن الثابت أن القائمقام يوسف صديق كان قائدًا فى سلاح المشاة فى يناير ١٩٥٣، وأن السلاح فى ذلك الحين كان يسوده حالة من التذمر كان ليوسف صديق نصيب فيها بسبب معارضته لإجراءات مجلس قيادة الثورة المضادة للحرية وتحدثه عن ذلك صراحة بين الضباط، وبذلك فإذا كانت هناك مقابلة أولى قد تمت، فإنها تكون قد تمت فى هذا التاريخ على الأرجح[1].

ثانيًا: أنه لا يوجد ما يحمل صاوى أحمد صاوى على اختلاق دور ليوسف صديق لم يقم به دون غيره ، رغم وجود قوى سياسية كثيرة معارضة للثورة على رأسها اللواء محمد نجيب، فلا توجد مصلحة خاصة مادية أو أدبية يمكن أن يجنيها من وراء هذا الاختلاق، وأنه قام برواية هذا وهو يعلم أن يوسف صديق حى يمكنه تكذيب روايته. يضاف إلى ذلك أن صاوى لم يكن المصدر الوحيد لمقابلة الزيتون، حيث إن أحمد طعيمة ذكر إلى عبد العظيم رمضان أنه لم يكن هناك تفكير فى القيام باعتصام للعمال لتأييد استمرار الثورة، إلا أن الطرف الآخر كان يعد لإضراب مؤيد لتصفية الثورة، واستند فى تحليله هذا إلى أن صاوى جاءه من "الزيتون"، وأخبره بأنه قد عرض علىَّ عشرة آلاف جنيه للقيام بإضراب، وكان معه مجدى عبد القادر سكرتير عام الاتحاد. وبالرغم من عدم ذكر أحمد طعيمة لاسم يوسف صديق، فإن عبد العظيم رمضان أشار أن الزيتون يقصد بها يوسف، نظرًا لأن الجميع يعلم أن محمد نجيب ويوسف صديق يقيمان بهذه المنطقة، وأن الدكتور إبراهيم الطحاوى أكد هذه الرواية، حيث إنه سمعها من الصاوى وزملائه، وقد قام عبد العظيم رمضان بالاتصال بالصاوى بعد نشر تكذيب يوسف صديق لروايته، إلا أنه قام بتأكيد روايته وأضاف إليها بعض التفاصيل منها أن أحد أقارب يوسف صديق الذى كان يعمل محصل ترام قام بالمرور على الصاوى ليخبره بأن يوسف يريده أن يمر عليه ليلًا[2]. ولكن ذلك ليس دليلًا على صدق رواية أحمد الصاوى لمجرد روايته لها فى أثناء حياة يوسف صديق، وهو يعلم أنه يمكن أن ينفيها، فقد قام السادات بنسب دور يوسف

---

[1] نفس المرجع، ص ١٩٩.

[2] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص ٢٠٠.

صديق ليلة الثورة إلى عبد الحكيم عامر وعبد المجيد شديد، رغم أنه يعلم أن جميع من اشترك بالثورة فى تلك الليلة على قيد الحياة، ويمكنهم نفى هذا لأنه اختلاق. علاوة على أن من قاموا بتأكيد رواية الصاوى جميعهم لم يقوموا بالتواجد فى أثناء المقابلة إلى أن قام صاوى بقصها عليهم، فضلًا عن أن الصاوى استند فى تأكيده على صدق روايته بإضافة بعض التفاصيل ليضفى المصداقية عليها، فإن استشهاده باسم أحد أقارب يوسف ليس دليلًا حيث إنه يعمل فى النقل المشترك أيضًا، وليس من المستبعد أن يكون زميلًا له ويعلم أنه أحد أقارب يوسف، فهو لم يذكر دليلًا على أن روايته حدثت بالفعل، كما أن الصاوى لم يذكر فى روايته لعبد العظيم رمضان أن مجدى عبد القادر فى تلك المقابلة. هذا وقد قام مجدى عبد القادر بنشر رواية عن دوره فى أزمة مارس تفيد بأنه قام بمقابلة يوسف صديق، ومحمد نجيب وخالد محى الدين فى ثكنات العباسية، وفى خيمة محاطة بالجنود، واتفقوا على القيام بالإضراب[1]. ويظهر الاختلاف بين الروايتين رواية صاوى للدكتور عبد العظيم رمضان ، ورواية مجدى لجمال سليم. وعند وجود اختلاف فى رواية أحداث واقعة من المفترض أنهم قاموا بها معًا فهذا يؤكد على ضعفها وعدم تصديقها.

ثالثًا: أنه فى أثناء أزمة مارس رغم كونه محدد الإقامة إلا أنه كان يقوم ببعض الزيارات والاتصالات، واستند على زيارته إلى اللواء محمد نجيب يوم ٢٣ مارس "١٩٥٤"، وقام بتقديم اقتراحه لحل الأزمة، فضلًا عن قيامه بعمل لقاءات صحفية. وأنه كان يقوم بعمل لقاءات لتكوين جبهة وطنية، وأنه ليس من المستبعد أن يكون قد استقبل صاوى فى منزله[2]. وإذا كان ذلك الاحتمال قريبًا فلماذا لا يوجد شهود من أحد المنتمين إلى قوى سياسية أخرى بذكره أن صاوى قام بزيارة يوسف صديق فى منزله؟

رابعًا: أن عبد العظيم رمضان يضع احتمال أنه ليس من المستبعد قيام يوسف صديق بالاستعانة بالصاوى، حيث إنه توجد بينهم صلة نسب[3]. وإذا كان ذلك الاحتمال صحيحًا فلماذا لم يقم بالاستعانة بقريبه أحمد الأزهرى الذى يعمل فى النقل المشترك أيضًا؟!

---

(1) جمال سليم،"كتاب تحت الطبع، مفاجأة كبرى لمؤرخى الثورة مظاهرات مارس دبرها يوسف صديق ومحمد نجيب، رواية مختلفة من أساسها"، روزاليوسف، ١٩٧٦/٤/٢٦.

(2) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٢٠١.

(3) نفس المرجع، ص٢٠١.

خامسًا: لا يستبعد دكتور عبد العظيم رمضان قيام يوسف صديق بالانقلابات، استنادًا إلى أنه كان بالفعل على رأس أكبر انقلاب شهدته البلاد فى يوم ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، وأنه من أودى بالنظام الملكى، وقد عرف بالشجاعة النادرة دفاعًا عما يؤمن به من أفكار ومبادئ، كما أن تضحياته فى هذا السبيل لا تنكر، فمثل هذه الشخصية الجسورة المتمرسة بالنضال، لا تتردد من وجهة نظر عبد العظيم رمضان فى الاستعانة بالوسائل التى تحقق لها أهدافها العليا[1]. إذا كان يوسف صديق من هذه الشخصيات التى تقوم بالاستعانة بالوسائل كافة التى تحقق أهدافها العليا، فلماذا لم يستمر فى عضوية مجلس قيادة الثورة، ويساير الاتجاه السائد بداخله حينها؛ حتى تتسنى له الفرصة لتحقيق ما يهدف؟!، فضلًا عن قيام الدكتور عبد العظيم رمضان بمدح يوسف صديق ووصفه بشجاعته النادرة، فلماذا يُنكر معرفته بالصاوى إذا كان لا يعرفه حقًّا؟ حيث كان يمكنه ألّا ينفى معرفته به ولكن يقوم بنفى روايته فقط[2].

هذا وقد لاحظتُ، أن دكتور عبد العظيم رمضان عندما قام بتناول تلك الواقعة فى تفسيراته كافة كان يضع احتمالًا واحدًا فقط أنها قد تمت فعلًا، ولم يقم أيضًا بذكر احتمال عدم حدوثها. إلا أنه ذكر فى النهاية قائلًا "فلو صح ما أنكره يوسف صديق من اتصاله بالصاوى أحمد الصاوى فى أثناء أزمة مارس، فإن كذبة الصاوى فى هذا الشأن تكون أكبر كذبة فى تاريخ مصر المعاصر، حيث إن روايته هذه كانت سببًا فى حدوث رد فعل كان له أثر فى تغيير مجرى الثورة، وسببًا فى بقاء مجلس قيادة الثورة"[3]، كما يلاحظ أنه كان حريصًا على

---

[1] عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٢٠٢.

[2] هذا وقد ذكر سامى شرف سكرتير مكتب عبد الناصر فى مذكراته عندما تناول أزمة مارس وتطرق إلى إضراب عمال النقل المشترك بأن محمد نجيب هو من عرض على العمال المال، ولم يذكر أن ليوسف صديق أى دور فى هذه القضية سوى قوله " بعد ما قرر مجلس قيادة الثورة حل نفسه، وتحدد لإنهاء مهمته ٢٣ يوليو ١٩٥٤ فقد قررت الجبهة استغلال الموقف؛ وقامت بالتعجيل بتنفيذ المخطط على أساس أن يتم بشكل جماهيرى من خلال اتحاد عمال النقل، وتم ترتيب لقاء بين صاوى أحمد صاوى- وهو بالمناسبة كان من أقرباء يوسف منصور صديق عضو مجلس الثورة السابق- ومحمد عبد القادر لمقابلة اللواء محمد نجيب فى منزله المجاور لمنزل يوسف صديق فى حلمية الزيتون". سامى شرف، المصدر السابق، ص٣٦٢- ٣٦٣.

[3] سامى شرف، المصدر السابق، ص٣٦٢- ٣٦٣.

مقابلة رواية أحمد الصاوى بروايات من شاركوا فى الإضراب و دبروا له، فى محاولة منه لتأكيد رواية الأخير، فإنه لم يقم بعرض كل ما توصل إليه من معلومات بشأن تلك الرواية على من نسبَ إليه الواقعة ونقصد به يوسف صديق شخصيًا، فقد كان على قيد الحياة حينما قام بتناول تلك الرواية فى كتابه الأول، وكان رد يوسف صديق من خلال مقال كتبه أحمد حمروش تم نشره فى جريدة المصرى[١].

وهناك رواية مقابلة لرواية الصاوى تؤكد قيام عبد الناصر بدفع الأربعة آلآف جنيه إلى الأخير وهى رواية البغدادى؛ حيث ذكر أنه فى يوم ٢٥ مارس عندما تم إعلان حل مجلس الثورة وعودة الجيش إلى ثكناته فى يوليو التالى، ذكر أن عمال النقل تحركوا وأضربوا عن العمل وأن خطة عبد الناصر نجحت، وأنهم اكتشفوا فيما بعد أنه دفع مبلغ أربعة آلآف جنيه إلى الصاوى رئيس نقابة النقل المشترك للقيام بتلك الحركة، وكان الضباط الأحرار حينها يعتقدون أن هذه الحركة كانت من تلقاء الجماهير، وأنه قام بأخذ ذلك التصرف على جمال فكانت إجابته:" ما هو كان لازم ندفع لهم، لأن خالد محى الدين ويوسف صديق كانوا هيدفعوا أيضًا لتحقيق غرضهم"[٢]. وما يلاحظ فى رواية البغدادى أن إقحام اسم خالد محى الدين فى هذا الحديث وهو الذى لم يثبت أنه كان له اتصال بالصاوى طبقًا لرواية الأخير، فيمكن أن يكون عبد الناصر قد قام بذلك فعلًا وأوجد مبررًا لتصرفه هذا، على أن الصاوى بعد أن قام بدوره، اختفى ولم يعد له وجود، إلا أن التاريخ سيذكر له دائمًا أنه عامل هتف ضد الحرية[٣]. كما أن طعيمة ينفى هذه الواقعة تمامًا بأن عبد الناصر قام بدفع المال للصاوى، ولكن استنادًا إلى رواية البغدادى بأن هذا الكلام جاء على لسان عبد الناصر يؤكد قيامه بهذا الأمر، لذلك من المحتمل أن يكون طعيمة حقًا لا يعلم بما تم بين عبد الناصر والصاوى، وأن يكون عبد الناصر قد اتفق على هذا مع الصاوى وقام

---

(١) بعد نشر هذا المقال الذى قام يوسف صديق بتكذيب ونفى ما رواه الصاوى وتم نشره فى كتاب عبد العظيم رمضان، قام عبد العظيم رمضان بزيارة يوسف صديق فى منزله إلا أن يوسف صديق لم يقبل أن يقابله، وكان حينها مريضًا فضلًا عن أنه كان يشعر بالضيق منه لأنه لم يذهب ليتأكد من صحة ما نشره قبل أن ينشره . مقابلة مع السيدة سهير صديق، بالقاهرة، أثناء ذهاب الكاتبة معها إلى مدافن البساتين الجديدة، لزيارة قبر يوسف صديق، ٢٠١٥/٥/٤، الساعة ١١ صباحًا.

(٢) سامى جوهر، المرجع السابق، ص ١٩.

(٣) محمد توفيق الزهرى، المرجع السابق، ص ١٣٦.

بدفع المال له، فى مقابل أن يقوم بإقناع العمال والضباط بتنظيم هذه الحركة، ويقوم باختلاق هذه الرواية حتى يكون هناك دافع وراء حماسهم للقيام بهذا الإضراب ولكن لتأييد مجلس قيادة الثورة. فمن المعروف عن عبد الناصر ذكاؤه فى تدبير الأمور، وأنه كان يحسب لكل خطوة قبل أن يخطوها، وأنه يمسك بزمام الأمور منذ تنظيم الضباط الأحرار، ويحرك جميع الخيوط لصالحه، وإن بدت فى ظاهرها أنها ضده، فربما يكون قد اتفق مع الصاوى وأخبره ألا يخبر أحدًا بما تم بينهم، وتظاهر عندما ذهب له الصاوى وطعيمة ليخبروه بأنهم قد اتخذوا التدابير اللازمة للقيام بالإضراب أنه لا يوافقهم الرأى، وهذا ما جعل طعيمة متحمسًا للقيام بهذه الحركة[1].

ومهما يكن من أمرٍ ،فإنه إذا كان يوسف صديق على اتصال بالصاوى أحمد صاوى فإن يوسف قد أخطأ عند ظنه أنه من الممكن أن يتعاون الصاوى معه ضد النظام القائم وإسقاطه فمثل تلك الشخصيات التى أصبح لها منصب وتستفيد من ورائه، لا يمكنهم التخلى عنه، وما يدل على ذلك بأنهم قاموا بهذا الإضراب لتأييد النظام، وأن النظام لم يكن يسمح ببقاء تلك الشخصيات فى مناصبها إلا إذا كانوا على يقين من ولائهم له.

وبالرغم من اختلاف دوافع أعداء الثورة سنة "١٩٥٤"، فالملاحظ أنها تلاقت جميعها وتعاونت بهدف الحيلولة بين المجلس وبين تحقيق هدفه ألا وهو تثبيت أركان النظام السياسى الجديد الذى كان يتولى زمامه العسكريون بوصفهم شريحة متقدمة من شرائح "البرجوازية الصغيرة". والجدير بالذكر أن الطبقة العاملة المصرية، لم تلعب دورها خلال هذه الأزمة كطبقة متبلورة واعية بمصالحها، وإنما حركتها قيادات عمالية "صاوى أحمد صاوى" وغيره، تحركت بدورها تحت تأثير ضباط الصف الثانى الأحرار "طعيمة وطحاوى" استجابة لمنافع اقتصادية للعمال وليس استجابة لمطالب طبقية سياسية ذات منظور أيديولوجي[2].

---

[1] لقراءة المزيد حول أحداث أزمة مارس وإضراب عمال النقل المشترك، انظر أحمد طعيمة، "شاهد حق"، قليوب، مطابع الأهرام التجارية، د.ت، ص٧٧-٨٥.

[2] جمال شقرة، المرجع السابق، ص ١١٢.

فى النهاية يُمكن القول بـأن رئاسـة اللواء نجيب قد انتهت بالفعل مـع نهايـة أزمـة مـارس، ذلك بأنـه قد ظل طـوال تلك الفتـرة - مـن ٢٩ مـارس "١٩٥٤" وحتى منتصف نوفمبر من نفس العام رئيسًا فخريًا ورمزيًا محرومًا من السلطة الفعليـة ولـيس أدل علـى ذلك مـن أن اللـواء نجيب كـان رئيسًـا للجمهوريـة وقت توقيع معاهدة الجـلاء المصـرية البريطانيـة فـى ٢٧ يوليـو "١٩٥٤"، ولكنـه لـم يشترك فى التوقيع عليها[1].

وقد مثل استقرار الأوضـاع السياسية لصـالح عبد الناصـر ومجلس قيـادة الثورة، أبرز وأهم نتائج أزمة مارس، ويرتبط بذلك هزيمة وتراجع القوى كافة التى كانت تعادى النظام الجديد، وهو الأمر الذى تأجل حدوثـه طـوال الفترة مـا بين ٢٣ يوليو "١٩٥٢" و ٣١ مارس "١٩٥٤". فخلال مرحلة الصعود صوب السلطة والبحث عن شرعية وبنـاء نظـام سياسى جديد، كـان لا بـد مـن إزاحـة العقبات كافة التى كانت تعترض طريقهم، ولقد استغرقت هذه العمليـة المرحلـة الأولى من تاريخ ثورة يوليو (١٩٥٢-١٩٥٤)، حيث نجح الضباط فى التخلص مـن الملك ونفوذ القصـر وكبـار المـلاك والأحـزاب السياسية، كمـا نجحـوا فـى تهمـيش الـدور السياسـى لجماعــة الإخــوان المسـلمين وللحركــة الشـيوعية المصـرية[2].

وتجدر الإشارة إلى أن أمريكا قد حاولت أن تحل محل النفوذ البريطـانى فـى المنطقـة، لـذلك سـارعت بمسـاعدة الثـورة فـى مصـر؛ ويتضـح ذلـك مـن خـلال دورها منذ قيام الثورة. هذا وقد قامت المخابرات الأمريكيـة بدراسـة أعضـاء المجلس الحـاكم (مجلس قيـادة الثـورة) وكـان ظهـور الصـراع بـين الـرئيس محمد نجيب ومجلس قيـادة الثـورة، ومطالبـة القوى السياسية بـالحكم الـديمقراطى قد أعطى الفرصة لأمريكا بتوجيه الأحداث فى تلك المرحلـة لمصـلحتها، والتـى لـم تكن بالطبع لنصرة الاتجاه المطالب بالديمقراطيـة. ونظرًا لآراء يوسـف صـديق الصـريحة وفكره اليسارى، ومطالبته بعودة الحيـاة النيابيـة والأحـزاب كـان ضـد رغبـة أمريكـا، حيـث إن الأخيـرة كانـت تخشـى الشـيوعيين أو مـن هـم متـأثرون بـآراء الشـيوعيين وأفكـارهم. فقد نشـرت مجلـة تـايم الأمريكيـة موضـوعًا عـن

[1] جمال شقرة، المرجع السابق، ص١١٧.
[2] نفس المرجع.

الثورة تحدثت فيه عن يوسف صديق باعتباره خطًا أحمرَ، كما حرص أعضاء مجلس قيادة الثورة على أن تكون سفارة الولايات المتحدة على علم بالتطورات، حيث تم إبلاغ كافرى بإلغاء الدستور وخلع يوسف من عضوية مجلس الثورة[1]. لكن يوسف صديق لم يتم خلعه فهو قدم استقالته بكامل إرادته ورفض كل محاولات أعضاء مجلس قيادة الثورة للعدول عنها. هكذا تسببت الخلافات الأيديولوجية فى خروج ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة قبل مرور عامين عليها، يوسف منصور صديق، عبد المنعم أمين، خالد محى الدين. وقد حاول النظام استبعاد يوسف منصور صديق منذ تقديم استقالته عن مسرح الأحداث السياسية وهذا ما سنتناوله الفصل القادم.

---

(1) جول جوردن، المرجع السابق، ص١٩٢ ؛ محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص١٤١-١٤٣.

الفصل الخامس

يوسف صديق بعد ابتعاده

عن مسرح الأحداث السياسية

أولًا: سفره إلى أسوان.

ثانيًا: سفره إلى سويسرا.

ثالثًا: سفره إلى لبنان.

رابعًا: تحديد إقامته فى قرية زاوية المصلوب.

خامسًا: اعتقال يوسف صديق وزوجته.

سادسًا: موقف يوسف صديق من تأميم قناة السويس.

سابعًا: موقف يوسف صديق مما أذاعته إذاعة صوفيا بتعرضه للتعذيب.

ثامنًا: العيد العاشر للثورة ودعوة القائمقام يوسف صديق للعمل.

تاسعًا: رثاء يوسف صديق لعبد الناصر.

عاشرًا: استدعاء الرئيس أنور السادات ليوسف صديق.

بعد أن تقدم يوسف صديق باستقالته اعتراضًا منه على سياسة مجلس قيادة الثورة، رأى المجلس ضرورة جعل أمر استقالته سرًا، لذلك اقترحوا عليه بأن يذهب إلى أسوان، وبعد أن أصر يوسف على موقفه تم إرساله إلى سويسرا بدعوى العلاج، وعندما أرسل طالبًا عودته إلى بلده لم يتم إجابته، فطلب أن تكون إقامته فى بلد عربى فسافر إلى لبنان وأرسلت إليه زوجته، إلا أن يوسف قرر العودة إلى مصر دون علم مجلس قيادة الثورة، وعاد ليقيم بقريته ومن هناك أرسل برقية إلى الرئيس نجيب يؤكد فيها على استقالته من مجلس قيادة الثورة، وهناك تم تحديد إقامته، وسرعان ما تم اعتقاله فى إبريل "١٩٥٤"عقب تصريحاته للخروج مما عُرف تاريخيًا بأزمة مارس. ويتناول هذا الفصل انفعالات يوسف صديق بالتحولات التى مرت بها مصر فى تلك الفترة.

أولًا- سفره إلى أسوان:

كان الغرض المُعلن ليوسف صديق أن ذهابه إلى أسوان بدعوى أن يقيم هناك فترة لتهدئة أعصابه، ويُفكر مليًا فى أمر استقالته لعله يتراجع، فقد أراد المجلس إبعاده عن الساحة السياسية وكذلك لتكون محاولةً للضغط عليه للعدول عن تقديم استقالته، فقد خشى المجلس فى تلك الفترة المبكرة من نجاح الثورة إعلان هذه الاستقالة، فيظهر المجلس أمام الشعب بأنهم منقسمون، وأن هناك خلافات فيما بينهم، فكان على المجلس أن يظل مترابطًا مهما حدث بين أعضائه من خلافات، أو معارضة لبعض القرارات التى تتخذ فى تلك المرحلة، وحتى لا يُطالب ضباط الجيش والشعب بأن يُقدم باقى أعضاء المجلس استقالاتهم ويعودوا إلى ثكناتهم. فى تلك الأثناء كان يوسف فى قريته زاوية المصلوب،

وقد ذهب لأصطحابه إلى أسوان الصاغ وحيد رمضان، واليوزباشى عبد المجيد شديد، واليوزباشى محمد السقا، وقد استقبلهم يوسف بترحاب شديد، وقبل التوجه إلى أسوان ذهبوا للعشاء فى منزل أحد زملائهم بمحافظة بنى سويف، وقد اتفق يوسف مع زوجته السيدة علية توفيق بأن تسبقه مع طفليهما إلى أسوان، وقد تفاجأ الضباط بوجود زوجته والطفلين على محطة القطار، فقد كانت الاستراحة المعدة لاستقبال يوسف والضباط الذين برفقته صغيرة تتكون من حجرتين، ولكن على الفور تم إعداد استراحة أخرى كبيرة تابعة لوزارة الرى مكونة من حجرات عدة[1]، لكن لماذا كان برفقته هؤلاء الضباط؟ هل لحراسته أم لمراقبته؟، إلا أن زوجة يوسف تذكر أن هؤلاء الضباط كانوا يعاملونه أفضل معاملة، فهم يكنون حبًا وتقديرًا له، وفى فجر اليوم التالى لسفر يوسف إلى أسوان تم إلقاء القبض على شقيق زوجته وزوج ابنته الكبرى، الأستاذ محمود توفيق[2]، وعندما شعر يوسف بالملل وأراد العودة إلى القاهرة كان الضباط يخبرونه بأن العودة بعد أسبوع، وطالت المدة حتى مر شهر على وجودهم، فاتصل يوسف بعبد الناصر وأكد له أنه لن يتراجع عن تقديم استقالته، وبهذا ليس هناك مبرر لبقائهم فى أسوان[3].

---

[1] إذ كانت هذه السفرية للاستجمام وراحة الأعصاب فلماذا كان الحرص شديدًا على توفير استراحة أكبر تُمكن الضباط من المبيت والبقاء معه؟!

[2] محمود توفيق: (١٩٢٦-) ولد عام ١٩٢٦ بقرية زاوية المصلوب- مركز الواسطى- بنى سويف، والده هو الشاعر الضابط محمد توفيق على(١٨٨٢-١٩٣٧)، حصل على الليسانس "١٩٥٠"، عمل بالمحاماة، كما عمل مستشارًا قانونيًا للهيئة العامة للسينما، ثم لمنظمة التضامن الأفريقى الآسيوى، وكان سكرتيرًا عامًا للجنة المصرية للتضامن، انخرط فى النضال الوطنى والثورة ضد الاستعمار والنظام الملكى، وانضم إلى الحركة الوطنية للتحرر الوطنى (حدتو)، قضى الكثير من سنوات حياته فى المعتقلات، وكان صديقًا ليوسف صديق، وزوج ابنته، وابن خاله، وأخو زوجته السيدة علية، ظهرت قصائده الوطنية فى الصحف والمجلات، وطبعت له خمسة دواوين. لقراءة المزيد من التفاصيل عنه، انظر محمود توفيق، "مع الأيام"، ج١، القاهرة ، دار ميريت، "٢٠١١".

[3] محضر النقاش السابق مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥ ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص٩٥، ٩٧ ؛ مجلة روزاليوسف، المقالة السابقة، ١٩٧٥/٣/٢٤. انظر ملحق رقم (٢٢) صورة له مع اثنين من زملائه أثناء إبعاده إلى أسوان. حصلت عليه الكاتبة من ألبوم ذكريات يوسف صديق من نجلته السيدة سهير.

ثانيًا- سفره إلى سويسرا:

عقب عودة البكباشى يوسف صديق من أسوان تم وضعه تحت الإقامة الجبرية فى منزله بحلمية الزيتون[1]، وقد واصل المجلس اتجاهه بإبعاد يوسف، فى مارس ١٩٥٣ تشكلت لجنة طبية قررت سفره للعلاج فى إحدى مصحات الصدر فى سويسرا، وقد ذهب عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لزيارته فى منزله، وعرضا عليه السفر للعلاج كما قررت اللجنة الطبية، وتم تحديد فترة العلاج ثلاثة أشهر وأخبراه أن تكون الأمور فى هذه الفترة قد هدأت داخل الجيش، وبعد عودته يستطيع العودة للعمل فى صفوف القوات المسلحة حسب رغبته، فوافق يوسف لكى لا تتصادم أسلحة الجيش، ويستغل الإنجليز المتواجدون فى القناة الموقف ويزحفون إلى القاهرة، وفى أثناء زيارة عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لمنزل يوسف تم التقاط بعض الصور التذكارية[2].

مضت الأشهر الثلاثة التى قضاها يوسف فى لوزان لكن ساءت صحته، وبعد مرور فترة العلاج التى تم تحديدها من قبل اللجنة الطبية فى مصر، أراد يوسف صديق العودة إلى الوطن إلا أن عودته كانت مرفوضة وغير مرغوب فيها[3]، فقد وجد نفسه وحيدًا مريضًا منفيًا خارج بلاده واقترب العيد الأول

---

[1] ذكر اللواء عبد المجيد شديد للباحثة أن يوسف صديق لم يكن قط تحت تحديد الإقامة الجبرية، فقد كان يستطيع الذهاب أينما شاء وقتما شاء، وتأكيدًا على كلامه أنه قال عندما كان يوسف فى المعتقل كان السجين الوحيد الذى يستطيع التحرك فى الداخل بحُريَّة، وكان باب زنزانته دائمًا مفتوحًا. محضر النقاش السابق. ولكن فى النهاية هو سجين، وهذا ينطبق على وضعه تحت الإقامة، فإنه لم يكن ممنوعًا من الخروج لكن كان هناك حرس على باب منزله لا يسمحون بدخول أحد إليه سوى أفراد أسرته.

[2] محضر النقاش السابق مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥ ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص٩٥، ٩٧ ؛ مجلة روز اليوسف، المقالة السابقة، ١٩٧٥/٣/٢٤. ؛ انظر كذلك ملحق رقم (٢٣) صورة تجمع يوسف صديق بزوجته السيدة علية توفيق قبل سفره إلى سويسرا، ملحق رقم (٢٤) صورة تجمع يوسف صديق وجمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر ، وعبد المجيد شديد أثناء توديعهم ليوسف قبل سفره إلى سويسرا.

[3] ملحق رقم (٢٣) خطاب أرسله لزوجته السيدة توحيدة يعبر فيه عن مدى اشتياقه لأسرته ويطلب منهم الدعاء له.

لثورة ٢٣ يوليو، فأرسل يستأذن مجلس قيادة الثورة حتى يحضر أول احتفال للثورة، الذى كان هو سببًا وركنًا أساسيًا فى نجاحها، إلا أن المجلس رفض عودته، وتحرك وجدانه معبرًا عن نفسه بين خوفه على ضياع الثورة، واستيائه من رفقائه وشعوره بغدرهم به مؤكدًا على حبه لوطنه الذى ملك عليه فؤاده، فكتب قصيدته (من الجنة) وأعجب ما فى هذه القصيدة أنه اعتبر نفسه مات شهيدًا على أيدى رفاقه، وأنه قد دخل الجنة وطلب المغفرة لمن ظلمه[١]، ولمن شوه عمله فيقول:

يا أخت إنى شهيد جئت جنتكم	**هل فى الجنان يداوى الداء بالشعل**
أجر الشهيد سألت الحى فى وله	**وفــى الجنان نعيم غير مبتــذل**
وأبعدونى إليكم.. ألـف مغفرة	**لأهل مصر وإن هــم شوهوا عملِ[٢].**

ثالثًا- سفره إلى لبنان:

بعد أن رفض المجلس عودة يوسف صديق من سويسرا، طلب الإقامة فى دولة عربية فسافر إلى لبنان، وقد اقترح عليه جمال حماد (الملحق العسكرى فى سوريا والمسئول عن لبنان أيضًا) بأن يشغل منصبًا دبلوماسيًا إما فى الهند أو فى لبنان، لكن يوسف رفض ولم يعلم إذا كان هذا الاقتراح صادرًا من باعث شخصى لجمال حماد، أو أنه كان مكلفًا من مجلس قيادة الثورة، وتقول زوجته السيدة علية توفيق إن الصاغ وحيد رمضان قد اتصل ليطمئن عليهم، وحدثها قائلًا:" مبروك ستصبحين سيدة لبنان، فأجابته مازحة هل قررتم أن تزوجونى كميل شمعون (٣ أبريل ١٩٠٠- ٧ أغسطس ١٩٨٩)[٣]؟". اتجهت إرادة

---

[١] محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٩٨ ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص١٠٠.

[٢] يوسف صديق، ضعوا الأقلام، ص٤٠.

[٣] كميل شمعون: ثانى رئيس للجمهورية اللبنانية بعد الاستقلال. انتخب "١٩٥٢" بعد استقالة بشارة الخوري. شهد نهاية عهده اضطرابات عرفت بأحداث "١٩٥٨" التى وقعت بسبب إنه أراد تجديد فترة ولايته الرئاسية إلا أنه اصطدم برفض من بعض القوى اللبنانية التى كانت ترفض سياسته وكان على رأس هذه القوى كمال جنبلاط .أسس حزب

مجلس القيادة لإبعاد يوسف عن مصر، بينما اتجهت إرادة يوسف إلى تحدى هذا القرار ورفضه، فقام المجلس بالضغط على أسرته ودفع زوجته للحاق به فى لبنان، حتى لا يُطالب بالعودة إلى مصر، وتستطرد زوجته: بعد سفر يوسف إلى سويسرا انقطعت الأخبار عنه، وفى أحد الأيام تلقت مكالمة تليفونية تخبرها بأن زوجها توفى فى المستشفى، فقامت بالاتصال بمكتب عبد الناصر فأكد لها عدم صحة ذلك الخبر، وأن يوسف فى طريقه إلى لبنان، وقد أبدوا استعدادهم لسفرها ومعها الأولاد لقضاء إجازة الصيف مع زوجها فى لبنان، بالفعل تم التحضير لإجراءات السفر وأخرجوا لها جواز سفر فى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٣"[١][٢].

كان يوسف صديق وجمال حماد فى استقبال زوجته وأولاده فى المطار، ولم يكن يوسف راضيًا عن تصرف المجلس العسكرى، وقرر العودة إلى مصر بعد مرور أسبوع على وجود أسرته معه، ولم يكن يخفى عليه أنه تحت المراقبة من قبل السفارة المصرية، فأنهى جميع إجراءات سفره إلى مصر فى سرية تامة وعاد إلى القاهرة[٣]، ثم توجه إلى قريته زاوية المصلوب ومن مكتب تلغرافها

الوطنيين الأحرار "١٩٥٨"، ترأس الجبهة اللبنانية "١٩٧٦" أحد أبرز طرفى الصراع أثناء الحرب الأهلية اللبنانية .تولى سنوات الحرب عدة مناصب حكومية آخرها منصب وزير المالية إلى تاريخ وفاته فى ٧ أغسطس "١٩٨٩". شارك فى الحكومات اللبنانية المتعاقبة لفترات طويلة، ودخل فى تشكيل ٧ حكومات كوزير، له مؤلفات وهى "أزمة فى لبنان"، "مراحل الاستقلال"، "أزمة فى الشرق الأوسط" ، "مذكرات وذكريات". موقع رئاسة الجمهورية اللبنانية. عبد الفتاح أبو عيشة، المرجع السابق، ص٢٦٢.

[١] محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٩٨-٩٩ ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص١٠٣ ؛ جمال حماد، مجلة أكتوبر، "قصة يوسف صديق مع مجلس قيادة الثورة"، العدد ١١٨٥، ١١/٧/ ١٩٩٩، ص٢٢-٢٣.

[٢] جواز سفر رقم ٥٣/٣٤٣٤، صادر عن المملكة المصرية- وزارة الداخلية، إدارة جوازات السفر، ٢٦ يوليو "١٩٥٣"، القاهرة، تهانى محمد توفيق(اسمها الرسمى). علية توفيق، المصدر السابق، ص١٠٣.

[٣] قال اللواء جمال حماد:" أخطرونى برقيًا بموعد وصول السيدة علية توفيق بطائرة شركة مصر إلى بيروت، ومررت عليه بسيارتى فى الفندق الذى يقيم به واتجهنا إلى المطار، حيث استقبلنا زوجته وطفليهما (حسين ونعمت) وذهبنا جميعًا بعد ذلك إلى الفندق لتناول

أرسل استقالته من الجيش، إلى الرئيس محمد نجيب فى برقية مفتوحة. كانت عودة يوسف سرًا إلى مصر تحديًا لرغبة مجلس قيادة الثورة، فسارع المجلس بإرسال قوة لتحديد إقامته فى القرية فى أغسطس "١٩٥٣"[١].

رابعًا- تحديد إقامته فى قرية زاوية المصلوب:

كان بعض الضباط الأحرار يذهبون لزيارة يوسف صديق سرًا فى منزله، وفى تلك الأثناء ظهرت فكرة تكوين الجبهة الوطنية لمواجهة قرارات مجلس قيادة الثورة، فقد قام الضابط يوسف صبرى بزيارته فى صيف "١٩٥٣"، حيث كان يوسف حينها تحت حراسة البوليس الحربى، وكان هذا الضابط قد سمع الكثير عن يوسف من بعض أصدقائه، لا سيما خطابه فى بنى سويف الذى أعلن فيه أن الثورة لا شرقية ولا غربية[٢]. فى ذلك الوقت التقت الآراء واتفقت مجموعة من الأصدقاء مختلفة الانتماءات، على ضرورة لقاء يوسف واتجهوا ليلًا إلى القرية عبر الحقول، والتقوا ببعض أقارب يوسف الذين أعطوا لهم الجلاليب حتى لا يلفتوا الأنظار، ودارت مناقشات كثيرة بين يوسف ومن زاروه وتم تشكيل اللجنة التحضيرية للكفاح المسلح ضد الإنجليز، وبدأت فى الاتصال ببعض الأحزاب والقوى الوطنية المختلفة[٣]. وقد تطور نشاط اللجنة إلى تشكيل جبهة وطنية التى كان لها دور فى أحداث "١٩٥٤"[٤].

الغذاء، وكان يوسف فى غاية الفرح والسعادة لِلَم شمل الأسرة، بينما لاحظت مدى ما كانت تعانيه زوجته من توتر وضيق بسبب هذا النفى الإجبارى لهم فى لبنان، وكانت الشتائم ضد المسئولين عن هذا النفى تنطلق من فمها كطلقات الرصاص. وعلمت بعد بضعة أيام أن يوسف قد ترك الفندق فجأة وسافر سرًا إلى القاهرة". جمال حماد، مجلة أكتوبر، المقالة السابقة.

[١] عبد الله الإمام، المرجع السابق، ص١٥٥؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص١٠٥.

[٢] مجلة روزاليوسف، المقالة السابقة، ١٩٧٥/٥/٥.

[٣] مجلة روزاليوسف، المقالة السابقة، ١٩٧٥/٥/٥. محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص١٤٨. لقراءة المزيد حول حملة الاعتقالات، انظر إلهام سيف، معتقل (أبو زعبل)، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، "١٩٧١".

[٤] ملحق (٢٥) صورة تجمع بين يوسف صديق وابنته سهير وزوجها محمود توفيق، فى قرية زاوية المصلوب أثناء تحديد إقامته عام "١٩٥٣". ؛ لقراءة المزيد عن اللجنة

خامسًا- اعتقال يوسف صديق وزوجته:

فى أول أبريل تم اعتقال كل المعارضين لقرارات المجلس، وبناءً عليه تم إلقاء القبض على يوسف صديق؛ حيث ذهب إليه بعض تلاميذه، لإلقاء القبض عليه إلا أنهم قاموا بأداء التحية العسكرية له وحملوا عنه حقيبته، ثم وضعه فى سجن الأجانب وتقابل فيه مع عدد كبير من رجال السياسة والصحافة، ثم نقل بعد ذلك إلى السجن الحربى، حيث تقابل مع الأميرالاى أحمد شوقى وعدد من الإخوان المسلمين منهم عبد المنعم عبد الرؤوف. ثم قامت قوة بالتوجه إلى منزل يوسف صديق الذى تقيم فيه زوجته السيدة توحيدة صبرى، وتم تفتيش المنزل وخرج أحدهم من غرفة كانت مخصصة لمساعدة المنزل، ومعه عدد كبير من منشورات الحزب الشيوعى المصرى، وطلب رئيس الضباط من السيدة توحيدة بالتوجه معهم إلى وزارة الداخلية، للتحقيق معها فى أمر المنشورات إلا أنها طلبت الاتصال بالرئيس محمد نجيب أو بوزير الداخلية زكريا محى الدين، لتسأله إذا كان من اللائق أن تخرج من منزلها فى هذا الوقت المتأخر مع هذا العدد الكبير من رجال الداخلية، وتطلب منه أن تأخذ ابنها معها ليعرف ماذا سيحدث لها، لكن رفض رئيس الضباط أى مطلب لها وأخذوها للتحقيق معها، وهناك اكتشفت أن تلفيق هذه التهمة كان المقصود بها السيدة علية توفيق الزوجة الثانية للبكباشى يوسف صديق. قام الضابط محمد السقا بإعادة السيدة توحيدة صبرى إلى منزلها مرة أخرى، وذهبوا بنفس المنشورات التى كانت فى حجرة مساعدة المنزل إلى منزل السيدة علية توفيق، وتم إلقاء القبض عليها وعلى المساعدين فى المنزل، وتركوا طفليها بمفردهم؛ حيث إن حسين لم يكن يتجاوز الحادية عشرة سنة ونعمت لم تتعدَ الخمس سنوات[1]. ولكن لماذا أراد اعتقال السيدة عليه توفيق؟ فقد كانت علية توفيق تُسرف فى التعبير عن آرائها ضد عبد الناصر فى مجالسها الخاصة التى كان يحضرها رجال عبد الناصر فينقلون إليه ما قيل فيغضب عبد الناصر[2].

التحضيرية بالجبهة الوطنية الديمقراطية، انظر محمود توفيق، المصدر السابق، ص٣٩٤- ٤٠١.

[1] محضر النقاش السابق، مع نجلة يوسف صديق الكبرى السيدة سهير، منطقة المعمورة، الإسكندرية، ٢٠١٢/٥/٢٢. ؛ محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص ١٤٩.

[2] حسن عزت، المصدر السابق، ص٢١٥.

كـان البكباشـى يوسـف صـديق قائدًا للـواء السـابع مشـاة، وكـان يقيم بثكنـات العباسية نظرًا لعمله إلا أن عقب قبول استقالته وإحالته إلى المعاش قُبيل اعتقالـه بأيـام قد طلبـوا مـن زوجتـه إخـلاء السـكن حتـى يشـغله القائـد الجديـد، إلا أنهـا رفضت الخروج من المنزل حتى يأتى زوجها، فتم اعتقالها ووضعها فى سجن مصـر العمـومى[1]. وقد رفـض البكباشـى يوسـف صـديق التحقيق معـه مـن قبل نيابة أمن الدولـة، وصـاح فى وجههم طالبًا أنـه يريد نيابـة الشـعب للتحقيق معـه، ونصح زميله أحمد شوقى بأن يرفض التحقيق معـه إلا أنـه لم يأخذ بالنصـيحة، وحققت اللجنـة معـه وقدم للمحاكمـة وحكم عليـه بالسـجن، أمـا البكباشـى يوسـف صديق لم تعد إليـه اللجنـة مرة أخرى للتحقيـق معـه[2] كـان الغرض مـن كل مـا تعرضت له أسرة البكباشى يوسف صديق هو الضغط عليها للابتعاد عن الحيـاة السياسـية، وقـد اسـتاء البكباشـى يوسـف صـديق عنـدما علـم بـأمر القـبض علـى زوجته، فنظم قصيدة يهجو فيها عبد الناصر بعنوان (فرعون) قائلًا:

" سجنت النساء ولـم تحترم ... وقـار الشيوخ وطول الذقون

أعـرضٌ يُبـاح ويُلقـى بـه ... على ناظريك بقاع السجون[3]

غضب البكباشى يوسف صديق مما فعل معه ومع أسرته، إلا أنـه عندما قـام الرئيس جمال عبد الناصر بتوقيع اتفاقيـة الجلاء أرسل لـه برقيـة تهنئـة. كانت الزيـارة ممنوعـة عنـه فـى السجن، وإذا أراد أحد أفراد أسرتـه رؤيتـه لا بـد أن يحصـل علـى إذن مسبق، فاسـمه لـم يكـن مـدرجًا فـى كشـف أسـماء المسـموح لهم بالزيارة[4]. كان يُعامل البكباشى يوسف صديق داخل السجن باحترام وكـان

---

[1] نفس المؤلـف، المرجـع السـابق، ص١٥٠-١٥٣. ؛ عليـة توفيـق، المصـدر السـابق، ص ١٢٢-١٢٤.

[2] المصدر السابق، ص١٢٨ ؛ محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص١٥٥.

[3] يوسف صديق، ضعوا الأقلام، ص٤٧.

[4] أثناء تواجد يوسف فى سجن الأجانب ذهب لزيارتـه الأستاذ عويس ياسين، الذى كان يدرس لأولاده ، وعندما عرض عليـه الجندى كشف أسماء المسجونين المسموح لهـم بالزيارة، لم يجد اسم البكباشى يوسف صديق، فاختار اسما عشوائيًا وقال إنه قادم لزيارته فأدخلوه، ووجد الضابط فى انتظاره، فاندفع الأستاذ عويس نحوه وهمس لـه فـى أذنـه أنـه يريد مقابلة البكباشى يوسف صديق، فرحب الضـابط بالمدرس وبعد قليل حضر يوسـف صديق، وسأل المدرس كيف تمكن من الدخول إليه. وهذا الموقف يؤكد ما قاله اللواء عبد

الجميع يكن له الحب والتقدير، فقد أمر الرئيس عبد الناصر بضرورة تلبية طلباته كافة داخل السجن، وبعد مرور أربعة عشر شهرًا صدر قرار الإفراج عنه لكنه رفض حتى يتم الإفراج عن زوجته، فأرسل عبد الناصر له بأن قراري الإفراج عنه وعن زوجته قد صدرا[1]، وتم الإفراج عنه في يونيو "١٩٥٥"، وظل تحت تحديد الإقامة حتى عام "١٩٥٦"[2]. لم يكفر البكباشي يوسف صديق بالثورة بالرغم مما تعرض له من ظلم وإشاعات واعتقال وتحديد إقامة، بل ظل يمارس نشاطه السياسي من خلال لقائه ببعض قيادات العمال، إلا أنهم تخلوا عنه واتخذوا الموقف السائد حينها، وظل وفيًا مخلصًا لمبادئه التي خرج من أجلها ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"[3].

سادسًا- موقف يوسف صديق من تأميم قناة السويس:

لم تكن أزمة السويس عام "١٩٥٦" وليدة لحظتها[4]، حيث إن الصراع بين مصر والقوى الأجنبية يمتد إلى ماض بعيد، فقد تراكمت الرواسب داخل مصر،

المجيد شديد بأن يوسف صديق كان يتحرك داخل السجن بحريته ؛ الأزهري، المرجع السابق، ص١٥٥ ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص١٣٥ ؛ محضر النقاش السابق مع اللواء عبد المجيد شديد.

(1) ذكرت السيدة علية توفيق في مذكراتها، أنه تم الإفراج عنها في يوليو "١٩٥٥" أي بعد خروج زوجها بشهر، إلا أن البكباشي يوسف صديق ذكر للأستاذ أحمد حمروش أنه قد تم الإفراج عن زوجته بعد الإفراج عنه بيومين كما وعده الرئيس عبد الناصر. علية توفيق، المصدر السابق، ص ١٣٥ ؛ أحمد حمروش، شهود ثورة يوليو، ص١١٣.

(2) عبد الله الإمام، المرجع السابق، ص١٥٥ ؛ علية توفيق، المرجع السابق، ص١٣٥.

(3) عبد الله الإمام، المرجع السابق، ص١٥٣.

(4) ارتبطت قناة السويس بتاريخ مصر الحديث والمعاصر ارتباطًا وثيقًا، وشكلت جزءًا من كفاحها الطويل طوال سنوات، ومنذ حفر القناة والشركة الفرنسية التي حصلت على امتيازها تتحكم فيها، ونتيجة لظروف مالية صعبة مرت بها مصر آل نصيبها من الأسهم إلى بريطانيا التي غدت شريكة لفرنسا، لم تكن مصر تحصل إلا على قدر قليل من أرباح القناة، على سبيل المثال فقد وصل دخل مصر مائة مليون دولار عام ١٩٥٥، وبلغ نصيب مصر مليون جنيه فقط. كان موعد انتهاء عقد الشركة في عام ١٩٦٨، وبعد ذلك التاريخ تعود إلى ملكية مصر. وعقب الجلاء انتاب البريطانيين القلقُ فقامت بريطانيا

تلك التى حملت المرارة والظلم، لكنها مع قيام ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" بدأت تشعر أنها على أعتاب مرحلة جديدة شيمتها العزة والكرامة، وتحررت مما عانته فى الماضى واستطاعت مصر كما تم الإشارة سابقًا، التخلص من الاحتلال البريطانى بتوقيع اتفاقية الجلاء فى ١٩ أكتوبر "١٩٥٤"، نبتت جذور أزمة السويس فى أعقاب توقيع تلك الاتفاقية. كان لتبنى الرئيس عبد الناصر سياسة الحياد تجاه العروبة وحلف بغداد الأثر السيئ على الغرب، وازداد الموقف حرجًا بعد أن كسر الرئيس عبد الناصر احتكار الغرب لتصدير السلاح للمنطقة بعقد صفقة الأسلحة التشيكية. بالرغم من ذلك لم تفقد لندن وواشنطن الأمل فى جذب الرئيس عبد الناصر، لارتباط ذلك بتحقيق خطة إنهاء النزاع بين العرب وإسرائيل فى مقابل تمويل السد العالى، لكن الفشل أدى إلى سحب عرض التمويل. هنا بدأت أحداث أزمة السويس فقام الرئيس بتأميم شركة قناة السويس فى ٢٦ يوليو "١٩٥٦"[1]. كان الرئيس عبد الناصر يعى الموقف جيدًا، وقد طلب من سفير مصر فى واشنطن أن يقوم بإثارة مسألة إهمال الشركة للقناة، فقد ظهر اهتمام الثورة بمسألة قناة السويس مبكرًا؛ ففى أعقاب توقيع اتفاقية الجلاء، كلفت إدارة التعبئة العامة للقوات المسلحة بالعمل للحصول على البيانات والمعلومات كافة عن نشاط الشركة وإيراداتها[2]. كما أن عبد الناصر قد أشار فى الخطبة التى ألقاها إلى الفترة المتبقية على إنهاء الامتياز، وأكد أن المصريين سوف يكونون على أتم استعداد لإدارة القناة بعد تسلمها من الشركة[3]. كانت بريطانيا أكثر الدول انتفاعًا بالقناة لذلك كانت تخشى عليها من

بوضع شركة قناة السويس نصب أعينها وكونت ما عرف (بجماعة السويس) من أعضاء البرلمان البريطانى للدفاع عن الشركة خشية من أن يقوم المصريون بتأميمها، وفى عام "١٩٥٥" رأت مصر أنه من حقها أن تعدل الأوضاع الاستغلالية للشركة، إلا أن الشركة رفضت المطالب المصرية. وقد أهملت الشركة تمامًا فيما يتعلق بالتحسينات . لطيفة محمد سالم، "أزمة السويس ١٩٥٤- ١٩٥٧"، القاهرة، مكتبة مدبولى، د.ت، ص٤، ١٤٨ ؛ مجلة آخر ساعة، العدد ١١٣٨، ١٥ /١٩٥٦/٨.

[1] لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص٤. انظر كذلك جمال شقرة، إسرائيل وثورة يوليو (١٩٥٢-١٩٥٦)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، "٢٠١٣"، ص٤٩.

[2] عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص٣١٨.

[3] Kyle،Keith، *Suez*، Weidenfeld Nicolson، London، 1991، p.120 ; F.O. 371/118855، V 107/111 C، Dixon's Report، April 3rd- 5th، 1956.

الرئيس عبد الناصر، وتردد كثيرًا في خطابات إيدن Eden قول :" القناة هي وريد الدورة الدموية للبترول في العالم". رأت بريطانيا أن نمو قوة عبد الناصر وارتباطه بالاتحاد السوفيتي يعطيه قبضة خطيرة على الاستخدام الدولي للقناة. عزم عبد الناصر على اتخاذ خطوة تأميم شركة قناة السويس كجزء متمم لإسدال الستار على النفوذ الأجنبي الذي عانت مصر منه طويلًا، لا سيما بعد أن بات واضحًا أن الخطط تُحاك، وأن النتائج لن تكون في مصلحة مصر لذلك كان عليه كسب الوقت والإقدام على مثل هذا الإجراء، لا سيما بعد أن بلغت شهرته الآفاق وثبت وضعه الشرعي بفوزه في انتخابات رئاسة الجمهورية(١).

كان هناك مساندة من قبل الاتحاد السوفيتي لتأميم القناة، لكن حرص عبد الناصر على إضفاء السرية التامة على التنفيذ حتى لا يتم إجهاض الخطة التي أعدها بطريقة محكمة مع ضابط المخابرات المسئول كما لو كانت معركة حربية. بدأ التنفيذ عندما وقف الرئيس عبد الناصر يوم ٢٦ يوليو "١٩٥٦" في ميدان المنشية بالإسكندرية ليلقي خطبته، احتفالًا بمرور أربع سنوات على رحيل الملك فاروق عن مصر، واستعرض في الخطبة موضوعات متعددة، ركز فيها على موضوع تمويل السد العالي وربط بين مدير البنك الدولي وبين ديليسبس Delesseps، حيث كان اسم ديليسبس هو الاسم الحركي لعملية التأميم، وردده كثيرًا حتى يتأكد ضابط المخابرات المسئول عن مهمة الاستيلاء على مقر شركة قناة السويس، وذكر أن مصر ستبني السد العالي من دخل القناة الذي بلغ مائة مليون دولار سنويًا، وعندما أعلن في نهاية خطبته تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية(٢). تحرك وجدان الشاعر داخل يوسف صديق، فنظم يوسف قصيدة أهداها إلى الرئيس بعنوان (الله أكبر) وتم نشرها في جريدة الجمهورية، قائلًا:"

الله أكبر يا جمال جمعتنا ... والعهد دون الحق أن نستشهدا

فاضرب وراءك لا أمة إن تدعها ... لتسابقت واستعذبت طعم الروى

فلكل شعب أرضه بكنوزها ... يحيا بها حرا كريما سيدا.

---

(١) لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص١٥٠.

(٢) جريدة الأهرام، "خطبة عبد الناصر في ٢٦ يوليو ١٩٥٦"، عدد ٢٥٤٣٧، ٢٧ /٧/١٩٥٦.

فاليوم لا شعب تضيع حقوقه ... بين الطغاة ولا يُـرى مستعبدًا.[1] ويُلاحظ وجود تناقض واضح بين هذه القصيدة وقصيدة فرعون، فالأولى كان يُهاجِم فيها عبد الناصر ويتهمه بأنه حاول التهرب من المسئولية ليلة الثورة، وهنا يُمجده ويُشيد بوطنيته.

وقع خبر تأميم قناة السويس على الغرب وقع الصاعقة، وقام رئيس الوزراء الأسترالى منزيس Menzies الذى كان متواجدًا فى الولايات المتحدة لحظة إعلان الرئيس عبد الناصر قرار التأميم، بالتوجه إلى لندن ليظهر فى الإعلام البريطانى - ذائع الصيت- يهاجم قرار التأميم، معلنًا أن ذلك يخالف القانون ويهدد مستوى المعيشة فى بريطانيا، خاتمًا حديثه قائلًا:" إننا لا نستطيع أن نوافق على ما قام به عبد الناصر لا من الناحية الشرعية ولا من الناحية الأخلاقية[2]. وكان يجهر فى مناسبات أخرى بضرورة استخدام القوة لحل مشكلة قناة السويس[3]. وعندما سمع يوسف صديق بخبر إرسال الغرب لمنزيس إلى مصر نظم قصيدة موجهة إلى الأخير، تم نشرها فى يوم زيارة منزيس إلى مصر قائلا:"

وحى معالم التاريخ واركع ... تبرك بالقنال وطور سيناً

إلى الوادى المقدس جئت فاخلع ... به نعليك شأن المؤمنيناً

وتجتم بالسلامِ تكن حصينا ... وتحيا سالما ما دمت فينا[4]

مع بداية مارس "١٩٥٦" أخذ العمل المشترك بين بريطانيا وفرنسا يأخذ طابعًا مميزًا، فقد أصبح الرئيس عبد الناصر العدو الأول للغرب، لا سيما عقب تأميمه لقناة السويس وكان يصعب على بريطانيا القيام بمفردها بالحرب، حيث ساءت ظروفها العسكرية بعد الحرب العالمية الثانية فأصبحت القواعد التابعة

---

(١) جريدة الجمهورية، ٢٢/٨/ ١٩٥٦.

(٢) أنتونى نانتنج، ناصر، ت: شاكر إبراهيم سعيد، ط ٢، القاهرة، مكتبة مدبولى، "١٩٩٣"، ص ١٩٢.

(٣) أرسكين تشايلدرز، "الطريق إلى السويس"، ت: خيرى حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت، ص٢٤٨.

(٤) جريدة الجمهورية، ٣ /٩/ ١٩٥٦ ؛ علية توفيق، المصدر السابق، ص ١٤٢ ؛ محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٢٣٤.

لها متفرقة، فضلًا عن وضعها الاقتصادى الصعب. كما كان يصعب على فرنسا أن تتخذ نفس القرار بمفردها لنفس الأسباب، لذلك فكرت بريطانيا بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية لا سيما أن لها أسطولًا موجودًا فى البحر المتوسط، ونظرًا لرفض أمريكا تقديم المساعدة والاشتراك فى أى عمل عسكرى، فركزت بريطانيا جهودها للتعاون مع فرنسا[1].كان الرئيس جمال يعى تمامًا أن قرار تأميم قناة السويس سوف يكون له نتائج وخيمة، وتوقع إمكانية وقوع عدوان بريطانى على مصر نتيجة لهذا القرار، ورأى أن القوات البريطانية متناثرة وأن التعبئة والتنظيم لإعداد حملة يتطلب على الأقل شهرين، أما بالنسبة إلى احتمال اشتراك الولايات المتحدة فى عمل عسكرى ضد مصر، فقد وجد أن الانتخابات هى الشغل الشاغل لها، وأنها تفضل الضغط الاقتصادى عن استخدام القوة[2]. أما بالنسبة إلى التعاون العسكرى بين بريطانيا وفرنسا، فرأى أنه قائم لغضب فرنسا من مساعدة مصر لثورة الجزائر[3]. أما بالنسبة إلى التعاون مع إسرائيل فلم يتوقع عبد الناصر ذلك، حيث كانت بريطانيا ترفض فكرة ارتباط اسمها بإسرائيل فى عملية عسكرية ضد العرب، وقد وضع عبد الناصر فى اعتباره مدى حرص بريطانيا على كسب صداقة العرب، لذلك انصب اهتمامه على التحركات الإسرائيلية على الحدود الأردنية، إذ كانت الجبهة المصرية الإسرائيلية هادئة مما دفعه لسحب الجيش من سيناء وأبقى على ست كتائب فقط؛ وذلك لمواجهة الغزو البريطانى الفرنسى الذى كان متوقعًا[4].

فى يوم الإثنين ٢٩ أكتوبر "١٩٥٦" بدأ هجوم إسرائيل على سيناء، وبدأ العدوان الثلاثى على مصر[5] وما كان شيء ليمنع يوسف صديق من أن يخرج ليقوم بخدمة وطنه، فارتدى ملابسه العسكرية وخرج إلى الشارع وتبعه جنود حرس تحديد الإقامة، وبعد أيام قليلة صدر قرار برفع تحديد الإقامة عنه، وقام

---

[1] لطيفة سالم، المرجع السابق، ص٢٢٧-٢٢٨.

[2] أنتونى، المرجع السابق، ص ١٨٥.

[3] صلاح بسيونى، مصر وأزمة السويس، القاهرة، دار المعارف، "١٩٧٠"، ص٦٦.

[4] محمد حسنين هيكل، ملفات السويس حرب الثلاثين سنة، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، "١٩٨٦"، ص٥٣٠.

[5] جريدة الأهرام، عدد ٢٥٥٣٢، ٣٠ / ١٩٥٦/١٠؛ محمد حسنين هيكل، المرجع السابق، ص٥٣٢. ؛ انظر كذلك جمال شقرة، المرجع السابق، ص ٥٠-٥٤.

الرئيس عبد الناصر بإرسال ضباط ومعلمى تدريب وأسلحة حديثة ليوسف صديق، ليقوم بتدريب المواطنين على استخدام السلاح، واستخدام طرق حرب العصابات، والتف كل رجال وشباب عزبة النخل حول يوسف صديق فى المقاومة الشعبية، فقد كانت أيامًا صعبة على مصر وشعبها لكنها كشفت عن المعدن الحقيقى الأصيل للشعب المصرى بطوائفه كافة، وتضامنه والتحامه وقت الشدة. فقد استمر يوسف صديق فى أداء دوره الوطنى فى صفوف المقاومة الشعبية، لا ينتظر موقعًا أو منصبًا أو مكافأة، حتى انتهت الأحداث بانتهاء العدوان وانسحاب قواته، هنا خلع يوسف زيه العسكرى وعاد إلى ملابسه المدنية مواطنًا بين ملايين المواطنين[1]، وعقب انتهاء أزمة السويس وتوقف المعارك الحربية، لم يعد هناك وجود للضباط ولا للأسلحة والسيارات التى كان قد أرسلها الرئيس عبد الناصر ليوسف صديق، رحل الجميع دون أن يخبره أحد[2].

- يوسف صديق وانتخابات مجلس الأمة.

عندما فُتح باب الترشح لانتخابات مجلس الأمة فى عام "١٩٥٧" ، ذهب بعض من كبار الشخصيات من مركز الواسطى ومديرية بنى سويف، ليطلبوا من يوسف صديق أن يقوم بترشيح نفسه فى مجلس الأمة عن مديرية بنى سويف، وكان رأى يوسف صديق أن الرئيس عبد الناصر لن يسمح بذلك، وبعد أن دارت المناقشات بينه وبين أهل قريته وعائلته قرر أن يخوض التجربة، وبالفعل توجهوا إلى مديرية بنى سويف التى كانت تتلقى طلبات الترشح، وقدموا الأوراق وحدث ما توقعه يوسف صديق، فقد تم رفض الطلب حيث إن اسم يوسف صديق كان مدرجًا ضمن أسماء المعزولين سياسيًا[3].

---

(١) لمعى المطيعى، جريدة الوفد، ٩/ ١٩٨٧/٧.

(٢) علية توفيق، المصدر السابق، ص١٤٢-١٤٣.

(٣) نفس المصدر، ص١٤٤. محضر النقاش السابق مع السيدة سهير صديق، ٢٠١٢/٥/٢٢.

سابعًا- موقف يوسف صديق مما أذاعته إذاعة صوفيا بتعرضه للتعذيب:

قامت إذاعة صوفيا عاصمة بلغاريا بإذاعة أخبار عن تعذيبه داخل السجن فى ٢٦يناير "١٩٦٠" ، ونتيجة لذلك قام الطلبة المصريون والبلغار بمظاهرة اتجهت إلى السفارة المصرية بصوفيا، منددة بتصرف النظام المصرى مع يوسف. فقام الرئيس عبد الناصر بالاتصال بيوسف صديق، واقترح الرئيس عبد الناصر حضور الأستاذ محمد حسنين هيكل لمقابلة يوسف صديق، وإجراء تحقيق صحفى مصور لنفى هذه الادعاءات، إلا أن يوسف صديق كان له رأى آخر، فبالرغم من استبعاده وبعده عن رفاق الأمس إلا أنه رفض بشدة أن يُستغل خلافه مع عبد الناصر إعلاميًا مما يَضُر بسمعة النظام الذى شارك فى صناعته (الثورة)، فقد فضل أن يتوجه بنفسه إلى السفارة البلغارية ومقابلة السفير بنفسه لنفى تلك الادعاءات، وافق الرئيس على اقتراح يوسف وصرف النظر عن موضوع التحقيق الصحفى [1]. فى صباح اليوم التالى توجه القائمقام يوسف صديق إلى السفارة البلغارية، إلا أنه لم يجد السفير فقد كان فى إجازة ببلغاريا، فقابل القائم بأعماله ووضح له عدم صحة الادعاءات التى بثتها إذاعة صوفيا، وأن مثل هذه الادعاءات من شأنها أن تعكر صفو العلاقات بين شعبى البلدين وقام بتسليمه رسالة خطية تحمل نفس المعنى، ويبدو أن المخابرات كانت تتبع يوسف صديق عندما توجه إلى السفارة، وقامت بالتقاط بعض الصور، وفى صباح يوم ٢٨ يناير تم نشر صورته أثناء خروجه من السفارة البلغارية، على الصفحة الأولى بجريدة الدولة[2].

قام القائم بأعمال السفير البلغارى بالاعتذار، وأخبر يوسف صديق أن الإذاعات تخطئ فى بعض الأحيان، وأنه من الأفضل تصحيح ذلك وأنه سوف يتصل بالحكومة بصوفيا لتتصل بالإذاعة وتبلغها بحقيقة الأمر. إلا أن محطة إذاعة صوفيا لا يمكن أن تنشر مثل هذه الادعاءات وترددها دون علم الحكومة البلغارية. لم تشأ حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن تدخل فى مناقشة مع الحكومة البلغارية، وإنما اكتفت القاهرة بأن تبعث إلى الطلبة المصريين

[1] علية توفيق، المصدر السابق، ص ١٤٦، ١٤٧.

[2] محمد حسنين هيكل، "بصراحة"، جريدة الأهرام، ٢٨ /١٩٦٠/١١، ص١.

الذين يتلقون العلم فى بلغاريا، بأن من يرغب منهم العودة إلى القاهرة، أو يرغب فى الذهاب لتلقى العلم فى أى جامعة أخرى لاستكمال دراسته، فإن الحكومة تكفل لهم ذلك. ولم تكتف إذاعة صوفيا بما أذاعته عن أنباء تفيد بتعذيب يوسف صديق، بل قامت بحملات من الترويج لإشاعات أخرى فى الراديو لا أصل لها من الصحة، وليس لها سبب واضح. وعندما ذهب يوسف إلى السفارة البلغارية قال للقائم بأعمال السفير:" من أين جئتم بهذا الكلام الذى لا أصل له من الصحة؟ وأى مصلحة تخدمونها بترديد مثل هذه الادعاءات؟ كان سؤاله فى موضعه!. إلا أن الإجابة عن هذا السؤال أمر تتضارب فيه الآراء. منها أن صوفيا هى مركز توجيه الأحزاب الشيوعية فى منطقة الشرق الأوسط، والفشل الذى لاقته الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية فى تلك الفترة، ومن هنا فإن صوفيا لا تجد من تصب عليه سخطها سوى الجمهورية العربية المتحدة، التى كانت مركز الإشعاع الوطنى، وقاعدة انطلاق تياره الواعى[1].

ثامنًا- العيد العاشر للثورة ودعوة القائمقام يوسف صديق للعمل:

واللافت للنظر أن علاقة يوسف صديق بعبد الناصر لم تنقطع، وكما اتضح من وقائع الفترة ما بين استبعاده عن الساحة السياسية وحتى رحيله فعلاقته بعبد الناصر ورسائله إليه لم تنقطع، وعلى سبيل المثال فى الخطاب الذى اعتاد الرئيس عبد الناصر أن يلقيه على الشعب سنويًا فى الاحتفال بعيد الثورة، فاجأ الرئيس الجميع فى العيد العاشر للثورة ٢٢ يوليو "١٩٦٢"، بأنه تحدث للمرة الأولى عن دور البكباشى يوسف منصور صديق فى ليلة الثورة[2]، بالرغم من أنه تناول الأمر بحذر وإيجاز شديد، وبالطريقة التى أرادها إلا أنه قد ذكر أخيرًا الدور الذى قام به البكباشى يوسف صديق، وأن تحركه مبكرًا سبب فى نجاح الثورة. وهذه أول مرة يتحدث فيها مسئول مصرى عن الدور الذى قام به يوسف صديق. قائلًا:" كان المفروض أن التحرك الساعة الواحدة، لكن فيه واحدًا اعتقد أن التحرك الساعة ١٢ هو يوسف منصور صديق، وتحرك قبل الميعاد بساعة فقابلناه فى السكة... قلنا له ما الذى حركك مبكرًا قال الميعاد

(١) علية توفيق، المصدر السابق، ص١٤٦-١٤٧ ؛ لمعى المطيعى، المقال السابق.

(٢) مجموعة خطب عبد الناصر، المصدر السابق، ص ١٨٩.

الساعة ١٢ فقلنا له الميعاد الساعة الواحدة، قال على العموم أنا اتحركت الساعة ١٢، قلنا له إذن تطلع على القيادة وتحتل القيادة وتعتقل الناس الموجودين هناك، إن دل ذلك على شىء فيدل على التوفيق، وكانت هذه القوة هى القوة التى احتلت القيادة وقبضت على جميع القادة فى هذا الوقت وبهذا تمكنت الثورة من أن تسير فى عملها"[١][٢].

وبعد مرور عدة أيام من إلقاء الرئيس لخطابه، قام الرئيس عبد الناصر بالاتصال بيوسف صديق ليهنئه بعيد الثورة، فأجابه يوسف مازحًا " كل عشرة وأنت طيب يا جمال"، وفى هذه المحادثة التليفونية سأله الرئيس إذا لم يكن قد مل من تقاعده، فأجابه يوسف بالإيجاب، وانتهت المحادثة بينهم بدعوة الرئيس عبد الناصر ليوسف صديق وأسرته بالحضور إلى الإسكندرية، لقضاء عطلة الصيف ومناقشة موضوع العمل، وفى صباح اليوم التالى أرسل إليهم سيارة من رئاسة الجمهورية لتنقلهم إلى الإسكندرية، فقد خصص الرئيس ليوسف كابينة بالإيجار بشاطئ المعمورة[٣]. وبعد أن قضى يوسف وأسرته شهرًا بالإسكندرية، قرر العودة إلى القاهرة وقبل أن يغادر الإسكندرية توجه إلى الرئيس عبد الناصر ليشكره على تلك الدعوة، وطلب الرئيس منه أن يبقى حتى نهاية الصيف إلا أن يوسف أصر على العودة للقاهرة، ولم يتطرق الحديث بينهم إلى العمل الذى سبق وأن أشار إليه الرئيس فى المحادثة التليفونية. وتذكر زوجته السيدة علية توفيق أن هناك بعض الشائعات التى ترددت فى تلك الفترة،

---

(١) نفس المصدر.

(٢) قد ذكر الرئيس جمال عبد الناصر دور يوسف صديق بإيجاز كما يتضح من النص، ويقصد فقابلناه فى السكة (جمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر) ،أما فى قوله إن يوسف اعتقد أن الميعاد الساعة ١٢، فقد تناولت الكاتبة هذا من قبل أن الصاغ زغلول عبد الرحمن قد أخبر البكباشى يوسف صديق بأن ساعة منتصف الليل، وهذا ما أكده اللواء عبد المجيد شديد أثناء حديثه مع الكاتبة فى محضر النقاش السابق.

(٣) علية توفيق، المصدر السابق، ص ١٥٠ ؛ محضر النقاش السابق مع السيدة سهير صديق، الإسكندرية، شاطئ المعمورة، ٢٠١٢/٥/١٠. وقد ذكرت عند الحديث عن تلك الواقعة مع الكاتبة، أن الكابينة حتى الآن بالإيجار، وعند تخصيص هذه الكابينة لأبيها فلم يكن هناك أى تفضيل له، حيث إن جميع الوزراء والمستشارين وأعضاء مجلس قيادة الثورة، قد خصصت لهم شاليهات أوسع وتطل على البحر مباشرة، فهذه الكابينة شاهدتها الكاتبة دور أرضى تتكون من حجرة وصالة صغيرة، تبعد عن البحر ١٥ م تقريبًا.

بأن الرئيس عبد الناصر كان يضغط على بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين كانوا على خلاف معه فى ذلك الوقت بمحاولة الاستعانة بيوسف صديق، وأشار البعض الأخر أن الرئيس كان يشعر بالذنب تجاه يوسف صديق لما لاقاه من سوء تقدير، فحاول أن يرضى ضميره بأن ذكر دور يوسف ليلة ٢٣ يوليو فى خطابه أثناء الاحتفال بالعيد العاشر للثورة، ذلك الدور الذى لم يرد ذكره عنه من قبل[١].

عندما ذهب يوسف إلى الإسكندرية، وتصادف فى أثناء جلوسه فى أحد الكازينوهات التى تطل على البحر بوجود الصاغ وحيد رمضان، الذى ذهب بدوره للجلوس مع يوسف صديق وتبادلا أطراف الحديث، وقد ذكر الصاغ وحيد رمضان ليوسف بأن هناك خلافات بينه وبين الرئيس، وأن الرئيس تحول إلى دكتاتور من وجهة نظر الصاغ وحيد رمضان، ولا يقبل مناقشة ما يأمر به، وأخبره أن الرئيس قرر تعيينه سفيرًا بإحدى الدول الأوروبية ليبعده عن مصر، وكان وحيد لا يريد أن يقبل هذه الوظيفة الجديدة، إلا أن نصيحة يوسف له بأن يقوم بتنفيذ القرار ويذهب إلى المكان الذى تم تعيينه فيه، وبالفعل ذهب وحيد إلى برن فى سويسرا ليمارس وظيفته كسفير لمصر هناك فى "١٩٥٦"، وظل فى تلك الوظيفة حتى أحيل إلى التقاعد فى "١٩٦١"، وعاش بعد ذلك هناك قطيعة بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر، فذهب اللواء وحيد رمضان إلى يوسف صديق ليخبره عن سبب الخلاف والقطيعة التى حدثت بينه وبين الرئيس[٢]،

---

[١] علية توفيق، المصدر السابق، ص١٤٩.

[٢] كان مساعد الملحق العسكرى فى برن وهو الرائد حسن خليل يقوم بتناول الخمر، فقام اللواء وحيد رمضان بالتعدى عليه بالضرب. أرسل اللواء وحيد رمضان رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر، يخبره بأن سعيد رمضان زوج ابنة حسن البنا يقوم بفتح فرع لجمعية الإخوان المسلمين فى اللوفر، إلا أن الرئيس أجابه بأنهم لن يستطيعوا عمل شيء وليس هناك خوف منهم. وفى سبتمبر "١٩٦١" تم القبض على وحيد رمضان، ومحاكمته بتهمة عمل انقلاب سوريا، وكان وحيد رمضان هو المتهم الثانى أما الأول كان العقيد داود عويس مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر، والثالث العقيد محمد السقا وكان ملحقًا حربيًا فى السويد. وبعد مرور عام جاء إلى مصر وفد سورى لعمل مباحثات لإعادة الوحدة وسألهم عبد الناصر عن معرفتهم بوحيد رمضان، وإذ كانوا رأوه من قبل فى سويسرا، لكنهم نفوا ذلك، وأخبروا أنهم رأوه فى مكتب المشير عامر، وعندما أخبرهم أنه

وعن الحصار الاقتصادى الذى فرضه الرئيس على اللواء وحيد رمضان، وطلب منه أن يتدخل لحل المسألة[1].

لذلك انتهز يوسف فرصة عودة الرئيس من زيارة الاتحاد السوفيتى فى عام "١٩٦٢"، وذهب لاستقباله على غير عادته واصطحب معه اللواء وحيد رمضان، وتوجه يوسف صديق هو وبعض المستقبلين إلى أرض المطار عند اقتراب الطائرة من المطار، ليكونوا فى استقبال الرئيس عند هبوط الطائرة، لكن الأمن منع اللواء وحيد رمضان من الدخول إلى أرض المطار، وعندما طلب يوسف تفسير ذلك أخبروه بأن الأمر يحتاج إلى موافقة المشير عبد الحكيم، وعند حديث يوسف مع عبد الحكيم استنكر عبد الحكيم حضور وحيد رمضان، ورفض السماح له بالنزول إلى أرض المطار، وتعجب يوسف من هذا الموقف؛ لأنه يعلم مدى عمق العلاقة بين عبد الحكيم عامر ووحيد. نزل يوسف إلى أرض المطار وما أن رأى الرئيس يوسف صديق حتى انتابه الفرح. فقام يوسف صديق بإخبار عبد الناصر بالتصرف الذى قام به عبد الحكيم عامر مع وحيد رمضان، وكشف له عن استيائه لتلك المعاملة. فأصدر عبد الناصر أمرًا على الفور بإحضار وحيد رمضان، وحضر وحيد بصحبة جمال عبد الناصر ويوسف صديق، وتصادف وجود الزعيم السودانى إسماعيل الأزهرى فى استقبال عبد الناصر وتوجهوا جميعًا إلى استراحة الرئاسة فى المطار، وما أن مسك عبد الناصر بيد يوسف صديق حتى انهالت آلآت التصوير لالتقاط عشرات الصور[2]. فى هذا اللقاء قام يوسف صديق بتصفية العلاقة بين عبد الناصر ووحيد رمضان، وأخبره أنه يُعيل أسرتين وعليه أن يسمح له بصرف

فى السجن وسبب ذلك، أخبروا بأنهم هم الذين قاموا بالانقلاب، وأمر بالإفراج عنه. مقابلة مع العقيد محمد وحيد الدين رمضان جودة، محضر النقاش السابق، ٢٠١٥/٥/٨. ٩ صباحًا.

[1] صلاح نصر، مذكراته الانطلاق، ج٢، القاهرة، دار الخيال، سبتمبر "١٩٩٩"، ص٢٢٠-٢٢٤.

[2] علية توفيق، المصدر السابق، ص ١٥١-١٥٢، محضر النقاش السابق مع العقيد محمد وحيد الدين رمضان جوده، ، ٢٠١٥/٥/٨. ملحق رقم (٢٦) صورة جمال عبد الناصر وهو يمسك بيد يوسف صديق، عندما ذهب الأخير لاستقباله فى المطار.

معاشه، وذكره بالمواقف التى قام بها وحيد رمضان من أجل الثورة فى أثناء فترة عمل تنظيم الضباط الأحرار[1][2].

يتضح من مجمل المواقف التى تمت بعد الاحتفال بالعيد العاشر للثورة، أن العلاقة بين الرئيس عبد الناصر وبين القائمقام يوسف صديق كانت فى حال أفضل. كما أصدر عبد الناصر قرارًا جمهوريًا بصرف معاشات استثنائية لكل من جمال سالم، عبد المنعم أمين، يوسف صديق، خالد محى الدين[3]. وقد حرص عبد الناصر على دعوة يوسف لحضور حفل عقد قران ابنته هدى ٢ يوليو "١٩٦٤" بمنزل الرئيس بمنشية البكرى. وفى نفس العام تلقى يوسف دعوتين من الرئيس عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لحضور حفل زفاف ابنة عبد الحكيم عامر على شقيق عبد الناصر بنادى القوات المسلحة، وبعد مرور عامين من هذه الدعوة دعا عبد الناصر يوسف صديق لحضور حفل زفاف ابنته الأخرى فى ٧ يوليو "١٩٦٦" بمنزل منشية البكرى. وتستطرد السيدة علية توفيق: أن الرئيس عبد الناصر كان حريصًا على أن يحيطهم بترحيب خاص ومودة فى الحفلة[4].

عندما خرجت مصر من حرب "١٩٥٦" منتصرة سياسيًا، ويتمثل انتصارها فى اضطرار بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب من بورسعيد دون أن يحققا هدفهما من الحرب؛ وهو إلغاء تأميم قناة السويس، واضطرار إسرائيل إلى الانسحاب من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة دون أن تحقق - أيضًا- أى

---

[1] علية توفيق، المصدر السابق، ص ١٥١-١٥٢.؛ محضر النقاش السابق مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٥.

[2] فرح الرئيس عبد الناصر عند رؤيته ليوسف صديق، ربما لأن هذه أول مرة يذهب فيها يوسف صديق لاستقباله فضلًا عن محبته وتقديره له بعيدًا عن الخلافات السياسية، ولعلم اللواء وحيد رمضان بمكانة يوسف صديق لدى الرئيس ولتقديره له لذلك ذهب إليه للتوسط فى حل الخلاف بينهم. علية توفيق، المصدر السابق، ١٥٢.

[3] ملحق رقم (٢٧) قرار جمهورى رقم ١٧١١ لسنة ١٩٦٣ بصرف معاش استثنائى. وقد حصلت الكاتبة عليه من السيدة سهير نجلة يوسف صديق.

[4] علية توفيق، المصدر السابق، ص١٥٢.

هدف سياسي من وراء عدوانها، باستثناء ضمان الولايات المتحدة حرية الملاحة فى خليج العقبة، عن طريق وجود قوات الطوارئ الدولية فى شرم الشيخ ورأس نصرانى عند مضيق تيران، بعد انسحاب القوات الإسرائيلية منها فى عام "١٩٥٧"، وكانت هذه المرة الأولى التى لا تحقق الحرب فيها نتيجة حاسمة للطرف المنتصر عسكريًا، ويعود ذلك إلى وجود ظرف دولى جديد متمثل فى توازن القوى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، الذى أصبح يؤثر فى نتائج الحروب المحلية التى تخوضها الدول الصغرى عند تعدى الدول الأقوى عليها. واستطاعت القيادة السياسية المصرية، متمثلة فى زعامة الرئيس عبد الناصر أن توظف هذه النتيجة السياسية فى خدمة أهدافها القومية التحررية فى المنطقة العربية[1].

وبهذا أصبحت نتائج حرب السويس "١٩٥٦" نقطة تحول كبرى فى نضال الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية، وأدى ذلك إلى قيام الوحدة المصرية - السورية "١٩٥٨"، ونجاح ثورة العراق فى يوليو "١٩٥٨"، وانتصار الثورة الجزائرية "١٩٦٢"، والثورة فى اليمن فى العام نفسه، بذلك بدأت إسرائيل تشعر بتزايد الخطر على جوهر كيانها وأطماعها الصهيونية التوسعية إزاء تنامى قوة حركة التحرير الوطنية العربية. لذلك كان عليها أن تسعى بسرعة لضرب هذه القوة العسكرية العربية التى باتت تهدد قوتها العسكرية، بقدر ما كانت هذه القوة العسكرية والسياسية العربية تُثير قلق إسرائيل، كانت الولايات المتحدة الأمريكية منزعجة للغاية من الوجود العسكرى والسياسى المصرى فى اليمن، الذى بدأ يهدد مصالحها الإستراتيجية فى المنطقة. لذلك قررت الولايات المتحدة فى بداية "١٩٦٧" ضرورة إسقاط عبد الناصر وعزل مصر عن العالم العربى. هكذا تلاقت المصالح بين إسرائيل والولايات المتحدة فى اجتذاب مصر إلى حرب يتم فيها تدمير جيش مصر ونظامها السياسى، ومن ثم تحطيم الجيش السورى والاستيلاء على الجولان، واحتلال الضفة الغربية لنهر الأردن التى تُشكل نتوءًا داخل الأرض المحتلة فى فلسطين منذ عام "١٩٤٨". وتم استدراج

---

[1] سليمان المدنى، الملف العربى فى القرن العشرين، ط١، ج٤، بيروت، دمشق، المنارة للإنتاج الإعلامى والفنى، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ص٥٨٧-٥٨٨.

مصر إلى الحرب فى توقيت لا يناسبها، لا سيما وأن قوتها كانت منشغلة بحرب اليمن[1].

قامت إسرائيل بالهجوم على مصر، وكانت ضربة مفاجئة وصادمة للمصريين، لا سيما عقب خوض مصر لحرب لم تكن على استعداد لها مما تسبب فى هزيمتها هزيمة نكراء، كان وقع الهزيمة على يوسف صديق عنيفًا مثله مثل كل مصرى وطنى حر يغير على أرضه، وعلى استعداد أن يُضحى بحياته من أجلها، فقد كان يوسف صديق يتغنى دائمًا فى قصائده بأمجاد الجيش المصرى على مر العصور. فعندما وقع العدوان الثلاثى على مصر ارتدى ملابسه العسكرية، وكان وقتها تحت تحديد الإقامة وخرج ليُشارك المصريين فى ثورتهم ضد العدوان[2].

وهزيمة مصر قبل كل شىء كانت هزيمة القيادة العليا، وباتت الأسئلة ترتفع من كل مكان بصخب، لماذا لم تقرر القيادة التعبئة العامة؟، لماذا كان عدد المجندين بهذه القلة؟، خطب الرئيس عبد الناصر عقب الهزيمة واستمعت الأمة إلى خطابه فى الإذاعة والتلفزيون، وأعلن قراره بالتنحى وتسليم جميع سلطاته لنائب رئيس الجمهورية زكريا محى الدين استنادًا للدستور. وفى المساء بدأت سيول بشرية تتجه إلى منزل الرئيس مطالبين بسحب استقالته وبقائه فى الحكم، وبادرت الحكومات العربية فى إرسال برقيات تُطالب عبد الناصر بالعدول عن قراره، كما أذاع زكريا محى الدين والبوليس على موجات الراديو بيانات تحمل المعنى نفسه[3]. وبالرغم من وجود خلافات سياسية بين يوسف صديق وعبد الناصر، إلا أن يوسف كان يكُن له كل الحب والاحترام والتقدير، فلا يعنى وجود خلافات بينهما أن عبد الناصر شخص سىء، أو أن يوسف صديق لا يقدره. فقد كانت مجرد اختلافات فى وجهات النظر السياسية وطرق تطبيقها. لذلك رأى يوسف صديق أن عليه الذهاب إلى عبد الناصر ليقف بجانبه فى تلك

---

(1) سليمان المدنى، المرجع السابق، ص٥٨٩ - ٥٩٠. لقراءة المزيد عن أحداث حرب "١٩٦٧" والعدوان الثلاثى على مصر، انظر نفس المرجع، ص٥٩١- ٦٢٨.

(2) علية توفيق، المصدر السابق، ص١٥٣.

(3) جاك دومال، مارى لوروا، جمال عبد الناصر من حصار الفالوجة حتى الاستقالة المستحيلة!، ط٥، ترجمة: ريمون نشاطبى، بيروت، دار الآداب، يونيو "١٩٧٩"، ص١٦٦- ١٦٩.

اللحظات العصيبة، لأن فى هذه اللحظات على جميع المصريين التكاتف، وعندما قابله قال له:" لقد خسرنا معركة ولكننا لم نخسر الحرب، فلننظم صفوفنا لنواجه العدو الذى يهدف إلى هزيمة نظامنا السياسى ..."[١] لقد تحرك الجميع لمنع عبد الناصر من تنحيه. ويصف فتحى رضوان هذا الموقف قائلًا:" كان آخر لقاء لى بيوسف صديق يوم العاشر من يونيو "١٩٦٧" فى بيت جمال عبد الناصر، وكانت الجموع قد احتشدت فى ألوف مؤلفة بمنزل جمال بمنشية البكرى منتظرة قراره بالعدول عن الاستقالة التى كان قد أعلن عنها، وكان يوسف جالسًا معى فى انتظار هذا العدول، وهو يستحث أعضاء سكرتارية جمال ليعلنوا القرار، لأن فى كل دقيقة تمر خطرًا على البلاد، فلما أعلن النبأ سرى عنه ومضى، ذلك آخر يوم رأيت فيه هذا البطل العظيم:"[٢].

تاسعًا- رثاء يوسف صديق لعبد الناصر:

أثناء تلقى يوسف صديق العلاج فى الاتحاد السوفيتى تلقى نبأ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر "١٩٧٠"، فحزن كثيرًا ورفض البقاء لاستكمال العلاج، وعاد إلى مصر ليشارك المصريين حزنهم على فقد رئيسهم، وتغلبت عليه عاطفة الكفاح ورفقة السلاح بعد أن أصبح عبد الناصر فى ذمة الله والتاريخ، فقام برثائه فى قصيدة بعنوان **"دمعة على البطل"** التى نشرتها مجلة روزاليوسف فى الذكرى الأربعين لرحيل عبد الناصر قائلًا:

" أبا الثوار هلا سامحت دمعى ... يفيض وصوت نعيك ملء سمعى

وكنا قد تعاهدنا قديمًا ... على ترك الدموع لذات روع

وأن الخطب يُحسم بالتصدى ... لهول الخطب فى سيف وورع[٣].

---

[١] علية توفيق، المصدر السابق، ص ١٥٤؛ لقاء تلفزيونى مع السيدة سهير صديق والإعلامية رولا خرسا، "الذكرى ٣٥ لرحيل يوسف صديق أحد الضباط الأحرار"، قناة الحياة، ٢٠١٤/٣/٣١.

[٢] الوطن العربى، ١٩٨٤/٨/١٦، ص١.

[٣] يوسف صديق، ضعوا الأقلام، ص٦٩ ؛ مجلة روزاليوسف، "ذكرى الأربعين لرحيل عبد الناصر"، ١٩٧٠/١١/٢.

الجدير بالذكر أنه لم يكن هناك مجال يجمع بين جمال عبد الناصر ويوسف صديق ، حيث إنهما لم يتقابلا إلا بعد انضمام يوسف صديق إلى تنظيم الضباط الأحرار، عن طريق وحيد رمضان جودة فى ١٩٥١، فقد كانت هذه العلاقة محدودة فى نطاق الزمالة، التى قامت على الالتقاء حول المبادئ المعلنة لتنظيم الضباط الأحرار، والتى اعتبرها يوسف صديق بمثابة ميثاق يربط بين هؤلاء الضباط، فلم تتطور إلى تعارف عميق أو صداقة، والتقى يوسف بعبد الناصر بضعة لقاءات محدودة حتى قامت الثورة، لكن تلك اللقاءات القليلة التى جمعت بينهما تركت لدى يوسف صديق انطباعًا جيدًا عن عبد الناصر. وبعد انضمام يوسف صديق إلى عضوية مجلس قيادة الثورة، كانت تحدث معارضة لبعض الآراء التى تُطرح فى المجلس، فكانت بعض هذه المواقف يتخذ منها عبد الناصر موقفًا وسطيًا معتدلًا، وأحيانًا كان يتفق مع رأى يوسف صديق[1].

ورغم تحفظ يوسف صديق على العديد من التوجهات السياسية لعبد الناصر، لا سيما فيما يتصل منها بقضايا الحريات فإنه كان يكن كثيرًا من الود والمحبة له، وبالرغم من اعتقال عبد الناصر له وسجن زوجته وزوج ابنته إلا أن ذلك لم يسمح بوجود كراهية بينهما، وتُشير مواقف يوسف صديق مع عبد الناصر أنه لم يتخذ موقف العداء الشخصى له. كان يوسف يقدر لعبد الناصر دوره الأساسى فى تكوين وقيادة تنظيم الضباط الأحرار، وفى إنجاز الثورة، وفتح طريق المستقبل أمام الشعب، وإن ظل معترضًا وناقدًا لأسلوبه فى الحكم. فجميع المواقف التى اتخذها يوسف مع أو ضد عبد الناصر كانت على ضوء المبادئ وحدها، وفى نطاق ما تفرضه هذه المبادئ مبتعدًا كل البعد عن أى اعتبار شخصى. استمر تأييد يوسف لصمود عبد الناصر وجهوده من أجل إعادة بناء الجيش كطريق لإزالة العدوان ومحو الهزيمة، ويتضح ذلك من خلال المواقف التى تناولتها فى الرسالة، فقد حرص يوسف دائمًا على التواجد بجانب عبد الناصر فى مختلف الأزمات، وقد ظل عبد الناصر يحتفظ بالود والتقدير ليوسف لدوره فى ليلة الثورة، إلا أن ذلك ظل محصورًا فى النطاق الشخصى من جانب عبد الناصر، دون أن يكون له ردة فعل على وضع يوسف فى الحياة

---

[1] محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص١٨٩.

العامة، حيث إنه ظل حريصًا على إبعاد يوسف عن الحياة السياسية بالوسائل كافة. لكن يوسف صديق كان رجلًا ذكيًا لديه إستراتيجية فى تفكيره، وحنكة سياسية فقد كان يستطيع الفصل جيدًا بين العلاقات الشخصية وبين الاختلافات فى القضايا السياسية.

أما عبد الناصر فقد كان رجلًا سياسيًا يتحلى بصفات رجل السياسية يؤمن بالأساليب السياسية، ويستخدمها حيثما وجد نفسه فى حاجة إليها، ذلك لإيمانه بأنه يريد لمصر وشعبها وللأمة العربية الخير، ومن ثم فإنه كان يرى أن من حقه بل من واجبه أن ينتهج الوسائل والأساليب التى تمكنه من الإمساك بزمام السلطة، وتوجيهها فى تحقيق أهدافه للحفاظ على البلاد، وهو ما وصفه البعض بنظرية (المستبد العادل)، التى كان يؤمن بها الكثير من القادة فى كثير من بلاد العالم، والتى كانت سائدة فى الماضى وإلى عهد قريب، بل وما زال لها أنصارها حتى الآن. ولا شك أن تلك النظرية كانت موضع اقتناع معظم الضباط سواء من أعضاء مجلس قيادة الثورة، أم من الشباب المثقفين الذين أحاطوا مجلس قيادة الثورة وتعاونوا معه. لكن يوسف بطبيعة تكوين شخصيته وأفكاره وبشهادة زملائه، أنه لم يكن محبًا للسلطة أو ساعيًا إليها، لذلك لم يستمر فى عضوية مجلس قيادة الثورة بل نادى بعودة جميع الضباط وهو منهم إلى صفوف الجيش، وتسليم السلطة إلى الشعب فى ممثلين منتخبين عنه. ولإصرار يوسف على هذا الموقف كان السبب الرئيس فى الخلاف بينه وبين أعضاء المجلس باستثناء خالد محى الدين(١).

كما لم يتردد يوسف فى إعلان انتقاده لسياسة عبد الناصر بل كان يواجه عبد الناصر نفسه كلما أتيحت الفرصة للقائه. لم ينتظر يوسف جزاءً أو شكرًا على تأييده عبد الناصر. وقد ظلت وسائل الإعلام تتجاهل دور يوسف صديق فى الثورة، وقامت بعض الأقلام تنسب هذا الدور إلى غيره، واستمر هذا الموقف لعشر سنوات متصلة ولم يتذمر يوسف، حتى تفاجأ الجميع فى الذكرى العاشرة لثورة يوليو بالحديث عن دور يوسف ليلة الثورة(٢). كانت العلاقة بين يوسف صديق وجمال عبد الناصر علاقة معقدة من جانب الأخير، وبسيطة وواضحة

(١) الأزهرى، المرجع السابق، ص١٨٧.

(٢) نفس المرجع، ص١٩٢.

من جانب الأول، فقد لعبت شخصية كل منهم دورًا فى هذا التناقض، فقد اتسم يوسف صديق بالبساطة والوضوح بشهادة كل زملائه الذين تعاملوا معه، فلم يكن يميل لاستخدام أساليب الخداع والإكراه مع زملائه ورفاق دربه، وهذا يتضح من مجمل الأحداث فى الفصول السابقة. ولا شك أن عبد الناصر حين بادر باقتراح ضم يوسف صديق لعضوية مجلس قيادة الثورة، كان صادق النية فى اعتبار ذلك حقًا ليوسف صديق تعبيرًا عن تقديره لدوره الحاسم فى نجاح الثورة، علاوة على الاستماع لرأيه ودوره فى تصفية الخلاف الذى كان بينه وبين وحيد رمضان جودة، وحين بادر بعرض السفر عليه للعلاج بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٧٠، كل هذا إن دل على شيء فإنه يدل على احترام ومودة وتقدير من جانب عبد الناصر ليوسف صديق. كل ما سبق يُفسر سبب حزن يوسف صديق لوفاة عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، فعبر عن ذلك برثائه بقصيدة تكشف عمق أحزانه.

عقب وفاة الرئيس عبد الناصر، كان الشعب لا يزال يعيش أحزان وفاته، قام أعضاء مجلس قيادة الثورة القدامى بإصدار بيان يعلنون فيه ضرورة انعقاد مجلس قيادة الثورة، ليعود الحال إلى ما قبل تولى عبد الناصر حكم مصر. فقد وجدوا الفرصة مواتية للعودة للحكم مرة أخرى، إلا أن يوسف صديق وخالد محى الدين اللذين رفضا استمرار المجلس فى الحكم منذ قيام الثورة، كانا على نفس موقفهما، فنشرت الصحف رفض يوسف صديق لاقتراح عودة مجلس قيادة الثورة، حيث إنه وجد فى مرحلة تاريخية معينة، وقد انقضت تلك المرحلة وأخذت مكانها فى التاريخ وينبغى أن تظل هناك[١]. تولى أنور السادات زمام الحكم بصفته نائبًا لرئيس الجمهورية، ثم أصبح رئيسًا لمصر وقد اتخذ قرارًا حاسمًا فى ١٥ مايو "١٩٧١" بالقضاء على مراكز القوى فى مصر، وهو ما عُرف تاريخيًا بثورة التصحيح وأيضًا بأحداث مايو "١٩٧١"، حيث قام بالقضاء على ما عرف بمراكز القوى التى تمتعت بقدر كبير من السلطة فى عهد عبد الناصر[٢].

---

(١) علية توفيق، المصدر السابق، ص١٥٥.

(٢) لمعى المطيعى، المرجع السابق، ص١٠٧-١٠٩.

عاشرًا- استدعاء الرئيس أنور السادات ليوسف صديق:

الجدير بالذكر أنه لم يكن هناك سابق معرفة بين يوسف صديق وأنور السادات قبل أن يلتقيا فى تنظيم الضباط الأحرار، وكان لهذا اللقاء قصة رواها يوسف صديق لأسرته والمقربين له. فعندما التقى يوسف بعبد الناصر عقب انضمامه لتنظيم الضباط الأحرار، وأبلغه بأنه سيكون مسئولًا عن التنظيم فى منطقة العريش، وعندما ذهب يوسف لمقابلة المسئول عن التنظيم فى منطقة رفح ووجد أنور السادات هو المسئول، فوجئ لأن فكرته عنه كانت نفس فكرة باقى ضباط الجيش، فكرة سيئة حيث كانت هناك أخبارٌ بأنه عضو فى الحرس الحديدى، ومن ثمَّ فهو شخص لا يُمكن وضع الثقة به فلم يكن يتصور أن رجلا ولاؤه للملك يكون أحد المسئولين فى تنظيم الضباط الأحرار، وعندما التقى يوسف بعبد الناصر عبر له عن عدم ارتياحه لهذا إلا أن عبد الناصر طمأنه بأنه يضمن ولاء السادات للتنظيم، وحينها تقبل يوسف ذلك إلا أنه ظل فى ريبة وشك تجاهه. وعقب نجاح الحركة وانضمام يوسف صديق لعضوية المجلس، اتسمت علاقتهما بالفتور؛ حيث إن مواقف السادات داخل المجلس كانت تتسم بالمراوغة وعدم الوضوح، وكانت تنحاز إلى الموقف المعادى لموقف يوسف صديق[١].

وعقب قيام يوسف بتقديم استقالته من المجلس، بدأ السادات فى رواية أحداث ليلة الثورة وقد فوجئ يوسف شأنه شأن الكثير من الضباط، أن السادات أغفل تمامًا اسم يوسف صديق ونسب دوره ليلة الثورة إلى عبد الحكيم عامر[٢]، مما عمل على زيادة الشعور السلبى لدى يوسف تجاه السادات.

وكما ذكرتُ آنفًا بأنه تم تعيين السادات نائبًا للرئيس وعقب وفاة عبد الناصر أصبح رئيسًا للجمهورية، كان يوسف فى موسكو فى ذلك الوقت وبالرغم من عدم وجود الود بين يوسف والسادات، إلا أن يوسف بادر بالاتصال به معزيًا فى وفاة الرئيس عبد الناصر، ومعبرًا عن دعمه وتأييده له كرئيس جديد للجمهورية بحكم منصبه كنائب للرئيس، كان اتصال يوسف بدافع حرصه على استقرار أوضاع البلاد وتفادى أى مخاطر قد تنجم عن عدم استقرار السلطة

(١) محمد أنور السادات، المرجع السابق ، ص١٩٩.
(٢) انظر السادات، المرجع السابق، ص٧٠-٧١.

الشرعية، فى ظل الظروف التى كانت تمر بها البلاد عقب النكسة وعقب وفاة الرئيس عبد الناصر. وعقب تولى أنور السادات رئاسة الجمهورية بستة أشهر قام باستدعاء يوسف صديق، فانتاب يوسف الشعور بالقلق الأمر الذى جعله يطلب من زوجته بأن تقوم بتحضير حقيبته، ظنًا منه أن السادات سوف يقوم باعتقاله ليأخذ حقه منه، نتيجة للمشادة الكلامية التى دارت بينهما أثناء أحد اجتماعات مجلس قيادة الثورة، وقيام يوسف صديق بسب السادات. لكن ما ظنه يوسف صديق لم يكن صحيحًا، وتفاجأ يوسف صديق باستقبال السادات له عند دخوله مكتبه، وكان لهذه المقابلة وقع طيب على نفس يوسف صديق؛ حيث جلسا معًا يتبادلان أطراف الحديث عن الأوضاع السياسية، وسأل الرئيس إذا كان يوسف يريد شيئًا يُمكن أن يحققه له، وتمنى كل منهما التوفيق للآخر[1].

ويبدو أن السادات قد لمس المودة تجاه يوسف على المستوى الشخصى، فنجد فى أثناء حديث السادات فى لقاء تلفزيونى عن أحداث ليلة الثورة قد ذكر يوسف صديق ودوره فى تلك الليلة، فقد حاول تصحيح موقفه السابق وهو إسناد دور يوسف ظلمًا إلى عبد الحكيم عامر.

لم يهدأ عقل وقلب الثائر يوسف صديق حتى بعد استبعاده عن الحياة السياسية، فكانت حياته حافلة بالكثير؛ وكان متفاعلًا مع كل موقف مرت به بلده ولم يتأخر فى المشاركة، ولم يمت رغم كل ما مر به فهناك أشخاص تموت بمجرد خروجها من السلطة وتُصدم بمجرد تعرضها للظلم بدلًا من الثناء عليهم وشكرهم، وبالرغم من مرضه إلا أن حياته كانت ثرية فقد كان شاعرًا وكاتبًا وقام بتأليف كتاب الإسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفيتى.

---

[1] علية توفيق، المصدر السابق، ص١٥٥؛ محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص١٩٨.

الفصل السادس

جوانب أخرى من حياة يوسف صديق ووفاته

أولًا: إنتاجه الأدبى والفكرى.

- ضعوا الأقلام.
- مقالاته عن الاشتراكية فى الإسلام.
- الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتي.

ثانيًا: علاقته بأسرته.

ثالثًا: تاريخ مرضه ووفاته.

رابعًا: إغفال دوره والتعتيم على تاريخه.

كانت شخصية يوسف صديق شخصية ثرية، حيث كان شاعرًا وكاتبًا، وكان زوجًا عادلًا وأبًا حنونًا وصديقًا مخلصًا، كانت حياة يوسف صديق مليئة بالأحداث والمواقف المرحة، بالرغم من مرضه وصعوبة التأقلم معه إلا أنه لم يجعل المرض يسيطر عليه، وظل يقاوم حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى. وبعد وفاته كانت أسرته وفية به وحاولوا أن يردوا الجميل لأبيهم بأن يَردوا له حقه، ويؤكدوا على دوره التاريخي، ومن هذا المنطلق قاموا برفع دعوى قضائية تطالب بإقامة تمثال لأبيهم بجانب زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة.

أولًا- إنتاجه الأدبى والفكرى:

- ضعوا الأقلام

حاول يوسف صديق جاهدًا أن يقول رأيه تارةً فى شعره، وتارةً أخرى فى خطبه ومحاضراته، أو من خلال دفاعه عمن لهم حق وتم ظلمهم،ناهيك بأنه لم يكن متفرغًا لكتابة الشعر بل كان يكتبه هاويًا ، يعبر به عما يجيش بصدره من مشاعر بين الحين والآخر، إلا أن كثيرًا من شعره قد فُقد فى أواخر الخمسينيات حيث تم تدوين أشعاره فى دفتر، وقد عرض إبراهيم عبد الحليم صاحب دار الفكر للنشر على يوسف صديق، أن يأخذ هذا الدفتر ويقوم بطباعته فوافق، وبعد أيام قليلة قامت قوات الأمن بمحاصرة دار النشر وتفتيشها، حتى عثروا على الدفتر الذى يحوى المجموعة الكاملة لأشعار يوسف صديق، وقاموا بمصادرته واعتقال صاحب الدار وبعد عدة أشهر تم الإفراج عن صاحب الدار،

لكن لم يتم الإفراج عن الديوان وقد حاول أهل يوسف صديق المطالبة به إلا أنهم لم يستطيعوا الحصول عليه[١]، حتى قام نجله اللواء حسين بجمع أشعار أبيه سواء من الصحف أم من ذاكرة الأقرباء والأصدقاء[٢]، ونشرها في ديوان صغير بعنوان"ضعوا الأقلام" الذى صدر عام "١٩٩٩"[٣].

- مقالاته عن الاشتراكية فى الإسلام.

فى أواخر الخمسينيات طلب عبد الناصر من يوسف أن يكتب مقالات مفادها أن الاشتراكية ليست ضد الإسلام، وأنه سيصدر أمر نشرها فى جريدة (الشعب)؛ لأن بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة يقولون :إن الاشتراكية ليست من الإسلام. و بالفعل قام يوسف بكتابة بعض المقالات عن الاشتراكية فى الإسلام وأرسلها إلى الجريدة، غير أنها لم تنشر، وعلم يوسف أن الجريدة كانت تقوم بإرسال تلك المقالات للرئيس عبد الناصر، فيحتفظ بها فتوقف عن كتابة المقالات[٤]. وقد أكد الأستاذ لطفى واكد الذى كان يشغل منصب رئيس تحريرجريدة الشعب، أن صاحب الامتياز الفعلى للجريدة هو الرئيس عبد الناصر، وأنه فى عام "١٩٥٧" قد طلب الرئيس منه أن يتفق مع يوسف صديق على كتابة بعض المقالات فى الجريدة مقابل أجر مناسب، حيث إن يوسف صديق كان يعانى أزمة مالية، وأكد عليه ألا يقوم بنشر أيٍّ من هذه المقالات قبل

---

(١) علية توفيق، المصدر السابق، ص١٤٦ ؛ محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ص٢٢٩.

(٢) فى أثناء مقابلة الكاتبة مع اللواء عبد المجيد شديد، قام بإلقاء أبيات من القصيدة التى كان قد أرسلها يوسف صديق إلى حيدر باشا وزير الحربية متظلمًا من تخطيه فى الترقية، وفرح كثيرًا عندما علم من الكاتبة أن نجل يوسف صديق قام بطبع ديوان يجمع أشعار والده ،وطلب منها أن تحضر نسخة له إذا تسنى لها ذلك. محضر النقاش السابق مع اللواء عبد المجيد شديد، ٢٠١٥/٥/٢٥. وهذا ما قد ذكرته الكاتبة آنفًا.

(٣) محمد توفيق الأزهرى، المرجع السابق، ٢٢٩ ؛ محضر النقاش السابق مع السيدة سهير، ٢٠١٢/٥/١٠. وتم تسمية الديوان باسم القصيدة التى كان قد ألقاها يوسف صديق فى الحفل، الحفل الذى نظمته بريطانيا بعد نجاحها فى الحرب العالمية الثانية، لتهدى مصر وسامًا حيث كانت سببًا فى نجاحها.

(٤) علية توفيق، المصدر السابق، ص١٤٩.

أن تُعرض عليه أولًا، كما أكد أنه تم نشر بعض من إنتاجه ثم أخذ النشر يتعذر لأسباب لا دخل له فيها، وكان يوسف صديق يذهب للمشاجرة مع لطفى واكد ظنًا منه أنه هو المسئول عن توقف النشر، إلا أن لطفى واكد كان حريصًا على إخفاء الحقيقة لكن يوسف تبينها بفطنته، وامتنع عن تقاضى راتبه الذى كان فى أمسّ الحاجة إليه، وقد حاول لطفى واكد إقناعه بأن تأخير النشر أمر وارد، وأن هذا ليس له علاقة بحقوقه المادية، إلا أن يوسف صديق ازداد تعنتًا قائلًا :" يجب أن تعلم ويعلم سواك أن يوسف صديق لن يقبل منحة من أحد"[1][2].

- الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى.

كان يوسف أثناء تلقيه العلاج فى الاتحاد السوفيتى حريصًا على زيارة بعض البلاد الإسلامية، للوقوف على أحوال المسلمين هناك، وعندما عاد إلى مصر قام بتأليف كتاب بعنوان (الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى)، يقع الكتاب فى ثمانين صفحة استعرض فيها حال المسلمين فى تلك البلاد عند دخول الإسلام إليها حتى عام "١٩٧٢"، وقد قسمه إلى مقدمة و أربعة فصول، المقدمة مكونة من ثلاث صفحات تناول فيها الحديث عن خوف دول الرأسمالية من قيام

---

(١) لطفى واكد، "يوسف صديق بطل مصر الأسطورى"، جريدة الأهالى، ٢٧ /٣/ ١٩٩١.

(٢) وهنا يوجد اختلاف حول ما إذا كان تم نشر بعض المقالات التى كتبها يوسف صديق أم لا، فقد ذكرت السيدة علية توفيق فى مذكراتها بأنه لم يتم نشر أى من المقالات التى كتبها يوسف زوجها، هذا وقد قامت الكاتبة بالبحث فى أعداد جريدة الشعب لسنة "١٩٥٧"، والسنة التى قبلها والتى بعدها إلا أنها لم تحصل على شيء؛ علمًا بأن كثيرًا من الأعداد قد تم إعدامها ، وأعداد أخرى كانت تحت الترميم. ويؤكد الأستاذ لطفى واكد أنه تم نشر بعض منها. لكن كليهما يؤكد الواقعة. وقد قال اللواء عبد المجيد شديد عبد الناصر كان يعطى معونة ليوسف صديق، وعندما سألته الكاتبة عن سبب تلك المعونة، أجابها أن عبد الناصر كان يعطى معونات لأصحابه محبةً، وعندما سألته عن تلك الواقعة بخصوص المقالات التى طلب عبد الناصر من يوسف أن يكتبها، أجاب أن يوسف صديق كان عزيز النفس؛ لذلك كان عبد الناصر يحاول مساعدته بطريقة غير مباشرة، كونه يعين ثلاث أسر، وأكد على محبة عبد الناصر ليوسف صديق بغض النظر عن اختلافه السياسى معه. محضر النقاش السابق، ٢٠١٥/٥/٢٥.

الدولة الاشتراكية (الاتحاد السوفيتى)، وفى الفصل الأول تناول مرحلة ما قبل الثورة الاشتراكية ، أما فى الفصل الثانى فقد تناول الحديث عن المسلمين والثورة الاشتراكية، وبالانتقال إلى الفصل الثالث تناول الحياة الروحية للمسلمين، واختص الفصل الرابع بتناول شهادات واقعية. وقد أهدى الكتاب إلى روح كل الذين سقطوا فى المعارك ليزيدوا من أرباح تجار الحروب، وإلى كل إنسان تم تضليله بزخرف القول فحمل السلاح وذهب يقتل نفسه أو يقتل أخاه الإنسان لصالح الشيطان، أهداه إلى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا[1] .فقد قامت دار النشر للجامعات المصرية فى "١٩٧٢" بنشر هذا الكتاب، وبذلك يكون هذا الكتاب هو العمل الوحيد الذى تم نشره خلال حياة يوسف، والكتاب يلخص رأيه بأن جوهر الاشتراكية يتفق مع روح الإسلام[2]. وبالرغم من مرضه قام بإلقاء كلمة فى المركز الثقافى السوفيتى احتفالًا بثورة ٢٣ يوليو (العشرين) عام "١٩٧٢"[3].

ثانيًا- علاقته بأسرته وأصدقائه:

كانت زوجة يوسف على عِلم بما يقوم به كما أنه أشركها أحيانًا فى العمل، فكانت تحضر معها المنشورات وتستقل قطارًا غير الذى يستقله، وقد كان يعيب بعض الناس مثل هذا السلوك ويعتبر أن اطلاع الزوجة على العمل يعرض مسيرته للخطر، وكان يوسف صديق يخالفهم فى هذا الرأى. ذات يوم تصادف زيارة رشاد لمنزل يوسف يوم الاجتماع الأسبوعى لأعضاء التنظيم، وكان ذلك قبل مجىء المشاركين فى الاجتماع بخمس عشرة دقيقة، فاستقلبه يوسف مضطربًا وصحبه إلى حديقة المنزل الخلفية؛ حتى لا يرى مدخل البيت وطال

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول موضوع الكتاب، انظر يوسف صديق، "الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى"، دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٧٢ /٨/٢٧. يوجد نسخة منه فى مكتبة الإسكندرية. تحت رقم استدعاء ٢٩٧.٠٩٤٧. انظر ملحق رقم (٢٨) صورة من إهداء الكتاب.

(2) يوسف صديق، المصدر السابق، ص ١٢-١٤.

(3) ملحق رقم (٢٩) الكلمة التى ألقاها يوسف صديق فى المركز الثقافى السوفيتى.

الحديث بينهما إلى أكثر من نصف ساعة، وشكر يوسف الله أنه لم يحضر أحدٌ من الضباط الاجتماعَ وينكشف الأمر، وبعدما قام بتوديعه لحظة انصرافه وعاد يوسف إلى المنزل، وجد أن جميع الضباط قد حضروا فعلًا وقد قامت زوجته بتوزيعهم على حجرات المنزل بعد أن أخبرتهم بالأمر[١].

يوسف كان له وجهة نظر تخالف ما يراه الناس وهو أن اطلاع الزوجة على العمل يعرض سريته للخطر، وأن هذا الرأى ليس قاعدة مطلقة؛ حيث يتوقف ذلك على درجة ثقافة الزوجة وعلاقتها بزوجها. ويدلل على ذلك بموقف حدث وكان لعلم زوجته بما يقوم به فائدة كبيرة، كان عند عقد الاجتماع يأتى كل ضابط إلى منزل يوسف بسيارته، فقامت الزوجة بلفت نظر زوجها أن عدد السيارات أمام المنزل يكاد يعلن عن وجود اجتماع، مما جعله يأخذ بهذه الملاحظة ويبلغها لزملائه حتى يتفادوا الوقوع فى أى خطأ من أمره أن يكشف سرهم، وخصوصًا أنهم غير مستعدين لذلك، ومن هنا يتضح ضرورة مشاركة زوجته فى بعض أعماله فكما ذكر أن هذا تأمين له لا خطر عليه[٢]. ووجهة النظر هذه قد يتفق معه البعض ويختلف معه الكثيرون.

كان أبًا حنونًا وزوجًا عادلًا، ولم يُقصر فى حق أسرته، وحاول بقدر استطاعته على أن يعدل فيما بين زوجاته الثلاث، وكان حريصًا على أن يزرع القيم والأخلاق فى أبنائه، فضلًا عن قيامه بتربية أبناء زوجته السيدة دولت وشملهم بحبه وحنانه فعاملهم كما كان يعامل أبناءه. وتقول ربيبته السيدة نجوى أنها كانت تشعر بأنه قاموس فلم يُصادف أن سألته عن أى شيء إلا ووجدت عنده إجابة، فقد كان مثقفًا وواعيًا بمتطلبات كل مرحلة ويشعرون أنه أخ وصديق وأب. وبالرغم من مرضه الشديد إلا أنه لم يشعرهم به فقد كان يُخفى آلامه ويتعامل وكأن لم يكن به شيء، كان حريصًا على أن يجمع أبناءه كل مساء ويتبادلون أطراف الحديث ويستمعون إلى الراديو، فقد كان مقبلًا على الحياة متفائلًا. وعندما اشتد المرض عليه قُبيل وفاته، جمع زوجاته الثلاث وأخبرهن أنه لا يستطيع التنقل كثيرًا لسوء حالته الصحية واستأذن السيدة

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٩٢.

(٢) نفس المكان.

توحيدة والسيدة علية فى أن يجلس فى بيت السيدة دولت؛ حيث إن ابنتيه ليلى وسحر ما زالتا فى سن صغيرة ويحتاجون وجوده بجانبهم، وأخبرهن من تريد الطلاق فإنه سيتفهم هذا ولن يؤثر ذلك على مكانتهن فى قلبه، إلا أنهن كن أوفياء واخترن أن يبقين معه، واتفقوا على أن يجتمعوا جميعهم أسبوعيًا للأطمئنان عليه وحتى يرى الإخوة بعضهم[1].

أما عن علاقته بأصدقائه وزملائه فلم تختلف كثيرًا عن علاقته بأسرته، فقد كان صديقًا وفيًا مخلصًا، يقوم بمساعدة الجميع ولا يخشى قول الحق، ويتضح ذلك من خلال مجمل المواقف التى تناولتها، بالرغم من طبيعة حياته العسكرية الحازمة إلا أنه كان يتميز بحس الفكاهة والمرح، وكان يعامل من يعمل تحت قيادته كأخ وصديق، وفى الليل يسهرون يمرحون ويلعبون، أما فى الصباح يمارس عمله كقائد وكأن ما حدث بالأمس لم يكن، وكان متسامحًا لأبعد الحدود ولديه القدرة على أن يفصل بين العلاقات الشخصية والخلافات السياسية. ويروى اللواء عبد المجيد شديد أنه بالرغم من اختلافه مع الإخوان المسلمين إلا أنه كان يقدم لهم المساعدة أثناء فترة اعتقاله فى إبريل "١٩٥٤"، حيث كان يُسمح بالزيارة ليوسف صديق فقط فى نطاق أفراد أسرته، فكان يقوم بإرسال جوابات زملائه فى المعتقل مع أفراد أسرته، كما كان يوسف صديق يتحرك بحرية داخل المعتقل وفى الفجر كان يقوم بفتح أبواب الزنزانة للجميع حتى يقوموا بأداء صلاة الفجر، وفى أحد الأيام من يأمهم فى صلاة الفجر أطال فى تلاوة القرآن فى الركعة الأولى، فبعد انتهائهم من الصلاة قال له يوسف مازحًا: "يا شيخ أنت ناسى أننا بنسرق". فقد تميز بحس الفكاهة فى أشد المواقف[2].

ثالثًا- تاريخ مرضه ووفاته:

عانى يوسف كثيرًا المرض ، وكانت بداية رحلته معه على أثر حادث تعرض له فى بداية خدمته، أثر على عموده الفقرى منذ عام "١٩٣٤" حتى عام

---

(1) محاضر النقاش السابقة. مع كل من السيدة سهير، السيدة ليلى، السيدة نجوى.

(2) محضر النقاش السابق مع نجلته السيدة سهير، ٢٠١٢/٥/١٠. ؛ محضر النقاش السابق مع اللواء عبد المجيد شديد ٢٠١٥/٥/٥.

"١٩٤٤"، وظل تقريبًا عشر سنوات يعانى آلام عموده الفقرى، حيث أُصيب بتسوس بعض الفقرات مما ألزمه بارتداء جاكت من الجبس، ثم حزام حديد حول ظهره فترة أخرى. كان ينام على الأرض كثيرًا كوسيلة للتخفيف من الآلام التى يشعر بها، و فى عام "١٩٥٠" فى أثناء خدمته فى السودان أصيب بنزيف فى الرئة اليسرى، وتم نقله إلى المستشفى العسكرى وتم إيقاف النزيف الذى كان يتطلب الراحة التامة، دون القيام بأى مجهود، ثم عاد إليه النزيف مرة أخرى قبل الثورة بأيام ، وعند زيارة عبد الناصر وعبد الحكيم له فى المنزل، رأيا مدى سوء حالته الصحية، وأرادا إعفاءه من الدور المقرر له القيام به ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، إلا أنه رفض وأصر على المشاركة طالما كانت هذه اللحظة التى تمناها كثيرًا، ألا وهى التخلص من الأوضاع الفاسدة والاستعمار، وأخبرهما أن خبرته مع المرض تمكنه من القيام بدوره، لا سيما أنه دور بسيط وهو تأمين مقدمة الكتيبة الثالثة عشرة مشاة المكلفة بالهجوم على مبنى قيادة الجيش، وفى ليلة القيام بالحركة عاد إليه النزيف مرة أخرى[1]، وقد شاء الله ليوسف أن يقوم بالدور الذى كان مقررًا للكتيبة الثالثة عشرة مشاة القيام بها بدلًا من التأمين، -وهذا موضوع الفصل الثالث.- لكن فى هذه الليلة لم يعالج يوسف علاجًا حاسمًا فقد توجه إلى إحدى الصيدليات وأوصاه الطبيب بحقنة لوقف النزيف. ومن ثم بدأ المرض يحاصره وقد أصيب بمرض السكرى وضغط الدم أثناء اعتقاله "١٩٥٤"[2].

وفى تلك الأثناء أثنى عبد الناصر على أسلوب العلاج فى الاتحاد السوفيتى أثناء زيارة يوسف له، وأصدر عبد الناصر قرارًا بسفر يوسف صديق للعلاج هناك، إذ كان آنذاك يشتكى من لغط فى القلب ويعانى إكزيما أصابته فى يديه. سافر يوسف فى سبتمبر "١٩٧٠" وتصادف فى تلك الفترة حصول ابنته نعمت على شهادة الثانوية العامة، فاصطحبها معه والتحقت بكلية الآداب بجامعة

---

(١) عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص٩٢.؛ محضر النقاش السابق مع نجلته السيدة سهير، ٢٠١٢/٥/١٠.

(٢) نفس المرجع، ص ٢١٩.

موسكو[1][2]، إلا أنه لم يستكمل علاجه في روسيا فقد أصر على العودة إلى مصر؛ عقب تلقيه نبأ وفاة عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، حزن كثيرًا فقد كان يحب عبد الناصر على المستوى الشخصي بغض النظر عن اختلاف آرائهم السياسية، وظلت تدور في مخيلته سنوات الكفاح ورفقة السلاح بعد أن أصبح عبد الناصر في ذمة الله وذمة التاريخ، ونظم قصيدة بعنوان "دمعة على البطل" قائلًا:

أبا الثوار هل سامحت دمعي ... يفيض وصوت نعيك ملء سمعي

وكنا قد تعاهدنا قديمًا ... على ترك الدموع لذات روع

وإن الخطب يحسم بالتصدي ... لهول الخطب في سيف ودرع[3]

هذه القصيدة التي رثى بها عبد الناصر، هي آخر ما جذب يوسف إلى كتابة الشعر، إذ إن وفاة عبد الناصر المفاجئة كانت همًا ثقيلًا آخر تراكم فوق جبل أحزانه منذ نكبة ١٩٦٧، التي رأى فيها مقدمة لعودة الاستعمار في أزياء جديدة، مما زاد من بأس أمراض يوسف الجسدية، فأغمد قلبه وكف عن كتابة الشعر إلى أن رحل[4]. عندما اشتد المرض على يوسف صديق أمر السادات بسفره إلى لندن، وعلاجه على نفقة الدولة وأمر بتوفير الرعاية اللازمة له[5].

وعندما سافر يوسف إلى لندن للعلاج أخذ معه تقارير الأطباء الروس والمصريين التي توضح حالته الصحية، وقامت المستشفى بوضعه تحت

---

[1] علية توفيق، المصدر السابق، ص١٥٤؛ محضر النقاش السابق.؛ ملحق رقم (٢٩)

[2] في تلك الفترة كان عبد الناصر وعبد المجيد شديد وخالد محي الدين ووحيد رمضان يسألون عنه دائمًا. محضر نقاش مع السيدة نجوى أحمد، ابنة زوجته السيدة دولت، وزوجة ابنه المهندس أحمد، في منزل السيدة ليلى صديق، المهندسين، ٢٢/ ٤/ ٢٠١٥.

[3] يوسف صديق، "ذكرى الأربعين لرحيل عبد الناصر"، مجلة روزاليوسف، ١٩٧٠/١١/٢ ؛ يوسف صديق، ضعوا الأقلام، ص٦٩.؛ ملحق رقم (٣٠) صورة يوسف صديق برفقة زوجته السيدة دولت ، وابنتيهما ليلى وسحر.

[4] يوسف صديق، المرجع السابق، ص ٧٣.

[5] محضر النقاش السابق مع السيدة ليلى صديق، ٢٠١٤/١٠/٢٢ ؛ محضر النقاش السابق مع السيدة سهير صديق، ٢٠١٤/١٠/٨ ؛ محمد توفيق الأزهري، المرجع السابق، ص٢٠٠- ٢٠١.

الفحص الكامل، وكانت المفاجأة الكبرى عندما أخبره الأطباء أن المرض الحقيقي الذي أدى إلى سوء حالته الصحية ليس السكر، فقد تطور المرض منذ أخذه لتلك الحقنة ليلة ٢٣ يوليو التي أوقفت النزيف إلى الإصابة بمرضين من أخطر أمراض العصر في تلك الفترة السل وسرطان الرئة، وقد تمكن المرض من ثلث الرئة اليسرى[١]، مما أدى إلى استئصال الجزء السفلي للرئة في مستشفى لندن كلينك، وقبل إجراء هذه العملية كتب وصية إلى الرئيس محمد أنور السادات ، وفي عام "١٩٧٣" ساءت حالته فلم يعد يقوى على القيام بأي مجهود فسافر مرة أخرى إلى لندن ومكث هناك أربعين يومًا، وبعد أن تحسنت حالته خرج من المستشفى وبقى في لندن عشرين يومًا قبل أن يعود إلى مصر،التي كان يشتاق إليها، وعقب قيامه لصلاة الفجر كان يستمع إلى محطة الإذاعة المصرية[٢].

وفي الفترة الأخيرة من حياته كان يذهب لزيارته عدد من رفاقه منهم : حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية، اللواء عبد المجيد شديد، اللواء وحيد رمضان، أحمد حمروش، وأراد أبناء يوسف صديق أن يدخلوا عليه البهجة في أيامه الأخيرة، حيث إن المرض اشتد عليه وكان الموت أمرًا متوقعًا لأسرته، فقامت نجلته السيدة سهير بمقابلة الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في مكتبه بمقر مجلة روزاليوسف، وشرحت له ظروف مرض والدها، وطلبت منه أن يقوم عدد من الكتاب بالتمهيد لنهاية حياته التي أوشكت بالصورة التي يستحقها هذا الرجل الشجاع الذي لا يعرفه الكثيرون، وأن يذكّروا الناس بدوره المهم، وأنه السبب الأول بعد مشيئة الله في نجاح الثورة ليلة ٢٣ يوليو، وقد قوبل طلبها بالترحاب وقام أحمد حمروش بزيارة يوسف صديق في منزله، وكان حينها على فراشه مريضًا لا يقوى على الحركة، وقام بتأدية التحية العسكرية له فابتسم يوسف قائلًا:" لسة فاكرين العسكرية"[٣]. وقد تم نشر مقالة بعنوان

---

[١] محمد توفيق الأزهري، المرجع السابق، ص ٢٢٠.

[٢] محضر النقاش السابق مع السيدة نجوى أحمد، ٢٠١٥/٤/٢٢. ملحق رقم (٣١) ؛ ملحق رقم (٣٢).

[٣] محمد توفيق الأزهري، المرجع السابق، ص٢٢١ ؛ محضر النقاش السابق مع السيدة سهير صديق، القاهرة، ٢٠١٤/١٠/٦.

"صفحة على فراش المرض" فى مجلة روزاليوسف، استعرض فيها حمروش قصة يوسف صديق ولمحات من حياته ونضاله وبعض مواقفه الشجاعة، كما كتب مقالًا آخر بعنوان"يوسف صديق المفترى عليه"، وقد أطلقت المجلة نداء باسم "يوسف البطل" تدعو فيه محبيه بالدعاء له وأن يرد الله عليه صحته، وتشهد بأن هذا الرجل جدير بأن تحيط به فى محنة مرضه عواطف كل الذين أحيتهم ثورة يوليو من عدم[1].

وفى أيامه الأخيرة تدهورت صحته ونُقل إلى المستشفى العسكرى بالمعادى، وتلقى الرعاية هناك إلا أنه وافته المنية فى ٣١ مارس "١٩٧٥"، وقد كلف الرئيس السادات اللواء عبد المجيد شديد بتولى أمر التنسيق مع أسرة يوسف صديق بشأن الجنازة، وقام بالاتصال بأسرة يوسف، وكان حزينًا لوفاة قائده وصديقه، وأخبرهم أن الدولة لن تنسى يوسف صديق ودوره، وطلب من ابنته السيدة سهير أن تحضر صورة له والنعى الذى تتفق عليه الأسرة، ليتولى نشره فى الجريدة الرسمية للدولة (الأهرام)، وقد قام بكتابة صيغة النعى الأستاذ محمود توفيق الأزهرى، وذهبت السيدة سهير والضابط حسين صديق بالنعى والصورة إلى مكتب عبد المجيد شديد، وقبل دخولهم إلى المكتب قابلا خالد محى الدين الذى كان من أقرب الأصدقاء إلى يوسف، وقال لهما َإن أباهم رجل مهم ويستحق أن تقام له جنازة عسكرية، وأوصاهم بأن يطلبوا عدة مطالب وهى:

- أن تقام له جنازة عسكرية و يتم تصويرها وإذاعتها فى التلفزيون.

---

[1] أحمد حمروش، "صفحة على فراش الموت"، مجلة روزاليوسف، عدد ٢٤٣٦ ، ١٩٧٥/٢/١٧ ، ؛ حمروش، "يوسف صديق المفترى عليه"، الدورية السابقة، عدد ٣٤٤٠، ١٩٧٥/٣/٢٤، " إن هذا الرجل الذى وضع رأسه على كفه ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، لم يطلب ثمنًا، ولا أرضًا، ولا ثروة، ولم يسمح لمطمع شخصى بأن يجرفه عن طريق الثورة، هذا الرجل جدير بأن تحيط به فى محنة مرضه عواطف كل الذين أحيتهم ثورة يوليو من عدم، وحولتهم من عبيد إلى أحرار، ومن رعايا إلى مواطنين، وأى الرجال أجدر منه بالحب والدعوات والأمنيات الطيبة، فهو رجل كل ثروته فى الحياة أنه أدى واجبه". الدورية السابقة، ١٩٧٥/٢/١٧.

- أن تطلب السيدة سهير الإفراج عن زوجها محمود توفيق الأزهرى لتلقى العزاء[١].
- أن تقوم الصحف بنشر سيرة يوسف صديق[٢].

وعندما قابلا عبد المجيد شديد فى مكتبه أخبرهما أن التكريم سوف يقتصر على نشر النعى فى جريدة الأهرام، وتحمل مصاريف الجنازة والعزاء فى مسجد عمر مكرم، لكن أبناء يوسف صديق اعترضا وعرضا عليه المطالب التى أوصاهما بها خالد محى الدين، لكنه أخبرهما أن هذا يتطلب موافقة الرئيس السادات، وقام بالاتصال بالرئيس فى استراحة القناطر، وأجابه الرئيس : أن ما يطلبه أبناء يوسف صديق يتم تنفيذه[٣]، وبالفعل أقيمت جنازة عسكرية مهيبة

---

[١] فقد كان عضوًا بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى(بحدتو) ، وله نشاط شيوعى، ولم تكن المرة الأولى التى تم اعتقاله بها فقد اعتقل عام "١٩٥٣"، وكانت تهمته أنه يعادى الثورة وبعد أن تم التحقيق معه وأوضح لهم أنه لم يعاد الثورة وأنه أول المؤيدين لها إلا أنه يهاجم أخطاء الثورة، ألا وهى مواقفها ضد الديمقراطية، والحريات، وحقوق الإنسان وتم الإفراج عنه، ثم اعتقل مرة أخرى عام "١٩٥٤" قضية أمن دولة، وحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة ثمانى سنوات، إلا أنه تم الإفراج عنه بعد ٥ سنوات فى ديسمبر "١٩٥٩"، بعد أن توسط له يوسف صديق عند الرئيس جمال عبد الناصر، بشرط أن يبتعد عن النشاط الشيوعى، وابتعد فعلًا عن النشاط الشيوعى إلا أن قصائده وتصريحاته هى ما جعلت النظام يعتقله مرة أخرى. محمود توفيق، المصدر السابق، ص ٣٣٦، ٣٧١، ٤٥٠، ٤٧٧، ٥٣٦، ٥٣٩.

[٢] "وصية يوسف صديق السرية للسادات"، روزاليوسف، ٢٠٠٧/٧/٢١، عدد، ٤١٢٨، ص٥٢ ؛ محضر نقاش مع اللواء عبد المجيد شديد، بمنزله فى جاردن سيتى، يوم الأربعاء ٢٠١٥/٥/٥، الساعه ١٠ صباحًا ؛ محضر النقاش السابق مع السيدة سهير، ٢٠١٢/٤/١٠.

[٣] اللواء عبد المجيد شديد، محضر النقاش السابق. وقد سألت الكاتبة اللواء عبد المجيد هل كنت مديرًا لمكتب السادات لذلك كلفك بهذه المهمة ؟ فأجاب إنه كان حينها عضوًا فى تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى، وأن السادات كلفه بهذه المهمة؛ لأنه يعلم مدى صداقته ليوسف صديق ولأسرته، وطلب منه أن ينسق مع الثلاث أسر لقيام العزاء فى منزل كل منهم، وعندما سألته الكاتبة ما إذا كان تكريم الدولة كان بالفعل سيقتصر فقط على نشر النعى وتحمل مصاريف الجنازة والعزاء؟، فأجاب أن الرئيس أخبره أن يقوم بتنفيذ كل ما يطلبه أبناء يوسف، وأن ما طلبه أبناؤه كان حقًا لأبيهم، وأن يوسف صديق كان رجلًا عسكريًا جديرًا بالاحترام ومثالًا للشجاعة والإنسانية. محضر النقاش السابق.

سار فيها أعضاء مجلس قيادة الثورة، وعلى رأسهم الرئيس السابق اللواء محمد نجيب، وحسين الشافعى، وكمال الدين حسين ، وعبد اللطيف البغدادى، وخالد محى الدين، وحسن إبراهيم، وعبد المنعم أمين ، فضلًا عن عدد من الوزراء، وسارت الجنازة من ميدان التحرير إلى مدافن الأسرة فى البساتين الجديدة ؛ حيث تم دفن جثمان يوسف[١]، وقامت جميع الصحف الرسمية بنشر النعى، فضلًا عن قيام بعض الصحف بنشر رثاء له[٢]. وتم إذاعة خبر الوفاة فى الإذاعة[٣]، وتصوير الجنازة وعرضها على شاشة التلفزيون[٤].

وهنا تَجدر الإشارة إلى الوصية التى كتبها يوسف صديق، فقد لمس يوسف صديق الود من السادات لذلك قام الأول قبل وفاته بكتابة وصية للرئيس السادات، إلا أنها لم تُسلم له إلا بعد مرور عامين؛ حيث إن حزن الأسرة على فراقه جعلهم لا يتذكرون أمر تلك الوصية، وعندما تسنى لأسرة يوسف صديق

---

(١) ملحق رقم (٣٣) صورة شاهد قبر يوسف صديق، قامت الكاتبة بزيارة قبره والتقاط هذه الصورة.

(٢) أحمد حسين،"تحية ودعاء لروح يوسف صديق"، جريدة الجمهورية، ٤ /١٩٧٥/٤ ؛ أحمد حمروش، مجلة روزاليوسف، ٧ /٤/ ١٩٧٥.؛ ملحق رقم (٣٤) جنازة و نعى يوسف صديق فى جريدة الأهرام.

(٣) ذكرت السيدة نجوى أحمد للباحثة أنها، علمت بنبأ وفاة يوسف صديق من الإذاعة حيث كانت حينها فى لندن. محضر النقاش السابق، ٢٠١٥/٤/٢٢.

(٤) وقال حمروش:" عندما نشرنا موضوعنا عن يوسف صديق بعنوان "صفحة على فراش المرض"، فى فبراير ٧٥، كانت أمنياتنا أن يعيش حتى يقرأه وكانت لنا أمنية أخرى أقرب إلى الحلم وهى أن تحدث معجزة ما يسترد بها صحته ويقهر بها الموت الذى يزحف إلى حياته، وقد تحققت الأمنية الأولى، وقرأ يوسف الموضوع، وعرف أن صفحته باقية فى تاريخ بلاده وأن ذاكرة الوطن قوية، لا تبخس الأبطال حقهم مهما طال الزمن، أما الأمنية الثانية: فقد انطفأت يوم الإثنين الماضى إلى الأبد، رحل يوسف صديق وودعت مصر جثمانه ملفوفًا بعلم الثورة، وأحاط به رفاق السلاح القدماء، والشباب الجدد على طريق رحلته الأخيرة فوق عربة مدفع، وكان يبكى على طول الطريق كثيرون، أما نحن فعزاؤنا أنه مضى مطمئنًا على صفحته فى التاريخ، وواثقًا من أن رحلة حياته لم تذهب جفاء، وإنما نفعت الناس، فمكثت فى الأرض. المقال السابق.؛ ملحق رقم (٣٥) جنازة يوسف صديق يوم ٣١ مارس "١٩٧٥".

مقابلة السادات قامت السيدة دولت بتسليم الوصية إليه[١]. كُتبت الوصية على ورق يوجد في أعلاه اسم وعنوان المستشفى التي قام يوسف صديق بإجراء العملية بها قبل وفاته[٢]، كانت الوصية أشبه برسالة؛ حيث إنها كتبت في ثلاث ورقات، على شكل فقرات متفرقة وقد لاحظتُ أن الرسالة تنقسم إلى قسمين، أولهما سياسي، ويُذكر فيها السادات بعظمة البلد وتاريخه المجيد، ونضاله الطويل، وتضحيات أبنائه، والبنود الستة للضباط الأحرار، وضرورة العمل على تحقيقها وعلى رأسها الحياة الديمقراطية السليمة، مؤكدًا أن تلك البنود أمانة في يديه عليه أن يسعى لتحقيقها كاملة. أما القسم الثاني من الوصية فكان مؤثرًا وإنسانيًا، وهو الجزء الذي عندما قرأه السادات سالت دموعه يقول فيه يوسف:" وإنني أكتب إليك هذه الرسالة لأقول لك فيها إنني إذا قدر الله على الموت في هذه العملية أو على أثرها فإنني سأترك في عناية الله ورعايتك بناتي ...[٣]" ثم

---

[١] في عام "١٩٧٧" طلب الرئيس السادات مقابلة أسرة يوسف صديق في حفل زفاف أولاد المشير عبد الحكيم عامر، حيث كانت السيدة زينب زوجة المشير صديقة للسيدة دولت زوجة القائمقام يوسف صديق، التي قامت بالاتصال بها وطلبت منها الحضور قبل موعد الزفاف بساعة، حيث إن الرئيس السادات يرغب في أن يجلس معهم جلسة عائلية قبل أن تبدأ مراسم الزفاف، وبالفعل حضر الرئيس وأخذ يسألهم عن أحوالهم وظروفهم، وتعجب لأنهم لم يطلبوا منه شيئًا، وفي آخر لقائه بهم قال إلى ليلى صديق" أنتي وإخوتك ومصر كلها تفتخر بيوسف صديق، فكان رجلًا وطنيًا لأقصى مدى ، كان رجلًا عظيمًا". محضر النقاش السابق مع السيدة ليلى صديق، ٢٠١٤/١٠/٢٢ ؛ ابنة يوسف صديق: السادات بكى أمامي، جريدة الوفد .< www.alwafd.org Date 22/4/2015 3:00 am

[٢] قد قرر الأطباء أن يقوموا باستئصال الرئة اليسرى ليوسف صديق حيث إنها قد أصيبت بمرض السرطان، ولعلمه بخطر هذه العملية فقد طلب من زوجته التي كانت ترافقه في المستشفى بإحضار ورق وقلم، ويبدو أنها أحضرت له ورق المستشفى الذي يكتب فيه تقارير المرضى، فقد لاحظت الكاتبة أنه في أعلى الورقة يوجد اسم وعنوان ورقم تليفون المستشفى، وكتب وصيته ظنًا منه أنه ربما يتوفاه الله أثناء العملية وهذا ما ذكره كذلك في الوصية، إلا أنه توفي بعد عودته من لندن. نفس المقال.

[٣] فقد أوصاه ببناته الثلاثة اللاتي لم يكملن مراحلهن التعليمية في تلك الفترة وهن (نعمت، ليلى، سحر) الأولى كانت تدرس بالاتحاد السوفيتي، والأخريان كانتا تدرسان في المرحلة الابتدائية، أما باقي أبنائه فقد كان منهم من أتم دراسته ويعمل ومنهم من تزوج لذلك فقد كان مطمئنًا عليهم. المقال السابق.

ينهى يوسف وصيته:" وإننى أتابع باهتمام وإعجاب خطواتك العلمية الإيجابية لتوجيه الثورة إلى مسارها الصحيح، وكم أتمنى أن أعيش لأرى النتائج التى تجعلنى لا أموت وأنا نادم على اشتراكى فى الثورة المجيدة الخالدة، ولك من قلب هو بين يدى رحمة الله أحر الدعاء بالصحة والعافية والنصر والتوفيق، جنديكم المخلص يوسف صديق". وبعد أن انتهى السادات من قراءة الوصية بكى قائلًا:"رحمة الله عليك يا يوسف توصينى على مصر وأنت ستفارق الدنيا وما بها"[1].

رابعًا- إغفال دوره والتعتيم على تاريخه:

تعمد النظام الحاكم بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو تزييف التاريخ، والتعتيم على دور يوسف صديق فى الثورة الذى لولاه لأُجْهضت، وسقط رجالها فى أيدى نظام الملك فاروق وحكم عليهم بالإعدام نظير خيانتهم العظمى للملك، فقد ألصقت الأباطيل بيوسف بما نُشر عن أحداث قيام الثورة ؛ فتارة ينسب إليه تحركه مبكرًا قبل ساعة الصفر بساعة كاملة، وتارة يُنسب دوره فى هذه الليلة إلى غيره[2]، وتارة يُهمش دوره فى اقتحام مبنى قيادة الجيش بادعائهم اشتراك وحدة الفرسان فى التمهيد لاقتحام المبنى باستيلائها على بوابة إدارة الجيش والقبض على الحراس، ومصادرة أسلحتهم ثم دعوة يوسف صديق للدخول لإتمام عملية الاقتحام والقبض على القادة[3]، ويبدو أن الأمر غير منطقى إذ إن

---

(١) أيمن الحكيم، "الأوراق السرية لقديس الثورة المصرية"، روزاليوسف، العدد ٤١٢٨، ٢٠٠٧/٧/٢٧، ص٥١ ؛ محضر النقاش السابق مع السيدة ليلى صديق، ٢٠١٠/١٠/٢٢؛ محضر النقاش السابق مع السيدة سهير صديق، ٢٠١٤/١٠/٨. ؛ ملحق رقم (٣٦)، ملحق رقم (٣٧) وصية يوسف صديق للسادات.

(٢) فقد قام الرئيس محمد أنور السادات بنشر كتاب تناول فيه أحداث ثورة ٢٣ يوليو، وقد نسب الدور الذى قام يوسف منصور صديق إلى عبد الحكيم عامر. انظر محمد أنور السادات،"قصة الثورة كاملة"، القاهرة، دار الهلال، "١٩٥٧"؛ "يا ولدى هذا عمك جمال"، القاهرة، مكتبة العرفان، "١٩٧١".

(٣) فقد ذكر ثروت عكاشة أن الملازم فاروق الأنصارى قام بالتصدى للقوات المرابطة عند البوابة، وأخلى الطريق إلى يوسف صديق ليقوم بالاقتحام. انظر ثروت عكاشة، المصدر السابق، ص٩٢.

سلاح الفرسان فى ذلك الوقت لم يكن يبعد عن مبنى إدارة الجيش سوى عرض شارع الخليفة المأمون، وكانت تستطيع قواته بمدرعاتها ودباباتها محاصرة المبنى واقتحامه، والقبض على القادة دون الحاجة لدعوة يوسف صديق، وقد قام بعض المخلصين لقول الحق بنشر حقائق هذا اليوم إلا أن هذه الكتب تم إصدارها بعد عام "١٩٨٤"، بعد أن كانت الأباطيل بدأت تستقر فى أذهان الناس[1].

ويمكن تبرير تلك الأباطيل التى ظهرت فى عهد الرئيسين عبد الناصر والسادات، لاعتبارات تتعلق بالحكم وهيبة الحاكم، أو لمحاولة إضفاء نوع من البطولة على هذا أو ذاك تتناسب مع ما وصل إليه من منصب. لكن انتهى زمن المصالح الذاتية والأهواء السياسية والصراعات التى يمكن أن تبرر إغفال هذا الرجل[2].

عندما توجه حسين نجل يوسف صديق لزيارة المتحف الحربى فوجئ بأن قاعة ٢٣ يوليو يوجد بها اثنا عشر تمثالًا لأعضاء مجلس قيادة الثورة، ليس من بينهم والده يوسف صديق ولا عبد المنعم أمين، وعندما توجه للقائمين على المتحف أنكروا ما هو ثابت تاريخيًا، بالصوت والصورة فى الإذاعة وموثق فى المصادر العربية والمراجع الأجنبية التى تحدثت عن ثورة يوليو، سواء أكانت تناصرها أم تناصبها العداء، فجميعها تثبت أن يوسف صديق كان قائد الفرقة التى اقتحمت مبنى قيادة الجيش ليلة ٢٣ يوليو، وقام بالقبض على رئيس الأركان حسين فريد والقادة الذين كان يجتمع بهم آنذاك، والقادة الذين كانوا فى

---

(١) كان الدور المكلف به يوسف صديق هو تأمين الكتيبة الثالثة عشرة مشاة المقرر لها اقتحام مبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة، ولكن تحول دور يوسف صديق من دور ثانوى إلى دور أساسى وهو القيام بعملية اقتحام مبنى إدارة الجيش، وقام بإعداد خطة الهجوم فى دقائق معدودات؛ حيث قام بتقسيم القوة الصغيرة التى كانت معه إلى ثلاث فصائل لتأمين المبنى مما يُمكنه من فرض السيطرة لحين وصول باقى القوات. جمال حماد، المصدر السابق، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) سهير يوسف صديق، تمثال يوسف صديق، دار درة، للطباعة والنشر، "٢٠١٠"، ص١ ؛ نبيل ذكى،"التاريخ المظلوم"، جريدة الأخبار، ١٩٩٦/٧/٢٤.

الطريق إلى مبنى القيادة، وبعد نجاح الخطوة الأولى توالت تحركات قيادات الضباط الأحرار من مواقعها، فقد كانت جرأة يوسف صديق عاملًا مرجحًا لقوات الحركة، وهو الرجل الذى لا يوجد له تمثال فى قاعة المتحف[(١)]. لكن مما يثير الدهشة هو إنكار المتحف لهذه الحقيقة رغم وجود لوحة زيتية تتصدر القاعة، تصور لحظة اقتحام يوسف صديق لمبنى قيادة الجيش والتى رسمها الفنانون الكوريون الذين أشرفوا على أعمال المتحف[(٢)].

والسؤال الذى يطرح نفسه هو هل اختفى أم أُخفى تمثالا يوسف صديق، وعبد المنعم أمين؟ وما الدوافع التى أدت إلى اتخاذ مثل هذا القرار؟ هل لأنه كان يساريًا وعضوًا سابقًا فى التنظيم الشيوعى؟ لكن هذا ينطبق أيضًا على زميله وصديقه خالد محى الدين، أم لأنه اختلف مع مجلس قيادة الثورة، وطالب بإقرار الديمقراطية وعودة الحياة النيابية[(٣)]، وهذا كان يختلف مع الاتجاه الذى كان ينتهجه المجلس حينها؟ مما جعله قام بتقديم استقالته فى يناير ١٩٥٣. فلا يوجد مبرر لإنكار القائمين على كتابة التاريخ فى المتحف الحربى واقعة اقتحام يوسف صديق لمبنى قيادة الجيش، وإنكارهم عضويته لمجلس قيادة الثورة. وإحقاقًا للحق فإن حياة يوسف صديق رسالة للتاريخ، وعلى الجميع أن يتعلم منه من صلابته وجسارته التى دفع ثمنها الكثير، وبالرغم من العطاء الذى قدمه دون تردد مثله مثل الكثير ممن أرادوا تحقيق المصلحة العليا للوطن، إلا أنه حُرم من أبسط حقوقه على الوطن وهو حقه فى أن يوضع له تمثال مع تماثيل رفاقه من أعضاء مجلس قيادة الثورة بالمتحف الحربى بالقلعة[(٤)].

لذا فقد قررت أسرة يوسف صديق إقامة دعوى قضائية ضد المشير محمد حسين طنطاوى، بصفته وزيرًا للدفاع وهذا لتبعية المتحف للوزارة، وموجهة ضد فاروق حسنى وزير الثقافة وذلك لمشاركة الأجهزة الفنية المختصة بوزارة

---

(١) سعد كامل،" أين اختفى تمثال البطل يوسف صديق"، الدورية سابقة، ١٩٨٨/٧/٣١.

(٢) بهيجة حسين،"حقنا حق الوطن الضائع"، جريدة الأهالى، العدد ٧٧٥، ١٩٩٦/٧/٢٤.؛ ملحق رقم (٣٨) صورة اللوحة الزيتية التى تتصدر قاعة ٥٢ بالمتحف الحربى.

(٣) نفس المقال.

(٤) بهيجة حسين، المقال السابق، ١٩٩٦/٧/٢٤.

الثقافة فى إعداد المتحف، وقد أرفقت الأسرة فى هذه الدعوى الوثائق والشهادات التاريخية كافة التى تثبت أن يوسف صديق كان عضوًا بمجلس قيادة الثورة، مستندين فى ذلك إلى مذكرات من عاصروا الحدث وشاركوا فيه، والمقالات التى تم نشرها فى الجرائد والمجلات التى تقر بعضويته فى المجلس، وقام برفع هذه الدعوى المحامى محمود توفيق الأزهرى باسم نجل يوسف صديق اللواء حسين، ذاكرًا فى مذكرة الدفاع: أن نجاح الثورة وسهولة إحراز السلطة كانت قد أحدثت تغييرات عنيفة فى النفوس ووجهات النظر لدى الكثير من رجال الثورة، ومن أجل ذلك وبسبب إصرار يوسف صديق على ضرورة الالتزام الكامل بمبادئ الثورة، وقع الخلاف بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين أصبحت لهم اتجاهات مغايرة فى هذا الشأن، وظل هذا الخلاف إلى أن رجحت الاتجاهات كافة إلى إقامة حكم دكتاتورى عسكرى، على ما بدا حينذاك واضحًا من قرارات يناير "١٩٥٣" التى ألغت دستور "١٩٢٣"، وقضت بحل الأحزاب وأعلنت فترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات يتولى خلالها مجلس قيادة الثورة سلطة الحكم، وعلى أثر ذلك تقدم يوسف صديق باستقالته من عضوية المجلس، لينأى بنفسه عن مسئولية المشاركة فى السلطة، مضحيًا بكل ما وراء تلك المشاركة من جاه وفوائد، متقبلًا كل ما سيحدث له ولكل من ينتمون إليه من أهل وزملاء بسبب هذا الموقف، فقد دفع هو وأسرته ثمن ذلك من سجن وتشريد على مدى سنوات، بل واستمرت تلك المعاناة فى الواقع إلى أن انتقل إلى جوار ربه آخر مارس "١٩٧٥".[1]

وقام اللواء جمال حماد بإرسال رسالة إلى السيد العميد مدير إدارة المتاحف العسكرية، موضحًا له أن الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الأحرار بالقوات المسلحة كانت تتكون من ٩ ضباط وفى مساء يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٢" أخطر عبد الناصر زملاءه بأن دور الهيئة التأسيسية قد انتهى وتبعًا لذلك فقد تغير اسمها منذ ذلك الحين إلى مجلس قيادة الثورة، ونظرًا لأن ثورة الجيش اقترنت

[1] ملحق رقم (٣٩) مذكرة دفاع، دعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤٩ق، جلسة ١٩٩٥/١١/٩، مكتب محمود توفيق الأزهرى المحامى.

منذ فجر ٢٣ يوليو باسم اللواء أ.ح محمد نجيب، وصدر البيان الأول باسمه لذا كان أمرًا محتمًا أن ينضم إلى مجلس القيادة بل ويصبح رئيسًا له بإجماع أعضاء مجلس قيادة الثورة، وفى ١٥ أغسطس "١٩٥٢" انضم إلى عضوية المجلس بصفة رسمية ٤ ضباط هم (المقدم أ.ح يوسف منصور صديق من سلاح المشاة - المقدم عبد المنعم أمين من سلاح المدفعية - المقدم أ.ح زكريا محى الدين من سلاح المشاة - المقدم حسين السافعى من سلاح الفرسان) وبذلك أصبح أعضاء مجلس قيادة الثورة ١٤ ضابطًا، وتمت ترقية يوسف صديق إلى رتبة العقيد بعد شهور من نجاح الثورة. وقد قدم عبد المنعم أمين استقالته فى النصف الأخير من يناير ١٩٥٣ عقب اعتقال ضباط المدفعية وعين أوائل "١٩٥٤" سفيرًا لمصر فى هولندا، وعاد إلى القاهرة فى مايو "١٩٥٦" وتمت إحالته إلى المعاش بناءً على طلبه. وقد أسهم عبد المنعم أمين فى الجهود التى بذلت لإيجاد صلات التعارف والتفاهم الوثيقة بين مجلس قيادة الثورة والسفارة الأمريكية، وكانت تلك الجهود تستهدف تقوية الروابط بين مصر والولايات المتحدة أملًا فى حمل الولايات المتحدة على معاونة مصر فى قضية جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس، ومحاولة الضغط على الحكومة البريطانية لتحقيق جلاء قواتها عن مصر.[1] كما طالب بأن يعامل كل من العقيدين يوسف صديق وعبد المنعم المعاملة ذاتها التى عومل بها كل أعضاء مجلس قيادة الثورة فيما يتعلق بعمل تماثيل لهم ووضعها فى جناح الثورة بالمتحف الحربى.

لكن حكمت المحكمة الإدارية العليا أنه لا يوجد ثمة إلزام على وزارة الدفاع بإقامة تمثال ليوسف صديق ضمن تماثيل أعضاء مجلس قيادة الثورة فى القاعة المخصصة لذلك بالمتحف الحربى، وعدم قبول الدعوى مستندين إلى أنه لا يوجد توقيع له على وثيقة الإعلان الدستورى الذى أقر إلغاء النظام الملكى وإقرار النظام الجمهورى، لكن العقيدين يوسف صديق وعبد المنعم كانا قد خرجا من المجلس فى الفترة السابقة لصدور هذا الإعلان فى ١٩٥٣/٦/١٨، فيوسف استقال ١٦ يناير "١٩٥٣"، وعبد المنعم استقال فى النصف الثانى من

---

[1] سهير صديق، المرجع السابق، ص٧٨.

ينـاير لنفس العـام، وأخيرًا حكمت المحكمـة بقبـول الدعوى بعد الاطـلاع علـى الوثائق المرفقة بمذكرات الدفاع[1]. ربمـا مـا حدث من إهمـال فـى وجـود تمثـال ليوسف صـديق وعبد المنعم أمين، بجانـب زملائهمـا من أعضـاء مجلس القيـادة خطأ غير مقصود، من قبيل السهو أو لأن الظروف السـابقة لـم تسمح بتركيـز الأضواء على دور كل منهم لا سيما دور يوسف صـديق الرجل الذى أسـهم فـى تغيير مجرى التاريخ[2]. وفى يونية "١٩٩٩" أصدرت محكمة القضاء الإدارى حكمًا بإلزام المسئولين عن المتحف الحربـى فـى القلعـة بوضـع تمثـال للعقيـدين يوسف وعبد المنعم أمين[3].

اعتبرت أسرة يوسف صديق أن الحكم التاريخى بإقامة التمثال له يمثل مسك الختام لقصة الظلم الذى وقع على يوسف صديق فى أثناء حياته وبعد وفاته، إلا أنهم فوجئوا بـالطعن الذى قدمتـه هيئـة قضـايا الدولـة فـى الحكم التـاريخى الذى أنصف يوسف صديق بإقامة تمثال له بـالمتحف بجوار زملائـه، مستندة إلـى أن الوثائق والمستندات الرسمية لا تفيد أن يوسف صـديق كـان عضـوًا بـالمجلس، ومفسرة ذلك بأنه حتى إن كان عضوًا فى تنظيم الضباط الأحرار فإن من حق الدولة أن تلغى عنـه هذه الصفات، وتعتبر ذلك عملًا من أعمـال السيادة. وقد أصدرت محكمة القضـاء ثلاثـة أحكـام قضـائية بضـرورة إقامـة التمثـال، وأثبتت المحكمة أحقية أن يقام تمثـال ليوسـف صـديق استنادًا إلـى عضـويته فـى مجلس قيـادة الثـورة، وعضـويته بالضـباط الأحـرار، وقامـت العديـد مـن الصـحف والمجلات بنشر مقالات يطالبون بتنفيذ الحكم، مستندين على ذلك بالإشـارة إلـى ما تم نشره منذ أغسطس "١٩٥٢" فى مجلة آخر ساعة، ومذكرات يوسف التـى تم نشرها فى أثناء حياته فى مجلة روزاليوسف، وما كتب عنه فى الصحف قبل وبعد وفاته، وذلك احتجاجًا على رفض وزارة الثقافة فى إقامة التمثال[4].

---

[1] حكم المحكمة الإدارية العليا رقم ١٣٨٣ لسنة ٣١ من جلسة ١٩٩٦/١/١٨ ؛ دعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤٩ جلسة الثلاثاء ١٩٩٩/٦/١، مجلس الدولـة محكمـة القضـاء الإدارى ، الإدارة الأولى. مكتب الأستاذ محمود توفيق الأزهرى.

[2] نبيل ذكى، المقال السابق ، ١٩٩٦/٧/٢٤.

[3] ملحق رقم (٤٠) حكم يونيو "١٩٩٩"، فى دعوى رقم ١٠٠٢٨لسنة ٩١. مكتب الأستاذ محمود توفيق الأزهرى.

[4] شـريف المـلاح، "تمثـال ليوسـف صـديق بـالمتحف الحربـى "، جريـدة الجمهوريـة، ١٩٩٩/٦/٢.

وبعد مرور أكثر من ست سنوات قضتها أسرة يوسف صديق ومعهم كل الأقلام التى تعرف قدر هذا الرجل، يطالبون بإقامة تمثال له[1]، فكلما اقترب هؤلاء من الوصول إلى الشاطئ تبعدهم الأمواج المتلاطمة، فقد خرج من قال إنه لم يكن من قادة ٢٣ يوليو بل إنه لم يكن من الضباط الأحرار، بالرغم ما كتبه كل من كتبوا مذكراتهم من أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار كمحمد نجيب، وعبد اللطيف البغدادى وخالد محى الدين وجمال حماد، وصلاح نصر، وما تم نشره منذ "١٩٥٢" حتى وفاته "١٩٧٥"[2]. فلا يوجد أحد من الذين اشتركوا فى ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" يجحد فضل يوسف صديق فى نجاح ثورة ٢٣ يوليو، أو ينكر أنه كان أكثر من حافظوا على مبادئها التى قامت عليها سوى قلة قليلة وكان ذلك لأغراض سياسية وأهواء ذاتية[3]، لكن عبد الناصر نفسه لم ينكر هذا الدور فقد تناوله بإيجاز أثناء الاحتفال العاشر للثورة فى يوليو "١٩٦٢". وكانت أهم المستندات التى استندت إليها أسرة يوسف صديق الكتاب الذى أصدرته وزارة الدفاع التى أوردت فيه بيانًا لأعضاء مجلس قيادة الثورة ومنهم اسم البكباشى يوسف منصور صديق[4].

وقد كلفت إدارة المتاحف الفنان الشاب عمرو خميس بإعداد تمثال يوسف صديق، الذى أخذ بعض الصور من الأسرة حتى تعاونه على نحت التمثال، وقامت السيدة سهير صديق بإهدائه نسخة من كتاب "أوراق يوسف صديق"، ليدرس جوانب شخصيته المتعددة كشاعر وأديب ومحارب، ويمكنه من إبراز تلك الجوانب فى التمثال، وقد قام الشاب بنحت تمثال رائع أقرب إلى كونه حقيقة[5]، لذلك قامت إدارة المتاحف باتخاذ قرار بتغيير جميع التماثيل الموجودة بالمتحف التى تمثل أعضاء مجلس القيادة، لسوء حالتها الفنية بجانب تمثال يوسف صديق، وبذلك كان الفضل له فى إنصاف زميله عبد المنعم أمين بأن

---

[1] انظر ملحق رقم (٤١) ؛ رقم (٤٢)؛ (٤٣).

[2] لمعى المطيعى، الوفد، العدد ٣٣٥١، ٢٠ /٢٠٠١/٥.

[3] عبد العظيم رمضان،"خواطر مؤرخ"، جريدة الجمهورية، ٢٠٠١/١/٢.

[4] ملحق رقم (٤٤) وثيقة رقم ٣ فى الجريدة الرسمية" الجيش المصرى من ثورة يوليو إلى ثورة اليمن"، ج١، مطابع الجيش يوجد بها اسم يوسف منصور صديق كعضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة.

[5] محضر النقاش السابق مع السيدة سهير صديق، ٢٠١٢/٥/١٠.

يقام له تمثال، وفى تطوير هذه القاعة وإعادة الهيبة والوقار إلى تماثيل زملائه في السلاح[1]. كما تم وضع الخطة التى وضعها يوسف صديق لاقتحام مبنى قيادة الجيش[2]، وبتنفيذ الحكم القضائى[3] هذا كان لا بد من إعادة صياغة التاريخ الحديث، فمن سيتحمل تلك الأمانة سوى القائمين على كتابته! فلا بد من الإفراج عن كل الوثائق التاريخية حتى لا يغدو التاريخ مجرد روايات قد لا تكون بمنأى عن الهوى، وليرجح فى نهاية الأمر ما يتوافق مع تلك الوثائق، ومن الأفضل أن يستقى الشعب الحقيقة من وثائق دولته، ولأن الحقيقة ليست حكرًا على أحد فعلى الجميع أن يتسارع للكشف عن أوراقنا وسجلاتنا وتسجيلاتنا كى نحاصر من يحاول تزييف التاريخ[4][5]. وقد قررت اللجنة الدائمة لمجلس الشعب المحلى فى محافظة بنى سويف، إطلاق اسم يوسف منصور صديق على مدرسة زاوية المصلوب الإعدادية المشتركة بمركز الواسطى[6].

كان يدافع عن مبادئه وآرائه طالما كان مقتنعًا بها تحت أى ظرف وفى أى مكان. وهذا ما ورثه لأبنائه هؤلاء الذين قاموا بالدفاع عن حق أبيهم فى إقامة تمثال له بجانب رفاقه من أعضاء مجلس قيادة الثورة، فقد قاموا برفع دعوى قضائية الأولى من نوعها فى مصر، ورغم الصعاب التى واجهوها قاموا بتقديم الوثائق كافة التى تمكنهم من الحصول على حكم المحكمة بإقامة هذا التمثال[7]، بل وصمدوا حتى تم تنفيذ هذا الحكم حقًا فإن صفات الآباء تورث للأبناء.

---

(١) سهير يوسف صديق، مرجع سابق، ص٢١.

(٢) ملحق صورة الخطة.

(٣) ملحق رقم (٤٥) الحكم القضائي بإقامة تمثال ليوسف صديق وعبد المنعم أمين.

(٤) مقال المستشار على فاضل حسن،

Date: 2/10/2014 5:30 am www.youssef3.blogspot.com

(٥) فتحى سالم، "يوسف صديق يا سادة"، جريدة أخبار اليوم، ١٩٩٩/٦/١٩.

(٦) ملحق رقم (٤٦) محضر اجتماع اللجنة الدائمة رقم ١ بتاريخ ١٩٩٩/٧/٢٨ لمجلس الشعب المحلى لمحافظة بنى سويف.

(٧) ملحق رقم (٤٧) صورة تمثال يوسف صديق بالمتحف الحربى، واللوحة التعريفية له. ؛ ملحق(٤٨) صورة اللوحة الضوئية بالمتحف الحربى التى توضح دور يوسف صديق ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢".

الخاتمة

هكذا وبعد أن انتهيتُ من طي صفحات حياة يوسف صديق ؛ فإنه يتحتم علينا أن نشير إلى مجموعة من المبادئ والصفات التى تمتع بها هذا الرجل، إذ كان له دور لا يمكن إغفاله أو الغض من قيمته فى إنقاذ الثورة من الفشل بتحركه ساعة مبكرًا عن الموعد المحدد لساعة الصفر، ولشجاعته وحسن تدبره للأمور وقيامه بوضع خطة هجوم لم تكن محددة من قبل، إذ تلخص دوره فى تأمين الكتيبة المقرر لها القيام بعملية الهجوم على مبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة، وتناولتْ الروايات كافة التى تم ذكرها حول تحركه المبكر، ومن خلال قراءة مذكراته ودراستها والمقالات التى قام بنشرها بنفسه فى أزمة مارس، وما تلاها من مواقف، فهو يرى أن قناعته بالمبادئ الستة للضباط الأحرار، لم تنبع من فراغ بل إنها كانت صدى للمبادئ التى كان يؤمن بها طول حياته، بل وظل يبحث بين القوى والأحزاب السياسية التى كانت على مسرح الأحداث حينها، إلى أن تعرف إلى تنظيم الضباط الأحرار، لذلك لم يتردد فى الموافقة على الانضمام إليه. تلك المبادئ التى كانت فى رأيه جزءًا لا يتجزأ من ضرورة كونها برنامجًا متكاملًا للثورة الديمقراطية المتكاملة.

لذلك اختلف مع أعضاء مجلس قيادة الثورة، نتيجة لانتمائه الأيديولوجى، وطالبهم بعودة الجيش إلى ثكناته للقيام بدوره الأساسى، ألا وهو حماية حدود البلاد مع تأمين الثورة؛ حيث إنه كان يؤيد حق الشعب فى ممارسة حقوقه المتمثلة فى أن يقرر من يحكمه عن طريق الانتخابات، ورأى يوسف أن إقصاء الشعب عن ممارسة حقوقه، ومصادرة إرادته كانت تعنى أن أى بناء أو إصلاح يتم سيكون قائمًا على الرمال، ومعرضًا إلى الانهيار. ومن هنا كان إيمانه

بالاشتراكية بمفهومها الذى يجمع بين المبادئ الستة للضباط الأحرار، حيث كان يرى أن الاشتراكية هى التى تحمى استقلال البلاد، و تواجه السيطرة الأجنبية على الإرادة الوطنية، ومن هنا جاءت نظرته للصداقة مع الدول الاشتراكية باعتبارها وسيلة لتوفير أسباب القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية اللازمة لدعم استقلال الوطن وحمايته، فكان مفهوم الاشتراكية لديه أنها تستند فى جوهرها على مبادئ العدالة الاجتماعية المتواجدة فى روح الإسلام.

ومن هذا المنطلق اتهم بأنه شيوعى، وأنه يريد الانحراف بالثورة عن مسارها الديمقراطى، ولكن يتضح مما سبق أن تفكيره كان ماركسيًا ولم يكن يتبنى الشيوعية كما هى، فقد أشاد كل من تعامل معه وعاصره بإيمانه بالله وحرصه على إقامة الصلاة حتى عندما كان فى المعتقل. كانت مبادئه هذه وقناعته بالدفاع عنها سببًا فى التنكيل به واعتقاله، ورغم ذلك فإن جمال عبد الناصر كان يكن له الاحترام والتقدير على المستوى الشخصى، ومن المواقف السابقة التى سبق ذكرها مع الرئيس محمد نجيب ، وجمال عبد الناصر وأنور السادات، يتبين لنا أنه كان رجلًا حكيمًا يفصل الاختلافات فى وجهات النظر والآراء السياسية عن العلاقات الشخصية بل ولم تؤثر على إشادته بمواقف أى منهم الصائبة. ولعل شاعريته -التى أشرنا إليها آنفًا- كانت سببًا فى ترفعه عن جُل المواقف والمشكلات التى واجهته بقسوة وعنفوان ، علاوة على أنه اهتم بدراسة أحوال المسلمين فى بلاد الاتحاد السوفيتى عندما سافر للعلاج هناك، وهذا إن دل فيدل على تشبعه بروح الإسلام فى السر والعلن فى الداخل والخارج كما رأينا.

أما عن أخلاقه، فهناك حقيقة لا يمكن تشويهها أو النَّيْل منها متجليةً فى أن كل من عاصره أجمع على أنه كان يتسم بالشجاعة والإقدام، فقد كان الخوف لا يعرف طريقه إليه، فإذا اعتزم على أمر مضى إليه من أقرب الطرق، فقد كان لا يعرف المجاملة أو النفاق، ولم يقم بمسايرة الأمور بحثًا عن السلطة أو التمسك بها، ولعل خلافه مع مجلس قيادة الثورة خير دليل على ذلك، وهذا لا

يمكن أن ينبع إلا من فضائل الصدق والإيمان العميق بالمثل العليا للحق والخير والعدالة، ناهيك بأنه لم يكن محبًا للشهرة أو طامعًا فيها، ويتضح ذلك من مجمل المواقف والأحداث التى مر بها، لا سيما عندما تم تجاهله وتجاهل الدور الذى قام به ليلة ٢٣ يوليو لمدة ١٠ سنوات، فلم يُذكر ذلك الدور منذ أن قام محمد حسنين هيكل فى مجلة آخر ساعة فى يوم ٢٨ أغسطس "١٩٥٢"، بنشر مقال يتحدث فيه عن أحداث تلك الليلة بوصفه العملاق الأسمر، علمًا بأن جمال عبد الناصر كان يخشى ظهوره على مسرح الأحداث السياسية فى تلك الفترة، لذلك قام بنفيه واعتقاله، ولم يقم بذكر دوره إلا فى إيجاز بعد عشر سنوات. فكان يمكن ليوسف صديق أن يبقى فى مجلس قيادة الثورة ويتظاهر بموافقته على الاتجاه السائد حينها، كى يتمتع بالمزايا التى تمتع بها أعضاء المجلس وقتذاك ولكنه أبَى.

كان واثقًا فى نفسه، مدافعًا عن الحق حتى وإن كان وحده، ورغم شدة مرضه إلا أنه كان مقبلًا على الحياة، وكان متسامحًا مع كل من ظلمه، واستنادًا إلى المواقف التى تم ذكرها ومن مجمل المقابلات الشخصية التى أجريتها، يتبين أنه كان محبًا لزيارة الأماكن المقدسة المباركة، وكان يحب الاستماع إلى القرآن الكريم بصوت الشيخ مصطفى إسماعيل، كما كانت لديه نزعة فنية.

هذا هو يوسف صديق وتلك هى سجاياه وصفاته القويمة والمبادئ التى عاش مدافعًا عنها، إلى أن توفاه الله بعد رحلة من الكفاح المستمر والعمل الدؤوب مبتغيًا فى النهاية رضا الله أولًا وخدمة وطنه ثانيًا بما أملاه عليه ضميرة بفضل نزعته التحررية الواثقة فى نصرة الله لمن تلمس طريق الحق واهتدى به .

وفى النهاية أرجو أن أكون قد وفقت فى هذا الكتاب، فقد قمت بنقده فى بعض المواقف، والتبرير لبعض مواقفه استنادًا إلى المنطق، ولا يعنى أن جمال عبد الناصر قد قام باعتقال كل من عارضه، لا يعنى ذلك أنى لا أقدره بل أشهد بأنه كان رئيسًا لا مثيل له، فقد قام باتخاذ قرارات نابعة من حرصه على البلاد كان لها عظيم الأثر فيما بعد، مثل تأميم قناة السويس ، ودوره فى جلاء الإنجليز عن القناة، ولكننا لا نعدوا الصواب إن قلنا بأن لكل رئيس أو شخصية

قيادية إخفاقاته التى تفرضها تباين الظروف والملابسات التاريخية وفى خضم النزاعات السياسية التى تنتاب البلاد فى فترة ما ، أضف إلى ذلك اختلاف شخصية كل منهم والقدرة على التعاطى مع متغيرات الأحداث من حوله.

وما مرت به مصر منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ خير دليل على صدق رؤية يوسف صديق، وهو أن خلط الدين بالسياسة لتحقيق أهداف سياسية هو من أكبر الأخطاء وأجلّها، فقد كان ذلك رأيه منذ أكثر من ستين عامًا، وكان يخص بذلك جماعة الإخوان المسلمين، وهى نفس الجماعة التى حاولت أن تحكم مصر عقب ثورة ٢٥ يناير، إلا أن الشعب ثار مرة أخرى وأسقط النظام، وكما قال يوسف صديق إن وحدة مصر هى السلاح الذى تتحقق به جميع أهداف الشعب، وهذا ما أنقذ مصر من المخطط الذى لم يكن يعلمه إلا الله. لا سيما بعد ظهور ما عُرف باسم ثورات الربيع العربى، حيث لم تستطع البلدان العربية التى قامت بالثورة على أنظمتها السياسية فى "٢٠١١" أن تحصل على ما تريد أو تحقق أهدافها، ليس هذا فحسب بل وانقسم شعبها إلى فئات، أما مصر فقد حماها الله بوحدة شعبها وقيادة جيشها.

إلا أن الشعب ثار مرة أخرى، وكما ساند الشعب الجيش فى ليلة ٢٣ يوليو "١٩٥٢"، فقد قام الجيش بمساندة الشعب ورد الجميل فى ثورة ٣٠ يونيه "٢٠١٤"، فهذا هو دور الجيش الذى لا يمكن أن يضل خطاه أو يغرد خارج سرب الوطنية والفداء من أجل حماية الشعب ومساندته لإقرار مصيره. فقد اتحد الشعب المصرى ووقف أمام العديد من التحديات، التى واجهته منذ قيام ثورة ٢٥ يناير "٢٠١١".

ومن مفارقات الحياة أنه رغم الضعف الذى أصاب اقتصادها نتيجة قيام ثورتين خلال ثلاث سنوات، علمًا بأن مصر كانت تمر بظروف عصيبة، فلم يتوقع أحد أن يقوم المصريون بحفر قناة السويس الجديدة، وهى قناة توازى قناة السويس القديمة لكى تسمح بمرور عدد أكبر من السفن. وقد أذهل الجميع قيام المصريين بافتتاح هذا المشروع فى ٦ أغسطس "٢٠١٥"، وما أذهلهم هو تنفيذ هذا المشروع فى عام واحد، فى حين أن حفر قناة السويس القديمة قد

استغرق عشر سنوات، كما أن مصر لم تقترض أى أموال من البنوك لدعمها فى تنفيذه، لكن المشروع تم تمويله ذاتيًا بمشاركة شعبها.

ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام أن قيام ثورة واحدة فى البلاد كفيل بأن يجعلها غير مستقرة من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كافة ، فما بالكم بثورتين؟! .

وختامًا أرى أن رجلا بتلك السجايا والمزايا يجب أن يُكرم غير مرة وفى غير مناسبة، فإن ذهبنا بالقول إلى أن الفرصة لم تكن مواتية لتكريمه بشكل لائق فى حياته- رغم ما بذله من تضحيات وبطولات - فقد حان الوقت لِأن يكرم بعد مماته وذلك بتخليد ذكراه والتوسم بصفاته وذكر بطولاته بين جيل الشباب، الذى لا يعرف عن تاريخ بلده إلا القشور، لعلنا نجد بين شبابنا من يجد ضالته فيه ويتلمس طريقه ويهتدى بهداه.

الملاحق

جدول الملاحق

رقم الملحق	الموضوع	المصدر
(١)	نص مقال محمد حسين هيكل	مجلة آخر ساعة، العدد ٩٣١، ١٩٥٢/٦/٢٧
(٢)	الشهادة الابتدائية ليوسف صديق	من السيدة سهير يوسف صديق
(٣)	الشهادة الثانوية ليوسف صديق	نفس المصدر
(٤)	شهادة تفيد بكفاءة يوسف صديق فى ضرب النار	نفس المصدر
(٥)	وثيقة ترقية يوسف صديق إلى رتبة ملازم أول	نفس المصدر
(٦)	صورة يوسف صديق مع زملائه بالكلية الحربية	نفس المصدر
(٦) مكرر	صورة تخرج طلبة الكلية الحربية	نفس المصدر
(٧)	طلب مقدم من يوسف صديق للقائد العام بالقوات المصرية بفلسطين	نفس المصدر
(٨)	طلب إجازة مقدم من يوسف صديق للسلطات المصرية	نفس المصدر
(٩)	نماذج لتقارير إدارة المخابرات الحربية	من (الأستاذ الدكتور جمال شقرة، وملاحق كتب محمد حسين هيكل)

(١٠)	صفحة رقم ٣٥ من مذكرات يوسف صديق الأصلية	من السيدة ليلى صديق
(١١)	صفحة رقم ٤٠ من مذكرات يوسف صديق الأصلية	نفس المصدر، فطين أحمد فريد، "ثورة ٢٣ يوليو من التنظيم السرى إلى سقوط فاروق"، ص٣٣٥.
(١٢)	صفحة رقم ٤٣ من مذكرات يوسف صديق الأصلية	من السيدة ليلى يوسف صديق
(١٣)	صفحة رقم ٤٥ من مذكرات يوسف صديق الأصلية	نفس المصدر
(١٤)	صفحة رقم ٤٦ والأخيرة من مذكرات يوسف صديق	نفس المصدر
(١٥)	الجزء الأخير من الصفحة رقم ٣٨ من مذكرات يوسف صديق	من السيدة ليلى يوسف صديق
(١٥) مكرر	الصفحة رقم ٣٩ من مذكرات يوسف صديق	نفس المصدر
(١٦)	صورة تجمع بين يوسف صديق واللواء محمد نجيب	من السيدة سهير يوسف صديق
(١٧)	صورة تجمع الضباط الأحرار صباح يوم ٢٣ يوليه	من موقع ذاكرة مصر المعاصرة التابع لمكتبة الإسكندرية
(١٨)	صورة تجمع بين قائدى الكتيبتين ك١٣- ك.م ١	فطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص٢٧٧.
(١٩)	وثيقة تنازل الملك فاروق عن العرش	من موقع ذاكرة مصر المعاصرة التابع لمكتبة الإسكندرية، فطين أحمد فريد، المرجع السابق، ص ٥١٦.

(٢٠)	صورة أعضاء مجلس قيادة الثورة	من السيدة سهير يوسف صديق
(٢١)	نص مقال يوسف صديق	مجلة روزاليوسف العدد ١٣٤٦، ١٩٥٤/٣/١٩.
(٢٢)	صورة ليوسف أثناء إبعاده لأسوان	من السيدة سهير يوسف صديق
(٢٣)	صورة له برفقة زوجته السيدة علية توفيق	نفس المصدر
(٢٤)	صورة بعض الضباط الأحرار معه أمام منزله	فطين فريد، المرجع السابق، ص ٢٨١.؛ مجلة الطليعة، العدد ٥، مايو "١٩٧٥"، ص٦٧.
(٢٥)	خطاب أرسله لزوجته أثناء وجوده فى سويسرا	من السيدة سهير يوسف صديق
(٢٦)	صورة عائلية أثناء تحديد إقامته فى قريته	نفس المصدر
(٢٧)	صورة له أثناء استقباله لعبد الناصر فى المطار "١٩٦٢"	مجلة الوادى، العدد٤٠ ، أغسطس "١٩٨٢"، ص٣١.
(٢٨)	قرار جمهورى بصرف معاشات استثنائية	من السيدة سهير يوسف صديق
(٢٩)	إهداء يوسف صديق فى كتابه "الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى"	يوسف صديق، " الإسلام والمسلون فى الاتحاد السوفيتى "،١٩٧٢.
(٣٠)	الكلمة التى ألقاها فى المركز الثقافى السوفيتى	من السيدة سهير يوسف صديق
(٣١)	صورة عائلية فى لندن "١٩٧٢"	من السيدة ليلى يوسف صديق

(٣٢)	صورة عائلية فى مطار لندن "١٩٧٤"	نفس المصدر
(٣٣)	صورة عائلية أثناء تواجده بالمستشفى	نفس المصدر
(٣٤)	صورة الشاهد المقام على قبره	التقطتها الكاتبة أثناء زيارة قبر يوسف صديق
(٣٥)	نعى وجنازة يوسف صديق	جريدة الأهرام، ١٩٧٥/٤/٢.
(٣٥) مكرر	صورة لرفاقه يوم وفاته ٣١مارس "١٩٧٥"	من السيدة ليلى يوسف صديق، والسيدة سهير يوسف صديق.
(٣٦)	نص مقال وصية يوسف صديق للسادات	مجلة روزاليوسف ٢٠٠٧/٧/٢٧.
(٣٧)	الجزء الأخير من وصيته للسادات	من السيدة ليلى يوسف صديق
(٣٨)	صورة اللوحة الزيتية الموجوده بالمتحف الحربي	من السيدة سهير يوسف صديق، والمتحف الحربى، قاعة ٥٢.
(٣٩)	مذكرة الدفاع للدعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤٩ قضية التمثال	مكتب المحامى الأستاذ محمود توفيق الأزهرى
(٤٠)	نص مقال	جريدة الأهالى،العدد ٩٦٩، ٢٠٠١/٤/١٢.
(٤١)	نص مقال	مجلة أكتوبر، العدد ١٠٨٢، ١٩٩٧/٧/٢٠.
(٤٢)	نص مقال	جريدة الأخبار ٢٦/٧/ ١٩٩٧
(٤٣)	نص مقال	جريدة الأهرام ، ٢٠ مايو "١٩٩٩".

(٤٤)	وثيقة بأسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة	من " الجيش المصرى من ثورة يوليو إلى ثورة اليمن"، الجزء الأول، مطابع الجيش
(٤٥)	الحكم القضائى بإقامة تمثال ليوسف صديق	مكتب المحامى الأستاذ محمود توفيق الأزهرى
(٤٦)	قرار المجلس المحلى بمحافظة بنى سويف	من السيدة سهير يوسف صديق
(٤٧)	صورة تمثال يوسف صديق	من السيدة سهير يوسف صديق
(٤٧) مكرر	صورة اللوحة التعريفية له بالمتحف الحربى	التقطتها الكاتبة أثناء زيارتها للمتحف الحربى.
(٤٨)	صورة اللوحة الضوئية بالمتحف الحربى	نفس المصدر
(١-٨)	بعض الصور من ألبوم ذكريات يوسف صديق	من السيدة سهير يوسف صديق، والسيدة ليلى يوسف صديق

من هم ضباط قيادة محمد نجيب؟

السكون الذي ترقد تحته عاصفة

ملحق رقم (١) محمد حسنين هيكل، "من هم ضباط قيادة محمد نجيب"،
مجلة آخر ساعة، العدد ٩٣١، ١٩٥٢/٦/٢٧.
وصف هيكل يوسف فى هذا المقال " بالعملاق الأسمر ذى العينين الحمراوين".

الدولة المصرية

وزارة المعارف العمومية

امتحان إتمام الدراسة الابتدائية (للبنين)

يوسف منصور صديق بن المرحوم منصور أفندي صديق المولود في زاوية المصلوب مركز الواسطى سنة ١٩١٠ أتم الدراسة الابتدائية للبنين ونجح في الامتحان الخاص بذلك في سنة ١٩٢٤.

القاهرة في ٤ صفر سنة ١٣٤٣ من الهجرة
و ٣ سبتمبر سنة ١٩٢٤ من الميلاد

كل كشط أو تغيير في هذه الورقة يلغيها

ملحق رقم (٢) وثيقة تفيد بأن يوسف صديق أتم الدراسة الابتدائية ، "١٩٢٤"

الدولة المصرية

وزارة المعارف العمومية

شهادة الدراسة الثانوية

القسم الأول

تشهد وزارة المعارف العمومية بأن يوسف منصور صديق بن منصور أفندي صديق المولود في زاوية المصلوب مركز الواسطى في سنة ١٩١٠ الميلادية جاز امتحان شهادة الدراسة الثانوية (القسم الأول) في شهر يونيه سنة ١٩٢٧ وكان ترتيبه في جدول الامتحان ثمانمائة وواحد وعشرين بالنسبة الى مجموع الناجحين البالغ عددهم ثمانمائة واثنين وستين

القاهرة في [illegible] ربيع الثاني سنة ١٣٤٦ و [illegible] أكتوبر سنة ١٩٢٧

كل كشط أو تغيير في هذه الشهادة يلغيها

سجلت برقم ١٤

ملحق رقم (٣) وثيقة تفيد بإتمام يوسف صديق الدراسة الثانوية،
عام "١٩٢٧"

(نموذج عسكري رقم ١١١ "ر")

مدرسة ضرب النار

شهادة الكفاءة

رقم ٩٠

أشهد أن حضرة الملازم الثاني يوسف افندى منصور صديق
من اورطة مدافع الماكينه الاولى
حضر فرقة تعليم في مدفع الماكينة الفيكرز (قسم الضباط)

وقد منح شهادة درجة اولى

التاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٣٨ (امضاء) اميرالاى قومندان مدرسة مدارس ضرب النار الإسلحة الصغيرة

معلم جيد، يعتمد عليه

وقد حضر فرق اعادة فى التواريخ الآتية :

التاريخ ــــ سنة ١٩ النتيجة ــــ

(امضاء) قومندان مدرسة ضرب النار

التاريخ ــــ سنة ١٩ النتيجة ــــ

(امضاء) قومندان مدرسة ضرب النار

ملحق رقم (٤) شهادة تفيد بكفاءة يوسف صديق فى ضرب النار.

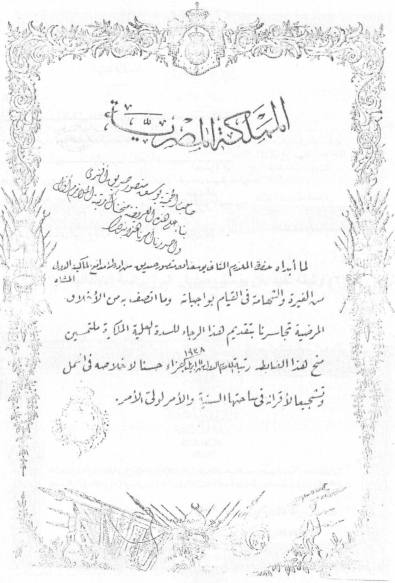
المملكة المصرية

يوسف منصور صديق أفندي
صاحب الحمية ... منحناكم رتبة الملازم أول
بناء على ... العريضة
واصدرنا أمرنا هذا ...

لما أبداه حضرة الملازم الثاني يوسف أفندي منصور صديق من ضباط مدافع الماكينة الأولى المشاه
من الغيرة والشهامة في القيام بواجباته وما اتصف به من الأخلاق
المرضية تجاسرنا بتقديم هذا الرجاء للسدة العلية الملكية ملتمسين
١٩٣٨
منح هذا الضابط رتبة الملازم الأول ... جزاء حسنا لإخلاصه في العمل
وتشجيعا لأقرانه في ساحتها السنية والأمر لولي الأمر

ملحق رقم (٥) وثيقة ترقية يوسف صديق ومنحه رتبة ملازم أول عام "١٩٣٨".

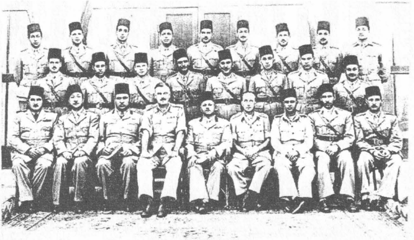

ملحق رقم (٦) يوسف صديق أثناء عمله مدرسًا بالكلية الحربية وترتيبه فى الصورة الخامس من اليمين فى الصف الثاني، ويوسف السباعى الثالث من اليسار فى الصف نفسه، وفى الصف الأعلى الشهيد عبد المنعم رياض الثالث من اليسار.

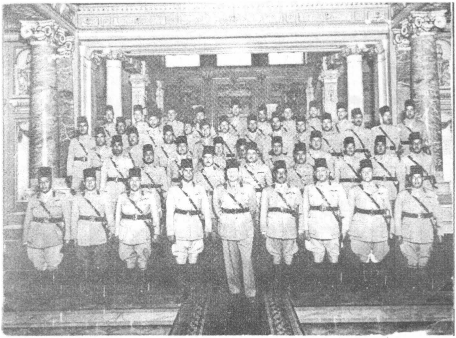

ملحق رقم (٦) مكرر طلبة الكلية الحربية الملكية دفعة "١٩٤١"، ٢٧ مارس.
يوسف صديق الثالث على اليمين فى الصف الثالث من أعلى، وزكريا محى الدين الثانى على الشمال فى الصف الأول من أعلى، ويتقدم الصورة الملك فاروق.

أدارة اللــواء الثانى المشاة
قيد ضابط ١ ـ ٢ / ٤٨
أسدود فى ١٩٤٨/٧/٣١

بخصوص ـ ترك حضرة الصاغ أركان حرب يوسف افندى منصور صديق من ك ٧ بنادق فى الترقى لرتبة بكباشى

حضرة صاحب العـزة قائد عام القوات المصرية بفلسطين

أتشرف بأن ارسل لعزتكم مرفوقه كتاب الـ ٧ بنادق مشاة رقم ١/١/٤٨/ سرى / ٢٦٦ بتاريخ ١٩٤٨/٧/٢٩ عن الموضوع المشار اليه بعاليه رجاء الاطلاع وأنى أوصى مشددا بالنظر فى أمر ترقية حضرته حيث أنه ضابط ممتاز شجاع فى خدمة الميدان .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

أمير ألاى
(امضــاء)
قائد اللواء الثانى المشاة ...

طبق الاصل
يوسف

رئاسة اللواء الثانى المشاة
رقم القيد ١/٢/٤٨/٣٧
غزة فى ١٩٤٨/١١/٩

بخصوص ـ منح أجازة لحضرة الصاغ (أ . ح) يوسف افندى منصور صديق من ك ٧ بنادق مشاة

صاحب السعادة قائد القوات المصرية بفلسطين

أتشرف بأن ارسل لسعادتكم الالتماس المقدم من حضرة الصاغ (أ . ح) يوسف افندى منصور صديق الوارد بكتاب الكتيبة السابعة بنادق مشاة رقم ١/١/٤٨/٣٧ بتاريخ ٧ الجارى رجاء العلم بأنى أقدر شخصيا ماعليه حضرته من أقدام وتضحية ووضع نفسه فى أخطر جزء فى قطاع كتيبته باستمرار فى أى مكان خصص للكتيبة ولذا أعرض التماس حضرته وأرجو وضعه موضع التقدير ردا لروحه العالية .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

لواء أمضاء
قائد اللواء الثانى مشاة

ملحق رقم(٧) طلب مقدم من يوسف صديق للقائد العام للقوات المصرية بفلسطين للنظر فى أمر ترقيته.

حضرة صاحب العزة قائد قسم القاهرة

أتشرف برفع مظلمتي الى عزتكم رجاء التكرم بالنظر

١ — بتاريخ ٤٨/٧/٢٩ ظهرت النشرة العسكرية وانا في الميدان وليس فيها اسمي بين اقراني الذين رقوا لرتبة البكباشي اعتبارا من ٤٨/٧/٧

٢ — تشرفت بمقابلة معالي الوزير يوم ٤٨/٨/٩ للوقوف على اسباب تركي فعلمت من معاليه ان ذلك جاء نتيجة تقرير كتبه في حقي ضابط مخابرات القتال اثناء وجودي بالاسماعيلية — فلما طالبت معاليه باجراء تحقيق في محتويات هذا التقرير لاظهار حقيقة موقفي اكتفى معاليه بالاقتناع بأن هذا الجزاء ما دام قد وقع بدون تحقيق فهو جزاء غير عادل فوعدني باعادة حقي كاملا في اقرب فرصة

٣ — عدت الى كتيبتي بالميدان (ك ٧ بنادق مشاه) بتاريخ ٤٩/١/٢٢ بعد اجازة مرضية وكانت قيادتها اثناء الاجازة قد اسندت الى حضرة القائمقام اركان الحرب علي علي عامر الذي لم يكن قد رآني قبل ذلك ولم أتشرف بالخدمة معه فوجدت ان حضرته قد طلب من رئاسة القوات بفلسطين نقلي من كتيبته لعدم رغبته في تعاوني معه وعلمت ان ذلك نتيجة السمعة السيئة التي تسببت عن تقرير ضابط المخابرات — وفعلا اعادتني رئاسة القوات بدون مناقشة الى القاهرة حيث الحقت بالكتيبة ١٥ التي اعمل بها الآن

٤ — في ١١ فبراير سنة ٤٩ ظهرت النشرة العسكرية العدد الثاني والذي رقيت فيه الى رتبة البكباشي غير ان الترقي لحتسب لي من ٤٨/١٢/١ وليس من ٤٨/٧/٧ فلم يتحقق لذلك وعد معالي الوزير في اعادة حقي كاملا وبذلك اكون قد تحملت جزاء لا مبرر له وقد اساء الى هذا الجزاء ماديا وادبيا

٥ — بتاريخ ٤٩/٣/٢ استدعيت للشهادة امام مجلس عسكري عالي عقد برئاسة عزتكم في قسم القاهرة لمحاكمة الملازم اول محمد جلال ابراهيم حافظ من سلاح الصيانة على اخطاء نسبت اليه في الميدان فتأجل هذا المجلس الى ٣/٥ ثم الى ٣/١٧ ولم استدع بعد ذلك لتأدية الشهادة امام المجلس المذكور وعلمت أنه قد الغى على ان تنظر لجنة الضباط في أمر الضباط المنسوب اليهم اخطاء في هذا المجلس عند النظر في أمر ترقيتهم الى رتب اعلى ولما كنت ضمن هؤلاء الضباط وكنت مستريحا لاجراء هذه المحاكمة لتبيين موقفي واضحا أمام عدالة المجلس فقد ساءني ان يلغى هذا المجلس ويترك الامر للجنة الضباط

ولما كان التقرير كتبه ضابط مخابرات مغرض قد أساء الى هذه الاساءة البالغة وقررت لجنة الضباط تركي في الترقي نتيجة وجوده في ملف خدمتي في الصورة الموجودة لدى كاتم اسرار حربية — فانني اجد نفسي قلقا على مستقبلي وانا متهم باخطاء نسبت الي في الميدان وترك امر النظر فيها الى لجنة الضباط حيث لا يوجد من يدافع عن حقي ومن يحميني من التعرض لجزاء آخر بدون مبرر توقعه هذه اللجنة دون تحقيق كما سبق ان فعلت

٦ — كتبت الى رئاسة ادارة الجيش بتاريخ ٤٩/٣/٢١ أسأل عن سبب الغاء المجلس العسكري بكتاب الكتيبة رقم ٤٩/٩/٣ سري/٦٦ بتاريخ ٣/٢٢ لرئاسة اللواء الخامس المشاه لعلي احصل منها على رد مطمئن فلم ترد للآن

وانني التمس من عزتكم انصافي وذلك بالاتي . —

ا — باعادة النظر في تقرير تاريخ ترقيتي لرتبة البكباشي ليكون من ٤٨/٧/٧ حيث لا يوجد مبرر لتأخيري الى ٤٨/١٢/١.

ب — سحب التقرير الذي كتبه ضابط المخابرات من ملف خدمتي حتى لا يظل تأثيره السيء [illegible] على مستقبلي بدون مبرر

جـ — استئناف التحقيق معي امام هيئة تحقيق في الاخطاء المنسوبة الي في الميدان [illegible] ما يتعلق بهذه الاخطاء من ملف خدمتي حتى لا أعيش مهددا وقلقا وحتى اتفرغ لعملي بقلب مطمئن في خدمة الله والملك والوطن

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ...

بكباشي [illegible]

[illegible]

ملحق رقم (٨) وثيقة تفيد بتقدم يوسف صديق لطلب إجازة له.

(٤١٦)

مذكرة
عن الحركة الشيوعية

اتصل بنا أحد مندوبي الادارة واخطرنا بأنه اتصل به أحد أعضاء الشيوعية وعرض عليه الانضمام لهيأتهم فطلب منه مهلة ليفكر في ذلك وعرض الامر على خشية أن يلحقه السوء اذا ما ظهر شيئا فكلفناه الانضمام اليهم ومعرفة اغراضهم ومن يتصل بهم من رجال القوات العسكرية بصفة خاصة وبناء على ذلك قابل هذا العضو وابدى رغبته في الانضمام لهيأتهم . وفعلا تمت هذه المقابلة وقدم التقرير الاتي :

بناء على الاوامر الصادرة لي تقابلت مع أحد الاعضاء وابديت له رغبتي في الانضمام لهيئاتهم . وفعلا خرجنا يوم ٥ الجارى الساعة ١٤٠٠ تماما الى ميدان باب الخلق حيث كان على موعد مع أحد الاعضاء تحت الساعة الموجوده بالميدان وقابلنا هذا العضو مرتديا ملابسا مدنية لم اتمكن من معرفة اسمه حاليا واتفقنا على حضوره لمنزلي في الساعة ١٠٠٠ يوم ٦/٢/١٩٤٨ وحضر فعلاً ويرافقه آخر يدعى " على " اسم رمزى . هذا ماعرفته في سياق الحديث وقد تركنا الاول وبقى معى على واطلعنى على بعض المنشورات للجمعية وسلمنى فعلا الجريدة المعنونة (الاجير) من صفحات اربعة وهى التى سلمت اليهم لنظير دفعى ثمنها المذكور عليها وهذه الجريده تصدر مره كل اسبوع وتسلم لكل عضو يدا بيد _ نظامها دفع اشتراكات شهرية حسب طاقة كل عضو وفعلا قدمت اشتراكى وقدره ٣٠ قرشا .

تلقى محاضرات سهمه كل اسبوع واحده على كل مجموعه وهذه مكونه من اربعة اعضاء على رأسهم محاضر ويطلق على الاخير " مسئول "

سمعت منه اول محاضرة عن الامن للعضو في الداخل والخارج وكيفية الاتصالات من اى هجوم او استرقاق للسمع او مفاجآت وضمن تعليماتهم احراق الجرائد بعد قراءتها مباشرة . اتفقت معه على سماع محاضرتين فى كل مره للاسبوع الواحد .

الغرض من هذه الجمعية " المساواة بين جميع سكان القطر لا فرق بين حاكم ومحكوم " نظامها بعد أن يتم العضو سماع هذه المحاضرات وقراءة جريدتهم والنشرات التى تصدر يكون قد الم الفكرة وبذا يصبح (مسئولا) ويلقى محاضراته على خلية اخرى من اربعة افراد كما سبق ذكره .

الى هذا الحد انتهى من محاضرته هذه في الساعة ١١٣٠ نفس اليوم على ان يعود ويرافقه الجريدة وبعض ما يتيسر احضاره للاطلاع عليه في نفس الموعد زمانا ومكانا الاسبوع المقبل ١٣/٢/١٩٤٨

٧/٢/١٩٤٨

ملحق رقم (٩) نماذج لتقارير إدارة المخابرات الحربية حول تسلل الحركة الشيوعية داخل الجيش.

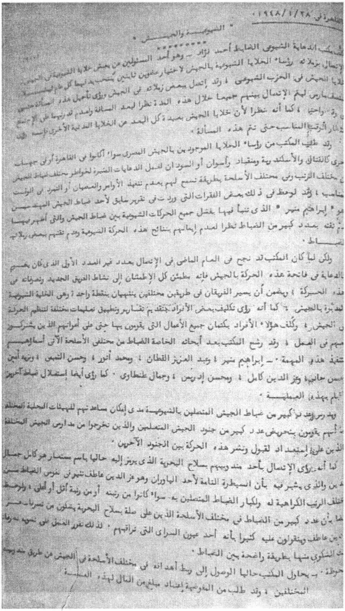

القاهرة في ٢٨/١/١٩٤٨.

"الشيوعيـة والجيـش"

كلف مكتب الدعاية الشيوعي الضابط أحمد فؤاد – وهو أحد المسئولين من بعض خلايا الشيوعيين – الإتصال بزملائه رؤساء الخلايا الشيوعية بالجيش لاختيار عضوين نائبين ينتخب بدلهما كل عام ... خلايا الجيش في الحزب الشيوعي ، وقد إتصل ببعض زملائه في الجيش ورؤى تأجيل هذه ... منتصف مارس ليتم الإتصال بينهم جميعا خلال هذه المدة نظرا لبعد المسافة ... واحتياطا ، كما أنه نظرا لأن خلايا الجيش بعيدة كل البعد عن الخلايا المدنية الأخرى ... إنتظار الترتيب المناسب حتى تتم هذه المسألة.

وقد طلب المكتب من رؤساء الخلايا الموجودين بالجيش المصرى سواء أكانوا في القاهرة أو في جهات أخرى كالقناة والأسكندرية ومنقباد وأسوان أو السودان لعمل الدعايات المثيرة لخواطر مختلف ضباط الجيش من مختلف الرتب ومن مختلف الأسلحة بطريقة تسمح لهم بعدم تنفيذ الأوامر والعصيان أو التمرد في الوقت المناسب ، وقد لوحظ في ذلك بعض الفقرات التى وردت في تقرير سابق لأحد ضباط الجيش المهندسين وهو "إبراهيم منير" الذى تنبأ فيها بفشل جميع الحركات الشيوعية بين ضباط الجيش والتى أظهر بها ... ثقته بعدد كبير من الضباط نظرا لعدم إيمانهم بنتائج هذه الحركة الشيوعية وعدم ثقتهم ببعض زملائهم الضبـاط.

ولكن لما كان المكتب قد نجح في العام الماضى في الإتصال بعدد غير العدد الأول الذى كان يهتم بالدعاية في فاتحة هذه الحركة بالجيش فإنه يطمئن كل الإطمئنان إلى نشاط الفريق الجديد وتصرفاته في هذه الحـركة ، ويضمن أن يسير الفريقان في طريقين مختلفين ينتهيان بنقطة واحدة وهى الخلية الشيوعية المدبرة بالجيش ، كما أنه رؤى تكليف بعض الأفراد بتقديم تقارير وتطبيق تعليمات مختلفة لتنظيم الحركة في الجيش ، وكلف هؤلاء الأفراد بكتمان جميع الأعمال التى يقومون بها حتى على أقرانهم الذين يشتركون معهم في العمل ، وقد رشح المكتب بعد أبحاثه الخاصة الضباط من مختلف الأسلحة الآتى أسماؤهم لتنفيذ هذه المهمة :- إبراهيم منير ، عبد العزيز القطان ، ومحمد أنور ، وحسن الشمس ، ... حسن حافظ ، وعز الدين كامل ، ومحسن إدريس ، وجمال عنطاوى . كما رؤى أيضا إستغلال ضباط آخرين ... بهذه العمليـة.

... عدد كبير من ضباط الجيش المتصلين بالشيوعية مدى إمكان مساعدتهم للهيئات المحلية المختلفة ... أنهم يقومون بتحريض عدد كبير من جنود الجيش المتعلمين والذين تخرجوا من مدارس الجيش المختلفة الذين على إستعداد لقبول ونشر هذه الحركة بين الجنود الآخرين.

كما أنه رؤى الإتصال بأحد منديهم بسلاح البحرية الذى يرمز إليه حاليا باسم مستشار هو كامل جمال ... الذى يشير فيه بأن السيطرة التامة لأحد الياوران وهو عز الدين عاطف تثير ... الضباط من مختلف الرتب الكراهية له ولكبار الضباط المتصلين به سواء كانوا من رتبته أو من رتبة أقل أو أعلى ، ... كما أن عدد كبير من الضباط في مختلف الأسلحة الذين على صلة بسلاح البحرية يشكون من تصرفات ... عز الدين عاطف ويتقولون عليه كثيرا بأنه أحد عيون السراى التى تراقبهم . لذلك تقرر العمل على ... الشكوى منها بطريقة واضحة بين الضباط.

ملحوظة :- يحاول المكتب حاليا الوصول إلى ربط أعضائه في مختلف الأسلحة في الجيش من طريق ... المختلفين ، وقد طلب من الموجهة إعتماد مبلغ من المال لهذه المسألة.

نماذج لتقارير إدارة المخابرات الحربية حول تسلل الحركة الشيوعية داخل الجيش.

الشيوعية وضباط الجيش

كتب أحد موظفي السفارة الفرنسية تقريرا عن نشاط الشيوعيين/ يتعلق بتغلغل الشيوعية وضباط الجيش [illegible] فيه ما يأتي :-

١ - أن الاضطرابات التي حدثت في الجيش المصري في الأيام الأخيرة والتي لم يفتضح لها أسباب حتى الآن بدأت بقيام خلية شيوعية تدخلت في شئون الضباط المختلفين من مهندسين وأطباء وخريجي جامعة ، وكان يعمل في الخلية الأولى الآتي أسماؤهم :-

محمود النجار ، وحامد شكري ، ومحمد مصطفى ، ومحمد صادق ، والدكتور ابراهيم محمود وبدأت جملة تشكيلات متشعبة تعمل في داخل وحدات الجيش منذ بداية شهر ديسمبر الماضي مستغلة جميع الجهود المختلفة للخلايا الشيوعية الأخرى في الجيش .

٢ - اتصل عبد العزيز جلال أحد الضباط بضباط آخرين ونشر بينهم حركة اظهار عدم الثقة بالرؤساء في مختلف وحدات الجيش في مصر والسودان وبدأت الجلسات تتم ويتم معها قرارات بعضها يؤثر على مدى طاعة هؤلاء الضباط للقوانين العسكرية .

٣ - تدخل ابراهيم حسانين وأمين كامل عن طريق الصاغ محمود حسان عبد العزيز والصاغ حنا توفيق حنا في نشر هذه الحركة في حفر السواحل بالنسبة للأول وفي بعض الألوية الأخرى بالنسبة للثاني ، واستغل الجمعية التراثية الموجودة في عدد كبار الضباط من مختلف الرتب مثل ابراهيم عطا الله ، وبدأ الملازم على شريف وعبد العزيز محمد واليوزباشي موسى حليفة في تنظيم اتصالات قوية خارجية بعض المدنيين الذين لهم صلة بالشيوعية مثل رشيد التيجاني المحامي وآخرين ، وعلى اثر تعليمات رشيد هذا نشطت الحركة وبدأوا يعملون بنظام جديد يهيئ لهم النجاح في سبل العمل المختلفة ، وقد اتفق على أن يكون الضباط الآتية أسماؤهم بند ربطهم للاتصال بالحزب الشيوعي

عادل العمري ، محمود النجار ، عزيز البسيوني ، سامي أبو النجا ، عبد الرحمن شميس ، محمد عبد التواب ، عبد العال ساهين ، محمد العيسوي . على أن تكون أعمالهم في فترة شهر فبراير الحالي قوية جديدة فعالة لم أثرها في اعادة الترابط بين الخلايا الشيوعية المختلفة بالجيش وايجاد ترابط بينها وبين العناصر المدنية الأخرى .

نماذج لتقارير إدارة المخابرات الحربية حول تسلل الحركة الشيوعية داخل الجيش.

قواعد لدور ويتجه يسارا لمواجهة العربة وينفذ ما أمرته به وفعلا تقدمت من
الخلف عربة القائد في منتصف الصينية من جهة يسار الخروج كما يبينه الرسم

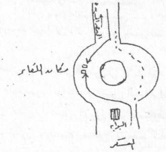

وقفت عربة القائد على قيد أمتار من بوابة المعسكر - ونزل الضباط
والسائق وشهروا أسلحتهم حسب الخطة الموضوعة وأنا معهم - فرآني القائد وكان
يعرفني جيدا فقال بصوت مسموع فيه مزيج من الخوف والتلهف مين ؟؟
يوسف ؟؟

واستسلم (القائد) - ولم يكن له غير مطلب واحد هو أن نؤمنه
على حياته - فوعدته بذلك مادام يطيع الأوامر - فوعد بذلك - ووضع نفسه
تحت أمرنا...

وخطر لي خاطر أن أنزع (بيرية القيادة) من على عربته - غير أني شغلت عن
ذلك بإصدار الأوامر الجديدة لاستئناف السير..

أمرت عربة القائد الأسير بأن تتبع عربتي مباشرة وكونت خلفها اللوري
الأول الذي يحمل الفصيلة الأولى ولتوجه النيران من عربتيه إلى عربته وأصدرت
أوامري بإطلاق النار فورا على عربته إن هي حاولت الخروج عن خط السير في
محاولة للهرب..

وهكذا بدأنا السير من جديد على الترتيب الآتي:

عربتي الجيب في المقدمة - وليس عليها ما يدل على أنها عربة القائد
حيث لم تكن رتبتي تسمح بذلك - وتليها عربة القائد الأسير يرفرف عليها علم
القائد الذي لم يعد له أي سلطة - ثم اللوري الثاني المحمل بالضباط والجنود
ثم باقي اللوريات الفارغة - وفي الخلف عربة (عبد المجيد شديد وزغلول)
واستأنفنا سيرنا نحو القيادة العامة حسب الخطة المعدة - وليس من
جديد على الخط سوى هذا الأسير الكبير (قائد الفرقة)
وفي الطريق - دارت في رأسي تساؤلات كثيرة...

ملحق رقم (١٠) رسم كروكي ليوسف صديق لحظة التقائه باللواء مكي، واعتقاله.
صفحة رقم ٣٥ من مذكرات يوسف صديق غير المنشورة.

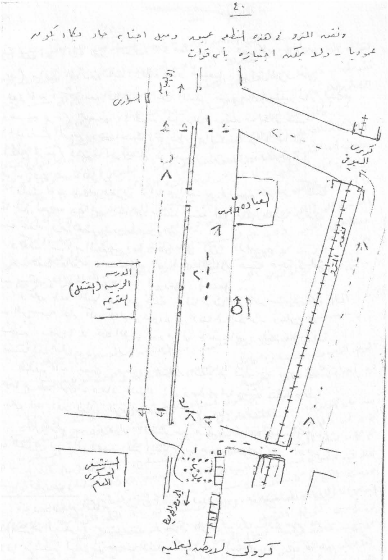

ملحق رقم (١١) نسخة من رسم كروكى لأرض المعركة بخط يوسف صديق، صفحة رقم ٤٠ من مذكراته غير المنشورة، توجد بقاعة ٥٢ بالمتحف الحربى.

٤٢

ولا أحب أن أترك هذا الموقف بلا تعليق - فقد كان الزميل
(حسين فريد) رابط الجأش ثابتا وكان يبدو طبيعيا - لا أثر للخوف على
وجهه - لقد كان أشجع من قابلت في تلك الليلة من رجال الجيش خارج التنظيم!
(وحسين فريد) جمعتني به الخدمة قبل ذلك مرتين - الأولى عندما
كنت تلميذا بالمدرسة الحربية وهو أستاذي فيها - والثانية وأنا ضابط
مدرس (بالكلية الحربية) وهو رئيسي في العمل - ولا أترك الكلام قبل
أن أوجه تحية هو أهل لها ...
ولقد كان الظلم يغزوني وأنا في الجيش في السنة الأخيرة ولكنت
أطلب مقابلته لعرضه وظلمي عليه - وملئت الكتب لدى عام طالبا ذلك
واثقا من عدله ونزاهته دون جدوى
وهكذا شاء القدر أن نلتقي على هذه الصورة
واتفق قائدي واستأذن إلى باب القيادة حيث حييت وسلمت
(لعبد المجيد شديد) هو وخارج ليودعهم المعتقل ...
وعلى باب القيادة فوجئت بالقائم مقام (أحمد شوقي)
في ملابسه الرسمية ولم أكن أعلم بوجوده في الضباط الأحرار وعلمت أنه
جاء بكتيبته متطوعا في تلك الليلة - وحياني بابتسامة رقيقة. وانصرفت
عنه لأستأنف عملي ...
فلقد كان معنى وجود هؤلاء الضباط فقط في مكتب القائد
أن الاجتماع قد انتهى - وعاد القواد إلى وحداتهم لممارسة المقاومة
وكان على أن أعد قواتي لأي اشتباك محتمل ... وفوري ...
وعلى الرغم من وجود العشرين عسكري بقيادة (أحمد الدسوقي)
فقد كانت القوة لا تزال أصغر من القيام بواجب الدفاع على الوجه
المطلوب.

(X)

السماء تمطر جنودا

بعد توديع القائد - بدأت أمارس قيادتي ... فوجدت عددا كبيرا
من رجال (الشرطة العسكرية) محشورين في غرفة الحرس - ولما سألت عنهم علمت
أنهم كانوا مرسلين لتعزيز حرس القيادة غير أن المفصل ١ قد قابلهم
عند النقطة (ل) المبينة بالكروكي - أي على بعد خطوات من باب القيادة
وان (عبد المجيد شديد) استقبله معهم وجردهم من سلاحهم ووضعهم
في هذه (الحجرة) - وسمعت واحدا منهم يناديني بأعلى صوته - فلما اقتربت
منهم وجدته (حاديشا) من الشرطة ...

ملحق رقم (١٢) صفحة رقم ٤٣ من مذكرات يوسف صديق غير المنشورة.

ساد جلستنا صمت لبعض الوقت قطعته بتساؤلي : هل تعلم سببا لتأخر
القوات الأخرى عن القيام بدورها ؟.. فأجابني (حسين) انها لم تتأخر ولكنك انت الذي
تقدمت - فلم تكد تجيء ساعة الصفر بعد ... وسألته في عجب : كم هي ساعة
الصفر فيما تعلم ؟ فأجاب : انها الساعة الواحدة من صباح اليوم (٢٣ يوليو)
وكانت هذه اول مرة اعلم فيها انني تحركت قبل ساعة الصفر بساعة كاملة ..
ولقد كان الضابط (زغلول) الذي حمل الى (ساعة الصفر) يرافقني - (وزغلول) ضابط
ويعلم أن التقديم في الوقت مضر كالتأخير تماما - خصوصا اذا كان لوقت طويل
(فساعة كاملة) تعتبر وقتا طويلا في مثل هذه الظروف - ومع ذلك فانه حضرني
وانا أجمع ضباطي قبيل انتصاف الليل واصدر اليهم اوامري - ثم رآني وانا
استولي على (اللواري) وأضع جنودي فيها بعد ان خطبت فيهم كاشفا لهم
عن العمل الكبير وصحبتهم للاستقبال - ولم يحرك ساكنا - ولم يعترض على
هذا التبكير ... كل ذلك جعلني اعتقد انني اتصرف حسب الخطة الموضوعة
واني تحركت في موعدي المحدد ...

الله وحده

ازهلني الخبر الذي سمعته من (حسين احمد الدسوقي) بتحركي قبل
الموعد المرسوم بساعة كاملة . وجعلني استغرق في صمت طويل استعيد
فيه أحداث تلك الليلة العجيبة
لقد تحركت قبل الموعد بساعة كاملة ومع ذلك فانني كنت ادفع الخطر
من على الأبواب ... فلقد دفعت خطر دخول قائد الفرقة الى المعسكر حيث
كان له وحده الأمر والنهي والتصرف - على قيد أمتار من بوابة المعسكر -
ثم كان لقاء الفصيل الاول مع رجال الشرطة العسكرية في النقطة (ب) كذلك
على قيد خطوات من مدخل القيادة العامة - ومعنى وصولهم قبلنا وتعزيز قوة
حرس القيادة كان لاشك سيزيد من صعوبة موقفنا ويؤثر في سرعة
اجتيازنا (للقيادة العامة) - والذي لاشك فيه ان الخطة التي كانت قد رسمت
في رأسي لتحرك الفصيل الاول بالدوري لتجنب الاشتباك مع حرس القيادة
كانت ستعطي فرصة لرجال الحرس من تأدية مهمتهم التي كانوا قد ارسلوا
لتأديتها - وان تغيير ذلك بالتحرك (بالخط السريع) من يسار الطريق
هو الذي هيأ للفصيل الحيلولة دون ذلك - ولولا ان اتيح لي الاستمتاع
بتحكمي في وضع الخطط
تولى التصحيح بتدبير
وهكذا رأيت أن الله سبحانه وتعالى قد (أفسد تدبير الأعداء)

ملحق رقم (١٣) صفحة رقم ٤٥ من مذكرات يوسف صديق، غير المنشورة.

٢٠

والأمر كله إذا تدبرناه مليا فإننا لن نختلف على أن كل نجاح صادفناه في
تلك الليلة إنما جاء نتيجة (خطأ) وقعنا فيه في تدبيرنا - فخروج ساعة قبل الموعد
كان (خطأ) لا شك في ذلك - فإن الخطط العسكرية توضع متماسكة متكاملة - فتحرك
خطوة قبل موعدها بساعة كاملة تربك العمل ويعرضه لأخطار جسيمة. مثله في
ذلك مثل التأخير - وربما كان فرق دقائق قليلة مؤثرا - فما بالك بساعة كاملة
٦٠ دقيقة ؟؟...

وكان الخطأ الثاني وهو نزول الجنود بحماس من اللوري عند تلقي أصوات
الأوامر - بالفم المفصل! لكن لكنت دبرت وصولي باللوري من خلف
مبنى القيادة لتجنب الاشتباك مع حرس القيادة - هذا النزول بدون أوامر
كان خطأ - لأن كل شيء في الجندية بالأوامر.

غير أنه ولما كانت طبيعة الأمور تقول بأن (الخطأ) يوصل إلى (الفشل)
ولكن حوادث تلك الليلة جاءت بوضوح أن الخطأ لم يوصلنا إلى النجاح فحسب
بل أن كان (الحل الوحيد) الذي يبنى عليه النجاح.

وهكذا كان الله وحده هو الذي دبر وقدر في هذه الليلة
التي لا أغالي حين أسميها (ليلة عمري) - وكيف لا تكون ليلة عمري ليلة
قضيتها مع الله وكنت في طاعته ورضاه ؟...

وأفقت من جولتي في أحداث تلك الليلة على أزيز محركات الدبابات
التي كانت تعلن تحرك القوات الأخرى
ولم أسمع في حياتي صوتا أجمل وأحلى من صوت أزيز المحركات العالية
مع ما فيه من نشاز مزعج - ودخلت وصحبي الأخ (حسين محمد الدسوقي) لنجلس
في مكتب القيادة
ولم تمض دقائق حتى جاء حارس من رجال الشرطة العسكرية
ليخبرني بوجود ضابطين على الباب يريدانني وإن أحدهم هو (البكباشي
جمال عبد الناصر) - وأذنت لهما بالدخول - وكانا في هذه المرة يرتديان الملابس
العسكرية X

وهكذا انتهت هذه الليلة المجيدة الخالدة (ليلة عمري)
X

يوسف صديق

ملحق رقم (١٤) الصفحة الأخيرة من مذكرات يوسف صديق غير المنشورة.

[illegible] يصيب برحمته من يشاء . غير أن منطق الأمور يقول إن رحمته سبحانه وتعالى مرتبطة بعدله

ولقد كنت فى هذه الليلة على طريق الله ... خرجت بضباطى وجنودى لا أبغى إلا وجهه - خرجت ثائرا على الظلم والفساد - لا أبغى منصبا ولا جاها لنفسى وإنما أعرض نفسى للخطر الذى بدأت أشعر بقربه فى سبيل تخليص بلادى مما كانت تئن تحت وطأته

وكنت أسير فى ظلمات .. ظلام الليل - وظلام الجهل بما يجرى وكانت العوائق تزداد على الطريق - وصلتى بالقيادة التى تدير العمل منقطعة تماما فتمنيت على الله أن أتصل (بجمال) لعلى ألحق ببعض الصور فى هذه الظلمات الحالكة التى كنت أسير فيها ..

ولم نكد نستقيم فى وضعنا على الطريق الجديد - الذى دخلت عن طريق الخطأ .. حتى أخبرنى الضابط المراقب للخلف - أن القوة توقفت .. وذكرنى (ثروت عكاشة) وابتسمت رغم كل شئ ... ونزلت من عربتى لأرى ...

غير أنى فى هذه المرة لم أر عدوا جديدا أتى من الطريق الرابع - ولكنى رأيت (الله) سبحانه وتعالى ..

لم أكد أجتاز عربة اللورى التى تتبعنى - حتى رأيت أمام اللورى الأول الذى يحمل رجالى جمهرة وسمعت (غوغاء) فلما أسرعت إلى مكانها وجدت بعض ضباطى وجنودى يحيطون برجلين يرتديان ثيابا مدنية (قمصان بيضاء وبنطلونات) - ويجرى بينهم مشادة كلامية

ملحق رقم (١٥) الجزء الأخير من الصفحة رقم ٣٨ من مذكرات يوسف صديق.

حاميه - فلما اقتربت لاتبين الوجوه في الظلام - رأيت عجباً ...
فلقد كان الرجلان (جمال وعبد الحكيم) ...

لم يكن الخاطر يمر ببالي منذ لحظة - ولم أكد أتمنى أن أرى (جمال) منذ ثوان حتى قال لي الله القادر على كل شيء: هذا هو (جمال) بين يديك (أسير جندك ورجالك)..

انتابني احساس عميق بأنني في رعاية الله .. ورأيت أن النصر قد أصبح محققاً بفضل الله ...

خلصت الرجلين من قبضة رجالي - وانتحيت (بجمال وصاحبه) جانباً حتى لا يكون حديثنا في دائرة مسمع الأسيرين الكبيرين ... والقى (جمال) بالصورة التي كنت ارتقبه دائماً..

علمت من (جمال) أن أمر الحركة قد انكشف (للملك) الذي كان يصطاف في الاسكندرية - وأنه قد تم الاتصال بالقيادة في (القاهرة) وأن هذه القيادة مجتمعة في مقرها لاتخاذ إجراء مضاد...

فشكرته على هذه المعلومات الجديدة - وأخبرته انني كنت قد قررت احتلال القيادة - وانني سأقوم بذلك فوراً - وكان قد حضر مع زميله في عربته الخاصة (عربة جمال) - وأسرعت إلى عربتي في مقدمة القوة - وذهبا هما ليستقلا عربتهما ويسبقاني الى أرض المعركة...

المعركة

المسافة بين شارع السلطان حسين حيث كنت وبين مقر القيادة العامة في (كوبري القبة) لا تزيد عن ٢ كيلومتر أو ثلاثة على أكثر تقدير... تقطعها القوة في عربات في دقائق...

وكان علي في هذه الدقائق أن أضع خطة لاحتلال القيادة وأقوم بالتنفيذ على وجه السرعة - حيث أن كل دقيقة بل كل ثانية أصبحت لها قيمة كبيرة

والجديد الذي طرأ على خطتي السابقة هو انني سوف لا أذهب لاحتلال القيادة على غرة - وانني قد أتعرض لمقاومة من الحرس - وربما من الضباط المجتمعين - ولو أنهم قد لا يحاولون غير الطبيعيه في الغالب

وأرض المعركة أعرفها جيداً وبالتفصيل: مما ساعدني على الخطط بدقة وعناية وسرعة.

ملحق رقم (١٥) مكرر الصفحة رقم ٣٩ من مذكرات يوسف صديق.

ملحق رقم (١٦) يوسف صديق بجانب اللواء محمد نجيب
بعد نجاح الثورة فى مبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة،
بمكتب رئيس أركان حرب حسين فريد.

ملحق رقم (١٧) هذه الصورة التقطت الساعة الثامنة من صباح يوم ٢٢ يولية،
فى مكتب الفريق حسين فريد بعد السيطرة على مبنى رئاسة الأركان.

ملحق (١٨) الصورة تجمع القائمقام أحمد شوقى والبكباشى يوسف صديق، قائدى الكتيبتين (الكتيبة ١٣، مقدمة مدافع الماكينة الأولى) مع ضباط الكتيبتين الذين شاركوا فى حركة الجيش.

أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائماً لأمتنا ونبتغى سعادتها ورقيها

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ونزولاً على إرادة الشعب

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة ١٣٧١ (٢٦ يوليه ١٩٥٢).

ملحق رقم (١٩) وثيقة تنازل الملك فاروق عن العرش.

ملحق رقم (٢٠) هذه الصورة التى تم التقاطها لأعضاء مجلس قيادة الثورة، لتوزيعها هدية عقب نجاح حركة الضباط الأحرار ليلة ٢٣ يوليو.

أنا الذي قبضت على رئيس أركان حرب الجيش!

قصة استقالتي من مجلس القيادة هي قصة الدستور!

علي ماهر حاول التخلص من تحديد موعد الانتخابات

القوات الإنجليزية كانت على بعد ٥٠ كيلومترا من القاهرة

استعمال العنف لا يكون إلا مع العدو الخارجي..!

الانقلاب الذي دبرته كان مجرد مظاهرة عسكرية

الجيش أصبح من الوطن حيث لا يستخدم ضد الشعب

ملحق رقم (٢١) حوار يوسف صديق، روزاليوسف العدد ١٣٤٦، ١٩٥٤/٣/١٩.

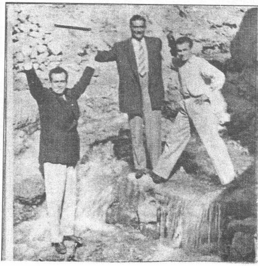

ملحق (٢٢) يوسف صديق فى حراسة اثنين من زملائه أثناء إبعاده إلى أسوان "١٩٥٣".

ملحق رقم (٢٣) يوسف صديق وزوجته علية توفيق،
قبل نفيه إلى سويسرا عام "١٩٥٣".

ملحق رقم (٢٤)
هذه الصورة تم التقاطها قبل نفى يوسف صديق إلى سويسرا عام "١٩٥٣"،
وقد ذهب لتوديعه (اليوزباشى جمال عبد الناصر، الصاغ عبد الحكيم عامر،
اليوزباشى عبد المجيد شديد، اليوزباشى محمود الجيار).

توحيدة

مضت من حياتي سنوات طويلة لم أتناول فيها القلم لأكتب به
في سلاسة من نبع العاطفة الثائرة التي حركها بحرك قوى
آثار كوامن وحرك دقائقها ... وانتهت هذه الفترة الطويلة من
الركود بوصول خطابك الأخير

لأول مرة منذ عهد طويل أقرأ شعوراً مسطوراً يحرك من
مشاعري ما ينتزع الدمع من هذه العيون الجامدة

لقد أبكاني جوابك كثيراً وأضحكني طويلاً ... كلمت الأعصاب
التي تحطمت من جراء استولت علينا من غموض موقف الرجل الذي
يضحك أن يكون مخ بأس - ثم على هذا الرجل الذي أعرف كل
لحظة أسى مرت به في أيامه الأخيرة

لقد مرت بي لحظات كثيرة يا توحيدة كنت أعرض نفسي
فيها للموت لأستريح وكان سوء الحظ حالفني حتى
حين طلبت الموت - وجاء خطابك كالسحر راقياً وشافياً
وكم أسعدني أن أرى في ظلمات الحياة العاصفة نور ذلك
العطف الفياض الذي انبعث من قلب طاهر ليدلني على أن
هناك بين الناس قلب تكن لي من العطف ما يخفف وطأة
أحداث الزمان الذي طالما عطفت على أهله ولم أجد لي منهم
من يعطف علي ... ولقد كانت أشد لحظاتي في الحياة من أكثر
الناس الذين أعطف عليهم وأحبهم

على أنني لا زلت بخير وأشكرك هذا العطف واشكرك وطيب
عنايتك بأولادي وسلمي لأهل منزلك وقبلاتي لك وللأولاد
والسلام الخاص للوالدة الكريمة وتقبلي الدعاء والسلام

زوجك
يوسف

ملحق رقم (٢٥) خطاب أرسله يوسف صديق إلى زوجته الأولى أثناء وجوده في المنفى بسويسرا.

ملحق رقم (٢٦) يوسف صديق مع ابنته سهير وزوجها الأستاذ محمود توفيق الأزهرى، وطفليهما، أثناء تحديد إقامته فى قرية زاوية المصلوب "١٩٥٣".

عبد الناصر ويوسف صديق

الجيش الآن وبسرعة فاذا فشلنا فستكون أشرف النهاية لنا ، كما سيقول التاريخ أننا حاولنا ولم ننجح بدلا من أن يقول اننا هربنا الى بيوتنا ..

. وقام يوسف صديق بالتسام رئاسة الجيش ، وأعتقل القادة الملكيين بها ، وبدأت أولى لحظات التحول فى تاريخ مصر .. ثم ظهرت طلائع الضباط الأحرار من ضباط العربات المدرعة والكتيبة ١٣ مشاة .. الخ .. بعدها ظهر عبد الناصر وعامر وزكريا فكمال حسين ثم أنور السادات ..

● اقرأ هذه الكلمات جيدا وتفهم التجسيم الصحفى فيها لموقف الثائر الحقيقى الذى حرصت على ابرازه ، هذا الموقف هو العامل الأول لنجاح التحرك العسكرى ساعة الصفر ، الذى حاول كثيرون من قادة يوليو نسبه لأنفسهم بعد النجاح . وكما هو معروف للنجاح ألف أب ، وللفشل اب واحد فقط !!

●● بقيت بعد ذلك قصة الخمر .. وهى بالضرورة قصة سخيفة لكنها الحقيقة والواقع يا عزيزى العقيد حسين . والجميع يعرف عن البطل الراحل يوسف صديق أنه كان يحتسى الخمر بين حين وآخر ، فالتاريخ مجموعة حقائق ووقائع وليس معلومات للاشادة بهذا أو بدور ذاك . يوسف صديق عاش انسانا بسيطا له ايجابياته وسلبياته له أعماله العظيمة وأخطاؤه الصغيرة صاحب مزاج فنى مثل جميع الثوار ولم يكن من الأنبياء أو المعصومين من الخطأ .

● وفى النهاية أقول لك يا صديقى الصغير العقيد حسين أن ضباط كتيبة يوسف صديق لم يذهبوا معه الى البار ليشهدوا بصحة الواقعة أو كذبها .. وقد حرصت من جانبى على تخفيف تفاصيلها فقلت «تأدبا» انه أى والدك خرج مبكرا عن الموعد ليلحق بإحدى الصيدليات من أجل حقنة طبية توقف النزيف الذى أصيب به ليلة الثورة مرتين ، ثم توقف هذا النزيف الى عام ١٩٦٩ قبل أن يذهب للبار بحثا عن تليفون كى يتصل بعبد الناصر وفى الحقيقة كانت الصيدلية هى الهدف الثانى وليس الأول أو كانت السبب الثانى وليس السبب الرئيسى لتحرك البطل مبكرا فأنقذ الثورة وغير مجرى التاريخ وكم من النزوات والأخطاء الصغيرة صنعت أعمالا تاريخية عظيمة !!

● نصل بعد ذلك الى ما وصفت بالكذب التام حول اصطحاب عبد الناصر ليوسف صديق فى بعض رحلاته الخارجية وردى هو ضرورة ذهابك الى البيت الثانى لأبيك ، حيث عاش سنواته الأخيرة وستجد بعض الصور لعبد الناصر ويوسف صديق فوق حوائط الصالون .. وهى صور التقطت خارج مصر ، ونكتفى بنشر واحدة منها اليوم

● لقد كان للرجل فكره اليسارى التقدمى كما كان له فكره الدينى الناضج . ولكنه لم يقبل أن يتحول الى اداة فى أيدى أدوات عبد الناصر أو موسكو أو امريكا أو محترفى الاشتغال بالدين الاسلامى حتى نهاية حياته ..

فهل يا ترى سار أبناؤه الكبار خاصة من ارتدوا أشرف الزى زى المقاتل المصرى هل ساروا على نهج الأب الرائد العظيم

حمدى لطفى

ملحق رقم (٢٧)

يوسف صديق أثناء استقباله لجمال عبد الناصر فى المطار عام "١٩٦٢"، مجلة الوادى، العدد ٤٠، أغسطس "١٩٨٢".

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة
رقم ١٧١٩ لسنة ١٩٦٣
بمنح معاشات استثنائية

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور المؤقت ،

وعلى الاعلان الدستورى الصادر فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ بشأن التنظيم السياسى لسلطات الدولة العليا ،

وعلى القانون رقم ٥٨ لسنة ١٩٥٧ فى شأن منح معاشات ومكافآت استثنائية ،

وعلى موافقة مجلس الرئاسة ؛

قرر :

(المادة الأولى)

يمنح كل من :

السيد ــ جمال سالم

السيد ــ عبد المنعم أمين

السيد ــ يوسف منصور صديق

السيد ــ خالد محيى الدين

معاشا استثنائيا يعادل ماتى الماهية وبدل التمثيل المقرر لكل من السادة الوزراء ،

على أن لا يتقاضى أى منهم مرتب عن أى عمل آخر .

(المادة الثانية)

يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره .

صدر برياسة الجمهورية فى ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٨٣ (١٢ أغسطس سنة ١٩٦٣)

(جمال عبد الناصر)

ملحق رقم (٢٨) قرار جمهورى بصرف معاشات استثنائية لكل من جمال سالم، عبد المنعم أمين، يوسف منصور صديق، خالد محى الدين.

الاهـــداء

إلى أرواح الذين سقطوا فى المعارك لزيدوا من أرباح تجار الحروب .

إلى كل إنسان ضللوه بزخرف القول فحمل السلاح وراح يقتل نفسه أو يقتل أخاه الإنسان . لصالح الشيطان .

إلى الذين قالوا : ربنا الله : ثم استقاموا .

يوسف صديق

١٩٧٢/٨/٢٧ .

ملحق رقم (٢٩) إهداء يوسف صديق فى كتابه ، "الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى".

الكلمة التى ألقاها العقيد أ. ح يوسف صديق عام ١٩٧٢ فى المركز
الثقافى السوفيتى احتفلا بعيد ثورة ٢٣ يوليو ((العشـــرين))

===============

أيها ألاصدقـــــاء

.... زخرف القول ليضلل الناس بالقول المزخرف المسمم حتى لقد زعموا لهم أن فى وجود الخبراء السوفيت الذين جاءوا متفضلين وبناء على طلبنا وجود استعمار سوفيتى يمس حرتنا وينال من استقلالنا ، وأننا انما استبدلنا استعمارا باستعمار ولما رأى قائد ثورتنا انهاء هذا الوجود ، وأمر بعودة الخبراء مشكورين الى وطنهم ، هلل الاستعمار وأعوانه وأذنابه وعملاؤه ، وراحوا يقدمون لنا التهانى على التخلص من الاستعمار الروسى ، بل انتهزوها فرصه سانحه للمطالبه بتصفية الصداقة العربيه السوفيتيه كلهـــا تأكيدا لحريتنا وضمانا لاستقلالنا . وأننا اذا احتجنا لسلاح فالنشتريه ، نشتريه من ألمانيا الغربيه أو من فرنسا أو من انجلترا مثلا مادمنا ندفع الثمن لمن يبيع . ومن يدرى .... ؟ لعل منهم من قال نشترى السلاح من اسرائيل .. ونعتمد على قوتنا الذاتيه .

أماكان الاولى بهوءلاء أن يسكتوا خزيا بعد اكتشاف زيف دعاواهم ؟ فهل يرحل الاستعمار بكلمه .... ؟

ان الوجود الاستعمارى الذى يحتل أجزاء من أراضينا هو الوجود الامبريالى المتمثل فى الوجود الاسرائيلى الذى لم يرحل رغم توجيه كلمات وكلمات كلها حق وعدل من قائـــد ثورتنا ، بل ورغم توجيه كلمات وكلمات كلها حق وعدل من الرأى العام العالمى متمثلا فـــى هيئة الامم المتحده ، بل كان يرد على كل كلمه بالتحدى السافر ، واعلان اصراره على البقاء بكل وقاحه ، فنحن نعلم أنه لن يترك الارض الا بالطريق الوحيد الذى يترك به الاستعمـــار الارض التى يحتلها طريق السلاح ، طريق القوه .

ان اعتمادنا على قوتنا الذاتيه أمر مفروغ منه ، سواء حاربنا بأصدقائنا أو بدون أصدقاء وخير لنا أن نطرد عدونا من أرضنا معتمدين على قوتنا الذاتيه ولنا على الارض أصدقـــاء فنحن فى عصر التكتلات وهناك دول أكبر منا وأقوى وأقدر ومع ذلك فهى ترى أنها لاتستطيع مواجهة الحياة العصريه الا فى التكتلات .

وللذين يشيرون بشراء السلاح من الغرب أوجه هذا السؤال . متى لجأنا الى الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى ليمدنا بالسلاح .... ؟

ملحق رقم (٣٠) الكلمة التى ألقاها يوسف صديق عام "١٩٧٢" فى المركز الثقافى السوفيتى، احتفالًا بالعيد العشرين لثورة ٢٣ يوليو.

ألمس بعد أن حقيت أقدامنا وبحت أصواتنا وراء أمريكا ... ؟ وبعد أن أقنعتنا بوضوح أن الغرب هو الرأسمال هو الاستعمار ، وقد رفض وسيرفض أن يمدنا بالسلاح لنضرب به الاستعمار ، وهذا أمر بديهى .

صحيح أن القوتين الاستعماريتين قد تقتتلان ولكن يكون ذلك من أجل غنيمة فهل نكون نحن هذه الغنيمة ... ؟ أكثر من.

أيها الناس ان للحق طريق واحد ، وللباطل طريق واحد ، وطريق الحق واضح لمن أراد الحق وهو الطريق الوحيد المستقيم المضئ ، وكل الناس تراه وكل الناس تعرفه ولا يحيد عنه الا ذو حاجه ينكرها الحق ويأباها واذا كان علينا ونحن فى عصر التكتلات أن نتخذ لنا صديقا ، فالنحسن اختيار الصديق وخير أصدقائنا هو الذى تتحد عواطفه مع عواطفنا نحو العدو ولن نجد هذا الصديق الا فى المعسكر الاشتراكى وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى العظيم الذى أثبتت التجربه أمانته ونبله كصديق ، وانني أسأل الله العلى القدير أن يهيأ لنا من أمرنا رشدا وأن يقينا شر تضليل المضللين ، وأن يهدينا الى الطريق المستقيم

ولا يسعنى وأنا أحضر اليوم هذا الاحتفال ، احتفال الاتحاد السوفيتى بالعيد العشرين لثورتنا الخالده ، الا أن أنحنى اجلالا واحتراما للصداقه التى أثبتت التجربه نبلها ونقاءها .

والسلام ...

= ملحق رقم (٢٨)

ملحق رقم (٣١) فى لندن عام "١٩٧٢" بعد إصابته بسرطان الرئة، وبجواره زوجته السيدة دولت، وأبنتاه ليلى وسحر

ملحق رقم (٣٢) يوسف صديق فى مطار لندن عام "١٩٧٤"، برفقة ابنه أحمد، وزوجته السيدة نجوى ربيبة يوسف صديق وابنة زوجته السيدة دولت، وحفيده سامى.

ملحق رقم (٣٣) هذه الصورة كانت عام "١٩٧٤"
فى المستشفى بعد استئصال الرئة اليسرى له وبجانبه زوجته
السيدة دولت، وابنته السيدة نعمت

ملحق رقم (٣٤) شاهد قبر يوسف منصور صديق، قامت الكاتبة بالتقاط صورة له.

تشييع جنازة يوسف منصور صديق

ملحق رقم (٣٥) جنازة ونعى يوسف صديق، جريدة الأهرام، ٢ أبريل "١٩٧٥".

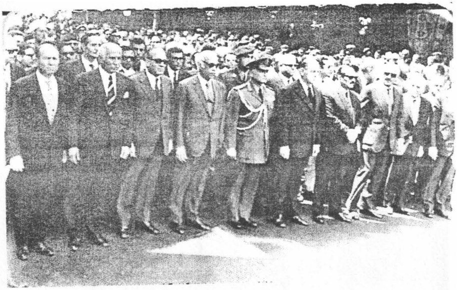

ملحق رقم (٣٥) مكرر جنازة يوسف صديق ٣١ مارس "١٩٧٥"، ويتواجد فى الصورة من اليمين إلى الشمال محمد نجيب، حسن إبراهيم، كمال الدين حسين، حسين الشافعى، حسن إبراهيم، مرعى عبد العزيز حجازى، عبد اللطيف البغدادى، خالد محى الدين.

الأوراق الشخصية لقديس الثورة المصرية 1

وصية يوسف صديق السرية للسادات.. تنشرها لأول مرة:

الديمقراطية وبناتى.. أمانة فى رقبتك!

سهير صديق: مأساة محمد نجيب عقاب إلهى عما ارتكبه فى حق أبى.. وموافقته على إعدام خميس والبقرى!

50 روز اليوسف

ملحق رقم (٣٦) وصية يوسف صديق لأنور السادات التى كتبها فى لندن قبل إجراء عملية استئصال الرئة اليسرى، يوصيه بها على الديمقراطية وبناته، روزاليوسف ٢٠٠٧/٧/٢٧.

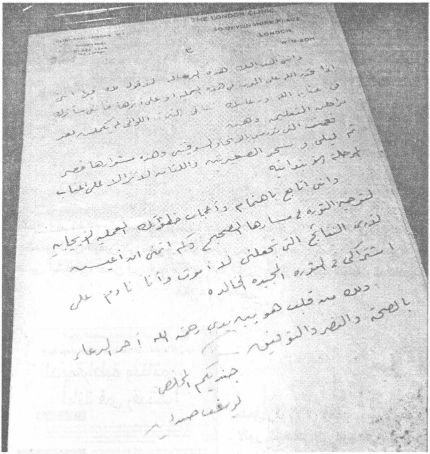
THE LONDON CLINIC
20 DEVONSHIRE PLACE
LONDON
W1N 2DH

ع

إذا قدر الله على الموت في هذه العملية او على اثرها فانني سأترك
في عناية الله ورعايته ... اللواتي لم يكملن بعد
ثم ليلى و سحر الصغيرتين واللتان لا تزالان على اعتاب
المرحلة الابتدائية
واني اتابع باهتمام واعجاب خطوات العملية الايجابية
لترجمة الثورة في مسارها الصحيح وكم اتمنى ان اعيش
لأرى النتائج التي تجعلني لا اموت وانا نادم على
عدم اشتراكي في الثورة المجيدة الخالدة
ودعائي من قلبي هو ... رحمة الله ... بالصحة والسعادة والتوفيق

جنديكم المخلص
يوسف صديق

ملحق (٣٧) الجزء الأخير من وصية يوسف صديق للسادات بخط يديه،
قامت الكاتبة بالحصول عليها من السيدة ليلى يوسف صديق.

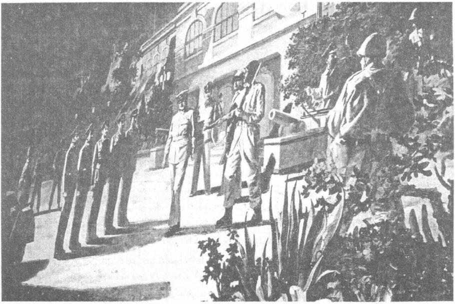

ملحق رقم (٣٨) اللوحة الزيتية الموجودة بالمتحف الحربى، فى قاعة "١٩٥٢"، تجسد لحظة إلقاء يوسف صديق القبض على رئيس الأركان حسين فريد.

مكتب المحامي

[redacted] ٥ ش مرع
ت : ٢٥٥٥١٩١

محكمة القضاء الادارى
الدائرة الأولى منازعات أفراد

مذكرة بدفاع:

السيد اللواء شرطة / حسين يوسف منصور صديق مدعى

ضد

١ ـ السيد المشير / وزير الدفاع بصفته
٢ ـ السيد الأستاذ / وزير الثقافة بصفته] مدعى عليهما

فى الدعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنه ٤٩ ق
والمحدد لها جلسة ١٩٩٥/١١/٩

" الموضوع والدفاع "

* يخلص موضوع هذه الدعوى على ما هو موضح بصحيفتها وثابت بالمستندات المقدمة منا بجلسة اليوم ـ فيما يلى :

١ ـ كان المرحوم العقيد / يوسف منصور صديق ، والد المدعى ، أحد الضباط الأحرار ، وقد اضطلع بالدور الأساسى فى حركة الثورة ليلة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ ، ولولا بطولته وفدائيته فى تلك الليلة لما أحرزت الثورة النصر ، بل ولما قامت لها قائمة . وبسبب ذلك وقع عليه الاختيار عضوا بمجلس قيادة الثورة اثر نجاحها ، حيث واصل نضاله المخلص دفاعا عن حرية الشعب وذودا عن حقه فى حياة ديموقراطية سليمة ، باعتبار ذلك أحد المبادئ الأساسية التى تعاهد عليها الضباط الأحرار ، وقامت من أجلها الثورة .

غير أن نجاح الثورة وسهولة احراز السلطة كانت قد أحدثت تغييرا عميقة فى النفوس وفى وجهات النظر ، لدى الكثير من رجال الثورة . ومن أجل ذلك ، وبسبب اصرار المرحوم يوسف صديق على ضرورة الالتزام الكامل بمبادئ الثورة وقع الخلاف بينه وبين غالبية أعضاء مجلس الثورة الذين أصبحت لهم اتجاهات مغايرة فى هذا الشأن . وقد ظل هذا الخلاف قائما بينه وبين غالبية زملائه أعضاء مجلس الثورة ، الى أن رجحت كفة الاتجاه الى اقامة حكم دكتاتورى عسكرى ، على ما بدا حينذاك واضحا فى قرارات يناير ١٩٥٣ التى ألغت دستور سنة ١٩٢٣ ، وقضت بحل الأحزاب ، وأعلنت فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات يتولى خلالها مجلس قيادة الثورة سلطة الحكم . وعلى أثر ذلك ، تقدم المرحوم يوسف صديق باستقالته من مجلس قيادة الثورة ، مؤثرا أن ينأى بنفسه عن مسئولية المشاركة فى السلطة مضحيا بكل ما وراء تلك المشاركة من جاه وفوائد ، متقبلا كل ما يجره مثل هذا الموقف من عواقب بالنسبة له ولكل من ينتمون اليه من الأهل والزملاء . ولقد دفع ودفعوا ثمنا باهظا لذلك من سجن وتشريد على مدى سنوات طويلة ، بل لقد استمرت هذه المعاناة فى الواقع الى أن انتقل الى جوار ربه فى آخر مارس سنة ١٩٧٥ .

ملحق رقم (٣٩) مذكرة الدفاع للدعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤٩ق، جلسة ١٩٩٥/١١/٩.

محمود [illegible]
المحامي بالنقض
٤ أ ش [illegible]
ت ٣٠٠٠٠٤٩١

٢ – ورغم أن عضوية المرحوم العقيد يوسف صديق لتنظيم الضباط الأحرار، وعضويته بعد ذلك بمجلس قيادة الثورة في الفترة من ٢٣ يوليه ١٩٥٢ الى ١٦ يناير ١٩٥٣ هي من الأمور الثابتة التي يعرفها كل معاصري الثورة وكل من كتب أو قرأ عنها شيئا منذ قيامها حتى الآن، على ما هو ثابت بالمستندات المقدمة منا بجلسة اليوم، فقد لاحظ المدعي عند زيارته للمتحف الحربي الذي أقامته وزارة الدفاع – التي يمثلها السيد المدعى عليه الأول – بمبنى القلعة، أن هناك قاعة قد خصصت لثورة يوليه ١٩٥٢، وقد احتوت تلك القاعة، فيما احتوت، على تماثيل لأعضاء مجلس قيادة الثورة، غير أنها لم تشتمل على تمثال لوالده المرحوم يوسف صديق. بل ان القائمة المحتوية أسماء الضباط الأحرار المعروضة بتلك القاعة، خلت كذلك من اسم والده. وقد لاحظ ذلك أيضا الكثيرون من زوار هذا المتحف، ممن لهم معرفة بتاريخ الثورة، كما أبدى العديدون من كتاب الصحف ملاحظتهم له ودهشتهم منه، على ما جاء فيما نشروه من تعليقات حول هذا الموضوع.

٣ – وقد انتظر المدعي كما انتظرت الأسرة أن تتدارك وزارة الدفاع هذا الخطأ فور اكتشافها له فتبادر الى تصحيحه، احقاقا للحق، وانصافا لذكرى هذا الرجل الذي لولاه لما نجحت الثورة، التي يعتبر العهد الراهن امتدادا لها، دون جدوى، مما اضطر المدعي معه الى اللجوء للطريق القانوني المتاح، فوجه تظلما الى السيدين المدعى عليهما ارسل اليهما بتاريخ ١٩٩٥/٦/٢٥ وذلك خلال ميعاد الستين يوما التالية لتاريخ علمه بالواقعة موضوع التظلم، ثم انقضى ميعاد الستين يوما المقررة قانونا للرد على التظلم دون أن يتلقى المدعي أي رد، ودون أن يتخذ السيدان المدعى عليهما أي اجراء لتصحيح ذلك الخطأ، مما اضطره الى اقامة هذه الدعوى في ميعادها القانوني.

٤ – ولما كان ذلك، فان أركان الدعوى تكون قائمة ومتكاملة.

– فقيام السيد المدعى عليه الأول – بصفته – بمعاونة السيد المدعى عليه الثاني – بصفته – باقامة قاعة بالمتحف الحربي مخصصة لثورة يوليو، ووضع تماثيل لأعضاء مجلس قيادة الثورة ما عدا والده المرحوم يوسف صديق، هو في الواقع اجراء ينطوي على قرار سلبي بعدم اقامة ووضع تمثال للمرحوم يوسف صديق ضمن تماثيل زملائه أعضاء مجلس الثورة مما يجوز الطعن فيه لدى القضاء الاداري وطلب الغائه، والغاء ما ترتب عليه من آثار، وخاصة بالزام السيد المدعى عليه الأول، في مواجهة السيد المدعى عليه الثاني، باقامة تمثال للمرحوم يوسف صديق في نفس المكان، وبنفس الحجم والمواصفات الخاصة بالتماثيل الأخرى.

– وقد قام المدعي بالتظلم من ذلك القرار خلال مدة الستين يوما التالية لتاريخ علمه بهذا الوضع الخاطئ، وانتظر المدة القانونية للرد على التظلم بالايجاب، ثم أقام دعواه،

محمود ...
المحامى بالنقض
٤ ش ...
ت : ٣٥٥٥٤٩١

بعد ذلك خلال المدة القانونية التالية .

- والقرار المطعون فيه يلحق بالطالب ، وبكل أفراد أسرته ، ضررا معنويا بالغا ، ويجرح مشاعرهم الى أقصى حد ، لما يتضمنه من انكار وجحود للدور التاريخى الذى اضطلع به والدهم فى خدمة وطنه وشعبه ، واساءة الى ذكراه بالانتقاص من قدره وفضله ، الأمر الذى تقوم به للمدعى الصفة والمصلحة القانونية فى اقامة هذه الدعوى .

- واذا كان هناك بعض الأشخاص أو القوى السياسية قد دأبت فى الماضى على محاولة التعتيم على دور المرحوم يوسف صديق فى قيام الثورة ، وفى الدفاع عن مبادئها الأصلية ، انسياقا وراء المصلحة الذاتية ، أو الأهواء السياسية ، واستمرت على ذلك طيلة حياته ، بل وبعد وفاته ، فانه يمكن تفسير ذلك ، لا تبريره ، بضراوة الصراعات السياسية وانحرافها عن الموضوعية فى كثير من الأحيان .

غير أن انسياق القائمين على اقامة المتحف الحربى وراء هذا الموقف الجائر ، الى درجة جعلتهم يتنكبون الحقيقة التاريخية ويتناولونها بالتغيير والتشويه على النحو السالف بيانه ، فيظهرون بعضها ويخفون بعضها الآخر ، هو أمر غير جائز وغير لائق سواء من ناحية الأمانة التاريخية والعلمية ، أو من حيث النزاهة الأخلاقية التى ينبغى أن تتوافر فى كل من يتعرض لتسجيل التاريخ بأى صورة من صور التسجيل . ولا شك أن القضاء العادل ، هو المرجع الأخير فى حماية الحق والحقيقة من كل عبث واعتداء ، وفى رفع ما يقع من الظلم والعدوان على كل صاحب حق مهضوم ، ولو كان فردا عاديا من أفراد الشعب الذين يسىء الى شعورهم الوطنى والأخلاقى مثل هذا الاخلال بالأمانة التاريخية ، فما بالنا والمدعى هو نجل المرحوم يوسف صديق ، ومن ثم فهو صاحب مصلحة وصفة شخصية مباشرة فى التوجه الى القضاء العادل مستعينا به على رفع هذا الاعتداء ، واعادة الأمر الى نصابه .

واذ كان كان هذا الاعتداء على الحق والحقيقة واقعا من جهة ادارية هى المدعى عليهما بصفتهما ، فان الاختصاص القضائى بالطعن فى هذا الموقف الادارى ، بما ينطوى عليه من قرار سلبى بالامتناع عن تصحيح الخطأ الواقع منهما ، والمتضمن عدم اقامة تمثال للمرحوم يوسف صديق فى موضعه من المتحف ، ضمن تماثيل زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة ، هذا الاختصاص انما يكون منعقدا للقضاء الادارى ، من حيث أن المطلوب بالتقاضى هو طلب الغاء قرار ادارى ، وان كان قرارا سلبيا .
وبهذا تتكامل عناصر الدعوى الادارية وتتكامل أركانها .

محمود توفيق
المحامى بالنقض
٥ أش شريف ميدان [illegible]
ت : ٣٥٥٥٤٩١

٥ - ولما كانت بعض الجهات الادارية قد دأبت على الاستخفاف بحقوق المواطنين واهدارهـا ، مما يضطرهم الى انتهاج طريق التقاضى لاسترداد هذه الحقوق ، بما يكلفهم ذلك من جهد ووقت ومال ، كما دأبت على المماطلة فى اجراءات التقاضى ثم على التراخى فى تنفيذ الأحكام القضائية الصادرة فى تلك المنازعات ، وتوقيا لذلك ، فان المدعى يضمن دعـواه طلبا اضافيا بالحكم بالزام السيد المدعى عليه الأول بأن يدفع له مبلغا قدره ألف جنيـه يوميا عن كل يوم ينقضى منذ تاريخ اقامة هذه الدعوى الى يوم التنفيذ الفعلى للحكم الـذى سيصدر فيها ، أى الى يوم اقامة التمثال موضوع هذه الدعوى ، وذلك كغرامة تهديديـة وكتعويض متجدد فى نفس الوقت عما يلحق به من ضرر متجدد من جراء امتناع أو تراخـى سيادته عن اقامة التمثال . ولا شك أن هذا المطلب هو مطلب قانونى جائز ومشروع ، ولا يوجد فى القانون ما يمنع من الاستجابة له ، بل ان ذلك هو ما تقتضى به ظروف النزاع ومقتضيـات العدل . ولعل فى صدور الحكم العادل بذلك ، ما يحفز السيدين المدعى عليهما الـى سرعة الاستجابة الى صوت العدالة ، والنزول على مقتضيات الحق والقانـون .

٦ - ولما كان الضرر المعنوى والأذى العاطفى الواقع على المدعى وسائر أفراد أسرته من استمرار الموقف الجائر المتخذ من جانب السيدين المدعى عليهما ، هو ضرر بالغ ومستمر ومتجـدد ، لذلك فانه يحق للمدعى والحال هذه ، أن يتقدم الى عدالة المحكمة بطلب مستعجل ووقـتى ، وهو الحكم بوقف تنفيذ القرار السلبى المطعون فيه مؤقتا ، ولحين الحكم بالغائه عند الفصـل فى الشق الموضوعى من هذه الدعوى .

٧ - ولما كانت وزارة الدفاع ، المدعى عليهـا الأولى ، هى التى أقامت المتحف الحربى . وتشـرف على شئونه ، وكانت وزارة الثقافة - المدعى عليها الثانية ، هى التى تولت تنفيذه من الناحية الفنية ، لذلك فانه تتوافر فى كل منهما الصفة الكافية لاختصامهما فى هذه الدعوى ، والحـكم بالزامهما ، كل فيما يخصه ، بالطلبات الواردة بها .

. . . .

لما تقدم فان المدعى يصمم على طلباته الموجهة الى السيد المدعى عليه الأول ، فى مواجهـة السيد المدعى عليه الثانى ، والموضحة كما يلى :

أولا : بصفة مستعجلة ووقتية ، ولحين الفصل فى الطلبات الموضوعية فى الدعوى ، بوقف تنفيذ القـرار السلبى المتخذ من السيد المدعى عليه الأول ، والمتضمن عدم اقامة تمثال للمرحوم العقـيد يوسف منصور صديق ، ضمن تماثيل أعضاء مجلس قيادة الثورة ، فى القاعة المخصصة لذلـك بالمتحف الحربـى .

محمود توفيق
المحامي بالنقض
٤ أش شريف سعد زغلول
ت : ٣٥٥٥٤٩١

ثانيا : وفى الموضــــوع :

١ — بالغاء القرار السلبى المتخذ من السيد المدعى عليه الأول ، والمتضمن الامتناع عــن اقامة تمثال للمرحوم العقيد يوسف منصور صديق ، ضمن تماثيل السادة اعضاء مجلــس قيادة ثورة يوليو ، والغاء كل ما يترتب على هذا القرار من آثار ، وخاصة بالزامــــه باقامة تمثال للمرحوم العقيد يوسف منصور صديق بالقاعة المخصصة لذلك بالمتحــف الحربى ، بنفس الحجم والمواصفات المماثلة لتلك التماثيل .

٢ — بالزام السيد المدعى عليه الأول بصفته ، بأن يدفع مبلغا وقدره ألف جنيه يوميا الــى المدعى ، عن كل يوم ينقضى منذ تاريخ اقامة هذه الدعوى ، الى يوم اقامة التمثــال موضوع هذه الدعوى ، كغرامة تهديدية ، وكتعويض متجدد عما يلحق بالمدعى مــن ضرر متجدد من جراء امتناعه أو تراخيه عن اقامة ذلك التمثــال .

٣ — بالزام السيد المدعى عليه الأول بصفته بالمصروفات ومقابل أتعاب المحاماه .

٤ — بشمول الحكم الصادر فى هذه الدعوى بالنفاذ المعجل وبلا كفالــة .

مــع حفظ كافــة الحقــوق الأخــرى .

وكيل المدعى

محمود توفيق

" محمــــود توفيــــق "

المحامى بالنقــض

يوسف صديق.. صنع الثورة ورفض المشاركة فى مصادرة الحريات

وديع أمين

ملحق رقم (٤٠) جريدة الأهالى،العدد ٩٦٩، ٢٠٠٠/٤/١٢م

شهادة للتاريخ

كان فرعونًا.. كان نبيًا!

توفيق الحكيم ومصطفى أمين ويوسف صديق وخالد محيى الدين..

يحاكمون عبد الناصر!

عاطف عبد الغنى

ملحق رقم (٤١) مجلة أكتوبر "شهادة للتاريخ"، العدد ١٠٨٢، ١٩٩٧/٧/٢٠.

القضاء الإدارى فى أول حكم من نوعه: الأخبار ١٩٩٧

تمثال لـ «يوسف صديق».. بالمتحف الحربى أسوة بأعضاء مجلس قيادة الثورة

كتب ـ شريف الملاح:

فى اول حكم من نوعه.. قضت محكمة القضاء الادارى باقامة تمثال فى المتحف الحربى للعقيد الراحل يوسف منصور صديق عضو مجلس قيادة الثورة.. بعد ان كانت الجهة الادارية قد اصدرت قراراً برفض اقامة التمثال.

قالت المحكمة ان العقيد الراحل أحد الضباط الاحرار والذى اضطلع بدور أساسى فى حركة الثورة.. وتم اختياره عضواً فى مجلس قيادة الثورة.. وبسبب الخلاف مع غالبية الأعضاء قدم استقالته ١٦ يناير ١٩٥٣.. وقامت ادارة المجلس باقامة تماثيل للأعضاء بالقاعة المخصصة فى المتحف الحربى بالقلعة ولم تشمل تمثاله.

اضافت المحكمة برئاسة المستشار فاروق شعت نائب رئيس مجلس الدولة وعضوية المستشارين يحيى خضرى واحمد حلمى بامانة سر سامى عبدالله.. ان قرار رفض اقامة التمثال للمرحوم صديق الحق بنجله المدعى «حسين» اضراراً أدبية ومادية.. كما ان القرار مخالف للقانون.

كانت هيئة قضايا الدولة قد قدمت حافظة مستندات أكدت فى الاعلان الدستورى الصادر من مجلس قيادة الثورة فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ وبه توقيعات رئيس وأعضاء المجلس.. وخال من توقيع العقيد يوسف صديق، وقالت انه لم يكن من قادة الثورة.

يوسف صديق

أما حسين يوسف صديق فقد قدم مستندات تضمنت كتاب اللواء أركان حرب متقاعد جمال حماد بأن الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ضم ٤ ضباط فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ لعضوية مجلس القيادة منهم العقيد يوسف صديق.

أكدت المحكمة أن قواعد العدالة تقتضى بأن يعامل يوسف مثل كافة أعضاء مجلس قيادة الثورة فى اقامة تماثيل لهم بالمتحف الحربى.

ملحق رقم (٤٢) جريدة الأخبار ١٩٩٧/٧/٢٦.

ابنته الكبرى «سهير»: «أبى ظلموه حيا وميتا»

البكباشى «يوسف صديق» بطل الديموقراطية وليلة ٢٣ يوليو

يوسف صديق

مع اللواء محمد نجيب

ومع عبدالناصر وعامر

ملحق رقم (٤٣)، جريدة الأهرام ، ٢٠ مايو "١٩٩٩".

الوثيقة رقم (٣)
أعضاء مجلس قيادة الثورة

م	رتبة	الاسم	مجلس قيادة الثورة	اللجنة التنفيذية	السلاح	تاريخ العزل
١	بكباشى	جمال عبد الناصر	١	١	المشاه	ــــ
٢	لــواء	محمد نجيب	١	ــــ	ــــ	١٩٥٤
٣	صاغ	عبد الحكيم عامر	١	١	القيادة العامة	١٩٦٧
٤	بكباشى	عبد المنعم عبد الرؤوف	١	ــــ	المدفعية	١٩٥٣
٥	قائد جناح	عبد اللطيف البغدادى	١	١	الطيران	١٩٦٤
٦	صاغ	كمال الدين حسين	١	١	المدفعية	١٩٦٢
٧	قائد سرب	حسن ابراهيم	١	١	الطيران	١٩٦٦
٨	صاغ	خالد محيى الدين	١	١	الفرسان	١٩٥٢
٩	بكباشى	زكريا محيى الدين	١	١	المشاه	١٩٦٨
١٠	قائد جناح	جمال سالم	١	١	الطيران	١٩٥٦
١١	صاغ	صلاح سالم	١	١	القيادة العامة	١٩٥٥
١٢	بكباشى	يوسف صديق	١	ــــ	المشاه	١٩٥٤
١٣	بكباشى	حسين الشافعى	١	١	الفرسان	١٩٧٢
١٤	بكباشى	أنور السادات	١	١	الاشارة	ــــ

ملحق رقم (٤٤) وثيقة رقم ٣ " الجيش المصرى من ثورة يوليو إلى ثورة اليمن"، ج١، مطابع الجيش. واعتمد عليها الأستاذ محمود توفيق المحامى فى الدعوى للمطالبة بإقامة تمثال ليوسف صديق بالمتحف الحربى.

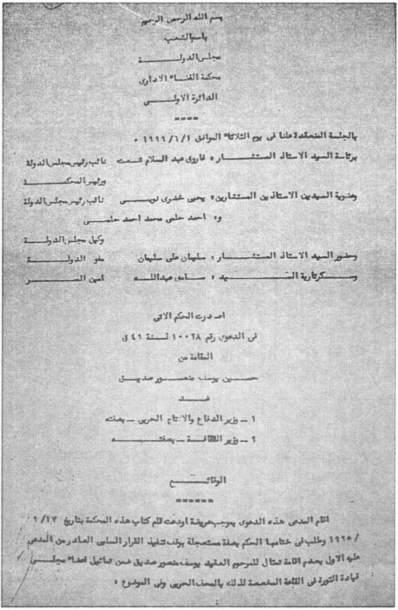

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الشعب

مجلس الدولـــــة

محكمة القضاء الادارى

الدائرة الاولـــى

====

بالجلسة المنعقدة علنا فى يوم الثلاثاء الموافق ١/٦/١٩٩٩ .

برئاسة السيد الاستاذ المستشـــــار / فاروق عبد السلام شعت نائب رئيس مجلس الدولة ورئيس المحكمـــــة

وعضوية السيدين الاستاذين المستشارين / يحيى خضرى نوبـــى نائب رئيس مجلس الدولة

و/ أحمد حلمى محمد احمد حلمـــى وكيل مجلس الدولـــة

وحضور السيد الاستاذ المستشـــار / سليمان على سليمان مفو الدولـــة

وسكرتارية السيـــد / سامى عبد اللـــه امين الســر

اصدرت الحكم الاتى

فى الدعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤٩ ق

المقامة من

حسين يوسف منصور صديق

ضــد

١ - وزير الدفاع والانتاج الحربى - بصفته

٢ - وزير الثقافـــة - بصفتـــه

الوقائـــع

======

اقام المدعى هذه الدعوى بموجب صحيفة اودعت قلم كتاب هذه المحكمة بتاريخ ١٧/٩/١٩٩٥ وطلب فى ختامها الحكم بصفة مستعجلة بوقف تنفيذ القرار السلبى الصادر من المدعى عليه الاول بعدم اقامة تمثال للمرحوم الشهيد يوسف منصور صديق ضمن تماثيل اعضاء مجلس قيادة الثورة فى القاعة المخصصة لذلك بالمتحف الحربى وفى الموضوع .

ملحق رقم (٤٥) حكم قضائى بتاريخ ١٩٩٩/٦/١،
بإلغاء الطعن وبإقامة تمثال ليوسف منصور صديق.

تابع الحكم في الدعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤٩ ق

=======

كما قدم بجلسة ١٦/ ٢/ ١٩٩٦ حافظة مستندات .

وبجلسة ٢٣/ ٣/ ١٩٩٦ قررت المحكمة اصدار الحكم بجلسة ١١/ ٥/ ١٩٩٦ م ومذكرات في اربعة اسابيع .

وخلال هذا الاجل قدمت هيئة قضايا الدولة مذكرة دفاع طلبت في ختامها الحكم :

اصليا : بعدم قبول الدعوى لانتفاء القرار الاداري .

واحتياطيا : برفض الدعوى مع الزام المدعي المصروفات .

ثانيا : بالنسبة لطلب التعويض برفضه مع الزام المدعي المصروفات .

وبتلك الجلسة قررت المحكمة مد اجل النطق بالحكم لجلسة ١/ ٦/ ١٩٩٦ لاتمام المداولة وفيها صدر واودعت مسودته المشتملة على اسبابه ومنطوقه لدى النطق به .

المحكمة

=====

بعد الاطلاع على الاوراق وسماع الايضاحات والمداولة قانونا .

ومن حيث ان المدعي يهدف من دعواه الى الحكم بقبولها شكلا وبوقف تنفيذ والغاء قرار الجهة الادارية المدعي عليها الاولى برفض عمل تمثال لوالده المرحوم العقيد يوسف منصور صديق في القاعة المخصصة لذلك بالمتحف الحربي اسوة بباقي اعضاء مجلس قيادة الثورة وبالزامها بان تدفع التعويض المناسب له من جراء التراخي عن اقامة التمثال مع الزامها المصروفات .

ومن حيث انه عن الدفع المبدى من الجهة الادارية بعدم قبول الدعوى لانتفاء القرار الاداري ولما كان الثابت من الاوراق ان المدعي قد تقدم الى الجهة الادارية المدعي عليها طالبا اقامة تمثال لوالده المرحوم العقيد يوسف منصور صديق بحسبانه عضوا من اعضاء مجلس قيادة الثورة اسوة بباقي اعضائها في القاعة المخصصة لذلك بالمتحف الحربي — وهو الامر الذي لم تنكره جهة الادارة من انها قد اقامت تماثيل لاعضاء مجلس قيادة الثورة — الا ان جهة الادارة لم ترد على المدعي مما يعني انها قد رفضت ضمنيا اجابة المدعي الى طلبه وهذا المسلك من الجهة الادارية المدعي عليها يشكل قرارا اداريا

تابع الحكم فى الدعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤٩ ق

قد توافرت له كل مقوماته القانونية ويضحى الدفع بعدم قبول الدعوى لانتفاء القرار الادارى على غير سند صحيح من القانون متعينا رفضه واذ استوفت الدعوى سائر اوضاعها الشكلية المقررة فهى مقبولة شكلا .

ومن حيث ان الفصل فى موضوع الدعوى يغنى عن بحث الشق العاجل منها .

ومن حيث انه عن الموضوع ولما كان الثابت من الاوراق ان المدعى قد ذكر فى صحيفة دعواه انه نجل المرحوم العقيد يوسف منصور صديق ـ احد الضباط الاحرار ـ الذى اضطلع ليكون عضوا بمجلس قيادة الثورة اثر نجاحها وانه واصل نضاله المخلص دفاعا عن حرية الشعب وحقه فى حياة ديمقراطية سليمة وبسبب بعض الخلافات بينه وبين غالبية اعضاء مجلس قيادة الثورة تقدم باستقالته بتاريخ ١٦/ ١/ ١٩٥٣ من مجلس قيادة الثورة ومع ذلك فقد قامت الجهة الادارية المدعى عليها بعمل تماثيل لاعضاء مجلس قيادة الثورة بالقاعة المخصصة لذلك بالمتحف الحربى بالقلعة ولم تشتمل على تمثال لوالده وردا على ذلك قدمت هيئة قضايا الدولة حافظة طويت على :

ـ اعلان دستورى من مجلس قيادة الثورة صادر عنها فى ١٨ يونيه سنة ١٩٥٣ عليه توقيعات رئيس واعضاء المجلس وخلا من توقيع والد المدعى وسطرت جهة الادارة على غلاف الحافظة بان والد المدعى لم يكن من قادة الثورة .

ومن حيث ان الثابت من الاطلاع على حافظة المستندات المقدمة من المدعى بجلسة ٢٤/ ١١/ ١٩٩٨ مرافعة انها طويت على :

ـ كتاب اللواء م . ح متقاعد جمال الدين حماد المؤرخ العسكرى ردا على المحادثة الهاتفية للعميد مدير ادارة المتاحف العسكرية بشان تظلم اسرة المرحوم المقدم أ . ح . يوسف منصور صديق بسبب عدم وجود تمثال له فى جناح الثورة بالمتحف الحربى ـ اسوة بباقى اعضاء مجلس قيادة الثورة فانه يوضح الحقائق التالية والتى تتمثل فى ان الهيئة التاسيسية لتنظيم الضباط الاحرار بالقوات المسلحة قبل الثورة كانت تشمل عدد تسعة ضباط وفى مساء يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢ اخطر الزعيم الراحل جمال عبد الناصر زملاءه بان دور الهيئة التاسيسية للضباط الاحرار قد انتهى وتبعا لذلك فان اسمها سيصبح منذ ذلك الحين مجلس قيادة الثورة وفى ١٥ اغسطس سنة ١٩٥٢ انضم الى عضوية مجلس قيادة الثورة بصفة رسمية

تابع الحكم فى الدعوى رقم ١٠٠٢٨ لسنة ٤١ ق

=====

ومن حيث انه عن طلب التعويض واذ استوفى هذا الطلب اوضاعه الشكلية فهو مقبول شكلا .

وحيث انه عن موضوع هذا الطلب ولما كان اساس مسئولية الادارة عن القرارات الصادرة منها هو وجود خطأ فى جانبها بان يكون القرار غير مشروع لعيب من العيوب المنصوص عليها فى قانون مجلس الدولة وان يحيق بصاحب الشان ضرر وتقوم علاقة السببية بين الخطأ والضرر .

ومن حيث ان خطأ الجهة الادارية ثابتة قبلها على ما سلف الايضاح وقد لحق بالمدعى اضرار مادية وادبية وقد قامت علاقة السببية بين الخطأ الادارى المشار اليه والضرر الذى لحق المدعى وعلى انه اذا ما روعى ان القرار المطعون فيه الذى يطالب المدعى بالتعويض عن الاضرار الذى لحقته من جرائه قد الغى على النحو المشار اليه مع ما يترتب على ذلك من اثار اهمها اقامة تمثال لوالده بالقاعة المخصصة لذلك بالمتحف الحربى بالقلعة كان ذلك خير تعويض له عن الاضرار المادية والادبية التى لحقته من جراء القرار المطعون فيه .

ومن حيث ان كلا من المدعى والجهة الادارية المدعى عليها الاول قد اخفق كل منهما فى بعض طلباتهما ومن ثم يتعين الزامهما المصروفات مناصفة .

فلهذه الاسباب

=====

حكمت المحكمة : بقبول الدعوى شكلا وفى الموضوع بالغاء القرار المطعون فيه مع ما يترتب على ذلك من اثار ورفض ما عدا ذلك من طلبات والزمت الجهة الادارية المدعى عليها الاول والمدعى المصروفات مناصفة .

سكرتير المحكمة رئيس المحكمة

مها ...

المجلس الشعبى المحلى لمدينه الواسطى
السكرتاريه

بسم الله الرحمن الرحيم

جلسه رقم ٩ بتاريخ ١٩٩٧/١١/١٦

بند رقم ٥

لجنه الشئون القانونيه :

تقرير لجنه الشئون القانونيه بشأن اطلاق اسم الاستاذ / الدكتور احمد عبد المنعم على مدرسه جزيرة المساعد ، للتعليم الاساسى بناحيه جزيرة المساعد ، واطلاق اسم المهندس/ عبد الحميد دويدار عبد الحميد دويدار على مدرسه عزبه دويدار للتعليم الاساسى بناحيه عزبه دويدار واسم البطل / يوسف صديق على مدرسه زاويه المصلوب الاعداديه المشتركه بناحيه زاويه المصلوب .

التوصيه : لدى السيد الاستاذ / رئيس المركز .

١ـ قيام الوحده المحليه لمركز الواسطى بتكليف الادارة التعليميه بالواسطى بالاتى :ـ

أ ـ اطلاق اسم الاستاذ الدكتور / أحمد عبد المنعم عبد الباقى على مدرسه جزيرة المساعد ، للتعليم الاساسى .

ب ـ اطلاق اسم المرحوم المهندس/ دويدار عبد الحميد دويدار على مدرسه عزبه دويدار الابتدائيه للتعليم الاساسى بناحيه عزبه دويدار .

جـ ـ اطلاق اسم المرحوم البطل / يوسف صديق على مدرسه زاويه المصلوب الاعداديه المشتركه بناحيه زاويه المصلوب .

٢ـ على الجهات المسئوله التنفيذيه تنفيذ التوصيه .

ملحق رقم (٤٦) قرار المجلس المحلى بمحافظة بنى سويف، بإطلاق اسم يوسف صديق على مدرسة زاوية المصلوب الإعدادية المشتركة.

ملحق رقم (٤٧) تمثال القائمقام يوسف صديق بالمتحف الحربى.

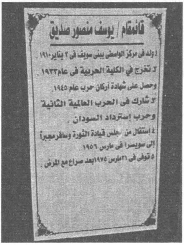

ملحق رقم (٤٧) مكرراللوحة التعريفية لتمثال يوسف صديق بالمتحف الحربى.

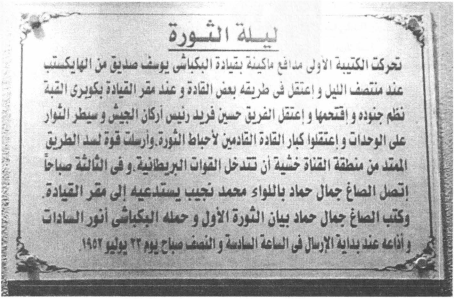

ملحق رقم (٤٨) صورة اللوحة الضوئية بقاعة ٥٢ بالمتحف الحربى.

بعض صور
من ألبوم ذكريات
يوسف صديق

يوسف صديق ملازم ثان

رتبة ملازم أول

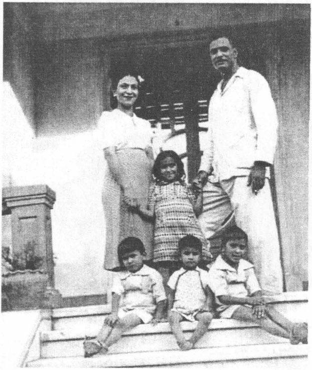

يوسف صديق وزوجته السيدة توحيدة وأبناؤه (سهير- محمد - محمود- أحمد) عام "١٩٤٠"، بمنزلهم فى منشية البكرى.

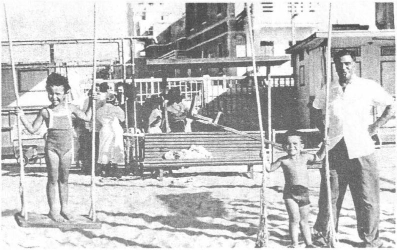

يوسف صديق مع أحفاده بشاطئ سيدى بشر بالإسكندرية عام "١٩٥٧".

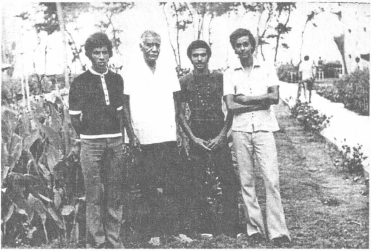

يوسف صديق برفقة أفراد من عائلته بشاطئ المعمورة بالإسكندرية.

يوسف صديق وزوجته عام "١٩٦٨".

هذه الصورة كانت فى أواخر عام "١٩٧١".

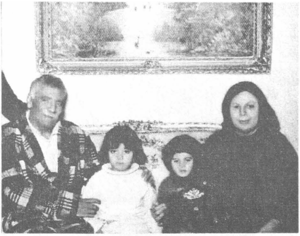

عام "١٩٧٠" فى منزله بالمهندسين،
وبجواره ابنتاه ليلى وسحر، والدتهما السيدة دولت "١٩٧١".

يوسف صديق وزوجته السيدة دولت على جبل عرفات
أثناء قيامه بأداء فريضة الحج عام "١٩٧٣".

قائمة المصادر والمراجع

أولًا :الوثائق غير المنشورة

أ- باللغة العربية.

- بعض وثائق أرشيف منشية البكرى (حصلت عليها من الأستاذ الدكتور جمال شقرة، ومن ملاحق كتب محمد حسين هيكل).
- نصوص قرارات مجلس قيادة الثورة من القرار رقم ١ حتى حل المجلس ١٩٥٤(حصلت عليها من الأستاذ الدكتور جمال شقرة).
- نصوص الدعاوى القضائية المرفوعة من أسرة يوسف صديق (حصلت عليها من المحامى الأستاذ محمود توفيق الأزهرى).

ب- باللغة الأجنبية.

وثائق وزارة الخارجية البريطانية Foreign Office Correspondence

- F.O 371/19071، M Lampson to John Simon No. 466، Confidential، Cairo of 26 April، 1935.
- F.O 371/90134. Alex. To F.O 27 July 1951. No. 508. Priority. Secret.
- F.O. 371/90139 F.O. to His Majesty's Representatives. 31 Aug.1951 No 235. Confidential
- F.O 371/90140. Alex. To F.O. 6 Oct. 1951. No. 657. Priority. Confidential.
- F.O 371/90140. Alex. To F.O 9 Oct. 1951. No. 671. Confidential.

- F.O 371/90121. Stevenson to Eden. 6 Dec. 1951. No.416.confidential.
- F.O 371/96858. B.M.E.O to F.O .5 Jan. 1952. N13. Confidential.
- F.O 371/9859 .G.H.Q MELF to Ministry of Deface 15Jan. 1952. 605/ccl. Top secret.
- F.O 371/96859. Cairo to F.O. 19 Jan. 1952. No.93. Immediate. Confidential.
- F.O 371/96959. F.O. to Cairo. 19 Jan. 1952.No.127. Priority. Confidential.
- F.O 371/96861. Cairo to F.O .19 Jan .1952 .1041/1/30/52 Restricted.
- F.O 371/96861. Cairo to F.O. 22 Jan. 1952.No. (126، 128) Immediate
- F.O 371/96862. Cairo to F.O.25 Jan. 1952. No. 155.Immediate.
- F.O 371/96862. B.M.E.O to F.O 26 Jan. 1952. No. 86. Immediate Confidential.
- F.O 371/96862. B.M.E.O. to F.O. 26 Jan 1952. No. 92. Confidential.
- F.O 371/96873. Stevenson to Eden. 25 Feb. 1952. No. 48. Confidential

ثانيًا: وثائق منشورة

أـ باللغة العربية.

- الجمهورية العربية المتحدة، نشرة الوثائق للسنة العاشرة ديسمبر ١٩٦١، القاهرة، مركز الوثائق والبحوث مصلحة الاستعلامات، ١٩٦١.
- ــــــــــ، نشرة الوثائق للسنة الحادية عشرة يوليو ١٩٦٢، القاهرة، مركز الوثائق والبحوث مصلحة الاستعلامات ، ١٩٦٢.
- ــــــــــ، ميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكى العربى، القاهرة، دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٩٦٢.

- الحكومة المصرية، التشريعات الصادرة خلال الستة شهور الأولى لعهد التحرير ٢٣ يوليو ١٩٥٢- يناير ١٩٥٣، القاهرة ، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣.
- حسين الشافعى، مجموعة خطب منبرية ١٩٥٣- ١٩٦٣، القاهرة، دار التحرير للطباعة والنشر، ١٩٦٧.
- وزارة الدفاع هيئة البحوث العسكرية، الجيش المصرى من ثورة يوليو ٥٢إلى ثورة اليمن ٦٢، الجزء الأول، مركز الدراسات الإستراتيجية للقوات المسلحة، القسم الثانى.
- مجموعة خطب وتصريحات عبد الناصر، القسم الأول، من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى يناير ١٩٥٨، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٥٨.
- ـــــــ، القسم الرابع من فبراير ١٩٦٢ إلى يونيه ١٩٦٤، القاهرة ، الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٦٤.
- مجموعة خطب وتصريحات عبد الحكيم عامر، المجلد الأول من ٢٣ يوليو ١٩٥٥- ١٨ أكتوبر ١٩٦٥، القاهرة، إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة، ١٩٦٥.
- مجموعة من الكتاب والقضاة الإسرائيليين، حرب فلسطين ١٩٤٧-١٩٤٨: الرواية الإسرائيلية الرسمية، ت: أحمد خليفة، فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤.
- محاضر جلسات المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ٢١ مايو ١٩٦٢- ٤ يوليو ١٩٦٢، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٩٦٢.
- محكمة الشعب، المضابط الرسمية لمحاضر جلسات محكمة الشعب، الأجزاء السبعة، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٥٤.
- محكمة الثورة، المضابط الرسمية لمحاضر جلسات محكمة الثورة، الأجزاء الثلاثة، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٥٣-١٩٥٤.
- محمد أمين حسونة، جمهورية مصر فى عامها الأول، القاهرة، إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة مطبعة التحرير، ١٩٥٤.

- ــــــ، جمهورية مصر فى عامها الثانى، القاهرة، إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة مطبعة التحرير ، ١٩٥٥.

ثالثًا: مذكرات

- مذكرات يوسف صديق الأصلية (حصلت عليها من السيدة ليلى يوسف صديق).
- مذكرات محسن عبد الخالق. (اطلعت على بعض أوراقها).

رابعًا: محاضر نقاش تم إجراؤها مع بعض من شاركوا فى صناعة أحداث هذه المرحلة

- السيدة سهير نجلة يوسف صديق.
- السيدة ليلى نجلة يوسف صديق.
- الأستاذ محمود محمد توفيق الأزهرى.
- اللواء عبد المجيد شديد.
- العقيد محمد وحيد رمضان جودة.

خامسًا: كتب وذكريات وشهادات تاريخية

- أحمد طعيمة، شاهد حق - صراع السلطة " نجيب- عبد الناصر- عامر- السادات"، قليوب، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٩٩.
- أحمد منصور، حسين الشافعى شاهد على عصر ثورة يوليو، المكتب المصرى الحديث، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤.
- أحمد مرتضى المراغى، غرائب وعجائب من عهد الملك فاروق بداية الثورة المصرية، بيروت، دار الهلال، ١٩٧٦.
- أمين هويدى، مع عبد الناصر، بيروت، دار الوحدة، ١٩٨٤.
- إلهام سيف النصر، معتقل (أبو زعبل)، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧١.
- إسماعيل صدقى، مذكراتى، تحقيق سامى أبو النور، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦.

- تحية جمال عبد الناصر، ذكريات معه، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ٢٠١١.
- ثروت عكاشة، مذكراتى فى السياسة والثقافة، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٢م.
- جمال حماد، ٢٢يوليو، أطول يوم فى تاريخ مصر، القاهرة، دار الهلال، مايو١٩٨٣.
- جمال منصور، الثورة والدبلوماسية، الأهرام، القاهرة، ١٩٨٩.
- ــــــ، ثورة الجيش المصرى - وثائق الإعداد والتمهيد ١٩٤٥-١٩٥٢، الطبعة الأولى، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، جماد آخر ١٤٢٧هـ/ يوليو ٢٠٠٦.
- حسن إبراهيم، الصامتون يتكلمون، إعداد: سامى جوهر، الطبعة الثانية، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٧٥.
- حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، القاهرة، مركز الإعلام العربى، ٢٠١٠.
- حسن عزت، قصتى مع العمالقة والأقزام السبعة وثامنهم هيكل، الطبعة الأولى، د.ن، ١٩٨٥.
- حسن العشماوى، حصاد الأيام- مذكرات هارب، بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر، ١٩٨٥.
- حسن المصيلحى، قصتى مع الشيوعية- مذكرات رئيس قسم مكافحة الشيوعية سابقًا، القاهرة، ١٩٧٩.
- حسن دوح، خمسة وعشرون عامًا فى جماعة مرورًا بالغابة، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٨٣.
- حسن طلعت، فى خدمة الأمن السياسى مايو ١٩٣٩- مايو ١٩٧٩، بيروت، الوطن العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٣.
- حسين حمودة، أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين، الطبعة الأولى، القاهرة، الزهراء للإعلام العربى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥.
- حلمى سلام، أنا وثوار يوليو!!، الطبعة الثانية، القاهرة، دار ثابت للنشروالتوزيع، نوفمبر ١٩٨٦.
- خالد محى الدين، والآن أتكلم، الطبعة الأولى ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- ذكى منصور، رحلتى مع الثورة، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٣.
- سامى شرف، سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر- شهادة سامى شرف، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة مدبولى، ٢٠٠٦.
- سليمان حافظ، ذكرياتى عن الثورة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ٢٠١٠.
- سيد جاد، الحرس الحديدى كيف كان يتخلص الملك فاروق من خصومه، الطبعة الأولى، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣.
- صلاح الشاهد، ذكرياتى فى عهدين، الطبعة الثانية، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٧٦.
- صلاح شادى، حصاد العمر صفحات من التاريخ، الجزء الأول، الكويت، شركة الشعاع للنشر، ١٩٨١.
- صلاح نصر، مذكراته- ثورة ٢٣ يوليو بين المسير والمصير، الجزء الأول، القاهرة، مطبوعات مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، مايو ١٩٨٦.
- ــــــ، مذكراته - الانطلاق، الطبعة الأولى، الجزء الثانى، القاهرة، دار الخيال، سبتمبر ١٩٩٩.
- عبد اللطيف البغدادى، مذكرات عبد اللطيف البغدادى، الجزء الأول، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٨٤.
- عبد المحسن أبو النور، الحقيقة عن ثورة يوليو، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.
- عبد المنعم عبد الرؤوف، أرغمت فاروق على التنازل عن العرش، الطبعة الأولى، القاهرة، الزهراء للإعلام العربى، ١٩٨٨.
- علية توفيق، يوسف صديق وجمال عبدالناصر وأنا، الطبعة الأولى، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر،
- ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- فتحى رضوان، ضياء الدين بيبرس، أسرار حكومة يوليو، القاهرة، مكتبة مدبولى، د.ت.
- كريم ثابت، عشر سنوات مع فاروق ١٩٤٢-١٩٥٢، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠.

- فؤاد علام، الإخوان وأنا، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٩٦.
- محمد أنور السادات، صفحات مجهولة، سلسلة كتب للجميع، عدد ٨٤، القاهرة، ١٩٥٤.
- ـــــــ، قصة الثورة كاملة، القاهرة، دار الهلال، ١٩٥٧.
- ـــــــ، وصيتى، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٨٢.
- ـــــــ، يا ولدى هذا عمك جمال"، القاهرة، مكتبة العرفان، ١٩٧١.
- ـــــــ، البحث عن الذات، الطبعة الأولى، القاهرة، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٨.
- محمد حسين هيكل، مذكرات فى السياسة المصرية، الجزء الأول، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣.
- محمد نجيب، كلمتى للتاريخ، القاهرة، دار الكتاب النموذجى، ١٩٧٥.
- ـــــــ، كنت رئيسًا لمصر، تقديم أحمد يحيى، الطبعة الأولى، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، سبتمبر ١٩٨٤.
- محمود الجيار، الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر كما رواها ضياء الدين بيبرس، القاهرة، روزاليوسف، ١٩٧٧.
- محمود توفيق، مع الأيام، الطبعة الأولى، الجزء الأول، القاهرة ، دار ميريت، ٢٠١١.
- يوسف صديق، ضعوا الأقلام ديوان شعر، تحقيق حسين يوسف صديق، القاهرة، مطابع الشعب، يناير ١٩٩٩.

سادسًا: الدوريات

أ- الصحف

- جريدة الأخبار:
- أعوام (١٩٨٨، ١٩٩٦).
- جريدة أخبار اليوم:
- عام ١٩٩٩.

- جريدة الأهالى:
- عام ١٩٨٢، العدد٤٢.
- عام ١٩٩١، العدد ٢٠١.
- عام ١٩٩٦، العدد ٧٧٥.
- عام ١٩٩٩، العدد ٩٣٢.
- جريدة الأهرام:
- عام ١٩٨٦.
- عام ١٩٥٢، العدد ٢٢٨١٢.
- عام ١٩٥٤، الأعداد (٢٣٦٠٠، ٢٤٦٠١، ٢٥٤٣٧)
- عام ١٩٥٦، العدد ٢٥٤٣٧.
- عام ١٩٩٩، العدد ٤٠٩٨٥.
- عام ٢٠٠٩، العدد ٤٤٨١١.
- جريدة المصرى:
- عام ١٩٥٤، الأعداد (٥٨٦٤، ٥٨٦٥، ٥٨٦٦، ٥٨٦٨)
- صوت الأمة:
- عام ٢٠٠٩، العدد ٤٥٠.
- جريدة الوفد:
- عام ١٩٩٧، العدد ١٩١٠.
- عام ٢٠٠١، العدد ٣٣٥١.

ب- المجلات

- المصور:
- عام ١٩٥٢، العدد ١٤٦٤.
- آخر ساعة:
- عام ١٩٣٧، العدد١٧١.
- عام١٩٥٢، العدد ٩٣١.
- عام ١٩٦٥، العدد ١٦٠٤.

- أكتوبر:
- عام ١٩٨٩، العدد ٦٧٣.
- عام ١٩٩٩، العدد ١١٨٥.
- روزاليوسف:
- عام ١٩٥٤، العدد ٣٥-١٣٤٦.
- عام ١٩٧٠، العدد ٢٣٢٨.
- عام ١٩٧٥، الأعدد (٣٤٣٦، ٣٤٤٠، ٣٤٤١)
- عام ٢٠٠٧، العدد ٤١٢٨.
- صباح الخير:
- عام ١٩٨٤، العدد ١٤٩٢.

سابعًا: الموسوعات

- الموسوعة السياسية، تأليف عبد الوهاب الكيالي، الأجزاء السبعة كاملة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩.
- الموسوعة السياسية والعسكرية، خراس البيطار، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.
- القاموس الجغرافى للبلاد العربية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، محمد رمزى، الجزء الثالث، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤.
- معجم بلدان فلسطين، محمد محمد حسن شراب، الطبعة الثانية ، الأردن- عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- معجم أعلام المورد، منير البعلبكى، دار العلم للملايين، ١٩٩١.
- موسوعة هذا الرجل من مصر، تأليف، لمعى المطيعى، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٧.
- موسوعة القادة السياسيين عرب وأجانب، عبد الفتاح أبو عيشة، الطبعة الأولى، عمان- الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.
- موسوعة مصر والقضية الفلسطينية، المجلد الثانى، تحرير أ.د عادل غنيم، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٣.

ثامنًا: الرسائل الجامعية والأبحاث العلمية

- جمال معوض شقرة، الحركة السياسية فى مصر من ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢ إلى أزمة مارس ١٩٥٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٥.
- ــــــــــ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٥٤-١٩٦١، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٣.
- فــــاروق عثمان أباظة، زيارة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود لمصر وأثرها فى دعم العلاقات السعودية- والمصرية ١٥ رجب ١٣٧٣هـ/ ٢٠ مارس ١٩٥٤، بحث مقدم لندوة علمية بدار الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠١٥.

تاسعًا: المواقع الإلكترونية

- Alwafd.org
- Modernegypt.bibalex.Org
- Nasser.bibalex.Org
- Radiosawa.com
- Rosa- a magazine.Com
- youssef3.blogspot.com.

عاشرًا: المراجع

أ- باللغة العربية

- إبراهيم سطوحى، انشقاق الثوار: صراع ضباط ثورة ٢٣ يوليو، القاهرة، الزهراء للإعلام العربى، ١٩٩٠.
- أجار يشيف، جمال عبد الناصر، ترجمة: دار التقدم ، سامى عمارة، موسكو، الاتحاد السوفيتى، ١٩٨٣.
- أحمد تيمور، الرتب والألقاب المصرية لرجال الجيش والهيئات العلمية والقلمية منذ عهد أمير المؤمنين عمر الفاروق، الطبعة الأولى، القاهرة، مطابع دار الكتاب، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠.

- أحمد حمروش، قصة ثورة ٢٣ يوليو، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٨٣.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى، تاريخ مصر السياسى من الاحتلال الى المعاهدة، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٦٧.
- أحمد عطية الله، ليلة ٢٣يوليو مقدماتها أسرارها أبعادها، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٣ يوليو ١٩٨٢.
- أمين عز الدين، الطبقة العاملة المصرية منذ نشأتها فى عام ١٩٠٧، القاهرة، دار الغد العربى، ١٩٨٧.
- أنتونى نانتنج، ناصر، ترجمة: شاكر إبراهيم سعيد، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٣.
- أرسكين تشايلدرز، الطريق إلى السويس، ترجمة: خيرى حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت.
- الكتاب الأبيض الإنجليزى، ترجمة إبراهيم عبدالقادر المازنى، الطبعة الأولى، القاهرة، مطبعة سعودى، رجب ١٣٤٠هـ / مارس ١٩٢٢.
- بيرو جيل، "هنرى كورييل رجل من طراز فريد الحركة المصرية الشيوعية المصرية بمنتصف القرن"، الطبعة الأولى، ت:كميل داغر، دار النضال، ١٩٨٦.
- جاك دومال، مارى لوروا، جمال عبد الناصر من حصار الفالوجة حتى الاستقالة المستحيلة!، الطبعة الخامسة،
- ترجمة: ريمون نشاطبى، بيروت، دار الآداب، يونيو ١٩٧٩.
- جول جوردون، حقيقة ثورة يوليو، ترجمة: عادل عبد الصبور، الدار العالمية للطباعة والنشر، ٢٠٠٠.
- جمال الشرقاوى، أسرار حريق القاهرة فى الوثائق البريطانية، القاهرة، دار شهدى للنشر، ١٩٨٥.
- جمال سليم، الصامتون فى الميزان، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٧٦.
- جمال شقرة، دراسات فى تاريخ مصر المعاصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٢.

- ـــــــ، إسرائيل وثورة يوليو ١٩٥٢-١٩٥٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٣.
- ـــــــ، مصادر التكوين الفكرى لقائد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ جمال عبد الناصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٣.
- ـــــــ، موسوعة مصر والقضية الفلسطينية، المجلد الثانى، تحرير أ.د عادل غنيم، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٣.
- جلال يحى، الثورة المهدية وأصولها السياسية البريطانية فى السودان، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩.
- جيفرى أرونسن، واشنطن تخرج من الظل - السياسة الأمريكية تجاه مصر ١٩٤٦-١٩٥٦، تحقيق محمد سيد أحمد، ترجمة: سامى الرزاز، القاهرة، دار البيان للنشر والتوزيع مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٧.
- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأحزاب السياسية وجماعات المصلحة والضغط ، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٨.
- خليل ميخائيل معوض، سيكولوجية النمو الطفولة والمراهقة، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٢.
- رشاد كامل، الصحافة والثورة ذكريات ومذكرات، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢.
- رؤوف عباس، أوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية، ترجمة: عزة رياض، الطبعة الأولى، القاهرة، سينا للنشر، يناير١٩٨٨.
- رؤوف عباس، شخصيات مصرية فى عيون أمريكية، القاهرة، دار الهلال، ٢٠٠١.
- زكى فهمى، صفوة العصر فى تاريخ ورسوم مشاهير رجـــال مصر، القاهرة، مكتبة مدبولى ١٩٩٥.
- زهير بردينى، اللدودان الوفد والإخوان، الطبعة الثانية، الرملة البيضاء، دار اقرأ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥م.
- سامى جوهر، الصامتون يتكلمون، القاهرة، ط٢، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٥.

- سليمان المدنى، الملف العربى فى القرن العشرين، ط١، ج٤، بيروت، دمشق، المنارة للإنتاج الإعلامى والفنى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م،
- طارق حبيب، ملفات ثورة يوليو، الطبعة الأولى، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر،١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- عبد العظيم رمضان، أوراق يوسف صديق، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ١٣٦، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.
- ـــــ، الصراع بين الوفد والعرش١٩٣٦- ١٩٣٩، الطبعة الأولى، القاهرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩.
- ـــــ الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٨٩.
- ـــــ، الإخوان المسلمون والتنظيم السرى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٣.
- عبد الرحمن الرافعى، ثورة ٢٣يوليو سنة١٩٥٢- تاريخنا القومى فى سبع سنوات١٩٥٢-١٩٥٩، القاهرة، مكتب النهضة، ١٩٥٩.
- ـــــ، ـــــ، الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٨٩.
- ـــــ، فى أعقاب ثورة ١٩١٩، الجزء الثالث، القاهرة، دار الشعب، ١٩٥٩.
- ـــــ، مقدمات ثورة ٢٣يوليو سنة ١٩٥٢، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- عادل حمودة، سيد قطب من القرية إلى المشنقة: سيرة الأب الروحى لجماعات العنف، القاهرة، سينا للنشر، ١٩٨٧.
- عبد الوهاب بكر محمد، الجيش المصرى وحرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٥٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢.
- عبدالله إمام، ديمقراطية ثورة يوليو، الطبعة الأولى، دار الخيال، يناير٢٠٠٣.

- عصام شبارو، الدولة العربية الإسلامية الأولى (١-٤١ هـ / ٦٢٣-٦٦١م)، الطبعة الثالثة، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان،١٩٩٥.
- على شلبى، مصر الفتاة ودورها فى السياسة المصرية ١٩٣٣-١٩٤١، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
- عمر عبد العزيز عمر، دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٩.
- فادية سراج الدين، التحرر الوطنى والقضية المصرية فى المرحلة الأخيرة، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٩٩٥.
- فطين أحمد فريد، ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢من التنظيم السرى إلى سقوط فاروق، القاهرة، مطابع الشرطة للطباعة والنشر، ٢٠٠٢.
- فؤاد كرم، النظارات والوزارات المصرية، الجزء الأول، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٤٩.
- لمعى المطيعى، هؤلاء هم رجال يوليو، القاهرة ، مكتبة مدبولى، ١٩٨٩.
- محمد أنيس، حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ على ضوء وثائق تنشر لأول مرة، بيروت، المؤسسة العربية، سبتمبر١٩٧٢.
- محمد توفيق الأزهرى، البكباشى يوسف صديق منقذ ثورة يوليو (أنكره الزيف وأنصفه الشعب) ، تحقيق محمود توفيق، القاهرة، مكتبة مدبولى، ٢٠٠٠.
- محمد ثروت، الأوراق السرية لمحمد نجيب، القاهرة، دار الجمهورية للصحافة، ٢٠٠٧.
- محمد سعيد الحسن، عبد الناصر والسودان، لندن، دار ميدلاين، ١٩٩٢.
- محمد عبد الفتاح أبو الفضل، تأملات فى ثورات مصر-٢٣ يوليو ١٩٥٢، الجزء الأول، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٤.
- محمود الخفيف، أحمد عرابى الزعيم المفترى عليه، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، أغسطس- سبتمبر ٢٠٠٤.
- محمود فوزى، الضباط الأحرار يتحدثون، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٥٠.
- محمود متولى، مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة ١٩٥٢، سلسلة محكمة التاريخ، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٨٠.

- مصطفى طيبة، الحركة الشيوعية المصرية ١٩٤٥- ١٩٦٥، الطبعة الأولى، القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٠.
- كمال رفعت، حرب التحرير الوطنية بين إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وتوقيع اتفاقية ١٩٥٤، القاهرة، دار الكتاب العربى،١٩٨٦.
- ـــــ، مصر زعامة وشعبًا إلى أين؟، القاهرة، دار الاعتصام، ١٩٩١.
- كوفتونوفيتش، ثورة الضباط الأحرار فى مصر، ت: عزة الخميسى، القاهرة، الأهالى، رقم ٣٠، ديسمبر ١٩٩٠.
- يونان لبيب رزق، الأحزاب المصرية ١٩٢٢- ١٩٥٣، تحرير: رؤوف عباس حامد، القاهرة، مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية، ١٩٩٥.

ب- باللغة الأجنبية

- Ansari، H.، Egypt the stalled society، New York، 1986.
- Charles، B. McLane، "Soviet-Middle East Relations"، Vol. I، London، 1973
- Dean، Acheson. "Present at the creation"، New York، 1969.
- .J.Blondel، "comparative Legislature"، New Jersey: Englewood Cliffs، prentice Hall، Inc.، 1973.
- Smith، Gaddis، Deem Acheson. "The American Secretaries of state, Vol. XVI"، New York، 1972.
- Mohamed Naguib، "Egypt's Destiny"، London: victor Gollancy، 1955.
- Vatikiotis. P.، The Egyptian Army in politic، Indiana، university، dress، blooming ton، 1961.

الفهرس

الإهداء ٧
المقدمة ٩
الفصل الأول: نشأة يوسف صديق وحياته العسكرية ١٣
أولًا: نشأته وتعليمه ١٧
ثانيًا: حياته العملية والعسكرية ٢٨
- التحاقه بالكلية الحربية ٢٨
- تقديمه إلى المجلس العسكرى ٣٥
- تعيينه مدرسًا بالكلية الحربية ٤٩
- التحاقه بكلية أركان حرب ٥٢
ثالثًا: مشاركته فى حرب فلسطين "١٩٤٨" ٥٨
رابعًا: موقف الحرس الحديدى من يوسف صديق ٦٦
خامسًا: نقله إلى السودان ٧٠
الفصل الثانى: يوسف صديق وتوجهاته الأيديولوجية ٧٣
أولًا: الأحزاب والصراعات السياسية ٧٧
ثانيًا: الجماعات الأيديولوجية ٨٥
- جماعة الإخوان المسلمين ٨٥

- جمعية مصر الفتاة ٩٢
- انضمام يوسف صديق إلى حدتو ٩٤
ثالثًا: انضمامه لتنظيم الضباط الأحرار ١١١
الفصل الثالث: يوسف صديق ودوره فى ثورة ٢٣ يوليو "١٩٥٢" ... ١٣٥
أولًا: الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة ١٣٩
- قرار البرلمان بإلغاء المعاهدة ١٤٠
- حريق القاهرة ١٤٦
- انتخابات نادى الضباط ١٥١
ثانيًا: تغيير موعد الحركة أكثر من مرة ١٥٦
ثالثًا: موقع يوسف صديق وقيادته لمقدمة كتيبة مدافع ماكينة ١٦٠
رابعًا: تسرب موعد الحركة ١٦٦
خامسًا: يوسف صديق وساعة الصفر ١٧٣
سادسًا: الخلاف حول دور يوسف صديق فى اقتحام مبنى رئاسة الجيش، وروايات الضباط الأحرار ١٨٠
- رواية البكباشى يوسف منصور صديق ١٨١
- رواية الصاغ جمال حماد ١٩٠
- رواية اليوزباشى محسن عبد الخالق ١٩٢
- رواية البكباشى جمال عبد الناصر ١٩٣
- رواية الصاغ حسن الدسوقى ١٩٥
- رواية الصاغ صلاح السيد ١٩٦
- رواية الصاغ صلاح محمد نصر ١٩٧

- رواية الصاغ خالد محى الدين ١٩٨
- رواية الصاغ أنور السادات ١٩٩
- رواية اليوزباشى عبد المجيد شديد ٢٠٠
- رواية اللواء محمد نجيب ٢٠٠
سابعًا: الأسباب التى أدت إلى نجاح الثورة ٢٠٧
الفصل الرابع: خلاف يوسف صديق مع مجلس قيادة الثورة ٢١٣
أولًا: صعود الضباط الأحرار للسلطة ٢١٥
ثانيًا: التباين الأيديولوجى وانفجار الخلافات داخل مجلس قيادة الثورة ... ٢٢٥
ثالثًا: خلاف يوسف صديق مع مجلس قيادة الثورة يناير "١٩٥٣"....... ٢٢٧
- الدعوة لانعقاد البرلمان ٢٢٨
- التمسك بالدستور والدفاع عن الديمقراطية ٢٣٠
- قانون تنظيم الأحزاب ٢٣٢
- إعدام العاملين خميس والبقرى ٢٣٣
- اعتقال ضباط المدفعية ٢٣٥
رابعًا: استقالة يوسف صديق من مجلس قيادة الثورة ٢٤٢
خامسًا: دور يوسف صديق فى أزمة مارس ٢٤٣
- رسالة البكباشى يوسف صديق إلى الرئيس محمد نجيب ٢٥٥
الفصل الخامس: يوسف صديق بعد ابتعاده عن مسرح الأحداث السياسية ٢٦٩
أولًا: سفره إلى أسوان ٢٧١
ثانيًا: سفره إلى سويسرا ٢٧٣

ثالثًا: سفره إلى لبنان ٢٧٤
رابعًا: تحديد إقامته فى قرية زاوية المصلوب ٢٧٦
خامسًا: اعتقال يوسف صديق وزوجته ٢٧٧
سادسًا: موقف يوسف صديق من تأميم قناة السويس ٢٧٩
سابعًا: موقف يوسف صديق مما أذاعته إذاعة صوفيا بتعرضه للتعذيب.... ٢٨٥
ثامنًا: العيد العاشر للثورة ودعوة القائمقام يوسف صديق للعمل ٢٨٦
تاسعًا: رثاء يوسف صديق لعبد الناصر ٢٩٣
عاشرًا: استدعاء الرئيس أنور السادات ليوسف صديق ٢٩٧
الفصل السادس: جوانب أخرى من حياة يوسف صديق ووفاته ٢٩٩
أولًا: إنتاجه الأدبى والفكرى ٣٠١
- ضعوا الأقلام ٣٠١
- مقالاته عن الاشتراكية فى الإسلام ٣٠٢
- الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتي ٣٠٣
ثانيًا: علاقته بأسرته وأصدقائه ٣٠٤
ثالثًا: تاريخ مرضه ووفاته ٣٠٦
رابعًا: إغفال دوره والتعتيم على تاريخه ٣١٤
الخاتمة ٣٢٣
الملاحق ٣٢٩
قائمة المصادر والمراجع ٣٩٥

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

إن دراسة سير الرموز والشخصيات المهمة عبر المراحل التاريخية المختلفة تكشف لنا النقاب عمن شاركوا في صنع أحداثه وتطوراته، بغية الاستفادة من تجاربهم وخبراتهم، فضلاً عن إبراز أهم الملامح والمقومات التي أسهمت في تكوين شخصيتهم وتوجهاتهم واعتقاداتهم السياسية والاجتماعية والأيديولوجية.

في هذا السياق يأتي اهتمامنا بدراسة أحد رموز الحركة الوطنية المصرية في تاريخها الحديث، الذي اعتبره كثير من الباحثين بمثابة الأيقونة لثورة يوليو 1952؛ حيث أسهم مع كوكبة من رفاقه في تغيير مجرى التاريخ، وربما لا يعلم عنه الكثيرون إلا القليل، وقد جاء هذا الكتاب ليميط اللثام عن كثير مما غمض حول سيرة أحد أبطال تلك الثورة المجيدة، وهو البكباشي يوسف صديق، بداية من نشأته في قرية "المصلوب" وحتى وفاته، مرورًا برحلة كفاحه ضد الاحتلال، التي توّجها باقتحام مقر قيادة الجيش بعد منتصف ليلة الثالث والعشرين من يوليو لتبدأ مصر مرحلة جديدة، وليتنسم بنوها عبير الحرية للمرة الأولى منذ عهود سحيقة.. ولعله من الأهمية بمكان في تلك المرحلة الدقيقة من تاريخنا المعاصر أن نضع بين يدي القارئ بانوراما تاريخية وعلمية كاملة - قدر الإمكان - عن يوسف صديق حياته ودوره ومسيرة عطائه التي لا ينكرها إلا غير منصف أو جاحد، علّنا نوفيه بعض حقه بعد ما أصابه من غبن وتجاهل لعدة عقود.

البورتريه للفنان: حسين جبيل ◆ تصميم الغلاف: د. هند سمير

ISBN# 1111111111111
6221149054950

٥٠
جنيهًا

الهيئة المصرية العامة للكتاب